دورية تاريخية محكمة

مركز الوثائق التاريخية

البحرين



بسم الله الرحمن الرحيم

# الوثيقة

دورية تاريخية محكّمة

يصدرها

مركز الوثائق التاريخية

بدولة البحرين



رقم التسجيل : MWTH 222



العدد السابع والثلاثون - السنة التاسعة عشرة

رمضان ١٤٢٠هـ - يناير ٢٠٠٠م

# الوثيقة

## لجنة المجلة




العنوان : مركز الوثائق التاريخية ص.ب. : ٢٨٨٨٢

المنامة – دولة البحرين – تلفون : ٦٦٤٨٥٤

جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير

# فهرس

## القسم العربي

**كلمة العدد:**

## القسم الإنجليزي

---

**كلمة العدد:**



**صورة الغلاف**
**"الســوق"**
**للفنان الكويتي أمير عبد الرضا عوض**

## كلمة العدد

# الشمال .. والجنوب وتحديات الألفية الثالثة

**بقلم : سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة**

شهور قليلة ويطل علينا القرن الجديد بتحدياته الخطيرة وهي تحديات بدأت بالفعل منذ فترة . . فالانتقال من قرن إلى قرن جديد ليس قفزة ينتقل بها الإنسان من شاطئ إلى شاطئ . . وإنما هو انتقال يتكور فيه زمن على زمن كتكور الليل والنهار . .

وقد بدأ الاستعداد لاستقبال الألفية الثالثة منذ سنوات وإن كنا في العالم العربي وكالعادة قد بدأنا متأخرين . . وأول ظاهرة تواجهنا من ظواهر القرن الجديد هي أنه – وكما تؤكد تباشيره – هو قرن الكيانات العملاقة. فأوروبا التي احتكرت معظم الصراعات في القرن الأخير وكانت بؤرة

الحربين العالميتين جمعت صفوفها ووحدت كلمتها وأزاحت جانباً وإلى حدٍ بعيد خلافاتها التقليدية . . أقامت السوق المشتركة . . وحّدت العملة . . وضعت الإجراءات الحمائية الكفيلة بحماية أسواقها ومنتجاتها . . عززت الترابط بين سياساتها الخارجية وخلقت كياناً عملاقاً يقف الآن على مشارف القرن وهو على أهبة الاستعداد .

وأمريكا التي تتربع الآن على عرش القطب الواحد والتي كانت في مقدمة الصفوف للمسيرة الإنسانية نحو الغد القادم . . أحكمت ومنذ سنوات استعداداتها وقد عملت مؤسساتها على أن تظل هي القوة المهيمنة لدرجة أن البعض أطلقوا شعار أن القرن القادم هو القرن الأمريكي . . فالمؤسسات الاقتصادية وضعت أقدامها ومن الآن في كل مكان بالعالم والمؤسسات المالية أحكمت قبضتها على عنق جميع المؤسسات المالية في كل مكان . . فمعظم أرصدة العالم في بنوكها وبكلمة يعلو سعر الدولار أو ينخفض وتعلو معه أو تهوي كل الكيانات الصغيرة على امتداد الكرة الأرضية .

والمؤسسات الاجتماعية بإمكانها الآن أن تلبس شباب العالم الجينز وتطعمهم الهامبورجر . . وبإمكانها وفي لحظات أن تغير ذلك إلى لباس جديد وطعام جديد . فالمؤسسات الإعلامية تخدم أغراضها بكفاءة واقتدار .

الشمال إذن أنهى استعداداته أو كاد . . فماذا فعل الجنوب، ونحن جزء منه ؟ !

عندما استيقظت آسيا وأرادت أن تنسج على المنوال الأوروبي كانت كارثة إندونيسيا التي عصفت بالمؤسسات المالية فيها وأشرفت بها على هاوية الإفلاس بعد أن تحولت استثماراتها إلى ناطحات سحاب لا تجد من

يسكنها أو يقدر على أن يسكنها وخرجت من السباق وهي لم تكد تدخل فيه . .

والكيانات الكبرى وحتى قبل أن تفكر في الاستعداد. أثيرت بينها العداوة الكامنة وتوترت الأوضاع على الحدود الهندية الباكستانية . . والبؤر الصغيرة الخامدة دبت فيها الحياة فجأة وبدأ الكل يحمل السلاح وتتمزق في ظل ذلك كل الصفوف . فالجنوب يجب أن يظل ممزقاً ومتخلفاً ومنقسماً ومجرد تكدس بشري ضخم مستكين وخاضع للشمال القوي الغني المتحد المتفاهم على تقسيم الأسواق والهيمنة على القرن الجديد .

ونحن في العالم العربي نرى ذلك ونفهمه ونعيه جيدا ولكننا لا نحرك ساكناً فالاتفاقية العربية لتحرير التجارة مازالت دراسات في ملفات تفتح في الاجتماعات. ثم تغلق في انتظار اجتماع جديد . والسوق العربية المشتركة حلم يطوف في سماء الفكر الاقتصادي العربي تنظم فيه القصائد والأهازيج وهي تراوح في مكانها لا تريم والخلافات العربية - العربية مرض عجز كل الأطباء والحكماء عن علاجه أو حتى تسكين آلامه وآثاره . . والصف العربي الواحد يتفتت ويتمزق على الحدود العربية بين الأشقاء في خلافات حول أمتار من الأرض .

لقد حان الوقت في العالم العربي لوقفة حاسمة مع النفس. وإجراءات سريعة وحازمة لمواجهة القرن الجديد وربما كان في مقدمة هذه الإجراءات القضاء مرة واحدة ونهائياً على جميع الخلافات العربية العربية . وأعتقد أن الوقت أصبح مهيأ لقمة عربية شاملة يجلس فيها القادة العرب الأشقاء ليستعرضوا مواطن الخلاف القائمة حالياً بروح الأخوة والعدالة معا ثم

ليقولوا فيها كلمتهم التي يلتزم بها الجميع فالصف الواحد هو أول الضرورات للزحف الجديد ومواجهة القرن الجديد فرادى خطر يهدد الجميع فالكيانات العملاقة لن ترحم الوحدات الصغيرة والكيانات الصغيرة نفسها لن تقوى على مواجهة هذه الكيانات الكبيرة التي تتحين الفرص لافتراسها والهيمنة عليها . . إن الخلافات العربية أصبحت ظاهرة شاذة وهي أمر ليس في صالح الجميع وأي مشكلة مهما كبرت لابد لها من حل إذا خلصت النوايا وحسنت النيات وحسن النيات هنا أصبح ضرورة حياة أو موت وليس من الحكمة - والعرب هم أرباب الحكمة - أن يضيع المستقبل كله من أجل خلافات صغيرة يمكن حلها في جلسة واحدة على مائدة مستديرة .

لقد دخلت أوروبا حربين عالميتين جرَّت معها فيهما العالم كله وقضت إحداهما فقط وهي الحرب العالمية الثانية على ٤٥ مليوناً من البشر وكان ذلك كله من أجل الصراع على حدود بين دولتين . . هذه الحدود نفسها التي لم تعد شيئاً مهماً فقد تلاشت ضمن خطوات استعداد أوروبا لاستقبال القرن الجديد . لقد كانت الحدود تمتد وتتراجع في القرنين الماضيين مع نشوء الإمبراطوريات وتوسعاتها ثم انهيارها والقرن القادم لن يكون قرن الإمبراطوريات السياسية . فقد أصبحت تلك الإمبراطوريات مجرد صفحات في التاريخ . والكيانات العملاقة الجديدة كيانات لا تقف أمامها الحدود الجغرافية ولا تعوقها البوابات الجمركية . . وقد كانت مشاكل الحدود في العالم كله من إفرازات الإمبراطوريات السابقة في القرن التاسع عشر ولم يعد منطقياً أن تختفي تلك الإمبراطوريات وتبقى إفرازاتها . . لقد صنعوا هذه المشاكل وكانوا يعلمون أنها يمكن أن تخدم أهدافهم في يوم ما وليس من الكرامة أن يسمح العالم العربي - والعرب هم صناع الكبرياء - أن تظل

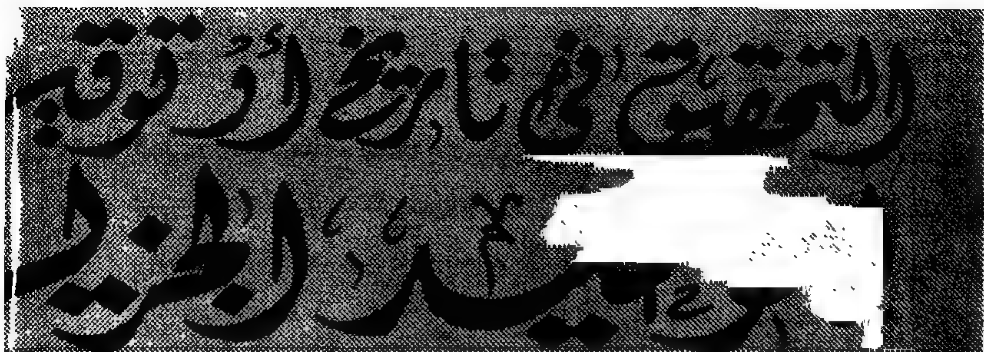
انعكاسات المؤامرة الاستعمارية قائمة وفعالة حتى بعد أن تحررت الإرادة العربية واستقلت الأرض العربية .

حقيقة هناك بعض الجروح . ولكن الإرادة العربية قادرة على تجاوز الألم فالهدف كبير والخطوة المطلوبة هي خطوة مصير. نكون أو لا نكون. وهو أمر يدعو الجميع للسمو فوق الآلام وتجاوز كل ذيول المحنة وفتح العقول والقلوب لإحساس يمحو ما خلفه الأمس في الجسد العربي الكبير . مع الإدراك بأن العمق الإسلامي أساس متين للتحرك نحو المستقبل المنشود فالإسلام عباءة يمكن أن تظل الجميع وتوفر لهم الأمن وتتيح لهم حشداً أكبر لمواجهة التحديات القادمة وإزالة النزاع القائم على حدود المشرق العربي مدخل رئيسي للقرن القادم وهو نزاع يدخل في منظومة النزاع المنتشر هنا وهناك وهو نزاع الحدود وعلينا أن نتذكر بعمق أن الدولة الإسلامية في عصرها الذهبي كانت ساحة عريضة واحدة تضم شعوباً عديدة لا تفرق بينهم حدود ولا تمزقهم سدود، ولا ترسم خطواتهم جوازات سفر ولا يقلقهم اختلاف العملات وتباين النقد وهو ما تفعله الآن أوروبا التي مزقت دول العالم الإسلامي ووحدت بين دولها وصنعت مختلف الهويات للشعوب الإسلامية والعربية وتعمل اليوم على إيجاد هوية واحدة لجميع شعوبها واصطنعت عشرات العملات للدول الإسلامية ووحدت اليوم عملتها . فهم يستفيدون من تاريخنا الماجد ونحن ننسج على منوال تاريخهم المشين . يسيرون على منهج الوحدة الإسلامية ونحن نقلد عصر الصراعات الأوروبية .

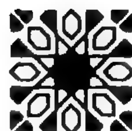
إن علاقة الدول العربية بدول العالم الإسلامي يجب أن تتخذ لها بعداً جديداً في القرن القادم فلم يعد يكفي القول بأننا أمة واحدة أو استعادة الماضي الجميل والتغني به شعراً ونثراً ولم يعد يكفي مجرد تبادل الأمنيات

الطيبة . بل يجب حشد الإمكانيات والتنسيق بينها والإسراع في الخطوات التي بدأت التحرك منذ سنوات ولكن على استحياء نحو السوق الإسلامية وتنشيط الصادرات بين دول العالم الإسلامي وتنشيط التبادل التجاري وخلق نوع من الوحدة على الأقل في المجالات التي لا تفجر خلافات مثل المجالات الإعلامية والثقافية والسياحية . . ومحاولة تنسيق المواقف وخلق حد أدنى من الاتفاق والتعاون والتنسيق . إن القرن الجديد يحث الخطى ويطل بكل تحدياته ولم يعد يكفي الآن الحديث مجرد الحديث أو استعراض الأمنيات بل إن العمل، والعمل الجاد السريع والمتواصل أصبح ضرورة إذا كنا نريد حقاً أن نحجز لنا مكاناً بين الأقوياء وإذا كنا حريصين حقاً على أن نحمي أنفسنا وأجيالنا مما يعد له الأقوياء.

عبد الله بن خالد آل خليفة



## بمقارنة المصادر المطبوعة بالوث



**[من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا]**

لقد خلد التاريخ ذكرهم. وإن آثارهم المادية والمعنوية دالة عليهم. فهي تحكي سيرة رجال عاهدوا الله تعالى أن يسيروا على هدي كتابه وسنة نبيه فزادت دولتهم قوة إلى قوة عدَدِها وعُدَدِها. وسمت نفوسهم على الماديات إلى معنويات فأصبح هدفهم واحداً وهم مستميتون في سبيل تحقيقه . ومن هؤلاء القادة الملك (عبد العزيز) رحمه الله فهو الذي وجد قومه متفرقين يغزو بعضهم بعضاً فوحدهم. ووجد الدخيل الأجنبي يحاول أن يجعل له



# ت حروب الملك عبد العزيز
# رة العربية

## ئق المخطـوطة



إعداد :

**علي عبد الرحمن أباحسين**





**الوثيقـة ـ ١٥**

موطأ قدم فأبى إلا أن يحقق ما يصبو إليه وهو طرد الأجنبي وتوحيد الجزيرة العربية. ورسم خطة حكيمة لتحرير البلاد وتوحيدها تحت راية [لا إله إلا الله]. فكان الله في عونه وعون أبنائه وأتباعه وأعوانه وقومه الذين التفوا حوله يدافعون عن بلادهم ويعيدون الحكم لأهله . فوحد البلاد وأمّن طرق العباد ورزقهم الله من فضله حتى أصبحت الدولة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

في هذا البحث سوف نلقي الضوء على أهم الحوادث التي تطرق إليها الباحثون. ثم نقارنها برسائل الملك عبد العزيز رحمه الله وذلك للتوصل للحقيقة التأريخية ومن تلك الحوادث استعادة كل من :

١ - الرياض .
٢ - مكة المكرمة .
٣ - المدينة المنورة .
٤ - ينبع .
٥ - جدة .
٦ - عسير .
٧ - تحقيق في طلب الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود الإقامة في (الزبير) أو (الكويت) .
٨ - تحقيق في تاريخ وفاة الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود .

# تمهيد

لما كـان التـاريخ في اللغـة هـو التوقيت . فيقال أرخ الكتاب يؤرخه أي وقّته وجعل له تاريخاً . فالتاريخ تعريف الوقت[١] . أما علم التـاريخ · فيتضمـن ذكر الوقائع ولاسيما ما كان منها متعلقاً بالقبائل والأقاليم مع تعيين أوقاتـها وبيان أسبابها ومسبباتها . ولتوخي الدقة في تسجيل هاتيك الوقائع، لابد من الاعتماد على من يكون قريباً من (زمان ومكان) الواقعة التي يشهد وقوعها بشكل مباشر فهو في الغالب أكثر دقة في تدوين الحوادث من البعيد في الزمان أو المكان أو فيهما معاً . مع العلم أن كثيراً ما يفتقد المؤرخ القريب من الحادثة زماناً ومكاناً إلى الدقة والأمانة، وبخاصة في القضايا التي تتعلق بالعقيدة الدينية أو المذهبية أو السياسية .

ومصادر التاريخ كثيرة ومنـها : (الوثائق) و (الكتب المخطوطة والمطبوعة) .

ولاشك أن (الوثائق) من المصادر الأولى في كتابة التاريخ وإن اختلفت في أهميتها وفقاً للزمان والمكان الذي وقعت فيه الحوادث أو بما تحويه من معلومات عن أشخاص أو مواضع أو وقائع تاريخية . فمن الوثائق : التقارير والرسائل التي يكتبها الحكام والسفراء والقناصل والمعتمدون السياسيون والوكلاء اعتمادا على مخبريهم. وهنا، يدخل فيها عامل التحيز المقصود أو غير المقصود لأنهم يكتبون والحالة هذه وفقاً لمنظورهم أو سياسة البلاد التي ينتمون إليها . وأحياناً يكتب لهم الخبر شخص لا يتحرى الدقة في كتاباته فتأتي مخالفة للحقيقة أو بعيدة عنها . ولما كان الباحث في التاريخ يبحث عن الحقيقة أينما كانت ليصل إلى القرار النهائي . فالوثيقة هي التي تكشف عن حقيقة الماضي سواء كانت مكتوبة بالحروف أو كانت خريطة أو صورة على ورق أو مصورة على شريط مرئي أو مسموع أو محفورة على حجر أو نحو ذلك . فهي التي تدل الباحث على الحقيقة المنشودة، ومن هنا ظهر الاهتمام بالوثائق والحفاظ عليها وتخزينها على ميكروفيلم

وعمل فهارس لها . وكلما كانت الوثائق أو الرسائل مكتوبة بخط أصحاب الشأن أو مختومة بأختامهم كتبت بنفس الزمان موضوع البحث وبنفس المكان كانت في الغالب أكثر دقة واعتمد عليها الباحثون إلى حد كبير لأنها تؤرخ أحداثاً وتصف وقائع وصفاً قريباً من الحقيقة إن لم تكن هي الحقيقة نفسها، لأنها تمتاز والحالة هذه بالدقة في التوقيت والوضوح في الوصف وكتبت من شاهد عيان وبين أيدينا عشرات من الوثائق والرسائل الأصلية غير المصورة والمحفوظة في مركز الوثائق التاريخية في البحرين ونرفق منها ما يتعلق بالبحث، وهي مختومة بختم الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود وعبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراهما، وبعد دراستها وجدنا أن في بعضها إشارة إلى أشخاص أرسلت معهم الرسائل وتم استلام الجواب من يد آخرين . ولدى تحقيقنا وجدنا أن أولئك الرسل الذين حملوا رسائل الملك عبد العزيز أو الذين سلموا له الرسائل من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين، كانوا أشخاصاً ثقاة يعتمد عليهم بدليل أن بعض الرسائل تشير إلى أن المرسل متروك له تفاصيل ما أوصى به كقوله *"والباقي من رأس هذلول"*

وقوله : *"وباقي الحقائق من رأس عبد اللطيف المنديل شفاها"* في رسالة حررت في ٢٥ رجب ١٣٣٢هـ . وفي رسالة أخرى ذكر : *"والأخ عبد اللطيف المنديل بعد كم يوم يتوجه إلى الحسا ومنه إلى طرفكم وإن شاء الله يبلغكم شفاها روابط الواد بيننا وبين الحكومة"* حرر في ٢٠ رجب ١٣٣٢هـ . وقوله : *"والباقي من رأس حمود"* ورد ذلك في رسالة الملك عبد العزيز المؤرخة في ٢ ذو الحجة ١٣٢١هـ . بينما يحمل المرسل رسالة لا تعدو كلماتها عن عبارات المجاملة فقط . وكان أولئك الرسل في مستوى المسئولية لتبليغ الرسالة إلى الملك أو لشيخ البحرين ومنهم : محمد بن ذهيبان، وسالم المطوع[٢]، ومحمد بن ثنيان[٣]، وعبد الله بن جلوي[٤]، وعمر بن عبد العزيز السويلم[٥]، وعبد اللطيف المنديل[٦] وعبد العزيز القصيبي[٧] . فقد جاء في رسالة نقلها عبد العزيز القصيبي قوله : *"إن ما أوصيتم به عبد العزيز القصيبي قد بلغنا إياه وأوصينا المذكور بما يلزم"* . وورد في رسالة حملها زيد بن ربيعة وفيها : *"أن حامل كتابنا هذا من آل ربيعة القيمين في الزبير وأعرف حضرتكم به لينوب عني بمعرض احتراماتي فالرجاء استبقاء توجيهاتكم*

*لنحوه"*[8] . ونقل عبد الرحمن القصيبي رسائل من الملك إلى شيخ البحرين[9] . وفي جواب من شيخ البحرين إلى الملك نقله بشر بن رحمه الجلهمي[10] . وعبد العزيز الرباعي[11] ، وعبد الرحمن بن محمد البسام[12] ، وعبد العزيز العومي[13] . وهذلول، وعبد الله نادر، ومحمد بن زيد، وسليمان الشبيلي وغيرهم[14] . وإن التعريف بهم يحتاج لبحث نتركه للباحثين بعد اطلاعهم على رسائل الملك عبد العزيز والدور الذي قاموا به .

ويلاحظ أن الملك عبد العزيز يثق كل الثقة بالشيخ عيسى بن علي آل خليفة بدليل أنه يخبره عما سوف يقوم به من عمليات عسكرية فقد ورد في رسالة مؤرخة في ١٠ ربيع ثاني ١٣٣٢هـ قوله : *"سوف نثور بعد ٤ أو ٥ أيام إن شاء الله حنا وجميع أهل نجد ورباعنا إن شاء الله ببطن هالديرة (يعني القطيف) حدر نرجو من الله التوفيق"* .

وورد في رسالة مؤرخة منه في ١٣ محرم ١٣٣٢هـ قوله *"وحنا حالاً مثورين على بركة الله حنا وجميع أهل نجد وحادرين مرباعنا إن شاء الله من القطيف إلى الحسا نرجو من الله التوفيق"* .

وسوف أستعرض طرفاً من تلك الرسائل مقارناً ما ورد فيها مع ما ذكر في الوثائق والتقارير الأجنبية أو مع ما نشر في كتب كتبها كُتّاب اعتمد بعضهم على أقوال من شهد أو اشترك في الأحداث التاريخية في عهد الإمام عبد الرحمن بن فيصل وابنه الملك عبد العزيز كما اعتمد البعض الآخر على تقارير سنوية من حكومة الهند البريطانية[15]

# استعادة الرياض

لقد كان الملك عبد العزيز يخطط للقيام بحملة لتحرير بلاده - بلاد آبائه وأجداده - ويمهد لها سياسياً حين اتصل به قبطان الطراد الروسي (أسكولد) في عام ١٩٠١م رمضان ١٣١٩هـ وعرض عليه القبطان عقد اتفاقية معه ولكن الملك امتنع لكيلا يؤدي ذلك إلى تألب الإنجليز والعثمانيين ضده وقد أشار

الشيخ مبارك آل صباح في الكويت برسالته التي أرسلها إلى (أوفسينكو) القنصل العام الروسي في الخليج وأكد ذلك فؤاد حمزة حيث قال له الملك *"أنني طوال شهر شعبان إلى ٢٠ رمضان ١٣١٩هـ كنت في الربع الخالي ومن هناك توجهت صوب الرياض"*(١٦). وكان (لوريمر) يحدد زيارة قبطان الطراد (أسكولد) في ١٤ ديسمبر ١٩٠٢م الموافق ١٢ رمضان ١٣٢٠هـ(١٧) وذلك بعد استرداد الرياض على يد الملك عبد العزيز في الخامس من شوال ١٣١٩هـ الموافق ١٥ يناير ١٩٠٢م. وقد أرسل الإمام (عبد الرحمن الفيصل) خطاباً إلى القنصل العام الروسي في بوشهر بتاريخ ٩ ذي القعدة ١٣١٩هـ الموافق ١٨ فبراير ١٩٠٢م أي بعد شهر تقريباً من ضم الرياض تأكيداً للصداقة كما يخبره *"أنه من فضل الله استولى الأولاد على الرياض وأخرجوا أوادم ابن رشيد منها"*(١٨) هذه الرسالة أرسلت بيد محمد بن عبد الوهاب الفيحاني. الذي أبقى لديه الرسالة حتى ٢٣ صفر ١٣٢٠هـ الموافق ٢ يونيو ١٩٠٢م. والذي لم يكن يعرف أو سبق أن كاتب القنصل العام الروسي. حتى إذا ما صارت مع القنصل مكاتبة أرسل رسالة الإمام عبد الرحمن له فاستلمها متأخرة أي بعد أكثر من أربعة أشهر من كتابتها. فكان لهذا التأخر أثره حين حدث اتصال بين الإمام عبد الرحمن الفيصل مع القنصل الروسي العام في الكويت والذي عرض عليه المال والسلاح فرفض الإمام عبد الرحمن عرض القنصل الروسي وتحتفظ الوثائق البريطانية بنسخة من رسالة الإمام عبد الرحمن الفيصل الموجهة إلى المقيم السياسي في الخليج (كامبل) والمؤرخة في ٥ صفر ١٣٢٠هـ الموافق ١٤ مايو ١٩٠٢م وهي تشير إلى الاتصال الذي أجراه الإمام عبد الرحمن مع القنصل الروسي أوفسينكو في الكويت. وقد عرض القنصل الروسي على الإمام عبد الرحمن المساعدات فرفض العرض. وكان القنصل قد طلب من الإمام عبد الرحمن أن يكتب له رسالة يصف فيها سوء معاملة العثمانيين له والمساعدة التي قدموها لابن رشيد ضده. فرفض الإمام ذلك وقد أراد ابن سعود بذلك وقوف الدول العظمى كبريطانيا وروسيا إلى جانبه ضد ابن

رشيد. بينما أراد الروس تحقيق نشاطهم وطموحاتهم في المنطقة[١٩] . ولذا فإن عرض روسيا جاء متأخراً بسبب تأخر استلام الرسالة التي تذكر استعادة الرياض. وإن الشيخ مبارك آل صباح أرسل خطاباً للقنصل العام الروسي في بوشهر (أوفسينكو) يخبره أن عبد العزيز ووالده الآن في بلدهما الرياض وإنه سوف يبلغ الإمام عبد الرحمن الفيصل تحيات القنصل العام الروسي أوفسينكو، وإن جميع أهالي نجد وعشائرها أدخلوا آل سعود ورغبوا فيهم وأعطوهم الطاعة . ويستطرد الشيخ مبارك في رسالته بقوله : *"وفي الأول من شهر شعبان ١٣٢٠هـ حدثت معركة مع ابن رشيد فقابله الملك عبد العزيز بينما بقي والده في الرياض مقر الحكم .*

*وبعد ثلاثة أيام من المعارك انكسر ابن رشيد وقتل من عسكره من أهل بلد حايل ثلاثمائة وعشرون نفراً وانهزم ابن رشيد ليلاً وترك الخيام والجمال والخيل وحالياً ابن رشيد بين بلده والقصيم وأحواله متناقصة وتضرر كثيراً وجميع العشائر نفروا منه حتى رفاقه عافوه واتجهوا صوب عنزة من جهة بلاد الشام وما بقي معه إلا القليل . وسوف يكتب لكم الإمام عبد الرحمن آل فيصل مكتوب ويرسله لحضرتكم مع مرسوله الخاص لأجل إنضار دولتكم عليه قبل الغير حسب مواجهتكم له بالكويت في شهر رمضان من العام الماضي ١٣١٩هـ"* هذه الرسالة كتبها الشيخ مبارك آل صباح بتاريخ ١٤ رمضان ١٣٢٠هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٠٢م[٢٠] . ومن هنا يتضح أن مقابلة القبطان الروسي (أسكولد) للإمام عبد الرحمن ما يثبته خطاب الشيخ مبارك في رمضان ١٣١٩هـ عام ١٩٠١م . وأن لوريمر قد جانب الحقيقة فجعل زيارة (أسكولد) في عام ١٩٠٢م .

فالرسالة التي أشار إليها الشيخ مبارك هي التي أرسلها الإمام عبد الرحمن الفيصل قبيل استرداد الرياض بشهر أي في رمضان ١٣١٩هـ ويبدو أن القنصل العام الروسي (أوفسينكو) لم يستلمها أو نحن لم نعثر عليها بعد . ومما يؤكد ذلك الرسالة التي أرسلها الشيخ مبارك إلى شيخ البحرين في ١٧ شوال ١٣٢٢هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩٠٤م والتي يذكر فيها أنه كتب للإمام عبد الرحمن الفيصل أن يتوجه إلى الكويت للاجتماع في مكان ما قرب سفوان (الزبير) بتاريخ ٥ و٦ ذي القعدة

وبحضور والي البصرة ممثلاً للباب العالي العثماني وذلك للمذاكرة في تسوية الأمور في نجد وما فيه إصلاح العباد والبلاد والاطمئنان وحقن دماء المسلمين[٢١] .

ويذكر (لوريمر) قوله : *"وفي ١٥ يناير ١٩٠٢م استطاع الملك عبد العزيز أن يسترد الرياض باسم أبيه عبد الرحمن وعدد رجاله لا يتجاوزون ٨٠ رجلا . فقتل حاكم الرياض وتم طرد حاميات ابن رشيد في الخرج والحريق. وأعلن ابن سعود للباب العالي أنه سيحكم البلاد التي حررها[٢٢] بينما ذكر آخرون أن عدد رجال عبد العزيز كان ٤٠ رجلا وقيل ستين رجلا وفي برقية عثمانية طلب الإمام عبد الرحمن الفيصل السماح له ولرجاله البالغ عددهم أربعين رجلا وأفراد أسرته أن يقيموا في مدينة الزبير أو الكويت"*[٢٣].

وعن زيارة الطراد الروسي (بويارين) للكويت في الفترة بين ٤ - ٨ مارس ١٩٠٣م ٤ ٨ ذي الحجة ١٣٢٠هـ. وأثناء هذه المناسبة عقدت مناقشات بين القنصل العام الروسي في بوشهر والأمير عبد العزيز آل سعود الذي كان في الكويت آنئذ على ما أورده (لوريمر)[٢٤] ولدى الرجوع إلى الوثيقة المرفقة صورتها والمحفوظة في الأرشيف الروسي وهي رسالة جوابية من الإمام عبد الرحمن الفيصل (والد الأمير عبد العزيز) وفيها يخبر قنصل دولة روسيا في بوشهر (قودان) بتاريخ ٩ ذي الحجة ١٣١٩هـ الموافق ١٨ فبراير ١٩٠٢م أن الأمير عبد العزيز استرد الرياض وأخرج أوادم (رجال وأتباع) ابن رشيد منها. ويتفق المؤرخون على أن ذلك حدث في يناير ١٩٠٢م[٢٥] فكيف كان الأمير عبد العزيز آل سعود في الفترة من ٤ إلى ٨ مارس ١٩٠٣م - على حد قول لوريمر - في الكويت يجتمع مع القنصل العام الروسي بينما واصل الأمير عبد العزيز حروبه في نجد. فلم تذكر المصادر ذلك اللقاء والمناقشات مع القنصل العام الروسي في ١٩٠٣هـ . وفي هذه الفترة طلب الشيخ مبارك آل صباح النجدة من عبد العزيز فجاءه مسرعاً بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل لحرب ابن رشيد الذي توجه إلى الرياض . إلا أن الإمام عبد الرحمن وأهل الرياض هزموا ابن رشيد وأعوانه فنجت الرياض . وأسرع عبد العزيز للرياض ثم اتجه لفك الحصار عن (شقراء) واستولى عليها ثم (ثرمدا) و (الروضة) و (جلاجل) ودانت له مدن (الوشم وسدير) واحدة بعد الأخرى[٢٦] .

هـذه الأحـداث المتواصلـة لم تـدع لعبـد العزيز فرصـة للاجتمـاع بـالقنصل العـام الروسي ويبقى التسـاؤل فقط عمـا ذكـره لوريمر حول زيارة الأمير عبـد العزيـز في هذه الفترة للكويـت واجتماعـه بـالقنصل الروسي ؟

وللتسلسـل التـاريخي نذكـر سـقوط (الطائف) فقد حدث في اليوم السـابع من شهر صفر عـام ١٣٤٣هـ بعـد أن خـرج منـها الأمـير علـي وهـرب إلى الهـدي فدخلت قوات التوحيد المدينـة . وصلـى الموحـدون صـلاة الظـهر في مسجد ابـن عباس ونادى المنادي بالأمان فاستسلمت الطائف[٢٧] .

# دخول مكة المكرمة

رحـم الله الملـك عبـد العزيـز الـذي رفـع رايـة التوحيد خفاقـة فـوق الجزيـرة العربية، بعـد أن وحدهـا تحـت قيادتـه الحكيمـة . وتـرك لنـا سـفراً خـالداً مـن الرسائل التي ختمها بخاتمـه، وأرخـها بـاليوم والشـهر والسـنة، وهـي تحكـي تاريخ حروبه ومعاركه حين كتب يقول : *"حدثت المعركة (ضحى) أو في (السحر) أو عنـد (الفجـر) بدقـة التوقيـت التاريخي"* . وحين راجعنا ما تيسـر مـن الكتـب الـتي دونـت وأسـهبت في ذكـر المعـارك الـتي قادهـا الملـك عبـد العزيـز رحمه الله، وجدنا اختلافات في التوقيت التـاريخي أحيانـاً، أو في النصـوص التاريخية أحياناً أخرى .

وعلى سبيل المثال فقـد أورد بعـض المؤرخين بـأن (وصـول السـلطان عبـد العزيـز إلى مكـة المكرمـة ودخولـه إليـها محرماً مع حاشيته كان في (السـابع) مـن شـهر جمـادى الأولى عـام ١٣٤٣هـ[٢٨] بينما ذكر الشيخ حافظ وهبة الـذي كـان مستشاراً لجلالة الملك أن وصول جلالتـه إلى مكة المكرمة كان في اليوم الثـامن مـن شـهر جمـادى الأولى ١٣٤٣هــ الموافـق للخـامس مـن ديسـمبر ١٩٢٤م . ومثلـه كتب خير الدين الزركلي[٢٩] .

أمـا (الأطلـس التـاريخي للدولـة السعودية) فقد جعـل دخولـه وبصحبتـه رعايـاه محرمـين في اليـوم الثـامن مـن جمادى الأولى ١٣٤٤هـ الموافـق للخـامس والعشرين من ديسمبر ١٩٢٥م ثـم نجـده

يجعل دخوله في ٨ جمادى الأولى عام ١٣٤٣هـ. الموافق للخامس من ديسمبر ١٩٢٤م[٣٠] وفي الرحلات الملكية أن دخول جلالته إلى مكة كان عشاء يوم الخميس من ليلة الجمعة الثامن من جمادى الأولى ١٣٤٣هـ . وهنا اختلف ما ذكره المؤرخون في قولهم أن دخوله في السابع من جمادى الأولى أو الثامن منه . أو القول في اليوم الثامن من جمادى الأولى عام ١٣٤٤هـ في صفحة من (الأطلس التاريخي) وعام ١٣٤٣هـ في صفحة أخرى. وهذا يعطينا توقيتاً آخر وربما ذلك خطأ طباعي وعن (تذكرة أولي النهي والعرفان) الذي جعل جمادى الأولى عام ١٣٤٣هـ دخول جلالته للأبطح في مكة المكرمة[٣١]

والآن نحو الخبر اليقين في رسائل الملك عبد العزيز رحمه الله . فقد ورد في رسالة عنه إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين مؤرخة في ٢٨ ربيع أول ١٣٤٣هـ الموافق للسابع والعشرين من أكتوبر ١٩٢٤م مختومة بخاتم الملك ومحفوظة في مركز الوثائق التاريخية في البحرين وصورة منها مرفقة بالبحث. ومما جاء فيها : بعد الديباجة والبشارة بدخول مكة ذكر أفعال (الحسين بن علي) ومنعه أهالي نجد عن حج بيت الله مدة (سبع سنوات) من أداء فريضتهم. وظلمه وجوره تجاه الحجاج. فلما رأى أهل نجد إصراره وتماديه على ظلمه لم يروا بداً من تجريد السيف بوجهه. وعزمو على تمشاه جيش من الموحدين . وفعلاً مشى الجيش ثم استولى على الطائف وكان في استطاعة الجيش التقدم لمكة. ولكن احتراماً لحرم الله وحرصاً على عدم إراقة الدماء . فاتبعوا الدعوة للحق والتخلي عن الجور. حتى خلع الحسين وفر ابنه بنفسه ليلاً سراً .

وطلب أهالي مكة أن يدخل جيش ابن سعود مكة فدخلوها محرمين والناس يبيعون ويشترون في أسواقهم ولم يسفك دم ولم يؤخذ مال . وختم الرسالة بأن قصدنا تطهير بيت الله الحرام وأن يكون حراً لكل قاصد . . . على ما فيه راحة وأمان الحجاج وساكني مكة المكرمة ومجاوري الحرم .

[illegible]

[illegible]/أكتوبر ١٩٦٤م

# أسباب استعادة مكة المكرمة على يد الملك عبد العزيز

أما أسباب استعادة مكة المكرمة على يد الملك عبد العزيز فهي

١ - حرمان أهل نجد من أداء فريضة الحج لسبع سنوات كما ورد في رسالة الملك المؤرخة في ٢٨ ربيع الأول ١٣٤٣هـ

٢ - ما يتعرض له المسلمون من أهالي مكة والحجاج والمقيمون من ظلم وجور

٣ - إهمال مكة المكرمة عامة والحرم المكي الشريف خاصة من حيث النظافة وتوفير الماء لأهلها وللحجاج والمعتمرين. والتعديات التي يواجهونها من العثمانيين والأشراف كما أورد ذلك الرحالة والحجاج الروس في كتاباتهم ومنهم القبطان (عبد العزيز دافلتشين) وأكد ذلك الملك عبد العزيز في رسالته المؤرخة في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ بقوله *"والحقيقة أن المدينة المنورة وجدة وينبع يرثى لها مما جرى فيهن من الظلم والضنك"* .

٤ - الخلافات الأسرية بين شريف مكة والأشراف المعارضين له وهذا ما أوردته الوثيقة العثمانية في مذكرة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) جواد باشا إلى الديوان الهمايوني (السلطاني) في العرض عليه ما جاء في برقية والي الحجاز أحمد راتب باشا من اختلاف بين شريف مكة والأشراف المعارضين له . وأكدته رسالة محمد بن ثنيان لشيخ البحرين والتي ورد فيها : توقف الحج عام ١٣٣٤هـ وذلك لحدوث اختلاف الشريف مع الدولة العثمانية وإعلان استقلاله. فضربوا بيته بالأطواب وأظهروه من مكة وهو في البياضية(٣٢)

٥ - بعض التعديات بسبب وشاية وتحركات الشريف حسين باشا .

ولما جاء عيد الأضحى من عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م ووفد على الرياض المهنئون وتذاكروا مع إمامهم عبد العزيز

في مسألة الحج وحرمان أهل نجد من أداء فريضته وهو ركن من أركان الإسلام وعرض الإمام عبد العزيز مسألة الجهاد بضم الحجاز فهلل الحاضرون وكبروا وعقدوا النية على ذلك(٣٣)

ورب متسائل يتساءل كم عاماً منع الشريف حسين أهل نجد من أداء الفريضة ؟ مما لم تذكره طائفة من المصادر التاريخية . ولكن الجواب جاء في رسالة الإمام عبد العزيز المؤرخة في ٢٨ ربيع الأول ١٣٤٣هـ/الموافق ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤م . إذ كتب رسالة إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة قال فيها .

*"ليس خافياً على حضرتكم أفعال الحسين بن علي ومنعه أهالي نجد عن حج بيت الله مدة (سبع سنوات)، وما يأتيه من الظلم والجور تجاه حجاج بيت الله مما لا يخفى على أحد. فلما رأى أهل نجد إصراره على أمره وتماديه في ظلمه لم يروا بداً من تجريد السيف بوجهه . وبعد مشيئة الله عزموا على تمشاة جيش من المسلمين لتطهير بيت الله من دولة الجور والظلم . وفعلا مشى الجيش واستعاد الطائف بمعونة الله وتوفيقه وكان في استطاعته التقدم إلى مكة المكرمة ولكن احتراماً لحرم الله وحرصاً على عدم إراقة الدماء جعلهم يسيّرون الأمور ويدعون الناس لاتباع الحق والتخلي عن أهل الجور والتعسف حتى قضى الله أمره وخلع الحسين ثم تبعه ابنه فاراً بنفسه ليلا بدون أن يعلم به أحد"* . فلابد من تصحيح ما ورد في الكتب التاريخية من أن الحسين وأبناءه منعوا الحج عن أهل نجد مدة (خمس سنوات) إلى (سبع سنوات) حرموا فيها أهل نجد من دخول مكة المكرمة(٣٤) ويحدثنا التاريخ أن المسلمين حرموا من أداء فريضة الحج في عهد القرامطة سنة ٣١٧هـ وفي فترات أخرى

وجدير بالذكر فإن رسالة من الملك عبد العزيز إلى شيخ البحرين أورد فيها : *"أن الشريف حسين باشا قد بلغ فيه الجهل والغرور أن أخطر أهالي نجد بأن لا يحجون لهذا العام وهو عام ١٣٢٩هـ بدليل رسالة الملك عبد العزيز لشيخ البحرين المؤرخة في ٢٢ ذي القعدة ١٣٢٩هـ والمرفقة صورتها مع البحث. ويستطرد بقوله أن الشريف حسين منع جميع سابلة أهالي نجد من مكة وهذا العام ما حج أحد من أهالي نجد وقاية وخوفاً من ضغط واستبداد أمير مكة*

*المكرمة . وذلك بدون داعي إلا أنـه يـروم أمر عظيـم . وطلب مساعدتنا والاتحاد معه ولا وافقناه على فكره لأن المرام الذي هو يريد مستحيل وبغاية الأسف تغافل الدولة عن حركات هذا السفيه فتعجب من هكذا جسارة مع أنه أكبر موظف ومأمور للدولة العلية وبحوله تعالى إنه إن شاء الله امعثور ونحن إن شاء الله قويين بالله نسأل أن يحسن العواقب للمسلمين وإنه تعالى يذهب كل عدو ثم نعلمكم بهذه الأيام (عدينا واكنا)* [*] *على (العدو) أخذهم الله ثم أخذناهم وجاء منهم جملة أباعر وغنم وحببنا إعلامكم بذلك لأن الذي يسرنا يسركم وحالاً تيسر وصولنا إلى الوطن مصحوبين بعناية الله تعالى"*

هذه الرسالة أوضحت أن الشريف كان يذكي الفتنة بين القبائل بما ينشره من وشايات كاذبة ودعايات مغرضة ويحرك القبائل العربية ضد بعضها البعض ويعلن على الملأ بمنع أهالي نجد عن الحج. ولذا فإن ما ذكره الملك عبد العزيز في رسالة مؤرخة في ٢٨ ربيع الأول ١٣٤٣هـ أن الشريف حسين منع أهل نجد من الحج لسبع سنوات لا لخمس سنوات تثبته هذه الرسالة المؤرخة في ٢٢ ذي القعدة ١٣٢٩هـ والتي أخطر الشريف فيها أهل نجد بأن لا يحجوا فلم يحج أحد من أهل نجد هذا العام وهذا ما يثبت ما ذهبنا إليه لسبع سنوات منع أهل نجد من الحج .

وان ما ذكره الإمام عبد العزيز بقوله : *"ما يعانيه أهل مكة وحجاج البيت الحرام من الظلم والجور مما لا يخفى على أحد"* أكد ذلك كثير من المستشرقين الروس الذين قدموا ما كتبه الرحالة والحجاج الروس فقالوا : لما دخل القبطان الروسي (دافلتشين) مكة المكرمة في حج عام ١٨٩٩م كتب تقريراً عن مسلمي الحجاز أيام العثمانيين يقول فيه *"للعجب أن يتعرض البعض لإخوتهم الحجاج في مكة فينهبونهم برغم أنهم تحملوا الكثير من أجل دينهم الإسلامي ينهبونهم نهاراً أمام أعين العثمانيين دون خوف. فإن السلطات*

---

[*] عدينا وعدّونا من العدو أي تقدمنا على العدو . وأكنا من الكون أي اشتداد الحرب بعد أن هجمنا عليهم .

*يبدون عدم اهتمام بسلامة الحجاج بتاتاً وإن الحج والحالة هذه لا يؤدي إلى الوئام بين الأجناس المختلفة من المسلمين" .*

فالخلافات بين الأفراد والقبائل تؤدي إلى هدر الدماء . وأما الحرمين الشريفين فيفتقدان للنظافة . ومع علمنا أن ما كتبه الأجانب يحتاج إلى مزيد من الدقة ويفتقر بعض ما كتبوه للأمانة التاريخية فلابد أن نأخذه بحذر. وأن هذا الوصف من عبد العزيز دافلتشين سبق فترة حكم الشريف حسين بن علي في مكة ولكن لم يكن حال الحرمين الشريف في عهده بأحسن مما ذكره القبطان دافلتشين .

لذا لا نعجب إذا ما رأينا أهل الحجاز يبايعون السلطان عبد العزيز يستبشرون بحكمه، وقد دخل مكة المكرمة سلماً وبدون إراقة دماء، لما عرف عن عدالته وحكمه بالشرع الإسلامي الذي يستند على ما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام. وهو الذي قضى على الجهل والجهالة فساد الأمن والأمان بين المسلمين المقيمين والوافدين للديار المقدسة خاصة والجزيرة العربية بمختلف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم . ومن يقرأ تقرير (دافلتشين) يرى أن حكم الملك عبد العزيز قد عالج ما ورد في تقريره الذي يصف الأحوال في مكة المكرمة والمدينة المنورة قبل فتحها من قبل الملك عبد العزيز .

ونتساءل من أعْلَمَ الإمام عبد العزيز عن خلع الحسين ثم فرار ابنه علي من مكة بدون أن يعلم به أحد ؟

إنهم أهالي مكة المكرمة الذين أرسلوا لجند الموحدين بالخبر بفراره ويدعونهم للقدوم إليهم . هذا ما لم نجده عند بعض المؤرخين والمحققين، ولكن رسالة الإمام عبد العزيز كشفت عن ذلك . فأحرم جند الموحدين وقدم خيلاً إلى مكة لتأمين الناس وتطمينهم فدخلوها محرمين، رافعين أصواتهم بحمد الله وتمجيده خافضين رؤوسهم ذلاً وهيبة لجلاله تعالى وقدرته. وتعظيماً لبيته المحرم واتباعاً لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فكانوا يسعون ويطوفون. والأهالي يروحون ويغدون ويبيعون ويشترون في أسواقهم ولم يسفك دم ولم يؤخذ مال ولم تغير حال من الأحوال . هذا ما ذكره الإمام عبد العزيز في رسالته . وبذا فإنه قد اجتمعت كلمة المسلمين من أهل نجد والحجاز وأهل مكة نفسها على

طلب دخول جند الإمام عبد العزيز إلى مكة واستلامها، وكان حريصا على دخول جنده محرمين وسيوفهم في أغمادها وبدون إراقة دم أو أخذ مال لأحد. وتطهير بيته الحرام وهو غاية قصدنا وختم الإمام عبد العزيز خطابه الذي وجهه إلى شيخ البحرين بقوله : *"هذا ما أحببنا بشارتكم به"*

هكذا رسم الإمام عبد العزيز خطة دخول جنده لمكة المكرمة بسلام، بعد أن اتفقت كلمة المسلمين على دخول جنده لمكة المكرمة بعد أن أخبره أهلها إن الحكم البائد قد انتهى . فكان لهم ما أرادوا إذ دخلوها بدون إراقة دماء . ويقول الإمام عبد العزيز عن ذلك (وهذا هو غاية قصدنا) ثم جعل إدارة الحرمين بعد الاتفاق مع العالم الإسلامي بما فيه راحة وأمان المسلمين وشاءت إرادة الله تعالى أن يسود الأمن ربوع الحرمين الشريفين وسائر أنحاء الجزيرة العربية . فبينما كان الحجاج يعانون ما يعانون من مشقة السفر واضطراب الأمن والقتل والنهب وإذا بالسبل قد تيسرت والطرق قد أمنت وتوفر الماء في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة . وفي البلاغ الأول الذي أعلنه لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحاضر منهم والباد .

ورسم سياسته الحكيمة التي جاء من أجلها وهي أن مصدر الشريعة كتاب الله وسنة رسوله . وأبقى من كان يعمل في الحرم الشريف فلم ينقص أحداً إن لم يزده . وختم بلاغه بقوله : *"لا كبير عندي إلا الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى آخذ الحق منه"*(٣٥)

# ضم المدينة المنورة

كان عبد العزيز يريد أن تستسلم المدينة سلماً وبدون حرب. ولكن الحامية رفضت التسليم . فأرسل لهم الملك عبد العزيز ابنه الأمير محمد فكاتبهم فأبوا إلا المصابرة على الحرب والامتناع عن الدخول في حوزة المسلمين، فضيق عليهم جميع المسالك الداخل مأخوذ والخارج عن الحرم مأخوذ . وبعد أن استقاموا ثمانية عشر يوماً كتبوا للأمير محمد يطلبون الأمان . وظهر أكابر أهل المدينة

وعاهدوا علـى السمع والطاعـة. ودخـل المسلمون المدينـة المنورة في ٢٠ جمـادى الأولى ١٣٤٤هـ/ الموافـق ٧ ديسـمبر ١٩٢٥م من غير قتال وسلموا جميع مـا عندهـم مـن القوة منـه أطواب ومكـاين وأسلحة وتفكان وغـيره . ورتبـوا جميع حصونها وخططوهـا ودقـوا تيـل (أبرقـوا برقيـة) لأهــل العـلا والحجـر وتبـوك فأجابوا لذلك وأخذ عليهم عبـد المجيـد باشا الأمان على رقابهم وأموالهـم الـذي لهم وأمـا الـذي لحكومـة المدينـة المنورة يسلمونه . وأرسل لهم الأمير محمد جملة من المسلمين يقبضون القـوة الـتي عندهـم ويصيرون في محلهم هذا ما كتبه الأمير سعود بـن عبـد العزيـز لشيخ البحريـن برسالة مؤرخـة في ٦ جمـادى الآخـرة ١٣٤٤هـ . وأكد الملك عبد العزيـز لشيخ البحرين برسالة مؤرخـة في ١٠ جمادى الآخرة ذلك بقولـه . "*تعـرف حضرتكـم بمـا مـن الله بـه علـى المسلمين في ١٩ جمادى الأولى فتح المدينة على يد الابـن محمد. وبعد ما فتحـها الله ذهبت قـوة الشريف وأتباعه وصار لهم رعـب عظيم وطاحت العلا وتبوك والحجر على الابـن محمد . وأمنهم وقبـض جميع المهمات والقـوات الـتي عندهــم*" . لم يذكـر أن الجيش المحاصر للمدينة بقيادة (فيصـل ابن سلطان الدويـش) لا في رسـالة الملـك عبد العزيز ولا في رسالة الأمير سعود بن عبد العزيـز[٣٦] . وكذلـك أرسـل الأمـير محمد بن عبد العزيـز بـن عبـد الرحمـن الفيصل إلى شيخ البحرين رسـالة أرخـها في ٢٤ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ ذكر فيـها قوله : "*تبشركم بمـا مـن الله علينـا مـن العز والنصر، لابد بلغكم خبر توجهنا إلى المدينة لاسـتلامها مـن الأهـالي وبعـد مـا وصلنـا كتبـوا لنـا علـى أنـهم مسـتعدون للحرب ولا هم مسلّمين . واستعنا بالله عليهم وحاصرنا البلد وضيقنا عليهم وبعد مـا أخذنـا مـدة أيـام كتبـوا لنـا يطلبـون الأمان وظهر علينـا خمسـة مـن الضبـاط وأعطيناهم أمان على رقابـهم . واسـتلمنا منـهم جميـع الأسلحة الـتي للحكومـة والذخـائر . ودخلنـا الديـرة (المدينـة المنـورة) نـهار الأحـد ٢٠ جمـادى الأولى*" .

ممـا ورد في نصـوص هـذه الرسـائل الثلاث المرفقة صورتها بالبحث والمرسـلة من كل من : الملك عبـد العزيـز والأمـير محمد بن عبد العزيز والأمـير سعود بـن عبد العزيـز لم يذكـر أن مـدة الحصـار دامت (عشرة أشهر)[٣٧] بل أياماً على ما ذكـره الأمـير محمـد بـن عبـد العزيـز أو

بسم الله الرحمن الرحيم

١٣٤٤

١١ / ديسمبر ١٩٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

١٣٤٤

٢٢ / ١١ / ١٩٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن [illegible] إلى جناب [illegible] الوالد المكرم عيسى بن علي الخليفة المعظم سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم [illegible] والسرور [illegible]

من قبل أخبار [illegible] (١٩) جمادى الأولى [illegible]

وبعد [illegible] وقامت الحرب [illegible]

وقبض جميع المهمات والقوات التي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] جميع الذخاير [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١٣٤٤

٢٧/١/١٩٢٥م

(ثمانية عشر يوماً)على ما ذكره الأمير سعود بن عبد العزيز . أما ما قيل أن على الجيش المحاصر للمدينة (فيصل بن سلطان الدويش)[٣٨] . فلو كان كذلك لذكرته الرسائل الثلاث كما أن مدة الحصار لم تبلغ إلا (أياما) بدليل ما ورد في رسالة الأمير محمد بن عبد العزيز لشيخ البحرين التي أرخها في ٢٤ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ إذ قال فيها أنه توجه لاستلام المدينة من الأهالي ولكنهم رفضوا التسليم. فحاصرنا البلد وضيقنا عليهم. وبعد أيام كتبوا لنا يطلبون الأمان واستلمنا أسلحتهم ودخلنا المدينة المنورة سلماً في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ . فليس هناك ذكر لمدة الحصار (بعشرة أشهر) ولا ذكر لقائد الحصار .

وعود على بدء فإن الرسائل المختومة بخاتم الملك عبد العزيز هي أوثق من المصادر التي لم تعتمد على وثائق مكتوبة وأن المصادر التي ذكرت أن مدة الحصار (عشرة أشهر) تعني أن المقاومة طويلة بينما وجد ابن سعود وجيشه تجاوباً من أهالي المدينة المنورة .

## ضم ينبع

ورد في الرسالة المؤرخة في ٨ رمضان ١٣٤٣والمختومة بختم الملك عبد العزير إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين بعد الديباجة قوله: *"أخبارنا والحمد لله فإن العدو ذاله الله ومضيفين عليه المسلمين كذلك لفوا علينا(الأخوان بن ربيعان) ومن معه من المسلمين يذكرون أنهم عدو يبون (ينبع) واخبروهم العرب أن (الشريف) شاكر (وجماعته) التي معه من البادية وغيرهم قريب ينبع على ماء يقال له (ملحه) ويوم الجمعة ١٧ شهر الماضي (١٧ شعبان) صبحوهم الموحدون وأعان الله عليهم وذبحهم الله ثم الموحدون ولا سلم منهم إلا القليل فهزم شاكر هو و (جماعته) خياله معه زبنوا ينبع (ينبع البحر) وإن شاء الله تعالى يخرجهم الله ثم الموحدون منهم بعون الله وقوته . أما قتلى العدو فكثير، السالم منهم قليل والشهورين منهم (الشريف عبد الكريم)*

و *(ابن بديوي وولده)* و *(عوده بن زويد)* و *(حمد العصلاني)* *وقد أخذ الموحدون بيارقهم وغنموا جميع ما كان معهم من (خيل ودبش وإبل وأغنام وبقر وسلاح وذخيرة) والموحدين بحمد الله لم يفقد منهم جلد فلما رأينا ما من الله به أحببنا بشارتكم . نرجو الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويوفقنا لما به الخير والصلاح"*

ولدى مراجعتنا لما تيسر لنا من مصادر تاريخية[٣٩] وجدنا أنها تختلف في التوقيت فمنهم من كتب : أن أعلن السلطان بتاريخ ١٢ شوال ١٣٤٣هـ وذلك بعد أن سيطر على مكة الكرمة وميناء (ينبع) وميناء القنفذة فلابد أن تصحح إلى ٨ رمضان ١٣٤٣هـ مع العلم أن ما أوردته الرسالة المذكورة من الملك عبد العزيز والمؤرخة في ٨ رمضان ١٣٤٣هـ إنما هو فتح (ينبع النخل) .

أما فتح (ينبع البحر) فقد أوضحتها رسالة كتبها الملك عبد العزيز إلى شيخ البحرين مؤرخة في ١٨ صفر ١٣٤٤هـ : *" أن الأمير سعود بن عبد العزيز نزل (ينبع النخل) وحاصر (ينبع البحر) وله همة إن شاء الله مباركة نرجو أن الله تعالى ينصره"* .

ثم تلتها رسالة مؤرخة في ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ وفيها أن (ينبع) سلمت وقبضوا على جميع ما فيها من أسلحة .

أما ما ذكره صاحب كتاب (المعالم الجغرافية لمواقع الملك عبد العزيز الحربية) فإن الملك عبد العزيز سيطر على ينبع في ١٢ شوال ١٣٤٣هـ وهذا ما يؤكد أن السيطرة كانت على (ينبع النخل) . أما (ينبع البحر) ففي ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ

ويفصل لنا القائد الأعلى الملك عبد العزيز خطة ضم (ينبع) برسالة مؤرخة في ١٤ ذي القعدة ١٣٤٣هـ ورسالة مؤرخة في ١٤ ذي الحجة إذ يقول فيهما : *"وبعد أن انقلبنا من (جدة) أرسلنا سعود بن عبد العزيز آل سعود وخالد بن لؤي ومعهم من الموحدين سبعة بيارق إلى جهات (ينبع) وأطرافها"* وهذا دليل آخر يؤكد على أن فتح (ينبع النخل) تم في رمضان ١٣٤٣هـ كما تؤكد الرسالة أن فتح (جدة) في عام ١٣٤٣هـ. أما المفاوضات والتسليم فقد تم في جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ

الخلاصة بناءً على ما ذكره الملك عبد العزيز في رسائله فإن ضم (ينبع

النخل) حدث في رمضان ١٣٤٣هـ وضم ينبع البحر حدث في ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ وليس في ١٢ شوال ١٣٤٣هـ كما ذكر في بعض المصادر التاريخية لذا جرى التنويه[٤٠] فإن الرسالة المؤرخة في ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ تذكر .

*"بعد استسلام (جـدة) سلمت (سبع) وقبض جند الملك عبد العزيز جميع ما في جدة وينبع من مدافع وأسلحة ورشاشات وطيارات ودبابات ومراكب بحرية وجميع ما فيهما (جدة وينبع) من الذخائر والأمور العائدة الحديدية وفرق عسكر الشريف كل إلى وطنه والبلد بحمد الله جرت فيها العدالة والأمان بعد ما حصل من أمور الظلم والجور والضيق والحمد لله رب العالمين على نصر دينه وإعلاء كلمته . من إهلاك أعدائه . فلما رأينا ما منّ به علينا وعلى المسلمين كافة بهذا الفتح العظيم. أحببنا بشارتكم بذلك . وربنا المحمود لا رب غيره ولا سواه" .*

هكذا كتب الأمير سعود الذي أمره والده عبد العزيز بضم ينبع فتم ذلك في وقت ما قبل ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ

## ضم جـدة

يكاد يجمع المؤرخون الذين كتبوا عن تاريخ الملك عبد العزيز رحمه الله على أن استرداد أو تحرير (جـدة) حدث بعد حصار استمر سنة كاملة. وفي رسالة جلالته المؤرخة في ٢ رجب ١٣٤٣هـ والموجهة إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أمير البحرين يقول : *"وأما من جهة تأخرنا عنهم فهو مهوب من قوة بهم ولا عجز بالمسلمين من فضل الله . إلا وهم إن شاء الله ضعيفين ومأخوذين بحول الله وقوته لكن ما يخفى جنابكم أنها ديرة بها أجانب بها قناصل ورعايا الإنكليز والفرنسيين والطليان (الإيطاليين) والمسقوف (الروس) والهولنديين والعجم . والجميع منهم يكاتبونا على أنهم معطين أعراض ومن طرف (جـدة) يكفيكم فيها فقط رعايانا لا يجيهم خلاف . ومعلوم جنابكم أن من المسلمين من فيهم جهله لو يصير هجوم لابد يصير على رعاياهم*

خلاف ويصير الأمر مشكل. *ولكن حنا أخرنا المسألة إن الله أحلها بهون فهو المطلوب. وإلا آخر الأمر فسوف لنا رأي إن شاء الله مبارك. ونستعين الله عليهم"* هذا ولم يذكر الملك عبد العزيز أن جيشه حاصر مدينة جدة سنة كاملة وهي ثغر مكة وبعد أن حررت مكة المكرمة لابد من تحرير جدة خاصة وأن أهلها رحبوا بالملك عبد العزيز لذا فإن تحرير جدة تم حوالي شهر رجب ١٣٤٣هـ حسبما ورد تفصيل ذلك في رسالة الملك عبد العزيز. هذه السياسة الحكيمة المستمدة من عقيدته الإسلامية السمحاء. ومن فهمه للدبلوماسية الدولية. وعلمه أن عدوه ضعيف وغير قادر على الدفاع عن نفسه ولأجل المحافظة على الأرواح عامة والأجانب بصفة خاصة فقد اكتفى بالحصار حتى يتم الاستسلام. أما المفاوضات والتسليم فحدث حين حضور الملك وهذا تم في جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ.

وهنا كتب المؤرخون المعاصرون أو قريبو العهد من هذه الأحداث بأن الملك عبد العزيز فتح جدة يوم الخميس، ومنهم من قال صباح أو إطلالة يوم الخميس السابع أو الثامن من جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ[٤١] ثم كتب فيما أطلعنا عليه من المصادر أن تسليم جدة حدث في السادس أو السابع من جمادى الآخرة عام ١٣٤٤ الموافق ٢٢ و٢٣ ديسمبر ١٩٢٥[٤٢] وذهب آخرون إلى أن دخول عظمة السلطان جدة في الساعة الرابعة من يوم الأربعاء السابع من شهر جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ[٤٣]. ومن قائل أن مغادرة الشريف جدة في يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ وأن دخول الملك عبد العزيز في السابع منه[٤٤].

وإذا رجعنا إلى فيصل القول وهي رسائل الملك عبد العزيز التي ختمها بخاتمه والمؤرخة في ٢رجب ١٣٤٣هـ الموافق ٢٧ يناير ١٩٢٥م والتي وجهها إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين وكان يفتتح جميع رسائله بكلمة (الوالد) فيقول وهو يصف (الخطة التي وضعها جلالته وأشرف على تنفيذها): *"وأما من جهة (جدة) والله ما يظهر منهم ولله الحمد إلا المدافع. فأولا مدافعهم جيدة في كثرة الرمي. وعقب ما ركبنا عليهم المدافع من ثلاثة الجهات خذلهم الله وبان عجزهم ولله الحمد. والمسلمين حطيناهم قسمين. أهل الغطغط وتبعهم من هجر الجنوب هؤلاء من اليسار. وأهل دخنة. وأهل*

الشبيكية وأهل الداهنة وتبعهم حطيناهم يمين وأما من قبلهم هم من أهل جدة فهم لهم رتبه *. حطيناهم في محلة يقال لها المحلة اليمانية. وهي تبعد عن جدة ربع الساعة أو ثلث الساعة. وتولوها الموحدون وذبحوا الرتب التي فيها مقدار مائة رجل وهي بيد (الموحدين) الآن ومضيقين عليهم ولله الحمد. ومن قبل يأتي الموحدون كل ليلة يهجدونهم وذل منهم يجي يقول ذبحت والله أعلم بصدقهم. ولكن من شاف بفضل الله خذلانهم عن الخروج وانحجارهم في الديرة. درى أنهم إن شاء الله مخذولين بحول الله وقوته

وكانت تأتينا طيارتين منذ أن شدينا من مكة ولكنها لم تضر حيوان ولا آدمي حتى أسقط الموحدون الطائرتين واحترقتا وجاء للموحدين من فضل خير كثير من الغنايم من إبل وغنم وبقر وحمير وإن المحرج يحرج بالخيم والمطارد يطارد"

هذه الخطة الحكيمة التي رسمها ونفذها جلالته ووصفها برسالة إلى شيخ البحرين ورسالة مشابهة أخرى إلى ابنه الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة وأرخها بنفس التاريخ وهو الثاني من رجب ١٣٤٣هـ. وفيها : "ومن قبل جهة عربان أهل الحجاز عقب أكاوين المسلمين عليهم طاحوا علينا كلهم من المدينة إلى القنفذة والله ما أخبر فيها . ولله الحمد والمنّة وكلهم سامعين ومطيعين وكل آمن وذلك من فضل الله".

ثم ذكر الخسائر بقوله : "واحد من غلماننا وغلام للأخ محمد وثلاثة من الأخوان وأربعة مجاريح. وأحببنا نشرح لحضرتكم وهذه هي الحقيقة والله وما غيرها شيء والتي نخبركم بها لأجل اطمئنان خواطركم " وكما يبدو لنا أن جدة استسلمت أو تكاد في هذا التاريخ وهو في ٢ رجب ١٣٤٣هـ وليس في الرابع أو السادس أو السابع أو الثامن من جمادى الآخرة عام ١٣٤٤هـ أي بعد عام أو نحو عام .

ودليل آخر فإن الرسالة المؤرخة في (السادس من جمادى الآخرة عام ١٣٤٤هـ) ومختومة بخاتم الأمير سعود بن عبد العزيز والموجهة إلى الوالد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة : ليس فيها أي ذكر عن خروج الشريف علي من جدة ولا تسليمها، وهو حدث هام جداً

* الرتبة - الجند الذين يحافظون على موقع عسكري .

بل أسهب في استرداد المدينة المنورة التي دخلها (الموحدون) في ٢٠ جمادى الأولى من غير قتال ولله الحمد . فإذا كان استسلام جدة قبل تاريخ هذه الرسالة بيومين فلماذا لم يذكر فيها ما يشير إلى خروج الشريف علي والمفاوضات والتسليم ؟

ذكر طائفة من المؤرخين أن مغادرة الشريف جدة كان في الرابع وفي قول آخر في السادس من شهر جمادى الآخرة عام ١٣٤٤هـ فإذا حدث ذلك فلم لم يذكره الأمير سعود في خطابه المؤرخ في السادس منه ؟ . ودليل ثالث أن الملك عبد العزيز كتب إلى شيخ البحرين رسالة مؤرخة في الثاني من شهر ذي القعدة ١٣٤٣هـ وفيها : *"والعدو حاصرينه (الموحدون) أشد الحصار وخذلانه وعجزه ظاهر وقريباً إن شاء الله تعالى يجيكم الخبر السار"* ثم ختمه الملك عبد العزيز بخاتمه

وفي رسالة مؤرخة في ١٤ ذي الحجة ١٣٤٣هـ كتب الملك عبد العزيز يقول : *"وبعد أن انقلبنا من جدة أرسلنا سعود بن عبد العزيز وخالد بن لؤي ومعهم من المسلمين سبعة بيارق إلى جهات ينبع"* . مما يدل على أنه تم تحرير جدة عسكرياً وفق الخطة التي وضعها الملك عبد العزيز . أما تسليمها وما جرى من مفاوضات بحضور جلالة الملك فتم في جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ . واستطرد الملك قائلاً : *"وخلفنا وراءنا لحصار جدة من (الموحدين) قدر ألفين وكمنوا عن العدو وبعد أن (شدينا) في ثلاثة أيام ظهر لهم خيل وموتر أعان الله المسلمين عليهم فقلعوا* * *عنهم عشرا من الخيل وذبحوا خمسة عشر، وجميع أهل الخيل المذكورة لا القلايع ولا المذبوحة أهلها ذبحوا، فيم جاء من باكر أظهروا لهم قدر أربعمائة رجال من عسكرهم قصدهم يجعلونهم في قلعة يكمنون بها لخيلنا، فشافهم (الموحدون) بالأولى واستعانوا بالله عليهم، ولا والله رجع منهم إلا ثلاثة وخيال معهم والباقي جميعهم ذبحوا . أما (الموحدون) فقتلاهم أربعة وثلاثة ضُوّب وأربعا من الخيل"* . وفي رسالة من الملك عبد العزيز إلى الشيخ عيسى بن علي مؤرخة في ١٠ جمادى الأولى عام ١٣٤٤هـ ذكر فيها ما مَنَّ الله

* فقلعوا : ما أخذ من الخيل والقلاعة من الخيل هي الفرس التي يقتل صاحبها وتؤخذ . أو تؤخذ بعد أن انهزم صاحبها .

به علـى المسلمين في ١٩ جمـادى الأولى بفتح الله المدينة على يد الابن محمد بن عبد العزيز واستطرد جلالته في رسالته حول فتح جدة فأكد الأمير محمد بن عبد العزيز دخوله المدينة المنورة في يوم الأحد ٢٠ جمادى الأولى عام ١٣٤٤هـ .

ولما كـان التـاريخ رواية ودرايـة . فالروايه رواها لنـا الملك عبد العزيـز في رسائله الموثوقـة . والدرايـة فمـن غـير المعقول أن يبقى الملك عبد العزيز لمدة عام حتى يحرر جـدة بعد أن انضمت إليه مكه المكرمه في ٢٨ ربيع أول ١٣٤٣هـ . وان قيل في ٩ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ . علما أن الحجاج القادمين بحـرا ينزلون في جدة وهي ثغر مكه التي انضمت لابن سعود بينما جـدة تحت سيادة الشريف وأتباعه بينما يذكر رسالة الملك عبد العزيز إلى شيخ البحرين بتاريخ ٢ رجب عام ١٣٤٣هـ . *"أن أهل الحجاز عقب كاوين الموحدين عليهم من المدينة إلى القنفدة طاحوا عليا وكلـهم سـامعين ومطيعين"* ولما كانت جـدة تقع بين المدينه والقنفذة يفـهم مـن نص الرسالة أنها قد ضمت في هذا التاريخ

وفي هذا البحـث تم الاعتمـاد علـى الوثائق أو الرسائل التي كتبها الملك عبد العزيز إلى كل مـن شـيخ البحريـن وابنـه المؤرخـة في ٢ رجـب ١٣٤٣م وختمـها بخاتمه. وهـي أن ضم جـدة كـان بـأمر جلالـة الملك عبد العزيـز وأن الخطـة العسكرية التي رسمها الملك نفسه لجيشه ونفذ الجيش الأوامـر الصـادرة من الملك عبد العزيـز كـان في رجب ١٣٤٣هـ. وأكمـل تحريـر جـدة في ذي الحجـة ١٣٤٣هـ . تم نـادى عبد العزيـز ابنـه فيصل من فوق أسوار جدة فجـاء مسرعا على رأس قوة من أهل العـارض غـادرت الريـاض في منتصف ربيـع الثـاني ١٣٤٤هـ

وهنا كان تـاريخ المعركـة الحاسمـة والـتي أدت إلى النصر لتحرير جـدة في رجب ١٣٤٣هـ . أما الثامن من جمـادى الآخـرة ١٣٤٤هـ فكـان الفتـح العظيـم بتسـليم جـدة ليـد جلالـة الملك عبد العزيز .

## ضم عسير

لقد وردت رسالة مطولة من جلالـة الملك عبد العزيـر إلى شـيخ البحريـن مؤرخـة في ٢٥ صفر ١٣٤١هـ تتضمـن تفاصيل عسكرية حـول دخـول الأمـير

فيصل بن عبد العزيز آل سعود عسير . فقد نزل الأمير فيصل بجيشه وأرسل سرية مؤلفة من أربعة بيارق ووصل خميس مشيط وأبها عاصمة عسير فدخلها وقتل من قاوم فطلب أهل عسير العفو والأمان من الابن فيصل أما حسن بن عايض فزبن الحرملة فأمنه الأمير فيصل . وفي الرسالة أخبار هامة أخرى .

وبعد ثلاثة أيام من إرسال هذه الرسالة إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين ورد جواب إلى الملك يهنئه بالانتصارات في عسير[٤٥] .

ولدى استقراء ما كتبه طائفة من المؤرخين حول انضمام عسير فأنه حدث في (شوال ١٣٣٨هـ)[٤٦] أي قبل ما كتبه عبد العزيز بنفسه بثلاث سنين[٤٧]

وأضاف آخرون أن الأمير فيصل بن عبد العزيز أتم استرداد عسير في (٢١ جمادى الأولى ١٣٤١هـ)[٤٨] . وهكذا أصبحنا نجد من يجعل تاريخ تحرير عسير قبل ما دونه الملك عبد العزيز ببضع سنين بينما نقرأ ممن يجعل تاريخ التحرير بعد ما دونه الملك بنحو ثلاثة أشهر .

وتحدثنا الوثائق العثمانية عن ربط لواء عسير بولاية الحجاز تسهيلاً للأمور الإدارية[٤٩] من جهة، ولقربها من الحجاز[٥٠] من جهة أخرى، كما أن ميولها السياسية عربية (سلفية) أما ميول اليمن فهي ترمي إلى إقامة إمامة زيدية[٥١] .

## تحقيق في طلب الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود الإقامة في (الزبير) أو (الكويت)

إن بحثنا حول فترة تاريخية هامة عاشها الملك عبد العزيز مع والده الإمام (عبد الرحمن الفيصل) وأسرته وبني قومه في الكويت، فوالده الإمام (عبد الرحمن الفيصل) رأى أن يستقر وأفراد أسرته ورجاله في بلد يتقي بها شر الحروب[٥٢] . فأرسل الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود (برقية) مؤرخة في ٤ يونيو ١٣٠٩ رومي الموافق ١٨٩٣م/١٣١٠هـ عرض فيها على الدولة

العثمانية أن تسمح له بالإقامة في مدينة (الزبير) أو (الكويت) وكانت الدولة العثمانية قد وجدت من الأفضل أن تتفق مع الإمام عبد الرحمن بن فيصل تقربا منه وجاء في (البرقية) المرسلة من والي البصرة إلى الديوان الهمايوني بسراي يلدز رداً على برقيته إليه وقام الكاتب الأول (ثريا) بتبليغ ما جاء فيها للباب العالي (الحكومة العثمانية) وتم إعلام ما جاء في البرقية (للإمام عبد الرحمن الفيصل) وورد فيها طلب الإمام عبد الرحمن وأتباعه وهم زهاء الأربعين شخصاً الإقامة في (قصبة الربير) الواقعة على بعد يسير من البصرة أو الإقامة في (الكويت) والملف لا يضم غير هذه الوثيقة النادرة وندرتها أنها ذكرت رغبة الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود في سكنى (الزبير) دون أن يرد ذكرها في أي مصدر. وليس في الملف ما يتعلق ببرقية الديوان إلى الوالي حمدي باشا في سؤاله عما يطلبه الإمام عبد الرحمن الفيصل ولا ما اتخذه الباب العالي من إجراء عقب إبلاغه الطلب أما سبب طلب الإمام عبد الرحمن الفيصل الإقامة في مدينة (الزبير) أو (الكويت) وعن جواب الباب العالي على طلبه فلا يمكن الإجابة عليه إلا إذا عثرنا على وثائق متممة للموضوع فالبحث مستمر والعثور على الأجزاء المتممة مأمول .

والوثيقة من وثائق (يلدن) تقع تحت رقم ٧٩/٢٦ ومؤرخة في ٩ يونيو ١٣٠٩ رومي الموافق ٧ ذي الحجة ١٣١٠هـ/٢٣ يونيو ١٨٩٣م وأصلها محفوظ في (أرشيف رئاسة الوزراء العثماني) باستنبول وجاء فيها : "برقية شفرية من والي البصرة حمدي باشا حول طلب (الإمام عبد الرحمن الفيصل) السماح له ولرجاله البالغ عددهم أربعين نفر وأفراد أسرته - ومنهم عبد العزيز - أن يقيموا في مدينة (الزبير) أو (الكويت) . ومن هذه الوثيقة علمنا أن إقامته في الكويت حدثت بعد هذا التاريخ .

فلقد تطرق طائفة من المؤرخين الذين هم قريبو العهد من الحوادث التي مرت فيها البلاد حول مطالبة (الإمام عبد الرحمن الفيصل) العثمانيين أن يسكن (الكويت) - وحسب علمنا - فمنهم من ذكر ذلك دون أن يحدد تاريخا موثقاً ولا ذكر أنه طلب السكنى في (الزبير) . فقال بعضهم إنه وصل إلى الكويت في الفترة بين ١٣١٠هـ إلى ١٣١٣هـ الموافق ١٨٩٣ - ١٨٩٦م وأن الدولة العثمانية وافقت على انتقاله إلى

الكويت دون الإشارة إلى وثيقة تثبت ذلك أو إرفاقها بالبحث . وذكر آخرون أنه كان في ضيافة الشيخ محمد آل صباح عام ١٣١٠هـ ثم الشيخ مبارك في عام ١٣١٣هـ مدة عامين وبعض العام من ١٣١٠هـ ودون ذكر الشهر . وكتب آخرون أن الإمام عبد الرحمن اختار الإقامة في (الكويت) في عام ١٣٠٩هـ[٥٣] . وهذا خطأ لأن الرسالة التي كتبها الإمام يطلب فيها الإقامة بالزبير أو الكويت مؤرخة في شهر ذي الحجة ١٣١٠هـ .

ولما كان التاريخ (توقيت أو إعلام بالوقت) فإن ما أورده البعض لم يشر إلى وثيقة تحدد تاريخ دخوله إلى الكويت بينما سكناه الكويت حدثت بعد ذلك التاريخ ويمكننا أن نحدده في عام ١٣١١هـ كما أن أحداً لم يذكر أن (الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود) قد طلب أن يسكن مدينة (الزبير) مع أنه كتب في طلبه للدولة العثمانية برغبته في سكنى (الزبير) وجعلها تسبق طلبه لسكنى (الكويت) وربما سكتت الوثائق أو لم نعثر عليها بعد ونحن نتساءل : لماذا قدّم الإمام عبد الرحمن طلبه بأن يسكن (الزبير) في برقيته المرفق صورتها على سكناه في (الكويت) ؟

والتاريخ يستند على (الرواية والدراية والآثار المكتوبة أو البادية للعيان) . فالرواية مستندة والحالة هذه على هذه (الوثيقة العثمانية) المرفق صورتها . أما الدراية فهي أن الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود اختار (الزبير) لأنها مدينة أسسها النجديون وعمروها وبقوا ولازالوا على ولائهم لأهلهم ولموطنهم الأول بلاد نجد بمدنها وقراها وقد قال شاعرهم :

**ياراكب الحمراء وُقيتَ العدى**
**إن عاينت عيناك نجداً فانزل**
**نجد بلاد فاخرت شهب السما**
**فازت بقوم كالبدور الكُمَّل**

ولا تجد في (الزبير) غير أسر نجدية نزحت في فترات من التاريخ لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية وقلما تجد أسرة في نجد إلا وتجد منها نسبة في مدينة الزبير . فالإمام عبد الرحمن كان يرغب في سكنى الزبير بين أهله وبني جلدته من قومه الذين سبق وأن استقبلوا الداعية والإمام المصلح (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) بعد أن واجه اشد الأذى في البصرة فأُخرج منها وقت الهجيرة ولما توسط بينها وبين بلد

(الزبير) أدركه العطش وأشرف على الهلاك ماشياً وحده متجهاً إلى (الزبير) فوافاه رجل يقال له (أبوحميدان)[٥٤] وهو من أهل الزبير فسقاه الماء وحمله على دابته إلى مدينة الزبير ومذهب أهلها المذهب الحنبلي فأكرموه ونصروه بعد أن وجدوا أن دعوته خالصة لله ومستنده على ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة وكانوا ولازالوا على العهد يواكبون السير في ركاب الدعوة السلفية ومن ناصرها تحت ظل القيادة الحكيمة من ال سعود

ومن العوامل الأخرى التي جعلت الإمام عبد الرحمن يطلب السكن في (الزبير)، موقع بلدة (الزبير) الجغرافي على طريق التجارة إلى العراق والمطل على الخليج العربي من جهة ويقع بينها وبين نجد من جهة أخرى فهي والحالة هذه تقع على مشارف الصحراء وعلى مقربة من الخليج العربي وتشارك الكويت الزبير في هذه الميرة بالإضافة لقرب الزبير من (سوق الشيوخ والخميسية) وكان جل أهلها قد نزحوا وقتئذ من نجد وتمر القوافل التجارية صوب العراق والشام إلى حلب. فكانت الزبير مدخلا للتجار النجديين الذين استقروا فيها. وينتقل بعضهم إلى الهند لبيع الخيول العربية الأصيلة التي تجد لها رواجاً هناك . وجلهم أخذوا مكانتهم في التجارة في الزبير والبصرة وكان التوفيق حليفهم لما عرف عنهم من أمانة وصدق معاملة وإخلاص ووفاء وهاتيك لعمري من صفات التاجر الذي يتصف بإيمانه بعقيدته السمحاء وعروبته الصريحة . كما ان توفر الماء في الزبير قد يكون أحد الأسباب التي دعت الإمام عبد الرحمن أن يطلب السكنى فيها .

هذه العوامل وغيرها أدت إلى أن يكتب الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود للدولة العثمانية برغبته في أن يسكن الزبير ولم نعثر على جواب السلطنة العثمانية ولا إشارة من كتابات السلطة البريطانية

وجدير بالذكر فإن الزبير ظلت الموضع المناسب للإمام عبد الرحمن ولابنه الأمير والسلطان والملك عبد العزيز يفضل الاجتماع فيها حين يطلب منه ذلك. فقد طلبت الدولة العثمانية من شيخ الكويت أن يتوسط لدى الإمام عبد الرحمن بن فيصل لأن يجتمع مع الوالي مخلص باشا في (الزبير) لحل المشاكل

التي تحدث وقتذاك فحدث الاجتماع بعد معركة (الشنانة) أو ما يسمى وقعة (وادي الرمة) التي انتصر فيها الإمام عبد العزيز على ابن رشيد وذلك في ١٨ رجب ١٣٢٢هـ الموافق في سبتمبر ١٩٠٤م . وقد حضر والي البصرة العثماني إلى الزبير واجتمع مع الإمام عبد الرحمن الفيصل كما حضر الاجتماع الشيخ مبارك آل صباح ولم يثمر الاجتماع عن نتيجة وذلك لأن الإمام عبد الرحمن رفض أي تدخل أجنبي في شئون بلاده[٥٥] .

وفي رسالة وجهها الوالي العثماني بالبصرة (مخلص باشا) إلى قائمقام الكويت الشيخ مبارك آل صباح مؤرخة في ٢٨ رمضان ١٣٢٢هـ الموافق ٦ ديسمبر ١٩٠٤م جاء . أن مخلص باشا يوافق على الاجتماع بالإمام عبد الرحمن الفيصل في أحد المواقع المناسبة (كالزبير) لحل المشاكل المتعلقة بدون حاجة للسوقيات العسكرية . وحدث ذلك الاجتماع أيضاً. والذي يبدو أنه نفس الاجتماع المذكور . وقد أشار الملك عبد العزيز في رسالته المؤرخة في ١٩ ربيع الثاني ١٣٢٩هـ أنه (نزل الزبير) وذلك حين قصدا ابن سعدون والظفير ثم بلغه الخبر أنهما تكاونوا (تقاتلوا) فانكسر سعدون وزبن الخميسية . ويستطرد الملك قائلا : *"وعدينا قاصدين بن صويط واستخبرنا ونطحونا بهدوهم وطاحوا علينا وعفينا عنهم ونزلنا الزبير قصدنا المراجعة بيننا وبين الحكومة . . . وبعد ذلك ضربنا على الكويت لأجل الزهاب"*[٥٦] .

فالزبير موضع مناسب للاجتماع يفضله الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود والشيخ مبارك آل صباح وذلك لتوفر الأمن بين الرعايا السعوديين من أهل الزبير لذا لبى الإمام عبد الرحمن والشيخ مبارك أي اجتماع يعقد في مدينة الزبير فلا غرو إذا ما رأينا الإمام عبد الرحمن الفيصل يفضل أن يقيم في (الزبير) فإن لم تتم الموافقة يقيم في (الكويت)

الخلاصة أن تاريخ إقامة الإمام عبد الرحمن الفيصل في الكويت حدث في أوائل عام ١٣١١هـ وإنه طلب الإقامة في (الزبير أو الكويت) بناءً على برقية من والي البصرة إلى الديوان الهمايوني بسراي يلدز . وأخيراً حصل على إذن السلطات العثمانية لسكنى الكويت في أواخر عام ١٣١٠هـ أو بداية عام ١٣١١هـ .

وسبب اختلاف المؤرخين في تحديد

وقت إقامته في الكويت هو أن بعضهم يقول رأيت أكداساً من الأوراق المهملة وسجلات حكومية في دار الإمارة في عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م فكتبت تاريخ الجزيرة العربية في القرن العشرين وضمنتها هذه الأوراق مع معلوماتي الخاصة والتي لم أصل فيها إلى درجة الكمال في البحث لنقص بعض المستندات التاريخية(٥٧) .

وإن من عاصر الملك عبد العزيز وكان مترجماً في ديوانه منذ مايو ١٩٢٦م/١٣٤٤هـ مرافقاً له في أسفاره وحروبه حتى منتصف الثلاثينات وقد دون عن حياة الملك عبد العزيز إلا أنه يقول في كتابه توحيد المملكة العربية السعودية لقد اعتمدت على الرواية الشفهية لأولئك الذين شاركوا فعلاً في صنعها بدلاً من الإشارة إلى ما كتبه المؤلفون عنها . ومع الأسف فقد مضى على تركي العمل أكثر من أربعين سنة ولم تعد ذاكرتي كما كانت من حيث القوة والكمال ولكني بذلت جهدي وأملي أن يعذرني القارئ على ما يجده من أخطاء فيما كتبت . وهذا يدل على أن من يكتب بعد أربعين عاماً من تاريخ وقوع الحوادث التاريخية سيجعل من عامل النسيان مجالاً للخلط وعدم الدقة في سرد الحوادث وذكر الأسماء والمواضع وعدم الدقة في التوقيت التاريخي(٥٨) .

ومثل ذلك من أخذ عن رواة رووا عنه رواية من عاش الأحداث ورآها عن كثب(٥٩) .

# تحقيق في تاريخ وفاة الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود

لقد كتب المعتمد البريطاني في البحرين رسالة إلى المقيم في الخليج يخبره بوفاة الإمام عبد الرحمن بن فيصل رحمه الله ويحدد تاريخ وفاته في أول يونيو ١٩٢٨م الموافق للثاني عشر من ذي الحجة ١٣٤٦هـ(٦٠) . بينما نجد من ضمن الرسائل التي بعثها الملك عبد العزيز إلى شيخ البحرين رسالة مؤرخة في ١٦ ذي الحجة ١٣٤٦هـ الموافق في ٦ يونيو ١٩٢٨م وفيها : *"بعد السؤال عن رفاهيتكم*

*دمتم بموفور النعمة وعن مودكم يشكر الله على مزيد نعمه بخير. ثم نهنئكم بحلول عيد النحر السعيد أعادنا الله وإياكم على أمثاله أعواماً عديدة . متمتعين باليمن والأمان والسعادة والرضوان . وعن أخبارنا فهي من كرم الله على ما يرام من جميع الوجوه . الحج يوم الثلاثاء والصحة عامة والراحة شاملة والماء متوفر للغاية والوقت بارد جداً والناس مطمئنون بحمد الله على ذلك . ومن عندنا الإخوان والأولاد يسلمون والله يحفظكم والسلام"*(٦١) .

وهذه الرسالة مؤرخة كما أوردنا في ١٦ ذي الحجة ولم يذكر الملك شيئاً يدل على وفاة والده فإذا كان قد توفي في الثاني عشر من شهر ذي الحجة كان لابد وأن تتغير صيغة الرسالة لا أن يقدم التهنئة لشيخ البحرين بعيد الأضحى ولم يمض على وفاة والده سوى أربعة أيام .

وإن أرجح تاريخ لوفاة الإمام عبد الرحمن بن فيصل هو في ٢٤ ذي الحجة ١٣٤٦هـ الموافق ١٤ يونيو ١٩٢٨م بناءً على الرسالة التي أرسلها جلالته إلى شيخ البحرين يشكره فيها على رسالته المؤرخة في ٢٤ ذي الحجة . والتي ذكر فيها تعزيته بوفاة الإمام عبد الرحمن فقال جلالته : *"وإن ما ذكرتم عما وقع في قلبكم من الحزن الشديد عندما بلغكم خبر وفاة والد الجميع سيدي الإمام"*(٦٢) . ومن هنا نخرج بنتيجة أن الوثائق الأجنبية ليست من الدقة بمكان - ولا أقول كلها بل بعضها - وأن في تراثنا ووثائقنا ما هو أكثر دقة وصحة منها خصوصاً إذا كان كاتبها معروفاً بالأمانة والصدق. وكتبت في نفس الزمان والمكان . ولدى السؤال من كبار السن في البحرين علمت أن خبر وفاة الإمام عبد الرحمن وصل إلى البحرين من الرياض عن طريق التلغراف الذي كان مركزه الرئيسي وقتئذ بالبحرين. فأبلغ شيخ البحرين بالخبر. فأرسل بدوره تعزية إلى الملك عبد العزيز الذي كان يؤدي فريضة الحج في مكة المكرمة قبل أن يصله الخبر من الرياض

أما لوريمر فقد أشار إلى ولادة الإمام عبد الرحمن بن فيصل في عام ١٨٥٦م(٦٣) . وأورد (جون فيلبي) أن الإمام توفي عن عمر يناهز الثامنة والسبعين(٦٤) . وتصبح وفاته والحالة هذه ١٩٣٤م وهذا خطأ واضح .

خلاصة القول فإن في رسائل الإمام

عبد الرحمن والملك عبد العزيز وشيوخ الخليج وحكام العرب جميعاً ما قد يلقي الضوء بعد تحقيقه ويصحح ما كتبه الأجانب على ضوئه .

ولما كان التاريخ في اللغة تعريف الوقت وأرخ الكتاب وقته[٦٥] . أي جعل له تاريخاً فإننا نواصل التحقيق في رسائل الملك عبد العزيز ونطابقها مع ما كتبه الكتاب ونترك لهم وللباحثين مزيداً من التحقيق لا في دقة التواريخ فحسب بل وفي مجريات الأحداث والوقائع ووصفها لقناعتنا بأن ما كتبه الملك عبد العزيز عن تلك الأحداث أقرب إلى الصحة أو أصح مما كتبه الآخرون إلى حد كبير لاعتمادهم على مصادر أجنبية أو بعيدة عن مجريات الأحداث .

# خاتمة



هاهو التاريخ يحكي قصة الإنسان وآثاره، ويروي الحوادث بمختلف صورها . فلقد سجل التاريخ للملك عبد العزيز رحمه الله آثاراً خالدة . ومآثر شاهدة من العمران ولاشك أن العمران من مظاهر الحضارة وعلى قدر عمران الأمصار تكون مدنيتها . وسار على نهج السلف الصالح الذين عمروا البلاد التي فتحوها . فقد عمروها بعلمهم وبعملهم . ويقف المرء إجلالا لأولئك الخالدين في التاريخ العربي الإسلامي . فقد شاءت إرادة الله تعالى أن يهيئ للجزيرة العربية بطلاً من أبنائها المخلصين ألا وهو صقر الجزيرة الذي عمرها بعدله وأمنه وإصلاحاته وتوحيده للجزيرة العربية المترامية الأطراف والتي ساد فيها الأمن وعمرت البلاد في خدمة حجاج بيت الله الحرام الذين يعودون وهم يلهجون بالدعاء للملك العظيم لأنه وفر لهم الأمن والعلاج والماء وسائر مرافق الحياة الهانئة .

**أ.د علي عبد الرحمن أباحسين**

**مدير مركز الوثائق التاريخية - البحرين**

# الهوامش

١ – مختار الصحاح . ص ١٣، (مادة تاريخ) والمنجد، ص ٨، ط ٢٤، بيروت .

٢ – رسالة مؤرخة في ١٠ محرم ١٣٢١هـ الموافق في ٩ أبريل ١٩٠٣م و٢٨ شوال ١١١٣٢٥هـ/٥ ديسمبر ١٩٠٧م، وفي ٢ ذي الحجة ١٣٣٧هـ .

٣ – رسالة في ٢٧ رمضان ١٣٣٤هـ .

٤ – رسالة مؤرخة في ذي القعدة ١٣٣٤هـ .

٥ – رسالة مؤرخة في ٢ جمادى الآخرة ١٣٣٤هـ و٢٢ شعبان ١٣٣٧هـ .

٦ – رسالة مؤرخة في ٢٠ رجب وأخرى في ٢٥ رجب ١٣٣٢هـ .

٧ – رسالة مؤرخة في ١٢ رجب . ١٣٤٠هـ وأخرى في ٢ رجب ١٣٤٣هـ، و٢٤ رجب ١٣٤٣هـ، ورسالة مؤرخة في ١٥ محرم ١٣٣٨هـ، ورسالة مؤرخة في ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ .

٨ – رسالة مؤرخة في ٢٦ رجب ١٣٤٠هـ الموافق في ٢٦ مارس ١٩٢٢م .

٩ – رسالة مؤرخة في ٢٤ صفر ١٣٤٧هـ .

١٠ – رسالة مؤرخة في ١٠ شعبان ١٣٤٧هـ .

١١ – رسالة مؤرخة في ١٨ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ .

١٢ – رسالة مؤرخة في ٦ و٨ محرم ١٣٥٣هـ الموافق ٢٢ و٢٤ أبريل ١٩٣٤م .

١٣ – رسالة مؤرخة في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٣١هـ الموافق ٨ أبريل ١٩١٣م .

١٤ – رسالة مؤرخة في ٢٧ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ . وأخرى مؤرخة في ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٣٤هـ

١٥ – أمين سعيد . تاريخ الدولة السعودية . ج ١ ص ١٣، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز بالرياض (٩) . ورسالة مؤرخة في ١٠ ربيع ثاني ١٣٣٢هـ . وأخرى مؤرخة في ١٨ محرم ١٣٣٢هـ .

١٦ – رسالة من الشيخ مبارك آل صباح، رقم ٤٤٧، إلى القنصل العام في بوشهر أوفسينكو. مؤرخة في ١٤ رمضان١٣٢٠ هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٠٢م . وفؤاد حمزة . البلاد العربية السعودية . ص ٢٠ – ٢٤ .

١٧ – لوريمر، الجزء الأول التاريخي، ص ١٠٣٧ .

١٨ – وثيقة في أرشيف السياسة الخارجية في موسكو، رقم ١٧٠ مؤرخة في ٩ ذي القعدة ١٣١٩هـ، وأخرى مؤرخة في ٢٣ صفر١٣٢٠هـ الموافق ٢ يونيو ١٩٠٢م .

١٩ – كامبل المقيم السياسي في الخليج، إلى حكومة الهند، نقلاً عن د. الحمداني . العثمانيون

والروس في الخليج العربي الوثيقة العدد ١٦ يناير ١٩٩٠م. ص ١٠٥ – ١٠٦ . وسالدنها . عن شئون الكويت. ١٨٩٦ – ١٩٠٤م. ص ١٦٦ .

٢٠ – من الشيخ مبارك آل صباح. إلى القنصل العام الروسي في بوشهر أوفسينكو. رقم ٤٤٧. مؤرخة في ١٤ رمضان ١٣٢٠هـ/١٦ ديسمبر ١٩٠٢م .

٢١ - ورسالة الشيخ مبارك آل صباح إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة مؤرخة في ١٧ شوال ١٣٢٢هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩٠٤م

٢٢ - لوريمر. الجزء ٣. القسم التاريخي. ص ١٦٩٩ .

٢٣ - الأطلس التاريخي ص ١٣٢ و١٣٦ . وثيقة عثمانية برقم ٧٩/٢٦ يلدز مؤرخة في ٩ يونيو ١٣٠٩ رومي الموافق ١٠ ذي الحجة ١٣١٠هـ في ٢٣ يونيو ١٨٩٣م. ووثيقة عثمانية (داخلية إدارية) رقم ١/٥- ١٣ في في ٢١ أكتوبر ١٣٢٨ رومي/١٣٣١هـ/١٩١٤م . ووثيقة عثمانية رقم ٧٩/٢٦ مؤرخة في ٧ ذي الحجة ١٣١٠هـ

٢٤ - لوريمر الجزء الأول التاريخي. ص ١٠٣٧ .

٢٥ رسالة مؤرخة في ٩ ذي القعدة ١٣١٩هـ الموافق ١٨ فبراير ١٩٠٢م وأصلها في الأرشيف الروسي. وخير الدين الزركلي الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص ٢٧. طبع بيروت. ط٤. ١٩٨٤م – فلبي العربية السعودية . ص٢٣٩. طبع بيروت. ١٩٥٥م والمجلة التاريخية ابن سعود والشريف حسين. المجلد ١٤. رقم ٣. ١٩٧١م – الأطلس التاريخي للدولة السعودية. ص ١٣٤ و ص ١٣٨ – والمانع. ص ١٧ و١٨ وفهد المبارك. من شيم الملك عبد العزيز. ج ١. ص ١٢٧ – ولوريمر. دليل الخليج القسم التاريخي. ج ١/ب. ص ١٠٣٧ النص الإنجليزي. وج ٣ ص ١٦٩٩ – وابن هذلول . تاريخ ملوك آل سعود ص ٦٢. طبع الرياض. ط١٦. ١٩٦١م – وصلاح الدين المختار. تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ص ٤٢. طبع بيروت بلا ت

٢٦ الأطلس التاريخي. ص ١٣٩ – ١٤٠

٢٧ المعالم. ص ١٨٦ – ٢٨٨ . والأطلس التاريخي. ص ١٩١. وتحفة المستفيد. ص ٢٤١ .

٢٨ أمين سعيد. تاريخ الدولة السعودية. ج ٢ . ص ١٦٦ . مطبوعات دارة الملك عبد العزيز. رقم ٩ مطابع الهلال بالرياض بلا ت – وعمر بن غرامة العمروي. المعالم الجغرافية. دراسة ميدانية ص ٢٩٦. ط ١. الرياض ١٩٨٥م – وسمو الأمير سعود بن هذلول. تاريخ ملوك آل سعود. ص ١٦٦ و١٦٧. ط ١ . الرياض ١٩٦١م – وأمين الريحاني. تاريخ نجد الحديث وملحقاته. ط١. بيروت. ١٩٢٨م. ص ٣٣٨ – وأحمد عبد الغفور عطار. صقر الجزيرة العربية. المجلد ٢ ص ٤٥٩

٢٩ - حافظ وهبة جزيرة العرب في القرن العشرين. ط ٥ . القاهرة ١٩٦٧ ص ٢٧٠

والزركلي ج ١ ص ٣٤١ .

٣٠ - د. إبراهيم جمعة . الأطلس التاريخي للدولة السعودية، مطبوعات الدارة رقم ١١، طبع الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص ١٧٨ و١٩٢

٣١ - إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن تذكرة أولي النهي والعرفان. ج ٣. ص ٦٤. ط ١. الرياض . ويوسف ياسين . الرحلات الملكية. ص ٤٥ .

٣٢ - وثائق يلدز خصوصي، ٢٧٢/٧١، مؤرخة في ١٤ رمضان . ١٣١٠هـ/ ٣ أبريل ١٨٩٣م. أرشيف رئاسة الوزراء العثماني في استنبول . تسلسل ٥٣٥٧ و٥٣٥٨ . ورسالة من محمد بن ثنيان إلى شيخ البحرين مؤرخة في ٢٧ رمضان ١٣٣٤هـ ودفلتشين : قبطان روسي عين كضابط مخابرات قام برحلة إلى مكة المكرمة . وبعد عودته أعد تقريراً عن بعثته فقامت القيادة العسكرية العامة في سان بطرسبرج بطبع تقرير الرحلة وذلك في عام ١٨٩٩م . وكان التقرير مختوماً بكلمة (سرّي). أنظر بحث للدكتور أفيم رزفان، ص ١٥ (مخطوط) . وبحث للدكتور جورجي مورسكي حول سفر القبطان دافلتشين وسلطانوف للحجار ص ٦ و٧ (غير منشور)

٣٣ - الأطلس ١٧٥

٣٤ - الأطلس ١٧٨ . ورسالة من الملك عبد العزيز إلى شيخ البحرين مؤرخة في ٢٨ ربيع أول ١٣٤٣هـ الموافق ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤م

٣٥ - أم القرى . العدد الأول. ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣/١٢ ديسمبر ١٩٢٤م . ورسالة من الملك عبد العزيز إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة مؤرخة في ٢٢ ذي القعدة ١٣٢٩هـ . وتقرير للكابتن دافلتشين حول سفرة للحجاز عام ١٨٩٩م (بحث للدكتور جورجي مورسكي - محطوط) .

٣٦ - الأطلس ص ١٧٩ . ورسالة الملك عبد العزيز لشيخ البحرين مؤرخة في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ . ورسالة من الأمير سعود بن عبد العزيز مؤرخة في ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ

٣٧ - المعالم الجغرافية ص ٣٢٤ و ٣٤٩ . ورسالة من الأمير محمد بن عبد العزيز إلى شيخ البحرين مؤرخة في ٢٤ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ .

٣٨ - الأطلس ص ١٧٩. أما (الدويش) فقد قتل في ٦ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ . ورد ذلك في رسالة من الأمير سعود بن عبد العزيز إلى شيخ البحرين مؤرخة في ٦ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ

٣٩ - المعالم الجغرافية والتاريخية لمواقع الملك عبد العزيز الحربية، ٣٢٤/٢ . وانظر رسالة من الملك عبد العزيز إلى شيخ البحرين مؤرخة في ٨ رمضان ١٣٤٣هـ الموافق ٣ أبريل ١٩٢٥م .

٤٠ - نفس المصدر السابق . ورسالة من الملك عبد العزيز إلى شيخ البحرين مؤرخة في ١٨ صفر ١٣٤٤هـ

٤١ - أولي النهي ص ١٥٠ . والزركلي شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز . ج ١. ص ٣٤٨ . وعمر غرامه العمروي ص ٣١٢ - ٣٦٣ والرحلات الملكية المنشورة في جريدة أم القرى ص ١٤ . ورسالة من الملك عبد العزيز مؤرخة في ٢ رجب ١٣٤٣هـ .

٤٢ - الريحاني ص ٣٩٢ . وأم القرى . السنة الأولى . العدد ٢٥ . وأمين سعيد . تاريخ الدولة السعودية ج ٢ .
٤٣ - أم القرى. السنة الأولى العدد ٥٢ . ص ٤ .
٤٤ - مجلة العرب . مؤلفات تاريخ مكة . ص ٩٤٩ .
٤٥ - رسالة مؤرخة في ٢٥ محرم ١٣٤١هـ وأخرى في ٢٥ صفر ١٣٤١هـ ورسالة مؤرخة في ٢٨ صفر ١٣٤١هـ .
٤٦ - أمين سعيد . تاريخ الدولة السعودية. ج ٢، ص ٢٠ . والأطلس التاريخي ص ١٩١ .
٤٧ - رسالة مختومة بختم الملك عبد العزيز مؤرخة في ٢٥ محرم ١٣٤١هـ وأخرى في ٢٥ صفر ١٣٤١هـ وثالثة في ٢٨ صفر ١٣٤١هـ
٤٨ - العقيد محمد إبراهيم رحمو أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروبه ص ١١٧ .
٤٩ - مجلس وكلاء مضبطة لري . رقم ٣٠/صفحة ٣١ في ٦ رجب ١٣٠٥هـ/١٨٣٤ .
٥٠ - داخلية سياسية ٣٧/١٥ مؤرخة في ٥ صفر ١٣٣٠هـ ٢٢٣٨ . ووثيقة أخرى رقم ٣٧/١٥ مؤرخة في ٨ يناير١٣٢٧ رومي الموافق ١٣٢٩ و١٣٣٠هـ/١٩١١ و١٩١٢م .
٥١ - داخلية سياسية رقم ٢ - ٤٠/٧ مؤرخة في ٢٧ أكتوبر ١٣٢٧ رومي الموافق ١٣٢٩ و١٣٣٠هـ/١٩١١ و١٩١٢م تسلسل ٢٤٩٧
٥٢ - إبراهيم جمعة. الأطلس التاريخي للدولة السعودية ص ١٢٧. مطبوعات دارة الملك عبد العزيز. عن أمين سعيد . تاريخ الدولة السعودية المجلد الأول. دار الكتاب العربي. بيروت ص ١٨١
٥٣ - جون فلبي . العربية السعودية. مكتبة لبنان. ١٩٥٥. ص٢٣٥ . والزركلي . الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز. طبع بيروت ط ٤. ١٩٨٤م . ص ١٩ و٢٠ . والدكتور خالد السعدون. العلاقات بين نجد والكويت. ص ٤٢ . وحافظ وهبة . جزيرة العرب في القرن العشرين . ط ٥ . القاهرة ١٩٦٧. ص ٢٤١ ومحمد المانع . توحيد المملكة العربية السعودية . ط ١. طبع في الدمام ١٩٨٢م ص ٣٦. وإبراهيم بن صالح بن عيسى. بعض الحوادث الواقعة في نجد. ط١. دار اليمامة بالرياض. ١٩٦٦م. ص ١٩٧ و١٩٨ ووثيقة عثمانية (يلدز متنوع) ٧٩/٢٦ في ٩ يونيو ١٣٠٩ رومي / ٧ ذي الحجة ١٣١٠ه/٢٣ يونيو ١٨٩٣م .
٥٤ - فصيح بن صبغة الله الحيدري . عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد. ص ١٢٣. مخطوط وعثمان بن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد. الجزء الأول. ص ٨ . الرياض .
٥٥ - الأطلس التاريخي ص ١٤٤ .
٥٦ - رسالة مخلص باشا إلى الشيخ مبارك باشا آل صباح مؤرخة في ٢٤ تشرين الثاني ١٣٢٠ رومي.

الموافق ٢٨ رمضان ١٣٢٢هـ/ ٦ ديسمبر ١٩٠٤م . ومن الشيخ مبارك آل صباح إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة رسالة مؤرخة في ١٧ شوال ١٣٢٢هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩٠٤م . ورسالة من مخلص باشا إلى الشيخ مبارك آل صباح مؤرخة في ٢٨ رمضان ١٣٢٢هـ . ورسالة من الملك عبد العزيز إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة مؤرخة في ١٩ ربيع ثاني ١٣٢٩هـ .

٥٧ – حافظ وهبة، مقدمة، الطبعة الأولى ١٩٥٤م .

٥٨ – محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية ص ١٨ و١٩ .

٥٩ – فهد المارك . من شيم الملك عبد العزيز . ج ١، ص ١٢٧، ١٣٧٥هـ . وجون فلبي، العربية السعودية. ص ٢٣٥ .

٦٠ – ميكروفيلم (ميك) ١٨٢، ص ٢٣٣/آر/٦/١/٢/١٥ الرسالة من (بارت) إلى (هاورث) المقيم البريطاني في بوشهر .

٦١ – رسالة من الملك عبد العزيز إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، برقم ٥١٦، وتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٣٤٦هـ .

٦٢ – رسالة جلالته برقم ١٠٦٣ وتاريخ ٢٨ ربيع أول ١٣٤٧هـ .

٦٣ – لوريمر، دليل الخليج . شجرة آل سعود ج ١٤/٣/٣ .

٦٤ – جون فلبي . العربية السعودية (الطبعة الإنجليزية) ص ١٩٥٥/٢٣٩م .

٦٥ – ابن منظور، لسان العرب ٤٤/١ .

# المراجع


- آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد تذكرة أولي النهي والعرفان، ج ٣، ط ١، الرياض .
- ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، إعداد يوسف خياط، بيروت، بلات .
- الأحساني، محمد بن عبد الله بن عبد المحسن الأنصاري . بتاريخ الأحساء القديم والجديد، دمشق، ١٩٦٣م .
- ابن بشر، عثمان . عنوان المجد في تاريخ نجد، الجزء الأول، الرياض .
- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ط ١، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٦م .
- ابن هذلول، سمو الأمير سعود تاريخ ملوك آل سعود، ط١ ، الرياض ١٩٦١م .
- جمعة، إبراهيم . الأطلس التاريخي للدولة السعودية ومطبوعات دارة الملك عبد العزيز، رقم ١١، الرياض، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م
- حمدي، عبد الله . ابن سعود، بيروت، ١٩٥٣م .
- حمزة، فؤاد البلاد العربية السعودية، ص ٢٠ - ٢٤
- الحيدري، فصيح بن صبغة الله عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، مخطوط، صورة محفوظة في مركز الوثائق التاريخية بالبحرين .
- رحمو، العقيد محمد إبراهيم أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروبه .
- الريحاني، أمين تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط ١، بيروت، ١٩٢٨م .
- الزركلي، خير الدين شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز . بيروت .
- الزركلي، خير الدين الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، الجزء الأول، بيروت، ط ٤، ١٩٨٤م .
- السعدون، د خالد العلاقات بين نجد والكويت، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، رقم ٣٣، الرياض، ١٩٨٣م
- سعيد، أمين تاريخ الدولة السعودية الجزء الأول والجزء الثاني، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز بالرياض(٩)
- عطار، أحمد عبد الغفور صقر الجزيرة العربية، المجلد ٢
- العمروي، عمر بن غرامة . المعالم الجغرافية لمواقع الملك عبد العزيز الحربية، دراسة ميدانية، ط ١، الرياض ١٩٨٥م .
- فلبي، جون العربية السعودية، مكتبة لبنان . ١٩٥٥م .

- فلبي، جون . العربية السعودية (الطبعة الإنجليزية) ١٩٥٥م .
- لوريمر، ج.ج. . دليل الخليج القسم التاريخي، الجزء الأول والجزء الثالث، الدوحة .
- المارك، فهد . من شيم الملك عبد العزيز، الجزء الأول، الرياض، ١٣٧٥هـ .
- المانع، محمد . توحيد المملكة العربية السعودية . ط ١، الدمام، ١٩٨٢م .
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر . مختار الصحاح . طبع دار المستقبل، بيروت، ١٩٨٧م .
- المختار، صلاح الدين . تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها' بيروت
- وهبة، حافظ . جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥، القاهرة ١٩٦٧م .
- ياسين، يوسف . الرحلات الملكية عام ١٣٤٣هـ . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ط ٢، الرياض ١٤٠٤هـ .

## الدوريات والصحف

- أم القرى . هذا بلاغ، العدد الأول، ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ/١٢ ديسمبر ١٩٢٤م
- أم القرى . فتح جدة، السنة الأولى . العدد ٥٢، ١٣٤٤هـ .
- المجلة التاريخية . ابن سعود والشريف حسين . المجلد ١٤، رقم ٣، ١٩٧١م .
- مجلة العرب . مؤلفات تاريخ مكة، ص ٩٤٩ .
- مجلة الوثيقة . الصلة التاريخية بين البحرين والمملكة العربية السعودية . أباحسين، د. علي ١٩٨٦م، العدد ٩، ص ٦٤ – ١٠٦ .
- مجلة الوثيقة . العثمانيون والروس في الخليج العربي الحمداني، د. طارق، ١٩٩٠م، العدد ١٦، ص ١٠٥ – ١٠٦ .

# الدور الحضاري

# وانعكاساته على الشعر

بقلم الدكتورة :

## أنيسة أحمد خليل المنصور

لعبت منطقة البحرين دوراً حضارياً مميزاً على امتداد العصور القديمة فقد كانت أحد مراكز التحضر الهامة في الجزيرة العربية، وساعده على ذلك عدة عوامل أهمها :

**الموقع**

يحتل إقليم البحرين الجزء الشرقي من الجزيرة العربي ويمتد من البصرة شمالاً إلى عمان جنوبياً، ويتاخم أرض اليمامة التي كانت تشكل مع البحرين إقليم العروض وتتص المنطقة ببحار هامة فهي تقع على الخليج العربي وما يتصل به م امتدادات بحرية كالمحيط الهندي الذي يتصل بعوالم متحضرة .

ولقد أضفى عليها هذا الموقع تميزاً وأهمية، فهي تقع في منتصف الطريق المؤدي إلى بلدان آسيا من جهة وبلاد ما بين النهرين وسور والشرق الأدنى من جهة أخرى . وكانت تمثل شرياناً هاماً ومحط للاتصال والتبادل التجاري بين بلدان العالم القديم . فهي المنفذ البحر للجزيرة العربية من جهة الشرق، وحلقة الاتصال البري بين بعض مناطق الجزيرة والعراق موطن حضارة بابل وآشور التي تجاور الشـ

# منطقة البحرين

# في العصر الجاهلي

الوثيقة ٥٦

**وبلدان البحر المتوسط من جهة أخرى . كما أن خطوط الملاحة التجارية جعلتها على اتصال وثيق بحضارة الهند والصين وما جاورها[1] .**

**وقد أهلها هذا الموقع لأن تلعب دوراً هاماً في حركة التجارة العالمية، وأن تمارس دوراً في التفاعل الحضاري بين دول العالم القديم، منذ فترة تاريخية مبكرة .**

## الحياة الاقتصادية

عاشت منطقة البحرين حياة اقتصادية رخيّة وشكلت عناصر الاقتصاد فيها أهم المرتكزات الحضارية حيث مارس أهلها ألواناً شتى من النشاط الاقتصادي، تمثل في

التجارة وضع لبناتها الأساسية أبناء المنطقة من الفينيقيين . وقد ازدهرت تجارتها منذ أقدم الأزمنة وشكلت عنصراً حيوياً في الحياة الاقتصادية وزخر الساحل العربي بالموانئ التي تغص بأنواع التجارات . ويذكر أن البحرين في عام ٣٦٠٠ ق. م كانت تتوسط الطرق البحرية التي تسير عبرها تجارة السومريين . وخلال الألف الثاني ق. م أصبحت دلمون من أهم مراكز الخليج التجارية . وكونت بذلك حلقة الوصل بين بلاد الرافدين ووادي السند[2] .

وتشير الدلائل إلى أن التبادل التجاري مع "أور" كان مستمراً، وأن بلاد الرافدين كانت تستورد من البحرين الذهب والحجارة والأخشاب والنحاس ومواد نفيسة مثل اللؤلؤ والأحجار الكريمة[3] .

وتمثل الهند الجهة التجارية الرئيسية مع المنطقة . ويذكر أن سكان دلمون تاجروا في ٤٢ نوعاً من السلع كالمنتجات الخشبية والحيوانية والمنتجات البحرية والأحجار الكريمة والمعادن والمحاصيل الزراعية[1] .

وتشير الدراسات أن أهل جرها على ساحل الاحساء كانوا من أنشط الناس في التجارة، وأنهم تاجروا في البر والبحر . وكانوا قوماً مسالمين. ولهذا فإنه لما أراد أنطيوخس الثالث (ملك السلوقيين) الاستيلاء على بلادهم سألوه الصلح وألا يقضي على ما أعطتهم الآلهة من سلم وحرية أزليين . ويظهر

أنهم بلغوا درجة عالية من الثراء حتى اصطبغت أخبارهم بصيغة أسطورية . ويذكر أنهم زينوا منازلهم بالعاج والفضة والحجارة الكريمة، وجملوا سقوف أبنيتهم وأبواب غرفهم بالذهب والأحجار النفيسة[٥] .

وكانت دارين من الموانئ الشهيرة التي عن طريقها تصل بضائع الهند إلى مختلف أنحاء الجزيرة كالأقمشة وأنواع الطيب والأفاويه والأسلحة وغيرها[٦]، وفي العصر الجاهلي احتفظت المنطقة بمكانتها التجارية، ويذكر أن سادات اليمامة والبحرين كانوا من الأثرياء التقال . وأنهم كانوا يحملون تجاراتهم من أقمشة وتجارة بحرية إلى مكة[٧] وتشير المصادر إلى ابن يامن كان أحد أغنياء المنطقة الذين نالوا صيتاً بعيداً[٨] .

واشتهرت بعض مناطقها بألوان من التجارة نسبت إليها وظهر صداها في التراث الأدبي . وقديماً قيل "كجالب التمر إلى هجر" للدلالة على غناها بهذا المحصول واكتسبت دارين سمعة في تجارة الطيب وازَتْ شهرة هجر بالتمر وشهرة الخط بالرماح الخطية .

وإذا كان للبحر دوره الخطير في تجارة المنطقة فقد برز أيضاً كعنصر حيوي في إنتاج اللؤلؤ وهو أحد الموارد الاقتصادية التي ارتبط اسمها بالبحرين . وكانت مغاصاته تمتد من الكويت شمالاً حتى مضيق هرمز جنوباً وأهمها ما وقع حول جزر البحرين وشكلت مياه الخليج بيئة صالحة لإنتاجه[٩] وكان اللؤلؤ من السلع الرائجة والمطلوبة، ولكنه شكَّل في الوقت نفسه إغراء مادياً دفع الطامعين للاستيلاء على المنطقة والسيطرة على تجارته .

وقد صاغت صناعة الغوص حياة الناس وفرضت نفسها على الحياة الأدبية خاصة في الشعر وأشار إليها بعض شعراء الجاهلية كالأعشى والمسيب بن علس والمخبَّل السعدي فوصفوا أسلوب صيد اللؤلؤ، وأدواته، والمعاناة التي يتعرض لها الغواص[١٠] كما كان هذا المنتوج من أهم عناصر الترف التي جُعلت حلية تتزين بها نساء ذلك العصر .

ومن ناحية أخرى فإن النشاط البحري الواسع أدى إلى انتشار وإتقان صناعة السفن وأشار طرفة بن العبد إلى بعض أنواع السفن الرائجة فذكر

"العدوليّة" ويبدو أنها سفينة كبيرة فعدولى في الاصطلاح اللغوي يعني الشجرة القديمة الطويلة ويرجح صاحب القاموس المحيط أنه ربما كان اسم رجل يتخذ السفن أو اسما لقوم كانوا ينزلون هجر، وربما عنت الملاح"

لقد شكلت التجارة أحد المرتكزات الهامة التي دعمت الدور الحضاري للمنطقة وهيأت فرصة التفاعل مع الأمم المتحضرة ولعب البحر دورا هاما في النشاط الاقتصادي، حيث شكل عنصرا حيويا استثمرت مياهه لنقل التجارة، واستغلت ثرواته من أسماك ولآلئ لزيادة الرخاء.

## الزراعة :

للبحرين تاريخ زراعي عريق، فقد تميزت بخصوبة أراضيها ووفرة مياهها بفضل ما حباها به الله من عيون متدفقة تشبه الأنهار في جريانها، مما شكل قاعدة صلبة لتدعيم النشاط الزراعي

يصف البكري بلاد البحرين فيقول: "هي بلاد سهلة كثيرة الأنهار من العيون عذبة الماء، ينبطون الماء على القامة والقامتين، والحناء والقطن على شطوط أنهارها بمنزلة السوسن، وهي كثيرة النخل والفواكه، ولهم ثمر يسمى المانجي"

ويعدد ما تنتجه جزيرة أوال من محاصيل فيذكر أنها كثيرة النخل والموز والجوز والأترج والزرع والأشجار والأنهار"[٢] ومن القدماء من يرجح تسميتها بالبحرين لوجود بحيرة على باب الاحساء بينها وبين البحر عشرة فراسخ"[٣]

وكانت النخلة تشكل القاعدة الصلبة في النشاط الزراعي وقد تعددت أصناف البلح واختلفت ألوانه وصاغت النخلة حياة الناس، واعتمد عليها سكان المنطقة كمادة غذائية رئيسية، كما زودتهم بالكثير من احتياجاتهم، فمن ليفها صنعوا الحبال، ومن سعفها عملوا الكثير من أدواتهم، واستمدوا من بعض أجزائها وقودهم كما كان التمر من صادراتهم التجارية الهامة، بسبب كثرة إنتاجه، وجودة بعض أصنافه حتى ضرب به المثل كما أشرنا

وعلى الصعيد الأدبي مثّلت البيئة الزراعية ببساتينها ونخيلها وأشجارها عنصراً بارزاً في شعر البحرين .

ترتب على نشاط الحياة الاقتصادية قيام مراكز تجارية عدّ بعضها من أسواق العرب المعدودة. وأشهرها : **سوق هجر** وتقام في ربيع الآخر. **وسوق المشقّر** في جمادى الثانية وكان يقصدها أحياء من العرب من مختلف أنحاء الجزيرة العربية. كما يقصدها تجار فارس ويشرف عليها بنو تميم ويذكر المرزوقي أنها أرض معجبة لا يراها أحد فيصبر عنها وكان لا يقدمها لطيمة إلا تخلف بها منهم ناس فمن هناك صارت بهجر أحياء عديدة من العرب وغيرهم ويذكر الدارسون سوق الزارة والجرعاء ودارين ذات الشهرة البعيدة بتجارة العطور وبالقرب من هذه الأسواق تقع أسواق اليمامة وصحار ودبا وكان يتولى التعشير فيها سادات القبائل(١٤) وشكلت المكوس والضرائب مبالغ ضخمة

لقد كان الرخاء الاقتصادي مؤشراً له دلالته على ما بلغته البحرين من رقي . كما كان له أثره في تدعيم الدور الحضاري للمنطقة .

## الحياة الإجتماعية

من أبرز المظاهر الاجتماعية التي أدت إلى وقوع تقارب بين أجزاء المنطقة من الناحية الأدبية انتماء أغلب سكانها إلى قبيلة ربيعة . الذين هاجروا إليها في أزمنة متفاوتة . فهاجرت تنوخ إلى البحرين، ثم لحقتها عبد القيس فدفعتها عنها وانتشرت الأخيرة في أجزاء اليمامة . وعندما جاء الإسلام كانت عبد القيس تنتشر في معظم أرجاء البحرين خاصة في المناطق الساحلية . وسكنت معها قبيلة بكر بن وائل التي امتدت مساكنها إلى اليمامة أيضاً كما شاركتها في العيش بعض عشائر تميم وقبائل من الأزد(١٥)

ساعدت الطبيعة وألوان النشاط البشري على تحول الكثير من السكان إلى مجتمعات متحضرة أو شبه متحضرة . فقد عملوا في الزراعة . وتطلبت هذه المهنة عناية بالزرع، ورعاية للمحصول أدت في النهاية إلى الاستقرار الذي يعدّ الخطوة الأساسية في طريق التحضر وقد هيأ لهم ذلك فرصة التأمل في خواص البيئة وعناصرها وتطويرها. مما أكسبهم خبرة بالحياة نفسها

كما أتاح لهم احتكاكهم بعناصر متحضرة عربية وغير عربية فرصة التعرف على أساليب في الحياة جديدة، ووسّع رؤاهم. وعمّق تجاربهم . فبحكم قربهم من فارس وقيام روابط سياسية وتجارية معهم تهيأت لهم فرصة التعرف على مظاهر حضارتهم. وما شاع عندهم من معارف ومعتقدات. وتفتحت عيونهم على بيئات جديدة. وأساليب في العيش متعددة هذا مع بقاء الكثير منهم محافظاً على نسق حياته البدوية .

ومن المظاهر الحضارية قيام المدن. ونطالعنا أسماء عديدة ذكر البكري سبعاً منها كالقطيط والعقير وأوال[١٦] وتحول بعضها إلى موانئ. كما انتشرت فيها المنشآت العمرانية ويشير اللغويون إلى وقوع ارتباط بين لفظتي "هجر" والبناء فيسمي العرب البنّاء "هجرياً" وفي ذلك دلالة على التصاق أهل هجر بهذا العنصر الحضاري[١٧]

## الحياة السياسية

### (دور المناذرة في المنطقة)

مع غلبة النظام القبلي عرفت المنطقة لوناً من التنظيم الحكومي المركزي، وضرباً من التوحد بسبب خضوعها للدولة الفارسية . التي كانت تحكمها حكماً مباشراً فيه الكثير من العسف والقمع . وحين تم لها بسط سيادتها على مملكة الحيرة جعلت منطقة البحرين تابعة لملوك المناذرة واستطاع هؤلاء مد نفوذهم إلى نجد .

ولعب المناذرة دوراً هاماً ومزدوجاً في حياة المنطقة فعلى صعيد الحياة السياسية ساد العلاقة لون من الصراع المكشوف بينهم وبين أهل البحرين . وكانت الحيرة قد أنشأت جيشاً ضخماً منظماً يتكون من خمس فرق قوية : أشهرها على الإطلاق كتيبة "دوسر" التي ضرب بها المثل في العنف حتى قيل "ابطش من دوسر"[١٨] . ووصل بعض ملوكها إلى درجة عالية من الاستبداد والقسوة والغرور. كعمرو بن هند. الذي اشتط في أخذ المكوس من أهل البحرين . وقد ولّد ذلك نفوراً منه عندهم . ومما أجج الصراع تأبّي قبائل البحرين على سلطة الحكومة المركزية. ورفضهم الانصياع لها. وسعيهم للتخلص من نفوذها .

ويفيض شعر المنطقة بوصف جبروتهم وطغيانهم . ويشير يزيد بن

خذاق الشنّي إلى الأسباب التي دعته إلى هجاء النعمان بن المنذر فيخاطبه ذاماً متوعداً[١٩] : (كامل)

نُعمانُ إنك خائن خَدِعٌ
يُخفي ضميرك غير ما تُبدي
فإذا بدا لك نحتُ أثلتِنا
فعليكَها إن كنتَ ذا حَرْدِ
يأبى لنا أنّا ذوو أنفٍ
وأصولنا من محتِد المجدِ
إنْ تغزُ بالخرْقاءِ أسرتَنا
تلقَ الكتائبَ دوننا تَرْدي

ومن شعراء البحرين الذين هجوا عمرو بن هند طرفة بن العبد، والمتلمّس الذي أقذع في هجائه وآخرون[٢٠] على أن لهذه التبعية وجهاً إيجابياً تمثل في تقريب المناذرة مسافة الخلاف بين القبائل، وإيجاد ضرب من التوحد بينهم . كما أن الجيش الضخم الذي أنشأوه أدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية . فكان من مهامه حماية اللطائم وهي إبل التجارة التي تحمل الطيوب .

كما شكل المناذرة مرجعية للقبائل يراجعونهم في شئونهم ويحكمونهم في خلافاتهم. وقد قرّب كثير من ملوكهم أشراف العرب، ومنحوهم رعايتهم. وخصوا السادة بعطاياهم السنية ، كما أسندوا إليهم بعض المهام السياسية والمالية[٢١] .

على أن أبرز الوجوه الإيجابية للمناذرة هو الدور الذي قاموا به إزاء الأدب، مما ترتب عليه قيام نهضة شعرية، شاركوا فيها مشاركة فعالة . فقد أحبوا الشعر وتذوقوه، وساهم بعضهم في قرضه . وكانت قصورهم موضع إشعاع للشعر واستقطاب للشعراء فاستقبلوهم واستمعوا لإنشادهم ومنحوهم الجوائز[٢٢]

ويشير الرواة إلى دورهم في المحافظة عليه فيذكرون أن النعمان بن المنذر أمر بأن تنسخ له أشعار العرب في الكراريس وأنه وضعها في أسفل قصره الأبيض . ويقال إنه كان عند أبنائه ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته[٢٣] . وقد أصبحت الحيرة في أيام عمرو بن هند مونل الشعراء . ولأكثرهم أخبار مع هذا الملك، فكانوا يتنافسون في مجلسه وينقدون بعضهم البعض[٢٤] .

ويعدُّ طرفة بن العبد وخاله المتلمس من أبرز شعراء هذا المجلس، ومع ذلك فهما ممن غدر بهم هذا الملك .

ويمكن القول أن الخطاب الشعري الذي علا في تلك الدوائر دار جزء منه حول مديح أولئك الملوك. كما اتجه قسم منه إلى هجائهم ورثائهم وقد غذت تلك البيئة المترفة وما شاع فيها من مظاهر البذخ خيال الشعراء. وأمدتهم بمضامين عديدة ومن ثم أصبح المناذرة عنصراً مؤثراً في حياة المنطقة سياسيا وحضارياً وأدبياً

## الحياة الفكرية

شاعت في بيئة البحرين كما هو الشأن في البيئات العربية الكثير من المعطيات المعرفية البسيطة، ومبادئ العلوم الفطرية التي أدركها العرب بواسطة التجربة أو صدق الحس وقوة النظر. أو عن طريق التأثر بغيرهم من الشعوب فكانت لهم معارف في علم الفلك والتداوي . وباعٌ طويل في علم الفراسة والقيافة. ومعرفة بالأنساب والأخبار وما إلى ذلك

وقد هيأ عنصر التجارة واحتكاك سكان البحرين بالعديد من الأمم المتحضرة كالروم والفرس والهنود فرصة التعرف على الكثير من الاتجاهات والأفكار. فعرفوا مختلف الديانات من يهودية ومسيحية ومجوسية . التي كانت تتصارع فيها المذاهب والآراء مما رقّى مداركهم وأثرى رصيدهم المعرفي فأكسبهم ذلك مرونة عقلية. ومقدرة على النظر في مختلف التوجهات الفكرية وزاد في تعميق رؤاهم وصقل مشاعرهم ألوان الصراع الذي خاضوه نتيجة شيوع النظام القبلي. وخضوعهم لسلطة المناذرة المستبدة .

وكان لهذه العوامل أثرها في إخصاب حركة الشعر وإثراء الرصيد الأدبي . وقد شكلت بيئة البحرين بكل ما فيها من خصائص تربة صالحة وفضاء مواتٍ نبتت فيه بذور الشعر وترعرعت فقد غذّت الظروف السابقة مواهب الشعراء وصقلتها. وأنضجت تجاربهم منذ فترة مبكرة وأذنت بمولد الشعر فيها قبل غيرها هذا فضلاً عن الميل الفطري عند العرب إلى بلاغة الكلام وفصاحته .

فكان من الطبيعي أن يكون للبحرين دور نشط. ومساهمة إيجابية في بناء الشعر العربي وإرساء قواعده .

# أسبقية الشعر في منطقة البحرين

يشير رواة الأدب إلى أسبقية هذه المنطقة في الشعر فيقول ابن سلام : "كان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم المهلهل والمرقشان وسعد بن مالك وطرفة بن العبد وعمرو بن قميئة ثم تحول (الشعر) في قيس . ."[٢٥] ويدل قوله "ثم تحول" على هذا الترتيب الزمني وتابعه في مقولته تلك رواة الأدب الآخرون[٢٦]

وقد شاع الشعر في جميع القبائل المنحدرة من ربيعة وأكثرهم من قبيلة بكر بن وائل .ومن شعرائها عمرو بن قميئة والمرقشان وطرفة . . ومن تغلب مهلهل وعمرو بن كلثوم . . ومن عبد القيس المثقب والممزق والمفضل النكري ويزيد بن خذاق . . . أما المتلمس فهو نزيل تلك المنطقة . .[٢٧]

ويذهب رواة الأدب إلى أن عمرو بن قميئة أول من قال الشعر، وقصّد القصيد، وأنه كان معاصراً للمهلهل بن ربيعة، وصحب امرأ القيس حين ذهب إلى بلاد الروم يستمدّهم على بني أسد[٢٨] .

ونحن وإن لم نكن على يقين من صحة الروايات والمقولات المذكورة إلا أننا نعتقد أن لها دلالتها التي تشير إلى دور البحرين الفعال في وضع اللبنات الأولى للشعر العربي، ومساهمتها الإيجابية في تأسيس قواعده .

إن القول بأسبقية المنطقة في قرض الشعر يستتبعه الاعتقاد بريادتها في الكثير من مضامينه ويذكر المرزباني أن عمرو بن قمينة أول من بكى الشباب[٢٩] . فوضع بذلك ركائز مضمون شعري أصيل استثمره من أتى بعده من الشعراء وتوسعوا فيه . كما أنه أول من نطق بوصف الخيال . وعلّق أبو هلال العسكري على أبياته بأنها أبلغ ما قيل في وصف بخل المحبوب، ومنها أخذ المحدثون معانيهم . كما نوّه بها الشريف المرتضي[٣٠] . ونسب لابن قميئة نفسه أول تشبيه للهلال بقلامة الظفر ولعل تلك الابتكارات الشعرية هي التي حدت بالنقاد الأقدمين إلى تصنيفه ضمن فحول الشعراء . وقد قيل أن للفحل منهم مزية كمزية الفحل على الحقاق[٣١] .

وللمثقّب العبدي معان في وصف الناقة لم يسبق إليها . وبلغ من إعجاب أبي عمرو بن العلاء به - وهو من *مشاهير رواة الأدب* - أن قال . "لو كان الشعر مثلها - *أي القصيدة التي منها وصف الناقة* - لوجب على الناس أن يتعلموه" وقيل عن وصفه للغبار إنه لم يوصف بأحسن من لفظه قط[٣٢] .

وليزيد بن خذاق الشنّي سَبْقٌ في تناول موضوع الزهد. فهو أول من ذم الدنيا[٣٣] .

ولا نعتقد بعد الذي ذكرناه أننا بحاجة إلى المزيد من الأدلة لبيان دور شرق الجزيرة العربية في الشعر فمساهمتها فيه واضحة. ودورها في ابتكار معانيه بارز . ولعمري فإنه لمن فضول القول أن تلك التلوينات الفكرية والإسهامات الأدبية هي أهم مظاهر الحضارة الإنسانية والرقي العقلي

# العناصر الحضارية وانعكاساتها في شعر البحرين

فرضت البيئة الحضرية التي عاشتها البحرين نفسها على الشعر وقد استوعبت عناصر الحضارة - التي تعامل معها البحرينيون - العديد من جوانب حياتهم، وتغلغلت في نفوسهم في تفاعل واضح، متسربة إلى فنهم الشعري، مادّةً إياهم بمعين لا ينضب من المعاني والصور وقد تجلت في بعدين :

مادي ونقصد به ما اتخذ صوراً محسوسة، فقد شكل شعرهم فضاءً رحباً تجسدت فيه كل إيقاعات بيئتهم وحياتهم بتنويعاتها المادية المختلفة .

أما البعد الآخر فهو البعد المعنوي ونقصد به ما انعكس في شعرهم من رقي عقلي ووجداني .

## عناصر الحضارة المادية

تلوح في شعر البحرين ضروب شتى من مظاهر الحياة المادية . ويمكن تصنيفها إلى صنفين : عناصر تختص بالبيئة الطبيعية التي تعانق في أحضانها البر والبحر وتآلفت ظواهرهما . وعناصر تختص بحياة الإنسان ومستلزماته وما كان يشيع في حياته من إيقاعات حضارية كالمواد التي يقتنيها، وتلك التي عمد بواسطتها إلى زخرفة حياته .

## عناصر البيئة الطبيعية ذات الطابع الحضري

### أ - الحياة النباتية

تشكل الزراعة عنصراً أصيلاً في نشاط البحرين . صاغ حياة أبنائها . ومثل ركيزة هامة من ركائز الاستقرار والتحضر، وتتمتع البحرين بغطاء نباتي ظليل، فاض الشعراء في وصفه وما يتضمنه من زروع ونباتات، وما ينجرّ عنه

من ظلال وأفياء. وتكثر في شعرهم صورة الخمائل الملتفة. وما يتدلى منها من فروع وأوراق. مثلت ملاذاً أغرى الغزلان بالالتجاء إليه للاستمتاع بأفيائه ورعي أغصانه فهاهو طرفة بن العبد يشبّه صاحبته بتلك الغزالة التي رعت في ظلال تلك الجنة فاطمأنت واكتنزت . (طويل)

خذول تراعي ربرباً بخميلة

تناولُ أطراف البرير وترتدي[٣٤]

وتتكرر نفس الصورة عند المثقّب العبدي فيشبه نساء القبيلة الراحلات بالغزلان التي رعت في تلك الرياض . (وافر)[٣٥]

كغزلانٍ خذلن بذات ضالٍ

تنوشُ الدانيات من الغصون

وتشف لفظة "خذلن" بما تعنيه من تخلف عن القطيع بإغراء تلك الروضة وشدة جذبها وينم كثرة تداول هذا المعنى عند الشعراء على شيوع الرياض في المنطقة ويعرض الشعراء صوره النبات وقد انتشر وتكاثف فسد الخصاص. يقول المرقّش الأكبر في وصف أطلال الحبيبة وما نبت فيها من زروع بعد الرحيل (منسرح)

أضحت خلاءً نبتها ثَئِدٌ

نوَّرَ فيها زهْوُه فأعتم[٣٦]

وتوحي لفظة **"الزهو"** بتعدد الألوان بين أحمر وأبيض وأصفر. وتفيض لفظة **"فأعتم"** بمعنى الكثرة والكثافة .

وتلوح في شعر البحرين ضروب شتى من النباتات ومعظمها ينتمي للبيئة الصحراوية ومن النباتات التي كان لها ذكر في شعرهم "الحربث" و"الينم" وهما بقلتان تنبتان في السهول. فيقول المرقش الأكبر في وصف الخصب الذي نعم به الثور الوحشي : (سريع)[٣٧]

بات بغَيْبٍ مُعشِبٍ نبتُهُ

مُختَلطٌ حُرْبُثُه باليَنَمْ

ويوحي الوصف بكثرة النبت وشدة الخضرة . ويزخر شعر طرفة بصنوف النبات الشائع في تلك البيئة فيذكر الأقحوان. وأفنان الزهر. والحرمل' والأرطي' والفقع[٣٨] . كما ذكرالعشر والخروع وهما نبتتان صحراويتان شبّه بهما امتلاء أطراف صاحبته . (طويل)

كأن البُرينَ والدماليجَ عُلِّقتْ

على عُشَرٍ أو خِرْوَعٍ لم يُخَضَّدِ[٣٩]

أما الأعشى فعلاوة على ذكر النباتات الصحراوية كالأقحوان والبان.

تبرز عنده ضروب شتى من الرياحين التي تبدو كأثر من آثار اختلاطه ببيئات فارسية في العراق يصف مجلس لهوه. وما كان يطالعه فيه من ورود فيقول . (متقارب)

وشاهِدُنا الورد والياسَميـــــ
ـــنُ والمسمعاتُ بقُصَّابها[٤٠]

كما يعتني بتعديد ما يحيط به في تلك المجالس من زهور ورياحين عناية بارزة فيذكر البنفسج والآس والخيري والسوسن والنرجس. هذا علاوة على ما يذكره من أسماء الزهور الفارسية[٤١] .

على أن أكثر منتوج زراعي برز في شعر البحرين هو النخلة . ولا غرو فقد شكلت محوراً هاماً في إيقاع الحياة اليومية . وكانت أبرز عنصر في المنظومة الزراعية للمنطقة بأسرها ولقد تعززت مكانة النخلة في نفوس أبناء البحرين، وزودتهم بالعديد من احتياجاتهم، وتجلت أهميتها من خلال الطروحات التي تناولتها . فقد اعتنى الشعراء بإظهار العديد من سماتها وتحدثوا عن كثرتها وسعة انتشارها . يقول الأعشى مشيراً إلى ثراء الخط بهذا المنتوج فيقول في معرض العتاب . (طويل)

فإن تمنعوا منا المشقَّرَ والصَّفا
فإنا وجدنا الخطَّ جمّاً نخيلُها[٤٢]

وأشار امرؤ القيس إلى غنى الخط بالتمر. ووصف الأحمال الثقيلة التي يخرج بها الممتار من إحدى قرى البحرين وهي جواثي . وقد أكد ذلك ياقوت الحموي أيضاً[٤٣]

وتطالعنا العديد من أسماء النخيل التي اكتسبت صيتاً وشهرة كنخيل محلم يقول بشر ابن أبي خازم منخذاً منها أداة فنية فشبَّه بها هوادج النساء . (وافر)

كأن حُمُولهُمْ لمَّا استقلّوا
نخيلُ محلّم فيها انحناءٌ[٤٤]

وتتضمن الصورة الواصفة شدة الطول الذي أدى إلى التقوس . وأشار في موضع آخر إلى صفة أخرى لهذا النخل وهي النضارة والنضوج وما يوحى به من بهاء (وافر)

كأن حُمُولهُمْ لمَّا استقلّوا
نخيلُ محلّم فيها ينُوعُ[٤٥]

ولشهرة هذه النخيل أشار إليها شعراء آخرون . يقول لبيد في وصفها : (كامل)

فكأن ظُعُنَ الحيِّ لما أشرفتْ

في الآلِ وارتفعتْ بهنَّ حُزومْ

نخْلٌ كوارعُ في خليجِ محلَّم

حملتْ فمنها مُوْقَرٌ مكمومْ[٤٦]

والصورة توحي بالضخامة والامتلاء . كما تشير إلى السبب وهو كثرة المياه ونافست قرية "ملْهَم" باليمامة قرية مُحلّم فأشار الشعراء إلى كثرة نخلها وجودة عطائها[٤٧] .اشتهر أيضاً نخيل ابن يامن. ولعله أحد أثرياء البحرين. ونوه امرؤ القيس بنتاجه وذكر العديد من صفاته وبشكل مسهب. فيقول في وصف ظعائن الحبيبة مشيراً إلى ضخامتها وترفها وجمالها وتعدّد ألوانها (طويل)

فشبّهْتُهُم في الآل لما تكمّشوا

حدائق دوْمٍ أو سفيناً مُقَيّرا

أو المُكْرعات من نخيل ابن يامِنٍ

دُوَيْن الصفا اللائي يلين المشقّرا

سوامق جبّار أثيثٍ فروعُهُ

وعالَيْن قنْواناً من البُسْر أحمرَا

حمتْهُ بنو الرَّبْداء مَنْ آلِ يامِنٍ

بأسيافهمْ حتى أُقِرّ وأوقِرا[٤٨]

ويوحي الشعر بحرص أصحابه على حراسته بنفاسته والضنّ به. وتبين بقية الأبيات الرعاية التي حظي بها ذلك النخل وتكليف عمال من الفرس بعملية صرمه. كما اعتنى الشاعر بتجسيد الناحية الجمالية فأشاد بحسنه وتألق ألوانه وزهوه الذي يأخذ بالألباب .

أمدّت النخلة الشعراء بالكثير من المضامين. فقد استقطبتهم فنظروا في صفاتها وما أحاط بها من تقاليد. فذكر المتلمس العادة التي جرت في غرس النخيل صفّاً واحداً. واستلهم منها صورة شبّه بها قومه في مجال الفخر بتكاتفهم وتراصّ صفوفهم فقال : (مجزوء الكامل)

وإذا فزعْتَ رأيْتَنا

حلقاً وعاديَةً ورَزْدَقْ

و"رزدق" لفظ معرب تعني السطر من النخيل[٤٩] . وقد تطول النخلة وتمتد فتسمّى "السحوق" . ويصور عمرو بن قميئة ظعون النساء لضخامتها وارتفاعها بهذا النوع من النخل فيقول : (متقارب)

تخالُ حمولَهُمُ في السَّرا

بِ لما تَواهَقْنَ سُحْقاً طِوالا[٥٠]

وقد أكد الشاعر بلفظة "طوالا" معنى الطول وزيادته. وذكروا من صفات بعض

النخيل كثرة العطاء وسميت "الخصاب" وقد استعار الأعشى هذه الصفة من عالم النخل وخلعها على ممدوحه ليدل على سخائه فقال : (متقارب)

هـو الواهبُ المائـةَ المصطفا

ةَ كالنخلِ طافَ بها المجترِمْ

وكلُّ كُمَيْتٍ كجـذع الخِصـا

بِ يَرْدي على سَلِطاتٍ لُثُمْ[٥١]

نظر الشعراء إلى أجزاء النخلة فاقتبسوا منها صوراً كثيرة ضارعوا بها موصوفاتهم . ونكتفي هنا بذكر بعضها فقد اتخذ المرقش الأصغر من "العسيب" وهو طرف السعفة صورة ماثل بها فرسه : (طويل)

غدوْنا بصافٍ كالعسيبِ مُجلّلٍ

طويناهُ حيناً فهو شِزْبٌ ملوّحُ[٥٢]

والصورة توحي بالضمور وسرعة الحركة . وذكروا العذق وهو العرجون بما فيه من شماريخ فشبه به الأعشى ذنب فرسه : (طويل)

كأن على إنسَائِها عِذْقُ خَصْبَةٍ

تدلّى من الكافور غيرُ مكمم[٥٣]

والصورة توحي بكثرة الشَّعر الذي غطى الذيل . كما اتخذ طرفة من الجذع صورة ضارع بها أعناق الخيول حين تشرئب : (رمل)

وأنـاقتْ بهَـوادٍ تُلُـع

كجُذُوعٍ شُذّبَتْ عنها القِشِر[٥٤]

ويجسد التشبيه طول الأعناق وملاستها .

برز إلى جانب النخلة شجرة شبيهة بها انتشرت في البحرين وهي شجرة الدوم فذكرها الشعراء واتخذوها صورة واصفة شبّهوا بها مراكب النساء[٥٥]، إلا أنها لم تكن في ذيوع النخلة .

وعلى أية حال فقد غذّت النخلة خيال الشعراء، فاتخذوها تعبيراً فنياً وأداة واصفة جسّدوا من خلالها معانيهم وشحنوها بالدلالات . فكان لها دور في إثراء الشعر شكلاً ومضموناً

## ب - الحياة البحرية

شكلت ظاهرة التقاء البر بالبحر في بيئة البحرين ثنائية صاغت حياة أبنائها .وإذا كان البر بصحاريه وأوديته هو الفضاء الذي شكل الحياة البدوية، فإن البحر بأمواجه وخيراته هو الفضاء الذي

صاغ الحياة الحضرية . فكان أداة اتصال بأمم راقية . ووسيلة استحضار لمقتنيات حضاريـــة . ومصــــدراً للانتعـــاش الاقتصادي

وإذا كانت النخلة قد غدت عنصراً أخصـب خيـال الشـعراء فإنـهم اتكـأوا بالمثل علـى البحـر واسـتثمروا عنـاصره ليخلعوها على موصوفاتهم متـأثرين بمـا شاهدوه في بيئتهم البحرية وقد أدت السـفن الـدور الـذي أدتـه الناقـة فـي الصحراء ويكشف الشعر الجاهلي عن وجود علاقة وثيقة بيـن جـزر البحريـن (أوال) والسـفن كمـا يكشـف عـن الشهرة التي تمتعت بها هذه الجزر في تلك الفترة

يقول تميم بن أبـي بـن مقبـل فـي تشبيه الظعائن بالسفن الراسية علـى ضفاف هذه الجزر (الكامل)

مال الحُداةُ بها لحانش قريةٍ

فكأنها سُـفُنٌ بسيف أوالِ[٥٦]

وربما دلت الصـورة علـى ضخامـة تلك السفن أو طولها وينم بيت لعمـرو بن قمينة عن صفة أخرى للسفن الراسية بسـيف أوال وهـي السـرعة يقـول . (خفيف)

هلْ ترى عِيْرَها تُجيزُ سِراعاً

كالعَدَوْليِّ رائحاً من أوالِ[٥٧]

وتبرز صورة السـفن ومشـاهد البحـر عند شعراء البحرين حتـى لا يكـاد يخلـو منها شعر شاعر . وهي قد ترد عنهم فـي صورتها العامة دون تحديد كقول المثقِّـب : (وافر)

وهن كذاك حين قطعن فَلْجاً

كأنَّ حُدُوجَهُـنَّ على سـفين

يشبهْن السـفينَ وهن بُـخْتٌ

عُراضاتُ الأباهِرِ والشُؤُونِ[٥٨]

ويـدل البيـت الثـاني علـى أن غرض الشاعر من تشبيه الجمـال بالسـفن بيان ضخامتها ويكشف شـعر البحريـن عن أنواع السفن التي استعملوها . ويحتل طرفة بن العبـد مكانـة هامـة بيـن شـعراء البحرين في هذا الصدد . يقول في ظعون صاحبته غداة الفراق . (طويل)

كأنَّ حُـــدوجَ المالكيـــةِ غُـــدْوَةً

خلايـــا ســـفينٍ بالنَّواصِفِ من دَدِ

عَدَوْلِيَّــةٌ أمْ من ســـفينِ ابن يـــامِنٍ

يجُورُ بها الملاَّحُ طوْراً ويهتدي[٥٩]

فهو يحـدد ثلاثـة ضـروب مـن السـفن : الخلايـا وهـي السفـن العظيمـة أو التـي

يكون معها زورق[٦٠] . **وسفن ابن يامن** ورجحنا أنه كان من أثرياء البحرين أو ملاحيها وأنه ربما كان يمتلك أسطولاً من السفن وألمحنا إلى ارتباط اسمه بالنخيل . أما النوع الثالث فهو **العدولية** . ويذكر ابن منظور أن "عَدَوْلى" قرية بالبحرين وأن من دلالات اللفظة القِدم والضخامة وتُظهر الأبيات طرفة ابناً أصيلاً لهذه المنطقة يعرف الكثير من أبعاد الحياة فيها . ويفسر بروز السفن "العدولية" في شعر المنطقة بشيوعها وكثرة استعمالها وربما ارتباط صناعتها بهذه المنطقة . ويشير "المثقب" إلى ضرب آخر من السفن العظيمة والتي يسميها "القرواء" ويضعها في نفس الإطار السابق وهو التمثيل لضخامة الناقة : (وافر)

كأن الكُورَ والأنْساعَ منها
على قَرْواءَ ماهِرةٍ دهينِ[٦١]

فالقرواء هي السفينة الطويلة، وينم وصفها بـ"ماهرة" بإحكام صنعتها . فالماهر كما يقول ابن منظور الحاذق بكل عمل[٦٢] . ويشير البيت إلى سمة أخرى في مجال السفن وهو دهنها لحمايتها من التآكل . وواضح هذا الارتباط الشديد في وجدان الشعراء بين الناقة "سفينة الصحراء" وتلك المراكب التي صنعوها لامتطاء لجَّة البحار بحيث لا تجد السفينة إلا في إطار تلك الملابسة بين كل منهما بالأخرى، وقد أدى ذلك إلى تكرار المعاني والصور .

وقد تولد عن شدة التصاق شعراء البحرين بالسفينة ومعرفتهم بأجزائها أن ظهر الكثير من أدواتها ومتعلقاتها في شعرهم، هذا مع اقتران واضح بين أدواتها ومتعلقات الناقة بحيث غدتا وجهين لصورة واحدة . وقد سمي المرقش الأكبر السوط مجدافاً مستعيراً أداة تسيير السفينة للناقة : (سريع)

تعْدُو إذا حُرِّكَ مِجْدافُها
عَدْوَ رباعٍ مُفرَدٍ كالزُّلَم[٦٣]

كما عمد الشعراء إلى ذكر بعض أجزاء السفينة واستخدموها صوراً واصفةً خلعوها على الموصوف ذاته وهو الإبل . يقول "طرفة" في تصوير قوة السفينة وقدرتها على امتطاء أمواج البحار خالعاً الصورة على ركب الأحبة المسافرين (طويل)

يشُقُّ حَبابَ الماء حيزُومُها بها
كما قسم التُّرْبَ المُفايلُ باليدِ[٦٤]

وينسج "المثقب" على نفس المنوال فيقول واصفاً قوة السفينة وحدة صدرها (جُؤجُؤها) وقدرته على اختراق لجج البحار الممتدة في صورة استعارها للناقة (وافر)

يشقُّ الماء جُؤجُؤها وتعلو
غوارب كلّ ذي حدبٍ بطين[٦٥]

ذكروا الملاح ووظيفته في الحرص على إقامة توازن السفينة وتعديل ميلها ولم يتجاوزوا إطار الإبل. فيقول المثقب في تشبيه نفسه وهو يقود ناقته بالصراري أي الملاح الحريص على أداء تلك المهمة (طويل)

كأني وأقتادي على حمْشة الشّوى
يجُورُ صراريٌ بها ويُقيمُها[٦٦]

وقد خرج "يزيد بن خذّاق" من إطار الناقة فحمل الملاحين معنى الخضوع والانقياد والاستسلام لدفع الضرائب انطلاقاً من مفاهيمه البدوية يقول (طويل)

ألا ابن المعلّى خِلتنا وحَسِبْتنا
صراريَّ نعطي الماكسين مُكُوسَا[٦٧]

واستطاع الأعشى التحرر من إطار الصحراء وضمّن البحر معنى خلقياً فشبه به عطاء الممدوح ليدل على كثرته واستمراريته. يقول مخاطباً أحد ممدوحيه : (متقارب)

أهَوْدَ وأنتَ امرؤٌ ماجدٌ
وبحرُكَ في الناس يعلو البحورا[٦٨]

تنعكس في شعر الأعشى أصداء ظاهرة من الظواهر البحرية الهامة ذات البعد الحضاري اشتهر بها الخليج منذ القدم وهي ظاهرة الغوص على اللؤلؤ . فقد تناول في إحدى قصائده أبعاد هذه العملية . فصور جمال صاحبته باللؤلؤة وإشراقها ووصف استعدادات الغوص وما يتعرض له الغواص من معاناة وأخطار. وما يساور نفسه من آلام وآمال كما ضمّنها جوانب أسطورية تتمثل في الاعتقاد بحراسة الجن للؤلؤ. . وصاغ الموضوع في سياق قصصي طريف فيه الكثير من الظلال الواقعية. وجعل مطلعها قوله : (بسيط)

كأنها دُرّةٌ زهراءُ أخرجها
غواص دارين يخشى دونها الغرقا[٦٩]

وقد برزت أصداء هذه العملية لدى شعراء آخرين[٧٠] .

أما اللؤلؤ فقد تجلى كعنصر حضاري في صورتين : فذكر كحلية تتزين بها المرأة[٧١] . كما ظهر كمادة واصفة في

سياقات عديدة . وعرض في حالة تحدّره من خيطه وانفراط سلكه حيث شبهت به الدموع[72] . كما ماثلوا به القطيع الفارّ في حالة تشتته[73] . أما بياضه ونقاء لونه فضارعوا به لون المرأة[74] .

## عناصر الحضارة المادية الخاصة بالإنسان ومتعلقاته

تتمثل في شعر البحرين صورة الإنسان المستقر الذي أخذ من أساليب الحضارة بنصيب وافر، فشاعت في حياته صنوف من معطياتها. وألوان من مظاهرها. وسمت حياته بنسق تزاوجت في إطاره عناصر الحضارة والبداوة . وتتعدد معطيات الرفاهية التي زخرت بها حياة البحرين وهي وإن لم تكن خاصة بها إلا أنها بارزة في شعرها ملتصقة بحياة أبنائها . ويمكن تلمسها من خلال العديد من المشاهد والصور ذات العلاقة بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن . وقد أتاح لهم وفرة المال حياة راغدة وعيشاً ناعماً واقتناء أدوات الحضارة والاستمتاع بملذات الحياة . ويصف "عمرو بن قميئة" ما ينعم به من صنوف المتع فيقول . (وافر)

ونَدْمانٍ كريمِ الجَدِّ سَمْحٍ
صَبَحتُ بسُحْرةٍ كأساً سبيًا
فقال لنا ألا هلْ من شِواءٍ
بتعْريضٍ ولم يُكْميهِ عَيًا

فأرسَلْتُ الغُلامَ ولمْ ألبّثْ
إلى خيرِ البَوائِكِ توْفَريًا
فظل بَنعمةٍ يُسْعَى عليهِ
وراحَ بها كريماً أجفَلِيًّا[75]

ويتمثل ترف الشاعر في مجلس الشراب والرفاق الكرام والخمرة المجلوبة من بلد بعيد والشواء الطازج من لحم ناقة سمينة حسنة أما "طرفة" فقد حدد ثلاث متع شدُته وجعلت لحياته معنى وهي الخمرة والمرأة والفروسية كما يشير إلى مجالس الغناء واللهو[76] .

ويأخذ الاتجاه اللاهي بعداً بارزاً في شعر الأعشى. فقد انغمس في صنوف اللذات من خمر معتق ومجالس غناء ولهو بالمرأة وعب منها حتى الثمالة[77] .

أخذت المرأة نصيبها من الترف والنعيم خاصة ما ناسبها . ووصف المرقش الأكبر حياة صاحبته وما تتقلب فيه من وجوه النعمة والرفاهية فقال : (وافر)

حواليْـــها مهـاً جُمُّ التَّراقِي

وأرامٌ وغِــــزْلانٌ رُقُــــودُ

نواعـمُ لا تُعـالجُ بُؤْس عيْش

أوانِسُ لا تُـراحُ ولا تَــرُودُ

يرُحْن معاً بِطـاءِ المشْي بُـدّاً

عليهنَّ المجاسدُ والبُــرودُ[77]

ويتمثل الترف في اكتناز الأجسام وامتلائها وفي ملاحة الوجوه التي كنّى عنها بالحيوانات ذات البعد الجمـالي، كما تجسد في رقة العيش والبعد عمّا يشقّ عليها ويرهقـها وفيما تلبسه من لباس

## أدوات الزينة :

يشيع في شعر المنطقة ذكر العديد مـن المعطيـات الحضاريـة شيوعـــاً واضحـاً. وتـبرز كوسيلة مـن وسـائل الرفاهية. وهي تتنـوع وتأخــذ أشـكالاً متعددة فمنها .

## اللباس :

تجـاوز وظيفتـه كمتطلــب يسـتر الجسم ويحميه من الحـر والـبرد وأخـذ بعداً جماليـاً تلوح فيـه معـاني الحضـارة والترف. ويمكن رصد ضـروب شـتى مـن الملابـس تتنــوع مــن حيـث الألـــوان والأشكال والمادة المصنوعـة منـها كما تتعدد المصـادر التي تنتجها . وهي تبرز كموصوف مقصود لذاته .

تبرز كذلك كمصدر واصف يصور من خلاله الشـعراء العديد من موصوفاتـهم . وتتجلى مظاهر الرفاهيـة والنعمـــة فــي الملبس في صـور شـتى. فقد تظـهر فـي عدد الثيـاب الملبوسـة. حيث يبـدو أن عليـة القـوم رجـالاً ونسـاءً اعتـادوا لبـس ثوبين أو أكثر يتحسر "عمرو بن قميئة" على شبابه ويتذكر تباهيـه وزهـوه بثيابـه آنذاك فيقول : (منسرح)

وأسحب الريْـطَ والبُرُودَ إلى

أدنَى تِجاري وأنفُضُ اللِّمَمَا[79]

ويعرِّف صاحب اللسان الريطة بأنها ملاءة غير ذات لفقين كلها نسـج. وقيـل هي كل ثوب رقيق . والـبرود هـي ثيـاب مخططة. وكثيراً ما كان يربط الشعراء بين هذين الضربين من الملابس[80] .

وقرنوا أيضاً بيـن الـبرود والمجاسـد وهي ثياب مصبوغـة بـالزعفران أو الـذي

يلي الجسد . ويصف "طرفة" لباس مغنية حضر مجلس غنائها فيقول : (طويل)

نَداماي بِيْضٌ كالنجوم وقَيْنَةٌ

تروحُ علينا بين بُرْدٍ ومَجْسَدِ[٨١]

ويبدو مما قاله الشعراء أن البرود لباس أساسي يلبس فوقه ثوب آخر . وقد اعتنى الأعشى بذكر ما تلبسه المرأة المترفة ليدلّ على مكانتها : (خفيف)

خاشعاتٍ يُظهرن أكسية الخـ

ـــزِّ ويُبْطِنَّ دونها بشُفوفِ

وحَثَثْنَ الجِمالَ يسْهَكْنَ بالبَـا

غِز والأرجُوانِ خَمْـلَ القطيفِ[٨٢]

فملابسهن الخارجية من الحرير وتحتها ثياب من الشفوف وهو ضرب من القماش رقيق ويحيط بهن ستور من الخز. والثياب الحمراء. وأخرى ذات وبر وهي من القطيفة . وقد يتكون اللباس من ثوب واحد وتكون له خصائص معينة كقول الأعشى يصف ما ترتديه مغنية : (بسيط)

ومُسْتجيبٍ تَخالُ الصَّنْجَ يُسْمِعُهُ

إذا تُرجِّعُ فيهِ القَيْنَةُ الفُضُـــلُ[٨٣]

فلبس الفضل أو الفضلة يوحي بالابتذال، وربما دل على مخالفة المرأة بين طرفي الثوب على عاتقها حين تتوشح به[٨٤] .

يظهر ترف الملابس أيضاً من خلال المادة المصنوع منها . ويمكن رصد العديد من الأصناف الفاخرة التي كانت شائعة في أسواق البحرين ومنها ما نسج من الديباج وقد أشار إليها "المثقب العبدي" في تغزّله بنساء القبيلة : (وافر)

أرِيْنَ مَحاسِـناً وكَنَنَّ أخـرى

من الديباج والبَشَرِ المصـون[٨٥]

والديباج ثياب متخذة من الابريسم وهو أحسن الحرير وتكثر إشارات "الأعشى" إلى ملابس الخزّ فيقول في وصف ما تتمتع به النساء من ترف ونعيم . (بسيط)

والسـاحباتُ ذيـول الخـزِّ آونَـةً

والرافِلاتُ على أعْجازِها العِجَـلُ[٨٦]

ويمثل طول الثياب وفضولها مظهراً من مظاهر النعمة . ويشير "يزيد بن خذّاق" إلى الملابس المسماة بالسندس وهي الخضراء المنسوجة من الديباج فيتخيل أن ناقته قد ارتدتها : (طويل)

وداويتُها حتّى شَتتْ حبشيةً
كأن عليها سُندساً وسَدُوسَا[٨٧]

وقد جسدت الصورة إعجاب الشاعر بها وما تحظى به من عناية وتدليل ويشير "الأعشى" إلى "الرازقي" الذي يتجلى جماله في أنه ثوب أبيض من الكتان مخطط في موضع العضض. واتخذه صورة واصفة شبّه بها الصحراء حين غطاها السراب: (طويل)

وبيْداء تيْهٍ يلعبُ الآلُ فوقها
إذا ما جرى كالرّازقيِّ المعضَّدِ[٨٨]

كما برزت نفاسة الملابس من خلال المصدر الصانع لها ويشير المورخون إلى شهرة اليمن البعيدة في هذا المجال. وجودة صناعتها[٨٩] . ومما نسب لليمن من ملابس "الريدة" و"السحول" وهما قريتان لهما صيت في صناعة الثياب. يشبه "طرفة" أطلال الحبيبة وما تبقى من آثارها بالرسوم التي تزخرف تلك الثياب (طويل)

وبالسفح آياتٌ كأن رسومها
يمانٍ وشَتّهُ رَيْدةٌ وسَحُولُ[٩٠]

ويشير المرقش الأكبر إلى الملابس الميسنانية وهي المنسوبة إلى "ميسان" كورة بالعراق. ويبدو أنها طويلة فاخرة فيقول واصفاً تبختر صاحبته : (طويل)

وأقبلتْ كالمُجتاز أدّى رسالةً
وقامتْ تجرُّ الميسانيَّ والبُرْدا[٩١]

وذكر الأعشى برود السدير وهي ثياب مخططة تنسب للسدير أرض باليمن واختارها لتكون صورة واصفة للصحراء الجرداء التي تتموج فيها الرمال . يقول : (متقارب)

وبيْداءَ قفْرٍ كبُرْدِ السَديرْ
مشاربُها داثِراتٌ أُجُنْ[٩٢]

وأشار "ابن قميئة" إلى الثياب "الرهاويات" المنسوبة إلى الرها. بين الموصل والشام .

ويذكر صاحب اللسان أن الرهو ثوب أو خمار يتميز بالرقة[٩٣] .

ليس من شأننا استقصاء صنوف الألبسة عند شعراء البحرين فهذا أمر يطول شرحه، وحسبنا أن نشير إلى أسمائها التي ذكروها فهناك "النصع". وهو ثوب شديد البياض[٩٤]. و"الخميصة" وهي كساء أسود مربع مخطط بخطين[٩٥]. والبرجد وهو ثوب مخطط[٩٦].

## الحـلي :

مظهر آخر من مظاهر الزينة والرفاهية تتعدد صنوفها، وأكثرها يتعلق بالمرأة. يعدد "المرقش الأصغر" ما تتحلى به نساء القبيلة فيقول :

تحَلَّيْنَ ياقوتاً وشذْراً وصيغةً
وجَزْعاً ظَفاريًاً ودراً توائِمــا(٩٧)

ويدل تعديد الشاعر لخمسة أصناف من الحلي على ترف النسوة وشدة بذخهن على أن أبرز أنواع الحلي عند شعراء المنطقة هو اللؤلؤ بلا منازع يصف "طرفة" ما تتحلى به صاحبته من عقود فيقول : (طويل)

وفي الحيِّ أحْوَى ينفُضُ المَرْدَ شادِنٌ
مُظاهِرُ سِمْطَيْ لؤلُـؤ وزبرجدِ(٩٨)

كما تزينت المرأة بعقود من الذهب وبأقراط وأساور(٩٩) .

## تزيين الهوادج :

عني شعراء شرق الجزيرة العربية - كما هو الشأن عند العرب الآخرين - بتزيين هوادج النساء من الخارج حباً في إظهار الرفاهية ودلالة على النعمة والمكانة . يصف "المرقش الأكبر" الحدوج وزينتها فيقول : (طويل)

تَبْزلن عن دَوْمٍ تَهفُّ مُتونُــهُ
مُزَيَّنةٌ أكنافُها بالزخــارفِ(١٠٠)

وتجسد الصورة ضخامة الهودج وشدة بريقه وما أحيط به من ألوان ورسوم . ويحدد "المثقب" ما يحف الهوادج من ستور وأقمشة فيقول : (رمل)

قد عَلَتْ من فوقِهـا أنماطُهـا
وعلى الأحْداج رقْمٌ كالشَّـقِرْ(١٠١)

فهي مغطاة بالأنماط وهي الثياب الملونة الخاصة بالهوادج ومحاطة بالرقوم وهي خزٌّ موشًى أو ضرب مخطط مزخرف أحمر يشبه لونه حمرة الدم، كما ذكروا في هذا الإطار العبقرية والنجود(١٠٢) .

وكشفوا في أشعارهم عن أنواع من المراكب فأشاروا إلى الرجائز ويقال أنه مركب دون الهودج أو ما زُين به الهودج(١٠٣)، كما ذكروا "المفائم" وهي المراكب الواقية الواسعة(١٠٤) . وفرشوا داخل الهوادج بالطنافس والوسائل(١٠٥) بغرض الراحة وإظهاراً للبذخ والنعمة

## أنواع الطيب :

يعد الطيب مؤشراً حضارياً شاع استعماله في حياة العرب رجالاً ونساءً. وأشار إليه شعراء البحرين كعنصر دال على الترف والنعيم. وذكروه كمادة تطيّب بها الملابس والبيوت . يقول "طرفة" في الفخر بقومه (رمل)

ثم راحوا عبقُ المسْكِ بهمْ
يُلحفون الأرض هُدّاب الأُزُر(١٠٦)

ويتمثل بذخهم في تلك الرائحة الطيبة التي تفوح منهم وفي الملابس الطويلة التي يسحبون ذيولها. واستعمل الطيب لتطييب المساكن ومما أثار أسى "الأعشى" مهاجمة البيوت التي تعبق بالمسك وفوح أرجها عند الهجوم (مجزوء الكامل)

باد العتادُ وفاحَ ريـ
ـحُ المسْك إذ هُجمتْ قِبابُـه(١٠٧)

ويدل انتشار الرائحة على كثرة ما يقتني أصحاب ذلك المنزل من طيوب .

وارتبطت به المرأة فكان مما توصف به . فيقول "الأعشى" : (بسيط)

إذا تقومُ يضوعُ المسكُ أصْورَةً
والزنبقُ الوردُ من أردانها شَمِلُ

ويبالغ الشاعر في وصف عبقها فيجعل عبيرها يفوق في فوحه عطر الروضة المعشبة(١٠٨) ويشير "الأعشى" إلى بعض الممارسات في استعمال العطور فيشير إلى تطييب المرأة شعرها به. ويذكر عادة طلاء الجسم بالمسك والزعفران(١٠٩) كما عرض الشعراء لأدوات البخور وأوقات استعماله(١١٠).

وقد وردت العطور في الشعر كصورة واصفة استعارها الشعراء لبعض معانيهم للدلالة على الرائحة الزكية يقول "طرفة" في تشبيه عبق ثغر صاحبته برائحة المسك : (رمل)

وإذا تضحكُ تبدي حَبَبَاً
كرضابِ المسْكِ بالماءِ الخَصِر(١١١)

واستعار "الأعشى" عبق العطور وجعله صورة واصفة للخمرة : (طويل)

لها أرجٌ في البيت عالٍ كأنما
ألمَّ به من تجر دارينَ أركُبُ(١١٢)

ويشير البيت إلى شهرة دارين بالعطور وإلى جودته ونفاذ رائحته . ومما يلاحظ أن الشعراء يذكرون المسك للإشارة إلى العطور والبخور .

## المنشآت العمرانية :

تمثل المنشآت العمرانية مظهراً من مظاهر الرقي واكب ما وجد في المنطقة من مؤشرات التحضر وهو عنصر أوجدته حياة الاستقرار . وتبرز العديد من المنشآت وهي تبدو عامة دون تحديد حيناً، وتحدد بذكر أسمائها وأنواعها حيناً آخر .

ومن أبنية البحرين التي نالت شهرة وكان لها صداها في الشعر حصن المشقَّر. ويقال إنه قصر بناه أحد ملوك كندة(١١٣) . وأشار "طرفة" إلى قوته وصلابته في مجال إظهار عجز الإنسان عن رد المنايا : (كامل)

ولئن بنيتُ إلى المشقَّر في
هَضْبٍ تُقَصِّر دونهُ العُصْمُ
لتنقبنْ عنّي المنيةُ إنّ
الله ليسَ لحكمه حكمُ(١١٤)

فقوة هذا البناء لا تحول دون المنية . وذكر "طرفة" هذا الحصن عدة مرات. وقرنه حيناً بالصفا، وهو حصن آخر من حصون البحرين وهما يقعان في هجر، وكذلك ذُكرا مقرونين عند امرئ القيس(١١٥) .

أشار المتلمس إلى حصن "الجون" ويقال إنه من بناء طسم وجديس ويقع في اليمامة بالقرب من البحرين. وضرب به المثل في القوة والمنعة ورد الأعداء . (طويل)

أَلَمْ ترَ أنَّ الجَوْنَ أصبح راسياً
تُطيفُ به الأيامُ ما يتأيَّسُ
عصى تُبَّعاً أيامَ أهلكتِ القُرَى
يُطانُ على صُمِّ الصَّفيح ويُكلسُ

والبيت يتضمن إشارات تاريخية كما يحدد المواد التي بني بها، ثم استعملت لصيانته(١١٦) . وذكر "أبو داود الإيادي" قصور سماهيج. وهي مما يقع في جزيرة أوال فشبه الإبل بها في ضخامتها في قوله : (خفيف)

وإذا أعرضتْ تقولُ قُصُورٌ
من سَماهيجَ فوقها آطامُ(١١٧)

وينم تشبيهها بالقصور التي تعلوها الآطام وهي من المشاهد غير المألوفة عن

رغبة الشاعر في إبراز ضخامتها وشدة ارتفاعها

يرد ذكر الأبنية بدلالات لغوية عديدة ودون تخصيص ومنها "الفدن" وهو القصر المشيد واستعمله "المثقب" صفة شبه بها ناقته فقال (سريع)

يُنبي تجاليدي وأقتادها
ناو كرأس الفدن المُؤيد[118]

وذكر "طرفة" قنطرة الرومي وهي بناء محكم. ونسبه للروم لمهارتهم في البناء وشدة إحكامهم فيه يقول في وصف ناقته (طويل)

كقنطرةِ الرُّوميّ أقسمَ ربُّها
لتكتنفنْ حتَّى تُشَادَ بقَرمَدِ[119]

كما استعار بابي القصر المصقول الجدران ليشبه به فخذيها[120] . وقد أشار "الأعشى" إلى الكثير من الأبنية والقصور. وذكر المواد المستخدمة في إنشائها[121]

هكذا تجاوبت أصداء الحضارة في الشعر ة تآلفت مع الواقع فأبرزته ورددت ما يعج به من مظاهر التحضر وأدواته ولا غرو فالشعر هو المرآة التي تعكس الحياة بمختلف أبعادها وزواياها .

## الرقي العقلي [ الحضارة المعنوية ]

أغنت الظروف التي عاشتها المنطقة تجارب الشعراء وصقلت عقولهم ووجدانهم فالمعاناة التي تعرضوا لها بسبب استبداد المناذرة وسياسة القمع أكسبتهم عمقاً في النظر وبعدا في الرؤى كما أن احتكاكهم بثقافات مختلفة رفدت تجاربهم وأثرتها. وكان لعامل الاستقرار أثره في تأصيل دور الخطاب الشعري ووضع دعائم للتوجه العقلي الذي اتسم بنزعة إنسانية لامس فيه الشعراء العديد من قضايا الحياة ذات النزعة الفلسفية في صورتها الساذجة. ويمكن تلمس ذلك في العديد من الطروحات الفكرية نذكر منها

**الميل إلى تفصيل المعاني واستقصائها وهو يأتي على صورتين :**

أ تتبع جزئيات الموضوع بشكل متجاور وفي إطاره تتدافع المعاني نتيجة التداعي النفسي أو التأمل دون الاعتماد على التسلسل المنطقي المحكم. كما هو

الشأن في وصف الناقة في معلّقة "طرفة" . فالشاعر يوغل في وصف أعضاء جسم الناقة بشكل شمولي ولهذا لا تختل الأبيات لو قدمنا بعضها على بعض[١٢٢] وقد أدى التفصيل دور التحليل. وشكّل مرحلة سابقة هيأت الطريق . كما أن موضوع الخمرة من الموضوعات التي تناولها شعراء المنطقة واستقصوا معانيها . ويعدُّ "الأعشى" من الشعراء المبرزين في هذا الميدان فقد أحاط بكل أبعاد هذا الغرض فتحدث عن رحلته في طلبها ووصف لونها ورائحتها وأثرها ومجلسها وأوقات شربها. كما تحدث عن الخمّار والساقي والآنية. ونقل ما دار بينه وبين تجارها من محاورات، ولم ينس ذكر النديم والبلد الذي تنتسب إليه وهو يقرن في هذا الصدد بأبي نواس شاعر الخمرة الشهير في العصر العباسي[١٢٣] .

ب - تفصيل المعاني بشكل متسلسل ونلحظ جذوره في الشعر التاريخي الذي تجاوز مجرد الإشارة العابرة إلى صياغة بعض أحداث التاريخ العربي التي صاغها صياغة فنية يظهر فيها عنصر السرد والحوار ولو بشكل محدود . وتشير الدراسات إلى شعراء المنطقة من أصحاب الحس التاريخي فيذكرون عدي بن زيد الذي تناول قصة الزباء واعتنى بالإخراج الفني و"المسيب بن علس" الذي عرض لقصة سامة واستغل روعة الحوار ودقة السرد الواقعي . كما أشاروا إلى النزعة التاريخية في شعر "الأعشى"[١٢٤] وهي تنتشر بشكل واضح . وبتتبعنا لها نجد عنده لونين من الشعر المتسلسل. لوناً يصطبغ بصبغة تاريخية خالصة صاغ فيها أحداثاً كقصة السموءل، وذكر فيها الحادث في ستة عشر بيتاً ضمن قصيدة مدح واعتمد فيه منحى فنياً حيث أورده في سياق قصصي طريف. بناه على أساس تسلسل الحدث التاريخي وضمنه العديد من المقومات الفنية وإن كانت بصورة عفوية . وقد شكل عنصرا السرد والحوار فيه ركائز عرض من خلالها الأحداث ومن المقاطع التي انتلف فيها السرد والحوار وتعاضدا على تصوير دواخل النفس في الشخصيتين الرئيسيتين. شخصية السموءل وشخصية الحارث قوله . (بسيط)

إذ سَامَهُ خطتيْ خسفٍ فقال له
مهما تقلْه فإني سامعٌ حار

فقال ثُكلٌ وغدرٌ أنت بينهما

فاخترْ وما فيهما حظٌ لمختار

فشكَّ غيرَ قليلٍ ثم قال له

إذبحْ هديَك إني مانعٌ جاري

إن له خلفاً إن كنت قاتله

وإن قتلت كريماً غير غوّار[١٢٥]

وقد اتسم العرض بالنبض والحيوية نتيجة التمازج بين الأسلوب الخبري والإنشائي وبرصدنا لهذا اللون من شعر الأعشى نراه قد نما وتدرج وأفضى إلى لون فني يحمل الكثير من ملامح الشعر القصصي المبني على الواقع الممزوج بالخيال وتطالعنا قصيدة طريفة قيلت في المديح وتضمنت مغامرة عاطفية جعل الشاعر نفسه وحصانه بطلين فيها وقص خلالها مغامرة عاطفية. هيألها بمقدمة. وحدد زمانه ومكانها. واختار لها وزنا شعرياً قصيراً مطرباً هو مجزوء الكامل يقول:

ولقد طرقتُ الحيَّ بعـ

ـد النومِ تنبحني كلابُهْ

بمشذّبٍ كالجذعِ صا

لَ على ترائبه خضابُهْ

واعتمد على الوصف الدقيق للمواقف وعلى عنصر المفاجأة في نمو الأحداث فقال:

ولقد أطفْتُ بحاضر

حتى إذا عسلتْ ذئابُهْ

وصغا قُميْرٌ كان يمـ

ـنعُ بعضَ بغْيَةِ ارْتقابُهْ

أقبلتُ أمشي مِشْيةَ الـ

ـحشْيانِ مُزْوَرّاً جنابُهْ

وإذا غزالٌ أحْوَرُ الـ

ـعيْنين يُعجبُني لِعابُهْ

حسنٌ مُقلّدَ حَلْيِهِ

والنحرُ طيّبةٌ مَلابُهْ

غرّاءَ تُبْهجُ زَوْلهُ

والكفُّ زَيّنَها خِضابُهْ[١٢٦]

وقد أضفى الوصف الدقيق حيوية وتدفقاً عوض عن غياب الحوار. وانتهى الموقف بإعلان الشاعر أن المغامرة التي ساقها هي ضرب من الخيال. ولو أن تلك المرأة حقيقة في حياته لخاض إليها الغمرات وتحمل الأهوال. ولهذه الأطروحة القصصية أشباه في ديوانه[١٢٧].

وعلى أية حال فقد شكل تفصيل المعاني بصورتيه التجاورية والتسلسلية رقياً عقلياً ومنطلقاً نما من خلاله الشعر وتطور. وآتى ثماره في تلك الوحدة الموضوعية التي تميزت بها بعض القصائد الجاهلية .

## التأمل في الحياة :

في فضاء الشعر البحريني نما حس إنساني يهتدي بالعقل ويسترشد بالتفكير والتأمل، ويعتمد على الملاحظة الدقيقة والتجربة الصادقة لتقرير حقائق هذا الكون . كما زخر هذا الشعر بنبض إنساني يحتفي فيه الشاعر بالعواطف والقيم الخلقية . ولا يمكن أن تتبلور هذه المفاهيم السامية إلا في بيئة راقية بلغت قدراً غير قليل من الوعي الفكري والنضج العاطفي .

وقد كان لشعراء البحرين نظرات ثاقبة اخترقوا بها كثيراً من حجب الحياة. وسبقوا فيها غيرهم مكونين لأنفسهم رصيداً معرفياً لا يخلو من فلسفة رغم ما فيه من تلقائية . مهيئين تلك المعاني ليتوسع فيها من جاء بعدهم من الشعراء ويضيفوا إليها .

ومن المعاني التي تأملوها وسجلوا رؤاهم حولها، قصر الحياة وسرعة انطفاء بريقها، يقول عمرو بن قميئة : (وافر)

وما عيْشُ الفتى في الناس إلاَّ
كما أشعلْتَ في رِيْحٍ شِهابَا
فيسطعُ تارةً حَسَناً سَنَاهُ
ذكِيُّ اللون ثم يصيرُ هابَا[١٢٨]

فسرعة إيقاع الحياة وسرعة تقضّيها يضارع النار المشتعلة في وسط تكتنفه الرياح، لا يلبث أن يخبو أوارها، ونظراً لامتداد العمر بهذا الشاعر وإدراكه سن التسعين وتقلبه في أحوال شتّى صاغ انطباعاته عن الحياة متأسياً متحسراً على أيام الصحة والشباب ومن قضى من أهله، يقول : (متقارب)

كَبِرْتُ وفارقني الأقربون
وأيقَنَتِ النفسُ أنْ لا خُلُودا
وبَانَ الأحبةُ حتى فنوا
ولم يتركِ الدهرُ منهم عميداً
فيا دَهْرُ قدْكَ فأسْجِحْ بنا
فلسنا بصخْرٍ ولسْنا حديدا[١٢٩]

فخطاب الشاعر للدهر يجسد الإحساس باللوعة والأسى بسبب محن الحياة ورزاياها، ونتيجة لما عاناه من عجز الكبر وضعفه بكى الشباب وتأسّف

على زواله وما كان ينعم بـه مـن صحـة وقوة (منسرح)

يا لهف نفسي على الشباب ولمْ
أفْقـد به إذ فقدتُـه أمَمـا[١٣٠]

قد كنتُ في ميعـة أُسـرُّ بهـا
أمنـعُ ضيْمي وأهبـطُ العُصْمـا

وبهذا القـول وضـع "ابـن قميئـة" ركائز موضوع كبير تناوله الشعراء فيما بعد متوسعين فـي معانيـه والأسلوب الإنشائي يجسد التدفق الشعوري والألم الذي رخرت به نفس الشاعر ونتيجة لعمق إحساسه بالموقف عبر عما يحس بـه المسن (المعمر) من عدم جـدوى الحيـاة الطويلة التي ينشدها النـاس فخاطبهم في نفس الأبيات

لا نغبط المرء أن يُقال لهُ
أمسى فلانٌ لعُمره حكمَا

وقد برز الشيب موضوعاً أصيلاً في شعر البحرين تناوله الكثير من الشـعراء وقـد رد "المثقب" على امرأتـه حيـن سـخرت مـن شـيبه[١٣١] . وعلـل أن الشباب إن هو إلا ثوب معار سرعان ما يخلـع أمـا "المرقـش" فقـد هـزأ بالخضاب لعجزه عن رد الشـباب ولمـا يحمله من زيف[١٣٢]

تأمل الشعراء الدهر وأدركوا ماله من سطوة وبطـش وقـدرة علـى قـهر الإنسـان والعبث به بالانتقال به من حال إلى حال فقال "ابن قميئة" : (خفيف)

فزعتْ "تُكْتُـمٌ" وقالت عجيبـاً
أن رأتني تَغَيُّـر اليـومَ حالـي

يا ابنة الخيْر ! إنما نحن رهْنٌ
لِصُـروفِ الأيـام بعد الليـالي

جلَّح الدهـرُ وانتحَى لي وقُدْمـاً
كان يُنحي القُوَى على أمثالي[١٣٣]

ويكشف البيت الثاني عـن أسـلوب الشـاعر فـي تعزيـة النفس وخلـق تـوازن يرفدها ويرفع من معنوياتها حتى لا تنهار أمام ضربات القدر الموجعة. أما المرقـش الأصغر فأبرز مظهراً آخر من مظاهر سطوة الدهر بحرمان المثري من أمواله. وإنـزال العزيز من عليائه. وإشقاء صاحب النعم. وبيّن عجز أولئك عن جبروت الدهر[١٣٤]

كان طبيعياً أن تؤرقهم فكرة المـوت وتدفعـهم للتـأمل والنظـر . وشـكل هـذا الموضـوع قضيـة حيويـة وهاجسـاً بـالغ الحساسـية وقفوا منـه موقـف المتسـائل الطـامح إلـى سبر حقيقتـه رغـم التسـليم بعجز الإنسان والإيمان بأن الموت نهايـة الحياة يقول يزيد بن خذّاق : (بسيط)

هل للفتى من بناتِ الدهر من واق
أم هل له من حِمامِ الموتِ مِنْ راق

والاستفهام المكرر مرتين يؤكد إيمان الشاعر بحتمية الموت. وأن لا مفر للإنسان منه . وقد استغرق الشاعر في تصور نفسه ميتاً فوصف الطقوس الجنائزية في دفنه، وعمد إلى خطاب النفس في محاولة منه للتماسك والحد من انهيار الذات :

هوِّن عليك ولا تَوْلعْ بإشفاق
فإنما مالُنا للواحدِ الباقي[١٣٥]

ويذكر الرواة أن هذه الأبيات هي أول ما قيل في ذم الدنيا . وإذا صح ذلك فإن الشاعر وضع دعائم موضوع شعري استثمره الشعراء بعده مفتقين جوانبه .

ويبدو "طرفة بن العبد" - رغم قصر حياته - شاعراً أصيلاً . وتدل تأملاته في الموت على بصيرة نافذة ورؤية دقيقة شفافة[١٣٦]

عمد الشعراء إزاء حادث الموت والشعور بالعجز واليأس أمامه إلى إيجاد معادل موضعي يخففون من خلاله من الإحساس بالخيبة والإحباط ويلتمسون للنفس ما يسليها ويعزيها.

فذكروا أن المنية قدر محتوم يشمل كلَّ المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات، فليس الإنسان أو الشاعر هو المخصوص بالفجيعة، ويعبر عمرو بن قميئة عن شمولية الموت وإحاطته بكل الموجودات فيقول : (خفيف)

أقْصَدَتني سهامه إذ رأتني
وتولتْ عنه سُلَيْمَى نِبالي
لا عجيبٌ فيما رأيتِ ولكنْ
عجبٌ من تفرُّطِ الآجالِ
تُدركُ التمسحَ المولَعَ في اللُّجـ
ـةِ والعُصْمَ في رؤُوس الجبالِ
والفريدَ المُسَفَّعَ الوجْهِ ذا الجُدَّ
ةِ يختارُ آمناتِ الرمالِ
وتصَدى لِتصْرَعَ البطلَ الأرْ
وَعَ بين العلْهاء والسِّربالِ[١٣٧]

ويعمد هذا الشاعر المبدع إلى إيجاد معادل آخر يستمد منه شحنات نفسية تعزيه وتمده بالقوة والتماسك، فيلتمس العبرة من الأمم السابقة واضعاً بذلك ركائز الشعر التاريخي . (كامل)

قد كان من غسّانَ قبلك أمـ
ـلاكٌ ومن نصْر ذوُو نِعَم
فتتوَّجوا مُلكاً لهم هِمَمٌ
ففنُوا فناء أوائل الأمم

لا تحسبنَّ الدهرَ مُخَلِّدكُمْ
أو دائماً لكمْ ولمْ يدُمْ[١٣٨]

وتعج الأبيات بالقضايا الإنسانية التي تؤرق البشر كقضية الموت الذي ينتهي بالإنسان إلى الفناء والعدم، وقضية الخلود التي تمثل مطمحاً إنسانياً يدفع البشر إلى التماسه والبحث عنه بشتى الوسائل

نتج عن ميل الشعر إلى تأمل الحياة وسبر أغوارها أن انبعثت الحكمة على ألسنتهم أصيلة عميقة متدفقة وتفطّن الدارسون المحدثون إلى دور البحرين في هذا المجال . وهم يرون أن هذا الموضوع احتل حيزاً بارزاً من شعرهم ووجد على نطاق واسع . فلم يبلغ من القوة في مناطق الجزيرة العربية ما بلغه في شرقها[١٣٩] .

وتمتد الحكمة في أشعار البحرين حتى تكوّن سلاسل متوالية كما هو الحال في بعض قصائد "طرفة" و"المتلمس" و"يزيد بن خذاق" و"الأعشى" . كما تتعدد محاورها وتتنوع معانيها لتشمل الكثير من قضايا الإنسان . يقول المتلمس حاثّاً على الاعتدال في الإنفاق . (وافر)

وأعلمُ علمَ حقٍ غيرَ ظنٍ
وتقوى اللهِ من خيرِ العتادِ
لحِفْظُ المالِ أيسرُ مِنْ بُغاهُ
وسيرٌ في البلادِ بغيرِ زادِ
وإصلاحُ القليلِ يزيدُ فيْهِ
ولا يبقى الكثيرُ مع الفسادِ[١٤٠]

واستطاع الشاعر استخلاص مبدأ عام من خلال موقف خاص. منتقلاً بالقضية من مجالها الضيق إلى آفاق إنسانية أرحب وفي ذلك ما فيه من رقي فكري .

ويجنح المرقش الأصغر إلى بسط مجموعة من الحكم في إطار قصيدة غزلية كيّفها لتتناسب مع الموضوع فقال : (طويل)

فمن يلقَ خيراً يحمدُ الناسُ أمرَهُ
ومن يغْوِ لا يعدَمْ على الغيِّ لائمَا
ألم ترَ أن المرءَ يجْذِمُ كفَّهُ
ويجشَمُ من لومِ الصديقِ المَجاشِما[١٤١]
أمِن حلمٍ أصبحْتَ تنْكُتُ واجماً
وقد تعْتَري الأحلامُ من كان نائمَا

ويمثل قول الشاعر "ألم تر" المصدر الذي يعتمد عليه في استقاء حكمته وهي وقائع الحياة عامة، وتجاربه الخاصة مع

بصر نافذ يخترق الحجب . والحكمة كثيرة عند شعراء البحرين وليس من شأننا تتبعها ولكننا أردنا الإشارة فقط إلى بعض مواضعها[١٤٢] .

لقد تحولت الحكمة إلى خطاب وعظي وتوجهات خلقية كمقطوعة "طرفة" التي استغرقت عشرة أبيات ساق خلالها العديد من المواعظ كقوله · (متقارب)

وإنْ بابُ أمرٍ عليكَ الْتوَى
فشاورْ لبيباً ولا تَعصِهِ
وذو الحقِّ لا تنتقصْ حقَّهُ
فإنَّ القطيعةَ في نقْصِهِ[١٤٣]

## المنهج الأخلاقي:

أدت تجارب الشعراء وتأملاتهم في الحياة إلى محاولة بناء علاقات إنسانية متينة تمكن الفرد من الانتصار على إحباطاته، وما يتعرض له من سلبيات . فيخاطب "المثقب" صاحبه أو ملك الحيرة حاثاً إياه على جعل الصدق والصراحة ونبذ الزيف أساساً في بناء العلاقة القائمة بينهما : (وافر)

فإما أن تكون أخي بحقٍّ
فأعرف منك غثِّي من سميني[١٤٤]
وإلا فاطَّرِحْني واتخِذني
عدواً أتقيك وتتقيني

والقصيدة تفيض بالقيم والسجايا الحميدة التي تمثل دستوراً أخلاقياً مقتبساً من منظومة الأخلاق العربية . ومما أوضح رؤية الشاعر وفلسفته العفوية لمفهومي الخير والشر قوله :

وما أدري إذا يمَّمتُ وجهاً
أريدُ الخيرَ أيُّهُما يليني
أألخَيْرِ الذي أنا أبتغيهِ
أم الشرِّ الذي هوَ يبتغيني

وتسيطر على الشاعر نزعة إنسانية تتمثل في شغف البشر بكشف الغيب واختراق المجهول بدافع درء الشرور والأخطار وبناء حياة أكثر استقراراً

دَعي ماذا علمتُ سأتقيهِ
ولكنْ بالمُغَيَّب نبِّئيني

وشعر البحرين، كما هو شأن الشعر العربي يعبق بتمجيد الخير والتغني بالفضائل كالكرم والشجاعة والعفة في

نظرة ترى أن ممارسة الفضيلة انتصار على شرور الحياة وتخليص لها مما يفسدها ويعكر صفوها. ولعمرى فهذا أعلى درجات الرقي

هكذا شكل المضمون العقلي رافداً أخصب الشعر، وأثرى رؤية الشعراء، وواكب التحضر المادي بحيث ائتلف اللونان على تجسيد ما بلغته منطقة البحرين من تحضر .

**د. أنيسة أحمد خليل المنصور**
**أستاذ الأدب القديم والوسيط المساعد**
**كلية الآداب - جامعة البحرين**

# الهوامش

١ - مجلة الوثيقة ١٠٦/٦ ويراجع أيضاً العدد ١٧/٩ .

٢ - الوثيقة ٢٨/٧ .

٣ - جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٦٩/١ والوثيقة ١١٢/١٠ و١١٣ .

٤ - الوثيقة ١٤٤/٢

٥ - جواد علي - السابق ١٦/٢ و٢٧٥/١٧ .

٦ - ياقوت الحموي - معجم البلدان ٤٣٢/٢ . وحمد الجاسر، المعجم الجغرافي ج٢ "دارين"

٧ - جواد علي - السابق ٦٥٠/٨ .

٨ - جواد علي - السابق ٢٥١/٧ .

٩ - الوثيقة ١٣١/٧ وبعدها .

١٠ - السابق .

١١ - تراجع مادة "عدل" ١٧٢/٣

١٢ - المسالك والممالك ٣٧٠/١ و٣٧١ .

١٣ - ياقوت الحموي - معجم البلدان ٣٤٧/١ .

١٤ - يراجع في ذلك محمد بن حبيب - المحبّر ص ٢٦٥ وبعدها . والمرزوقي، الأزمنة والأمكنة ١٦١/٢ وما بعدها . ومحمد سعيد المسلم، ساحل الذهب الأسود ص ٧١ .

١٥ - يراجع مقالة د. إحسان عباس "دور شرق الجزيرة العربية في الشعر الجاهلي" ص ١ و٢ . ومجلة الوثيقة ٥٧/٧ وبعدها .

١٦ - المسالك والممالك ٣٧١/١ .

١٧ - تراجع مادة "هجر" في لسان العرب .

١٨ - إحسان عباس - السابق ص ٩ وجواد على المفصل ١٩٨/٣ .

١٩ - المفضل الضبي - المفضليات - المفضلية ٧٨

٢٠ – يراجع ديوان طرفة ص ٣٨ . وديوان المتلمس ص ٤٣ القصيدة (٢) وص ١٣١ القصيدة (٦) وص ٢٣٦ القصيدة (١٥) وتراجع معلقة عمرو بن كلثوم عند الزوزني في شرح المعلقات السبع ص ١١٨ وبعدها وهي إفراز للصراع الدائر بين المناذرة وعرب الجزيرة . وقالها الشاعر في هجاء عمرو بن هند بعد أن قتله كما يذكر المؤرخون . تراجع القصة عند جواد علي – المفصل ٢٥٥/٣ .

٢١ – يراجع عما حظي به أشراف العرب من وظائف ومنح في المفصل ٢٦٤/٥ وبعدها وص ٢٨٣ وبعدها وفي مقالة إحسان عباس ص ٩

٢٢ – المفصل ٤٢٨/٩

٢٣ – السابق ٢٥٢/٩

٢٤ – السابق ٢٤٢/٣

٢٥ – طبقات فحول الشعراء ٨٦/١ .

٢٦ – يراجع ابن رشيق – العمدة ٥٤/١ . والسيوطي – المزهر في علوم اللغة ٤٧٦/٢ دار الفكر – القاهرة

٢٧ – إحسان عباس – السابق ص ٨

٢٨ الأصفهاني - الأغاني ٧٦/١٨ والمرزباني معجم الشعراء ص ٢٠٠ . وديوانه ص ١٧ .

٢٩ - معجم الشعراء ٢٠١ وديوانه ص ٤٠ و٤٨ القصيدة (٤) .

٣٠ تراجع مقدمة الديوان ص ٤٠ .

٣١ - ديوانه ص ٤١ وص ٣٩ والحقاق من الإبل = ما كان ابن ثلاث سنين ومن معانيها غلبة الشاعر غيره من الشعراء . تراجع مادة "فحل" في لسان العرب

٣٢ ديوانه ص ٢٤ وتراجع النونية في ص ٢٥

٣٣ – تراجع المفضلية رقم ٨٠ . وهي تنسب أحياناً للممزق العبدي وهو من شعراء البحرين أيضاً .

٣٤ – ديوانه ص ٢٠ .

٣٥ – ديوانه ص ١٥٤

٣٦ – المفضلية رقم ٥٤ . ويراجع أيضاً البيت ٢٩ .

٣٧ – المفضلية رقم ٤٩

٣٨ – الديوان الصفحات ٢٠ و٤٠ و٤٧ و٦٠ و٦٧ .

٣٩ – السابق ص ٢٦ والبرين = حلقة لتزيين الأنف. والدملج = السوار العريض .

٤٠ – الديوان ص ٢٠٩ . والمسمعات = المغنيات، والقاصب = الزامر في عود القصب .

٤١ – السابق ص ٣٢٩ الأبيات ٨ – ١٠ .

٤٢ – السابق ص ٢١٣ والخط هي القطيف .

٤٣ – يراجع الديوان ص ٥٤ . ومعجم البلدان ٣٧٨/٢ .

٤٤ – الديوان ص ٢ . راجع أيضاً ديوان عمرو بن قميئة ص ١٦٣ .

٤٥ – الديوان ص ١٣٠ .

٤٦ – ديوانه ص ١٥٢ . ويراجع أيضاً ديوان عمرو بن قميئة ص ١٦٤ .

٤٧ – يراجع ديوان طرفة ص ٧٠ . ومفضلية المرقش الأكبر رقم ٥٤ البيت الخامس .

٤٨ – ديوانه ص ٥٧ الأبيات من ٤ – ١٠ .

٤٩ – الديوان ص ٢٥٠ تنظر الإحالات .

٥٠ – الديوان ص ١٦١ .

٥١ – الديوان ص ٧٥ . والمجترم = جامع الثمار، الكميت = الفرَس الذي يخالط سواده حمرة، ويردي = يعدو .

٥٢ – المفضلية ٥٥ . والشرب = الضامر، والملوح = الشديد الضمر

٥٣ – الديوان ص ١٥٥ . النساء = عِرْق يجري في الفخذين، الخصبة = النخلة أو الطلع، ومكمم = مستور.

٥٤ – الديوان ص ٤٥ . وأنافت = اعتلت، والهوادي = الأعناق، والتلع = العنق الطويل .

٥٥ – يراجع على سبيل المثال المفضلية ٤٨ .

٥٦ – ديوان المثقب العبدي ص ١٥٣ .

٥٧ – الديوان ص ٦٠ .

٥٨ – الديوان ص ١٤٨ . بخت = جمال طوال الأعناق، والعراض = المفرط في العرض، وأراد بالأباهر الظهور، والشئون = جمع شأن وهي شعب قبائل الرأس التي تجري منها الدموع إلى العينين .

٥٩ – الديوان ص ١٩ . والنواصف مفردها ناصفة وهي الباحة الواسعة، ودد = موضع .

٦٠ – شرح القصائد التسع المشهورات ٢١١/١ .

٦١ – الديوان ص ١٨٨ . والكور = الرحْل، والنسع = السير الذي تشد به الرحال .

٦٢ – لسان العرب مادة "مهر" .

٦٣ – المفضلية ٤٩ . والرباع = الثور. والمفرد = الوحيد. والزلم = قدح الميسر .

٦٤ – ديوانه ص ١٩ . الحباب = الأمواج. والحيزوم = الصدر .

٦٥ – الديوان ص ١٩٠ . الغوارب = الأمواج. والحدب = ارتفاع الموج. والبطين = الواسع البعيد .

٦٦ – السابق ص ٢٤٧ . الأقتاد = خشب الرحل. والحمشة = الدقة. والشوى = اليدان والرجلان .

٦٧ – المفضلية ٧٩ .

٦٨ – ديوانه ص ١٣٣ والأعشى من شعراء اليمامة لكنه كان وثيق الصلة بالبحرين وكان ممن يمتار من أسواقها (جواد علي. المفصل ٣٢٩/٧) وما يجعلنا ندرج شعره في دراستنا بروز بيئة البحرين في شعره

٦٩ – الديوان ص ٤٠٣ تراجع الأبيات من ٩ – ١٦ .

٧٠ – عرض المسيب بن علس والمخبل السعدي وهما من الشعراء الوثيقي الصلة بالبحرين للعديد من ملابسات عملية الغوص تراجع قصيدة الأول في شعراء النصرانية للويس شيخو ص ٣٥٦ وإحسان عباس ص ٢٢ وقصيدة الثاني في المفضليات ورقمها ٢١ .

٧١ – يراجع ديوان الأعشى ص ١٣١ البيتان ٢١ و٢٢ وص ٨/٣٥٧ . وديوان المثقب ص ٦٣ .

٧٢ – ديوان الأعشى ص ٨١ البيتان ٣ و٤ .

٧٣ – السابق ص ٧٥ البيت ٤٤ .

٧٤ – السابق ص ٣٩٧ البيت الثامن .

٧٥ – الديوان ص ١٣١ السمية = الخمرة تنقل من بلدها والبائكة = الناقة الفتية. والتزهري = السنام الطويل. وأجفلي = ذاهب

٧٦ – تراجع معلقته في ديوانه ص ٢٤ الأبيات من ٤٩ – ٦١ .

٧٧ – تراجع مادة "الخمر" في ديوانه ص ٤٢٤ ومادة "الفتى" ص ٤٢٨ ومادة "القيان" ص ٤٢٩ ومادة "المرأة" ص ٢٩ وتزودنا هذه المضامين بتصور واضح لما كان يشيع من متع وترف في بيئة البحرين وفي البيئات التي تعامل معها شعراؤها .

٧٨ – المفضلية ٤٦ . وجمّ التراقي = لا حجم لعظامها قد غمرها اللحم. والبد = الكثيرة لحم الفخذين

٧٩ – ديوانه ص ٥٠ التجار = جمع تاجر ويريد بائع الخمر. واللمة = الشعر المجاوز شحمة الأذن

٨٠ – يراجع ديوان المثقب العبدي ص ٨٧ .

٨١ – ديوانه ص ٢٤ ويراجع أيضاً ديوان الأعشى ص ٣٥٩ والمفضلية ٤٦ .

٨٢ – ديوانه ص ٣٤٩ . ويسهكن = يسحقن، والباغزية = ثياب من الخز، والأرجوان = صبغ أحمر ويريد الثياب الحمر، والخمل = الوبر والثوب المخمل .

٨٣ – ديوانه ص ٩٥ وأراد بمستجيب العود = يجيب الصنج ويشاكله، والصنج = دوائر صغار من النحاس يصفق بأحدهما على الأخرى .

٨٤ – يراجع مادة "فضل" في لسان العرب .

٨٥ – ديوانه ص ١٥٨

٨٦ – ديوانه ص ٩٥ .

٨٧ – المفضلية ٧٩ . ويراجع في نفس المعنى ديوان المتلمس ص ٢٢٨ وبعدها

٨٨ – ديوانه ص ٢٢٥ ينظر شرح البيت .

٨٩ – جواد علي ، المفصل ٥٢٤/٧ وبعدها وص ٥٩٧ وبعدها .

٩٠ – ديوانه ص ٦٦ . يراجع أيضاً ص ٢٤ .

٩١ – الأصفهاني – الأغاني – ٣٣٠/١١ .

٩٢ – الديوان ص ٥٣ .

٩٣ – الديوان ص ٨٩ . يراجع أيضاً ما يتبعه من إحالات .

٩٤ – تراجع قصيدة المرقش الأكبر المفضلية ٤٩ البيت ١١

٩٥ – يراجع ديوان الأعشى ص ١٨٥ البيت ٢ .

٩٦ – ديوان المثقب ص ٣١ وديوان طرفة ص ٢٠ .

٩٧ – المفضلية ٥٦ – الشذر اللؤلؤ أو قطع صغار من الذهب والتوائم اثنتين اثنتين .

٩٨ – الديوان ص ٢٠ ويراجع أيضاً ديوان المثقب ص ٦٣ .

٩٩ – يراجع ديوان المثقب ص ١٥٩ . والمفضلية ٥/٥٠ . وديوان الأعشى ص ٢٣/٣٩

١٠٠ – المفضلية ٥٠ . وأراد بالدوم = الإبل، وتهف = تبرق .

١٠١ – ديوانه ص ٦٥ .

١٠٢ – ديوان الأعشى ص ١٦/٣٥٩ والعبقري = الديباج أو البسط الموشاة وقيل الطنافس الثخان، والنجود = ما يزين به البيت من بسط وفرش ووسائد .

١٠٣ – يراجع ديوان المثقب ص ١٥٤ .

١٠٤ – المفضلية ٧/٥٦ .

١٠٥ – ديوان المثقب ص ٢٠٣ .

١٠٦ – الديوان ص ٤٣ .

١٠٧ – الديوان ص ٣٢٧

١٠٨ – السابق ص ٩١ . وتراجع أيضاً الأبيات الموالية للبيت المذكور .

١٠٩ – السابق ص ٧/٤٩٧ وص ٢٠/٢٥٥ .

١١٠ – المفضلية ٩/٥٧ و١٠

١١١ – الديوان ص ٤١ .

١١٢ – الديوان ص ٢٣٩ .

١١٣ – المفصل ٢٠٤/٤

١١٤ – الديوان ص ٦٩ .

١١٥ – الديوان ص ٥٧ .

١١٦ – يراجع الديوان ص ١١٧ وبعدها .

١١٧ – الأصمعيات رقم ٦٥

١١٨ – الديوان ص ٢٣، وينمي = يرفع. والتجاليد = الجسم. والقتد = خشب الرحل. وناو = سمين. والمؤيد = الموثق

١١٩ – الديوان ص ٢٢

١٢٠ – السابق ص ٢١

١٢١ – تراجع مادة "القصر" في ديوانه ص ٤٢٩ .

١٢٢ – تراجع في الديوان ص ٢٠ وبعدها الأبيات من ١١ – ٤٠ .

١٢٣ – إحسان عباس السابق ص ١٧ وتراجع مادة الخمر في ديوانه ص ٤٢٤ .

١٢٤ – إحسان عباس السابق ص ١٧ .

١٢٥ – الديوان ص ٢١٥ وبعدها والعوّار = الضعيف الجبان .

١٢٦ – السابق ص ٣٢١ والمشذّب = الفرس الطويل القليل اللحم، والحاضر = الماء الذي لاينضب. وعسلت = اضطربت. والحشيان = المصاب بالربو .

١٢٧ – يراجع على سبيل المثال القصيدة رقم (٨) ورقم(٣٩) .

١٢٨ – الديوان ص ١٨٧ وحماسة البحتري ص ٨٤ .

١٢٩ – السابقان ص ١٨٨ و١٠٥ .

١٣٠ – الديوان ص ٤٨ . والعصم من الظباء والوعول = ما في ذراعه بياض وسائره أسود أو أحمر .

١٣١ – يراجع الديوان ص ٢٧٤ .

١٣٢ – المفضلية ٥٣ .

١٣٣ – الديوان ص ٦٥ .

١٣٤ – تراجع المفضلية ٥٨ من ١٨ – ٢٢ .

١٣٥ – المفضلية ٨٠ .

١٣٦ – معلقته ص ٢٦ الأبيات ٦٢ – ٦٨ وص ٣٢ وص ٦٩ .

١٣٧ – الديوان ص ٦٦ وأراد بالفريد = الثور .

١٣٨ – الديوان ص ١٨٩ وحماسة البحتري ص ١٢٢ .

١٣٩ – تراجع دراسة إحسان عباس السابقة ص ١٤ و١٥ .

١٤٠ – الديوان ص ١٧٢ .

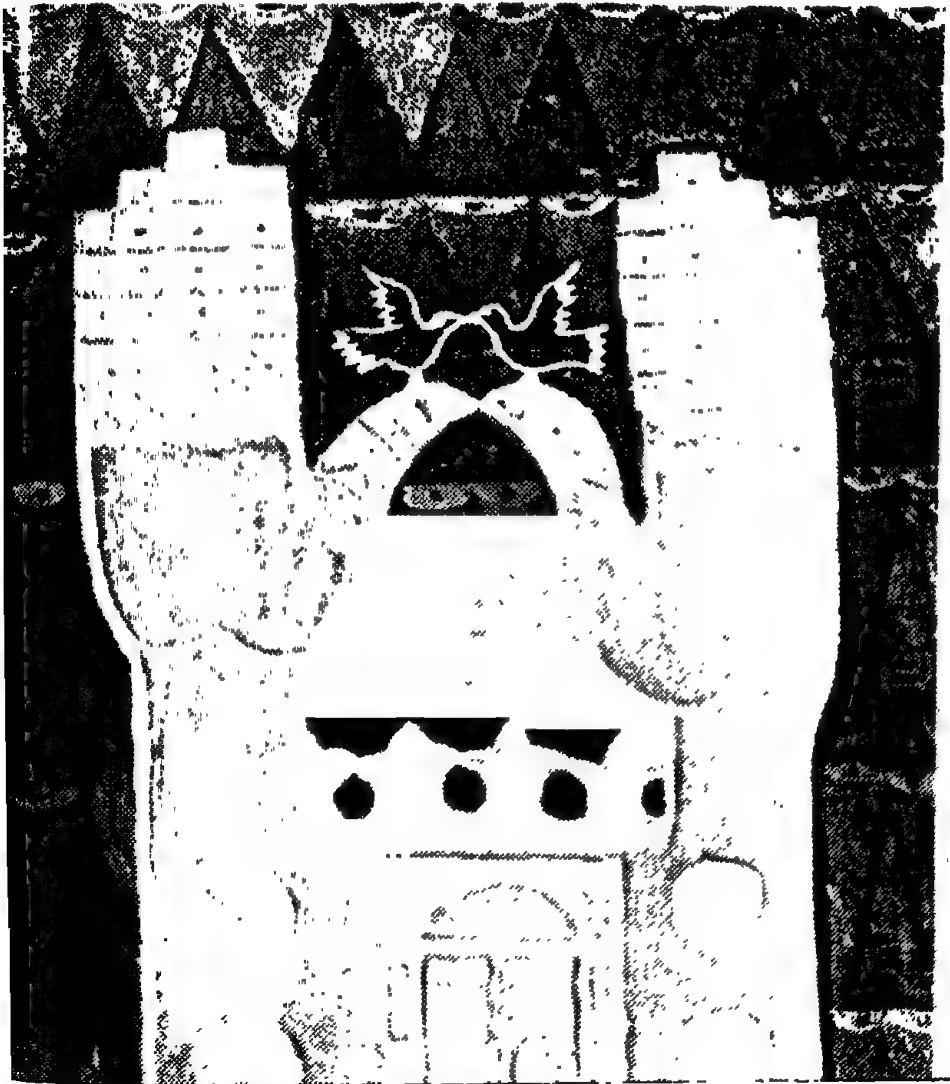
١٤١ – المفضلية ٥٧ .

١٤٢ – يراجع على سبيل المثال معلقة طرفة في ديوانه ص ١٩ و٣٦ و٥٣ . وديوان المتلمس ص ٢٠٨ . و٣٢٣ وديوان المثقب ص ٢٧٢ و٢٧٣ .

١٤٣ – الديوان ص ٥١ .

١٤٤ – الديوان ص ٢١١ .

# العربي



١٠٠ ـ الوثيقة

# ...ات جغرافيي القرنين
# ...الث والرابع الهجريين

## التاسع والعاشر الميلاديين [٣]

### بقلم : الدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري

*... في العدد السابق الجزء الثاني من هذه الدراسة القيمة التي اعدها الاستاذ الدكتور محمد ... هيم الشمري عن البحرين في مؤلفات جغرافيي القرنين الثالث والرابع الهجريين وقد ... من مؤلف في الجزء الثاني للمحاور السكانية والاجتماعية والاقتصادية ونقدم فيما يلي ... الثالث والاخير من هذه الدراسة عن المحور السياسي والعسكري لم يحظ الا قليلا.*

**[ الوثيقة ]**

## المحور السياسي والعسكري

لم يحظ الجانب السياسي والعسكري إلا بنذر يسير جداً من المعلومات والنصوص التي اقتصرت على بعض الجغرافيين اهتمت بحركات القرامطة فقط في البحرين دون غيرهم. ولعل سبب ذلك يعود إلى الفضائع التي ارتكبها هؤلاء ضد المسلمين وما رافق غزوهم وسيطرتهم على البحرين والبصرة ومكة المكرمة من أعمال عنيفة وقطعهم طريق الحج وتعرضهم لحجاج بيت الله الحرام بالسلب والنهب والقتل. فضلا عما قاموا به في مكة المكرمة من نقل الحجر الاسود الى مدينة هجر في البحرين وانقطاع الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة.

زودنا الاصطخري[1] بمعلومات
يمة عن أبي سعيد الحسن الجنابي،
سبة إلى مدينة جنابة على الساحل
لشرقي للخليج العربي - كما ذكرنا،
ويبدأ حديثه عن أقوام من بلاد فارس
نتحلوا ديانات خرجوا بها عن
لمذاهب، ودعوا إليها وانتسبوا لها،
وأوضح أن إهمال أمرهم يعد ضرباً من
العصبية وباباً من التحامل. وكان
لواجب عدم إهمال ذكرهم، لشناعة
أمرهم وفظاعة أخبارهم. كما أن الوقوف
على ما أمكن من أخبار الناس وسيَرهم
من محمود ومذموم غير مكروه، وضرب
مثلاً على ذلك ذكر الحسين بن منصور
المعروف بـ الحلاج، الذي اشتهر
أمره .

ومن الذين عرفوا في بلاد فارس،
الحسن الجنابي . ولكن أبا سعيد وهو
من أهل جنابة، كان دقاقاً أظهر مذهب
القرامطة فنفي عن جنابة. ولما خرج
منها توجه إلى البحرين. فأقام بها
تاجراً يستميل العرب بها ويدعوهم إلى
ديانته فاستمال كثيراً من أهلها
واستجابوا له. ثم ملك البحرين وما
يتبعها، فكان من كسّر جيش الخلافة
العباسية وعدوانه على أهل عمان وسائر
بلدان العرب الأخرى، حتى انتهى أمره
بالقتل وتخلص الناس منه.

تولى حكم البحرين بعد الحسن
الجنابي ابنه سليمان المكني أبو طاهر.
وقد اشتهر بأفعاله الشنيعة، والتي
أبرزها قتل الحاج وانقطاع طريق مكة
المكرمة في أيامه والتعدي في الحرم،
وانتهاب كنوز الكعبة وقتل المعتكفين
المجاورين في مكة . وبسبب اعتراض
الحاج وتذمرهم من أعماله الشنيعة هذه
اعتقل عمه (لم يذكر اسمه) وقراباته في
شيراز مدة، وكان هؤلاء مخالفين لأبي
طاهر سليمان القرمطي في طريقته
وسلوكه، اتُصفوا بصلاح وسداد وتمت
الشهادة لهم بالنزاهة عن القرامطة.
فخلي سبيلهم وأطلقوا بلا قيد،
لابتعادهم عن مذهب القرامطة .

إن ما ذكره الاصطخري يوضح لنا
بداية الحركة القرمطية التي انتشرت في
البحرين واتخذتها ساحة لها، وكيف
قام هؤلاء القرامطة بأعمال سيئة
ومرفوضة من قِبَل المسلمين، الذين عانوا
الأمرين منهم، كما أن بعض أقارب
هؤلاء كانوا مخالفين لهم غير راضين عن

أفعالهم الدموية التي أثارت استياء واستنكار المسلمين في عموم أرجاء الدولة العربية الإسلامية. واختتم الاصطخري حديثه عن القرامطة بقوله "والله الحافظ للإسلام وأهله، والشر لمن حاد الله في أمره".

يعد المسعودي الجغرافي الوحيد بين جغرافيي القرنين الثالث والرابع الهجريين/ ٩ - ١٠ م، الذي انفرد بإيراد تفصيلات عن نشاط القرامطة السياسي والعسكري وعلاقتهم مع القوى السياسية السائدة عند ظهورهم، ولهذه المعلومات أهمية خاصة، بسبب اهتمامها بالنشاط السياسي والعسكري للقرامطة - كما ذكرنا - كما أنها تشير إلى تأثر البحرين والبصرة والكوفة ومكة المكرمة بهذه الحركات واتخاذها ساحات لذلك النشاط، الذي انعكست آثاره السلبية على تلك المناطق. ويلاحظ أن المسعودي كان يقدم ويؤخر في ذكر السنوات التي وقعت فيها بعض الحوادث التاريخية. كما أشار إلى أن كثيراً منها دونها عام ٣٤٥هـ/٩٥٦م في خلافة المطيع العباسي. ويكرر ذكر ذلك العام مراراً في كتابه. أي قبل وفاته بعام واحد. من ذلك قوله في ذكر حوادث خلافة المقتدر بالله[٢] : "قال المسعودي ولم يتقلد الخلافة من بني أمية وبني العباس إلى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ في خلافة المطيع من اسمه جعفر إلا جعفر المتوكل وجعفر المقتدر وكان مقتلهما جميعا في شوال . . ".

وذكر المسعودي[٣] في حديثه عن عصر المقتدر ٢٩٥(-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م)وقوع أمور لم يكن مثلها في الإسلام، منها أن الحج بطل (توقف) فلم يحج عام ٣١٧هـ/٩٢٩م أحد. بسبب دخول أبي طاهر سليمان بن حسن بن بهرام الجنابي القرمطي صاحب البحربن إلى مكة، وحدد دخوله إياها يوم الاثنين ٧ ذي الحجة، ولم يتوقف الحج منذ ظهور الإسلام إلا في تلك السنة.

استمر المسعودي[٤] في ذكر حوادث عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله، ومنها غزو القرامطة البصرة، إذ يقول : "ومن الكوائن العظيمة والأنباء الجليلة التي كانت في أيامه ما لم يتقدم مثلها في الإسلام مسير أبي طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي صاحب البحرين من الاحساء من بلاد

البحرين إلى البصرة . . ." وعد ذلك الغزو من الكوائن العظيمة والأنباء الجليلة. ويمضي في سرد حوادث ذلك الغزو والاستعدادات المهيئة له. إذ كانت القوة القرمطية القادمة من الاحساء في البحرين لغزو البصرة مكونة من أربعمائة فارس وخمسمائة راجل. وكان دخولهم البصرة في ليلة الخميس لثلاث وقيل لخمس بقين من شهر ربيع الآخر عام ٣١١هـ/٩٢٣م. وفي رواية ثالثة قيل أن دخولهم البصرة كان ليلة الاثنين لست بقين من شهر ربيع الآخر. واستغرق مسيرهم في الاحساء إلى البصرة ست ليالٍ . وكان دخولهم البصرة ليلاً مما أدى إلى نشر حالة الذعر والهلع في صفوف السكان فسارعوا للهرب منهم باتجاه الأبلة والمفتح والشطوط والأنهار والجزائر. وقتل سبك المفلحي ومن قبضوا عليه من أصحابه كما قتلوا كل من وقف في طريقهم وقاومهم من الرعية. وأقاموا في البصرة سبعة عشر يوماً ثم غادروها عائدين إلى بلادهم

ومن الأعمال الشنيعة والتصرفات الحاقدة على المسلمين. قيام سليمان القرمطي باعتراض الحاج وهم في طريقهم للعودة، بعد انقضاء موسم الحج وانصرافهم من مكة وذلك بنواحي الهبير[٥] مما يلي الثعلبية. وكان في قوة بلغت خمسمائة فارس وستمائة راجل. فقتل من قتل من القادة وسائر الأولياء وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون أميرهم وأحمد بن بدر العم وأحمد بن محمد بن كشمر وغيرهم من الوجوه وسائر طبقات الناس من النساء والرجال، فضلاً عن مصادرة صنوف من الأموال التي لا يمكن تحديدها ومعرفة مبلغها. وكان ذلك ليوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر محرم عام ٣١٢هـ/٩٢٤م[٦] . وهكذا نجد مسلسل الحقد والكراهية للعرب والمسلمين مستمراً في التنفيذ من قِبَل أبي طاهر سليمان بن الحسن القرمطي في إشاعة الخراب والدمار والقتل في المدن وطريق الحج معاً .

يشير المسعودي[٧] أيضاً إلى قيام سليمان بن الحسن الجنابي صاحب البحرين باعتراض الحاج في بدء توجههم إلى مكة عام ٣١٣هـ/٩٢٥م وكانت قوته مكونة من خمسمائة فارس

وستمائة راجل، وهو نفس عدد قوته السابقة. فظفر ببعضهم ورجع الباقون إلى الكوفة ومدينة السلام (بغداد)، وتوجه القرمطي إلى الكوفة ومواجهته القادة الذين أرسلتهم الخلافة العباسية لقتاله. وهم جعفر بن ورقاء الشيباني وجني الصفواني الخادم مولى ابن صفوان العقيلي وثمل الخادم الدلفي صاحب أنطاكية والثغور الشامية وطريف السبكري الخادم وإسحاق بن شروين السبكري وغيرهم من رؤساء الأجناد، وانتهى اللقاء بهزيمة هؤلاء وقتل منهم من قتل. وتم أسر جني الصفواني وغيره. وذلك يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ذي القعدة عام ٣١٣هـ.

بعد انتهاء المعركة توجه سليمان بن الحسن القرمطي الجنابي من الكوفة إلى الاحساء بمن معه من الجيش والمعدات. وتولى الكوفة من قبله إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بـ: الأخيضر صاحب اليمامة ابن إبراهيم بن موسى[8] بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

وفي الوقت الذي توجه فيه أبو طاهر الحسن القرمطي إلى الكوفة، وجهت الخلافة العباسية حملة عسكرية لمواجهته بقيادة أبي القاسم يوسف بن أبي الساج وكان الخليفة قد أمره بالتفرغ لهذه الحملة وترك ما كان يتولاه من الأعمال في بلاد أذربيجان وأرمينية وأران والبيلقان وغيرها، ليستعد في واسط ويتوجه إلى بلاد البحرين لمحاربة القرمطي. وفي ذلك الوقت وصل الخبر بمسير صاحب البحرين إلى الكوفة. فخرج ابن أبي الساج مبادراً له. لكن أبو طاهر القرمطي سبقه إليها ونزل الموضع المعروف بـ: الخورنق - قرب الكوفة - وتمكن من السيطرة عليه. ونزل ابن أبي الساج في اليوم الثاني بالقرب منه في الموضع المعروف بين النهرين. مما يلي القرية المعروفة حروراء التي نسب إليها الخوارج الحرورية. ووقعت المعركة بينهما يوم السبت لتسع خلون من شهر شوال عام ٣١٥هـ/٩٢٧م. انتهت بانكسار جيش يوسف بن أبي الساج ووقوعه في الأسر. وقتل عدد كبير من أفراد جيشه يقدر بأكثر من ثلاثين ألف فارس وراجل، مع

نرق كثير من أصحابه عنه في الطريق تأخرهم عنه. وكان جيش صاحب بحرين نحو ألفين من المقاتلة أكثرهم جالة (مشاة)[٩]

ولا تخلو هذه الرواية من مبالغة اضحة. إذ لا يمكن أن نتصور جيشاً وامه ألف مقاتل أكثرهم من المشاة، يهزم جيشاً من الفرسان والمشاة ويلحق ه الهزيمة والخسائر التي قدرت بأكثر من ثلاثين ألفاً بين فارس وراجل

استمر المسعودي في سرد أخبار أبي طاهر القرمطي ومعاركه العسكرية ضد الجيش العباسي. فبعد انتصاره في لكوفة على جيش يوسف بن أبي الساج توجه إلى الأنبار وتمكن من السيطرة عليها. وقطع عدة من أصحابه نهر الفرات إلى الجانب الشرقي فقتلوا من كان بالأنبار من القادة. منهم المعروف بـ الحارثي وبرغوث وابن بلال ومحمد بن يوسف الخرري وغيرهم. وذلك يوم الثلاثاء ٣ ذي القعدة عام ٣١٥هـ/٩٢٧م. وعقد على الفرات جسراً وترك معظم جيشه وعبر مع الخيالة من أصحابه إلى الأنبار. وغادرها يريد الوصول إلى بغداد والمواجهة مع الخليفة العباسي المقتدر بالله حتى انتهى إلى النهير المعروف بـ : زبارا فوق التل المسمى : عقرقوف بفرسخ (٦كيلومترات). وذلك على بعض يوم من مدينة السلام. وكان مؤنس الخادم ونصر الحاجب المعروف بـ : القشوري وأبو الهيجاء عبد الله بن حمدان . وقد كان أطلقه وغيره ممن ذكرناهم سابقاً (حين وقعوا في الأسر في حملته ضد حجاج بيت الله الحرام وذلك يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم عام ٣١٢هـ/٩٢٤م). أطلقهم قبل رحيله لمواجهة ابن أبي الساج عام ٣١٥هـ/٩٢٧م .

بعد وصول أخبار وسيطرة سليمان القرمطي على الأنبار وتوجهه نحو بغداد. اتخذت الخلافة العباسية جملة إجراءات لمواجهته، والتصدي لمحاولته دخول عاصمة الخلافة وتحدي مشاعر العرب والمسلمين. فعسكرت قوات الخلافة على نهر زبارا. ولما شعروا بدنو وصول القرمطي قطعوا القنطرة التي عليه وصار النهر حاجزاً بين الفريقين. فقامت جماعة من عسكر سليمان برمي النشاب على جيش الخلافة، وذلك في يومي

الثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي القعدة عام ٤١٥هـ/٩٢٧م .

واصل المسعودي سرد أخبار أبي طاهر القرمطي الجنابي . فبعد عودته من بغداد رجع إلى الأنبار وتبعه جيش الخلافة العباسية بقيادة يلبق غلام مؤنس الخادم بحدود سبعة آلاف مقاتل. وانتهت المعركة بينهما بانتصار جيش القرمطي وتدمير معظم جيش يلبق الذي نجا منكسراً وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهرذي القعدة عام ٣١٥هـ. وسار القرمطي إلى مدينة هيت بجيشه فنزل عليها وحاصرها. (وذكر المسعودي أنه كان في ذلك الوقت في مدينة هيت قادماً من الشام في طريقه إلى بغداد) وعبر أصحاب القرمطي الذين كانوا في جانب الأنبار على أطواف (وسائل لعبور النهر) اتخذوها في الموضع المسمى : فم بقة أسفل هيت واجتمعوا معه. ووقعت المواجهة معه. ووقعت المواجهة مع أهل هيت يوم الأحد لثمان خلون من شهر ذي الحجة عام ٣١٥هـ/٩٢٧م. كما عبر إلى هيت من الماء هارون بن غريب الخل وأبو العلاء سعيد بن حمدان ويونس غلام الأصمعي وغيرهم من القادة. ووقع القتال بين الطرفين من فوق السور. واحترقت عدة دبابات للقرمطي فعاد إلى عسكره وغادر هيت يوم الاثنين صبيحة المواجهة إلى ناحية رحبة مالك بن طوق. وارتفعت من معسكره نار عظيمة عند السحر قبل رحيله. وكان الظن أنه يريد معاودة الحرب. لكنه أحرق كثيراً من أثقاله ليخفف منها، بسبب كثرة عدد جيشه وسرعة انسحابه[١٠] .

يتضح لنا من هذه الحوادث استخدام القرامطة أسلوب القوة والعنف والبطش ضد سكان المدن التي يحتلونها بالقوة. كما أنهم أصيبوا بالغرور فقرروا توجيه جيشهم لغزو بغداد عاصمة الخلافة العباسية والمنازلة مع الخليفة العباسي المقتدر بالله. الذي وقعت كل مآسي هؤلاء القرامطة الكبرى في عهده، واستمر بعضها من بعده. ففشل القرامطة في احتلال بغداد وانسحبوا خاسرين خائبين. وكان المسعودي شاهد عيان معاصر عندما قام القرامطة بحصار مدينة هيت. إذ كان قادماً من بلاد الشام في طريقه إلى مدينة السلام (بغداد). كما روى بعد ذلك أخباراً تدل على معاصرته

لحوادث أخرى والتقى ببعض رجال القرامطة ووصفهم وتحدث معهم .

سيطر سليمان بن الحسن القرمطي الجنابي على ناحية الرحبة. وهي رحبة مالك بن طوق. وكان واليها وقتئذ أبو جعفر محمد بن عمرون التغلبي وكان فتحها عنوة أي بالقوة ونزلها. وهي من الجانب الشامي. كما فتح قرقيسيا وهي من الجانب الجرري. وبعث منها السرايا إلى النواحي. منها سرية إلى كفرتوثا ورأس العين ونصيبين كانت بقيادة الحسين بن علي بن سنبر الثقفي ومعاذ الأعرابي الكلابي فأوقعوا الهزيمة بالعرب في تغلب والنمر وغيرهما .

بعث سليمان القرمطي قبل إرسال هذه السرية سليمان الجلي إلى كفر توثا وهي مع المدن السابقة من مدن الجزيرة الفراتية بين العراق وبلاد الشام -. ومهمة سليمان الجلي إيصال الزاد والميرة إلى معسكر القرمطي. وكان الجلي شخصية متميزة وصفها المسعودي بقوله **"وكان من ذوي النسك منهم والدراية بمذهبهم. وقد كلمتُ غير واحد من دعاتهم وذوي المعرفة منهم فلم أر مثله دراية وتحصيلاً وتديناً مما هو عليه وحسن إتقان للسياسة التي تكون مع الدعاة. وكان أولاً مع أبي زكريا والبحراني ثم صار مع أبي سعيد الجنابي وولده"**[11]

واصل القرمطي حملاته ضد مدن بلاد الشام. فبعث سرية إلى الرقة كان على قيادتها الحسين بن علي بن سنبر ومعاذ الكلابي أيضاً. فنزلا عليها يوم الأحد لثمان بقين من جمادى الأولى عام ٣١٦هـ/٩٢٨م. وأميرها نجم غلام جني الصفواني . وبدأ القتال بينهما يومي الثلاثاء والأربعاء لخمس بقين من هذا الشهر وانصرفوا في آخر يوم الأربعاء. وأصيب عدة من الفريقين أكثرهم أصحاب القرمطي فعادوا إلى الرحبة. وأقام صاحب البحرين (سليمان القرمطي) فيها كان يفكر بدخول الرملة من بلاد فلسطين أو مدينة دمشق. لكنه قرر العودة إلى البحرين لأمور معينة. فسار عن الرحبة في أول شهر شعبان عام ٣١٦هـ في البر والماء منحدراً في الفرات. واستغرق مقامه في الرحبة إلى أن خرج منها نحو سبعة أشهر . وفي طريق عودته نزل على هيت ثانية ودار بينهما قتال شديد في الماء والبر. ولم

يكن معه في حملته الأولى سفن. ثم تركها وسار إلى ناحية الكوفة والقادسية. وحمل معه الميرة واجتاز بظاهر (خارج) البصرة. وعاد إلى البحرين في آخر المحرم وأول صفر عام ٣١٧هـ/٩٢٩م[١٢]

بعد عودة سليمان بن الحسن القرمطي الجنابي من بلاد الشام والعراق. إثر سلسلة متواصلة من المعارك والوقائع العسكرية. إلى بلاد البحرين. وجه حملة نحو مكة المكرمة فدخلها يوم الاثنين ٧ ذي الحجة عام ٣١٧هـ/٩٢٩م.في ستمائة فارس وتسعمائة راجل (مشاة). وأمير مكة وقتئذ محمد بن إسماعيل المعروف بـ : ابن مخلب. واشتبك مع من كان بها من الأولياء وعامة الناس من الحاج وغيرهم. لكنهم فشلوا في المواجهة. خصوصاً بعد قتل نظيف غلام ابن حاج وكان من سكنة مكة. وممن يعتمد عليه. وأخذ القرمطي الناس بالسيف ولجأوا إلى المسجد والبيت الحرام/ فأوقع القتل فيهم. واختلف في عدة من قتل من الناس من أهل مكة وغيرهم من الأمصار الأخرى. فقيل بلغ عددهم ثلاثون ألفاً وقيل أقل من ذلك. وهذا العدد هو مجرد ظن وتقدير. لأن هنالك من مات في بطون الأودية ورؤوس الجبال والبراري عطشاً وضراً .

لقد كان هذا الحدث جللاً ومأساة وجريمة نكراء اقترفها أبو طاهر سليمان القرمطي ضد حجاج بيت الله الحرام. دون أية خشية أو رهبة من هذا المكان المقدس الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لاجتماع المسلمين ووقوفهم خاشعين للواحد الأحد. فاقتلع باب البيت الحرام وكان مصفحاً بالذهب. وأخذ جميع ما كان في البيت من محاريب الفضة والجزع. وقلع الحجر الأسود وجرد البيت من الكسوة. وحملت الأسلاب على خمسين جملاً. وذلك يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة عام ٣١٧هـ/٩٢٩م/ وكان مقامهم بمكة ثمانية أيام. وعند رحيلهم عنها اعترضتهم قبيلة هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر. وهم رجالة (مشاة) في المضايق والشعاب والجبال وحاربوا القرامطة حرباً شديدة بالنبل والخناجر. وعرقلوا مسيرهم في طريق عودتهم. فاشتبهت

عليهم الطرق وظلوا ثلاثة أيام حائرين بين الجبال والأودية. تخلص خلالها كثير من النساء والرجال الذين وقعوا في الأسر. كما أخذت هذيل كثيراً من الإبل والأثقال التي كانت تحملها. وأخيراً أرشدهم عبد أسود من عبيد هذيل يقال له زياد. استأمن إليهم. على طريق سلكوه فخرجوا من المضايق. وعادوا راجعين إلى بلادهم البحرين[١٣]. وهكذا انقطع الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة عام ٣١٧هـ. وحرم الناس من الفرح بعيد الأضحى المبارك. بسبب سيطرة القرامطة على مكة

واصل القرامطة أعمالهم الشنيعة ضد حجاج بيت الله الحرام. في خلافة الراضي(٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م) محمد بن جعفر المقتدر. ويكنى أبو العباس. بويع يوم الخميس لست ليال خلون من شهر جمادى الأولى عام ٣٢٢هـ. بعد خلافة القاهر بالله العباسي التي دامت سنة وستة أشهر وستة أيام[١٤]

ومن الحوادث العظيمة التي وقعت في خلافة الراضي. مسير القرمطي سليمان بن الحسن صاحب البحرين عن الاحساء. وتعرضه لحجاج بيت الله الحرام في بداية موسم عام ٣٢٣هـ/٩٣٥م. وكان خروجه لست بقين من شهر شوال في ٩٠٠ فارس و٦٠٠ راجل (مشاة). وقسم العسكر نصفين من الجابرية (وهي من الاحساء على ثلاثة أيام). فجعل على أحد النصفين أبا عبد الله الحسين بن علي بن سنبر ومعاذ الكلابي فساروا قاصدين طريق مكة لطلب الحاج. وتوجه أبو طاهر الحسن القرمطي إلى القادسية. لاستقبال قافلة الشمسية القادمة من بغداد مع لؤلؤ غلام المتهشم فأوقع بن سنبر بالخوارزمية وغيرهم. وكان رؤساءهم شاذان وابن حاتم وغيرهم بناحية زبالة والعقبة فأسرهما. كما أسر آخرون من أهل القوافل وقتل آخرون. وذلك لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ذي القعدة عام ٣٢٣هـ.

نستدل من هذه الرواية أن الحجاج تعرضوا لهجوم الحسين بن سنبر ومعاذ الكلابي. وهم على مقربة من الديار المقدسة في طريقهم إليها. مما اضطر كثيراً منهم للعودة إلى العراق عن طريق العذيب. وليس لديهم علم أن الحسن القرمطي الذي ذكرنا توجهه إلى

القادسية أمامهم في طريق عودتهم، فسار لؤلؤ غلام المتهشم بالناس ولقيه القرمطي في القادسية. يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ذي القعدة من عام ٣٢٣هـ. أي بعد ليلتين فقط من تعرضهم لهجوم بن سنبر والكلابي الذي ذكرناه آنفاً. فقاتل لؤلؤ إلى أن أصيب بعدة جروح وتركه أصحابه. فطرح نفسه بين القتلى. ثم سار متخفياً فدخل الكوفة ليلاً. واستولى أبو طاهر القرمطي على القافلة بأسرها. ثم سار من خفان يريد القادسية وبينهما ستة أميال[١٥]. أي بحدود عشرة كيلومترات. فرجع القرمطي مستقبلاً المنهزمين من ابن سنبر. الراجعين يريدون الكوفة فلقيهم بالعذيب فاستأمنه قرة لقافلته وبذل عنها مالاً، فأطلقه ولم يعرض له وأوقع بالباقين فقتل وسبى وحصل على أموال طائلة. وكانت له سريتان إلى الكوفة وناحية واسط في أيام الراضي أيضاً. لم يلق فيهما حرباً أثر تأثيراً يذكر.

لم يزل سليمان القرمطي مقيماً في الاحساء من بلاد البحرين. إلى أن توفي يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان عام ٣٣٢هـ/٩٤٣م. وله من العمر ٣٨ سنة، لأن مولده في شهر رمضان عام ٢٩٤هـ/٩٠٦م، وقتل أبوه أبو سعيد الجنابي عام ٣٠٠هـ/٩١٢م. وعمره وقتئذ ست سنين، وبقي العسكر تسع سنين إلى أن تسلمه أبو طاهر في شهر رمضان عام ٣١٠هـ/٩٢٢م[١٦]

واصل المسعودي معلوماته عن القرامطة بعد نهاية أبي طاهر سليمان وذكر أن حروب ووقائع القرمطي مفصلة في كتبه الأخرى - لكننا لم نطلع عليها - ومنها أخبار القرامطة البقلية بسواد الكوفة وسيطرتهم عليها عام ٣١٩هـ/٩٣١م. والعلة في تسميتهم البقلية. وهو اسم دياني عندهم . وكان رؤساهم مسعود بن حريث وعيسى بن موسى ابن أخت عبدان بن الربيط الملقب : قرميط والمعروف بـ ابن أبي السيد وابن الأعمى وأبو الذرو الجوهري وغيرهم، وكان جمهورهم بنو ذهل وبنو رفاعة وإيقاعهم ببني بن نفيس. بناحية الطفوف (من أعمال الكوفة) وجنبلاء وتل فخار. وهزيمتهم إياه واحتواء عسكره وحرب هارون بن غريب الخال وصافي غلام نصر القشوري إياهم ومن قتل منهم

وأسر ومن انضاف منهم إلى سليمان بن الحسن القرمطي الجنابي (أبو طاهر) عند رجوعه من هيت إلى بلد البحرين. وكانوا يعرفون في جيشه بـ : الأجميين. بسبب سكنى أكثرهم الآجام والطفوف وهي من أعمال الكوفة[١٧] .

أشار المسعودي أيضاً إلى أخبار الغلام المعروف بـ الزكري من أبناء ملوك الأعاجم من بلد أصبهان ووروده إليهم عام ٣١٦هـ/٩٢٨م وتسليم أبي طاهر القرمطي الأمر إليه عام ٣١٩هـ/٩٣١م وإجماعهم عليه، وما وضع من النظم والمذاهب التي ألزمهم بها. وقتله أبي حفص ابن زرقان زوج أخت أبي طاهر. وكان يدعى : الشريك. وكان أكملهم عقلاً وأوسعهم علماً وأحسنهم أدباً كل ذلك ذكره المسعودي في كتبه الأخرى. لكننا لم نجدها. ربما لضياعها أو بسبب إهمال النساخ لها وضياع تلك المؤلفات أصلاً[١٨] .

وأخيراً ذكر المسعودي من معلوماته التي فصلها في كتبه الأخرى. ما يتعلق بأخبار أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي. ونسبته واتصاله بملوك فارس ومكانه من هذه الدعوة وكيفية دخوله البحرين . وهذه الأخبار غير واضحة هنا، بل وردت في كتبه الأخرى لكننا لم نطلع عليها . ثم ذكر باختصار أجزاء البحرين التي سيطر عليها وأهم القبائل التي كانت مستقرة فيها ومقاومتها له

أشار المسعودي[١٩] إلى اتصال أبي سعيد الحسن القرمطي ببادية بني كلاب وكان أبو زكريا البحراني قد دعاهم إليه. وما كان بين أبي سعيد وبين أبي زكريا . وقبض أبي سعيد عليه وهلاكه في يده وفتحه سائر مدن البحرين. وكان أهل البحرين في نهاية العدة والقوة

يتضح لنا باختصار أن أبا سعيد الجنابي سيطر على البحرين بقوة السيف بعد القضاء على منافسه أبي زكريا البحراني. فدخل مدن البحرين بالقوة. وكان أهل البحرين على غاية الاستعداد والقوة من خلال توزيع القبائل العربية التي قاومت هؤلاء الفرس الغزاة مقاومة شديدة ولكن دون طائل وذلك بسبب قوة الهجمة القرمطية الكاسحة التي استخدمت القتل والإرهاب في تحقيق أهدافها التوسعية .

لقد درسنا توزيع القبائل العربية في مدن البحرين ونواحيها وقراها، لكن يهمنا هنا الإشارة إليها خلال دخول أبي سعيد القرمطي الجنابي إليها. ففي القطيف كان بنو مسمار. علي بن مسمار وأخوته. وهم من عبد القيس. وقتل علي أثناء مقاومته للقرامطة، وبين القطيف والبحر مسافة ميل. أي أكثر من كيلومتر ونصف بقليل. وللقطيف مدينة على الساحل يقال لها : عُنَّك وفيها يقول الراجز .

طعن غلام لم يجئك بالسمك
ولم يعلل بخياشيم عُنَّك

وفي الزارة - وهي ميناء على ساحل الخليج العربي - الحسن بن العوام من الأزد. وصفوان وكان بها بنو حفص وهم من عبد القيس. والظهران والاحساء وكان بها بنو سعد من تميم، وجواثا وبها العريان بن الهيثم الربعي وتصدى لصاحب الزنج علي بن محمد وأنصاره من تميم وكلاب ونمير، وذلك عند ظهوره في البحرين وقبل مسيره إلى البصرة. وكان العريان قد انتصر عليهم في عبد القيس وبني عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وغيرهم في وقعات متتابعات. فأخرجه من البحرين ونواحيها وقتل من أصحابه أعداداً كبيرة، فلما وقع طرفه بالصمان على الطائر المعروف بـ . المكاء قال كلمته التي أولها .

أيا طائر الصمان مالك مغرداً
تأسيت بي أم عاق الفك عائق

وفي هجر. وكانت أعظم مدن البحرين. عياش بن سعيد المحاربي وكان أعظمهم عدة وأشدهم شوكة[٢٠] .

ومن الوقائع العسكرية ما جرى بين أبي سعيد الجنابي القرمطي والعباس بن عمرو الغنوي الذي جرده الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ:٨٩٢-٩٠١م) بجيش من البصرة لمواجهته في السبخة المعروفة بـ . آفان، وهي أرض ماء ونخل. أراد العباس نزولها وذلك عند مغادرته الماء المعروف بـ . الأعياء فسبقه أبو سعيد إلى الماء، وطول سبخة آفان سبعة أميال (أي بحدود عشرة كيلومترات) . وبينها وبين البصرة سبعة أيام. وهي على يومين من ساحل القطيف على الخليج العربي، فلما توسط العباس السبخة.

مث أبو سعيد فعمر ما وراءه من المياه.
كانت في أعلى السبخة وهو طريق
سيق. وكان أبا سعيد القرمطي في
سبعمائة فارس وراجل من كلاب وعقيل
وبحرانيين. والعباس في سبعة آلاف من
لجند ومطوعة البصرة وضبة والبحرانيين
لذين غادروا البحرين وغيرهم. فوقع
العباس في الأسر وتم القضاء على معظم
جيشه. ولم ينجُ إلا من هرب. وكان
ذلك في شهر رجب عام
٢٨٧هـ/٩٠٠م[٢١]

ومن الحملات العسكرية التي
بعثها أبو سعيد الجنابي القرمطي،
حملاته إلى صحار. وهي قصبة
(عاصمة) عمان عدة مرات، انتهت
بدخوله إياها باستخدام القوة. على
الرغم من أن المسافة بين عمان والبحرين
تستغرق عشرة أيام في رمال ودهاس.
وفي بعض مواضع الطريق ماء مالح.
ومن حملات أبي سعيد حملته إلى بلاد
الفلج وهي الحفر المعروف بـ حفر
أبي موسى الأشعري المسمى اليوم :
حفر الباطن. إذ أن من يتجاوزه يدخل
بلاد نجد - وهي على ثلاثة أيام من
اليمامة. وحملته إلى يبرين. وهي من
اليمامة. فأباد أهلها. وكانت من أطيب
بلاد الله وأكثرها أهلاً وعمائر ونخلاً
وشجراً. وفيها يقول جرير

**فقلت للركب إذ جد المسير بنا**
**يا بعد يبرين من باب الفراديس**

وكان يضرب بها المثل في البعد.
إذ وصفها جرير ببعدها عن باب
الفراديس احد أبواب مدينة دمشق.
ووصفها المسعودي في عصره. بأنها
كانت خالية من السكان. فيقول "فلا
أنيس بها إلى هذا الوقت" [٢٢].

اختتم المسعودي حديثه عن أبي
سعيد الجنابي وحدد مدة حكمه منذ
ظهور دعوته في القطيف وسيطرته على
معظم مدن البحرين وآخرها هجر إلى أن
قتل. بسبعة وعشرين عاماً. وكان مقتله
- كما ذكرنا عام ٣٠٠هـ/٩١٢م[٢٣].
وبذلك كانت بداية دعوته بحدود عام
٢٧٣هـ/٨٨٦م في الأعم الأرجح

وتحدث ابن حوقل[٢٤] عن
القرامطة في نسل أبي سعيد الحسن بن
بهرام الجنابي وولده سليمان.
وسيطرتهما على البحرين ومدنها.
وهي هجر والاحساء والقطيف والعقير
وبيشة والخرج وأوال. وهي جزيرة

البحرين الكبرى وبها سميت البحرين قديماً. وأوضحنا مقدار الأموال التي كانت تتجمع لديهم والتي تصلهم من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة المكرمة. فضلاً عن إقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل لأتباعهم المعروفين بالمؤمنين، ومبلغها نحو ثلاثين ألف دينار. ماعدا المال الذي كان يصلهم من طريق مكة ومال عمان وما يصل إليهم من الرملة والشام، وقد أوضحنا سيطرتهم على كل هذه المناطق آنفا

أشار ابن حوقل إلى قيام القرامطة بارسال حملات عسكرية إلى عمان بقيادة أبي علي بن أبي المنصور . ولما لم يستطع فتحها. ساروا إليها بأجمعهم فافتتحوها. كما أرسلوا حملة إلى بلاد الشام بقيادة أبي علي بن أبي المنصور نفسه. فلما عاد منها نسبت إليه خيانة. بسبب ما جلب معه من الغنائم. فأرسلوا حملة ثانية بقيادة كل من : كسرى بن أبي القاسم وصخر بن أبي إسحاق. واشتبكوا في عدة معارك مع أبي محمد بن الحسن بن عبيد الله بن طغج(٢٥) .

وأوضح ابن حوقل طائفة من القرامطة يسمون : العقدانية في الاحساء وغيرها. وأنهم هلكوا جميعاً. وكان منهم رجال جلة ذوو حلوم وعقول دون من صحبهم من الجفاة الأغتام الأغفال الطغام مثل بني الغُمر. وأجلهم كان المقيم في الجعفرية من خارج البصرة، وهو أبو الحسين علي بن محمد بن الغمر. ويتلوه أخوه المقيم في الكوفة أبو طريف عدي بن محمد بن الغمر. وأبو الحسن علي بن أحمد بن بشر الحارثي المتولي رجالهم وأعمالهم من سائمهم وكراعهم وكان المقيم فيهم الحدود على من وجبت منهم وقد ناهز المائة سنة، وثور بن ثور الكلابي صاحب جيشهم وكان مسناً أيضاً كافٍ مع كبر سنّه، وهو صاحب سراياهم إلى كل مكان. وكان أكبر منه حالة وأتم دراية أبو الحسن علي بن عثمان الكلابي وكان يزعم أن عمره مائة وعشرون سنة وكان ممن لقي أبا زكريا الطمامي وشاهد دعوتهم الأولى وناموسهم القديم فصيح اللسان، حسن البيان، جريء الجنان، وترسّل لهم إلى غير مكان. وناب منابة قاضيهم ابن عرفة في أسباب المراسلة إلى بني حمدان وغيرهم. فعقد عليه بيعتهم وأخذ عليهم العهود بموالاتهم . وقد انتشر

حبلهم وقلَّ حولهم وقلَّ حدهم بما جروا إليه من قتل سابور بن سليمان وأمورهم كالواقفة بينهم .

وقد ذكر ابن حوقل[٢٦] أن المطيع سل سخائمهم وسعى في تالف قلوبهم وجمع كلمتهم في عام ستين (٣٦٠هـ/٩٧١م) على ما بلغه عام ٣٦١هـ/٩٧٢م، من مشافهة أبي الحسين علي بن أحمد الجزري صاحب أبي الحسين علي بن محمد بن الغمر. وقد رآه في صقلية وكأنه ورد المغرب ليقرأ الأخبار بها. وأخبره بأشياء كالسر عنده، ثم خمش وجه الحديث، وقال عمن بقي من العقدانية في الاحساء وغيرها .

واختتم ابن حوقل[٢٧] حديثه عن هؤلاء العقدانية بما نصه "وسمعت غير حاكٍ في سني نيف وخمسين [ بعد عام ٣٥٠هـ/٩٦١م في الأعم الأرجح ] يحكى عن أبي طريف عدي بن محمد بن الغمر والقاضي ابن عرفة عن تقارب ألفاظهم في القول أن سادتهم يتوزعون في مال البصرة والكوفة وما يقبضونه من الحجاج، ويرد عليهم من مال عمان والغنائم دون الخمس الخارج عنهم لصاحب الزمان ألف ألف دينار" .

إن هذه المعلومات المركزة عن هذه الطائفة من القرامطة وأبرز رجالها، لا نجد ما يدعمها من مصادرنا الجغرافية الأخرى، بل انفرد بذكرها ابن حوقل، فأهميتها في هذا الانفراد، على الرغم من سمة الغموض الواضحة في نصوصه بشأنهم .

أما المقدسي[٢٨] فقد أشار باختصار إلى مراكز سيطرة القرامطة في بلاد البحرين، منها الاحساء قصبة هجر، وتسمى البحرين - مما يدلل على غلبة وشهرة اسم هجر الذي طغى على اسم البحرين - ثمَّ جزائر وبها مستقر القرامطة من آل أبي سعيد، ويضيف قائلاً : "ثمَّ نظر وعدل غير أن الجامع معطل وبالقرب خزانة المهدي وخزائن أخَر لهم أيضاً فبعض الأموال بتلك وبقيتهم في خزائنهم، والزرقاء وسابون في خزائنهم وكذلك أوال وسائر المدن في البحر أو قريبات من البحر" .

ويوضح لنا المقدسي المراكز الإدارية الرئيسية التي اتخذوها في البحرين خزائن لأموالهم، وهي الاحساء عاصمة هجر، أي عاصمة البحرين، ثم جزائر كانت مستقر القرامطة من آل أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي

صاحب دعوتهم وإمامهم. وكانت الزرقاء وسابور من مراكز إدارتهم. بدليل اتخاذها أماكن لخزائنهم وحفظ أموالهم وكذلك جزيرة أوال وهي الجزيرة الرئيسية الكبرى في أرخبيل البحرين. وبها سميت البحرين قديماً · جزيرة أوال. فضلاً عن مدن أخرى واقعة على ساحل البحر. أي الخليج العربي أو قريبة منه لكنه لم يذكر لنا أسماءها .

وأوضح المقدسي[٢٩] إدارة عمان من قبل الديلم. في حين كانت إدارة هجر للقرامطة الذين امتدت سيطرتهم إلى اليمن فكان على الأحقاف أمير منهم . وهذا يوضح لنا سيطرة القرامطة على هجر وامتدادها إلى الأحقاف في عصر المقدسي أي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي .

يتضح لنا من دراستنا للمحور السياسي والعسكري. أن القرامطة كانوا من أخطر الحركات السياسية التي ظهرت على ساحة البحرين وامتدادها الواسع. وزودنا بأخبارهم أربعة من الجغرافيين هم : الاصطخري والمسعودي وابن حوقل والمقدسي. وتميز المسعودي بأنه من أكثرهم إلماماً وتفصيلاً بذكر أخبارهم ووقائعهم . ويلاحظ عليه عدم التسلسل والتقديم والتأخير كما في ذكره لهجوم القرامطة على حجاج بيت الله الحرام عام ٣١٧هـ/٩٢٩م. ثم أعاد ذكره ثانية[٣٠]. كما أسهب في ذكر أخبار أبي طاهر سليمان بن الحسن القرمطي[٣١]. ثم ذكر أخبار أبيه أبي سعيد الحسن ابن بهرام الجنابي[٣٢] .

# الخلاصة

أوضح البحث أن البحرين كانت دولة عظمى ذات رقعة جغرافية واسعة تمتد من كاظمة شمالاً إلى عمان الشمالي جنوباً. ومن الخليج العربي شرقاً إلى اليمامة غرباً. فهي بذلك موزعة بين أرض الماء وأرض الصحراء

تشمل دولة البحرين قديماً بهذا الاتساع والامتداد دول شرق الجزيرة العربية كافة. ابتداءً بالكويت وانتهاءً بعمان الشمالي. أي أنها تشمل في الوقت الحاضر · الكويت والاحساء، وقطر وجزر البحرين الحالية المعروفة قديماً باسم : أوال .

وعلى هذه الرقعة الجغرافية المترامية الأطراف نشأت حضارة عربية عريقة أصيلة قبل ظهور الإسلام بقرون طويلة. قوامها الوجود العربي على هذه الأرض الطيبة الذي ترامن مع بدء قيام تلك الحضارة، وازداد ذلك الوجود بعد ظهور الإسلام. عندما أصبحت البحرين جزءاً مهماً وحيوياً من أجزاء الدولة العربية الإسلامية بدخول أهلها الإسلام والدفاع عنه. واتخاذها مركزاً من مراكز القيادة العربية للتحرير والفتوح باتجاه العراق وبلاد فارس

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على خيرة الجغرافيين العرب والمسلمين خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين. زودتنا بمعلومات غاية في الأهمية فهي ذات أصالة وقيمة كبيرة جداً، وعلى الرغم من قلتها واقتضابها. لكن كثيراً منها كانت فريدة ونادرة في مجالات ومحاور توزعت البحث الجغرافية. السكانية البشرية. الاقتصادية. السياسية والعسكرية

وعلى الرغم من قلة المعلومات واقتضابها، فهنالك بعض الملاحظات التي توصلنا إليها تجاهها. أبرزها أن مادتها اتسمت بالاختلاف والتضارب وعدم الدقة والمبالغات أحياناً. كما أن رواتها عاشوا في أوقات مختلفة وكان المفروض أن ينقل كل منهم صورة

واضحة عن أسماء المدن والقرى والمواقع الأخرى، لكن أكثر الرواة لم يشاهدوا كل الأماكن التي تحدثوا عنها بل نقلوا عن آخرين ربما عاصروهم وربما كانوا قبلهم وذلك هو الأغلب. والملاحظ أن أسماء بعض المواضع المتداولة خلال مرحلة دراستنا للبحرين قد اندثرت وترك استعمالها في الأجيال اللاحقة. فكانت تعرف بأماكن أخرى مجاورة لها. وبسبب ضياع كثير من المعالم والأسماء القديمة، إلى جانب تشابه الأسماء وتكرارها أحياناً. يصبح أمر معرفة مواطن القبائل على وجه الدقة والشمول أمراً صعباً بل أحياناً مستحيلاً

**أ.د. محمد كريم إبراهيم الشمري**

**الجامعة المستنصرية / كلية التربية**

**قسم التاريخ – بغداد**

# الهوامش

١ - المسالك والممالك ص ٩٠

٢ - المسعودي التنبيه والأشراف ص ٣٧٧ - ٣٧٨. والمقتدر هو جعفر بن أحمد المعتضد ويكنى أبا الفضل. وقيل اسمه إسحاق. واشتهر باسم جعفر لشبهه بالمتوكل. وأمه أم ولد رومية اسمها شغب. تولى الخلافة يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ذي القعدة عام ٢٩٥هـ المصدر نفسه ص ٣٧٦. أنظر عن مقتله المصدر نفسه ص ٣٧٨

٣ التنبيه والأشراف ص ٣٧٨

٤ - المصدر نفسه ص ٣٨٠

٥ - وهي منطقة رملية متقطعة. ذكر ابن حوقل أن الرمل المعروف بالهبير هو الرمل الذي أصله بالشقوق إلى الأحمر عرضا. وطوله من وراء جبلي طيء إلى أن يتصل مشرقاً بالبحر. ويمضي من وراء جبلي طيء إلى أن يرد الجفار من أرض مصر. صورة الأرض ص ٤٢.

٦ - المسعودي. التنبيه والأشراف ص ٣٨٠ - ٣٨١.

٧ - المصدر نفسه ص ٣٨١

٨ - ذكر لغدة الأصفهاني عن الاحساء أنها تبعد عن هجر ميلين. وينزلها أخلاط بني سعد بن زيد مناة. وبها سيدهم وعاملهم إبراهيم بن موسى بلاد العرب ص ٣٤٤ ولا نعتقد بوجود علاقة بين هذا العامل وعامل القرامطة من بني الأخيضر صاحب اليمامة. ولعل هنالك تشابهاً في الأسماء بإرجاع نسبه إلى إبراهيم بن موسى.

٩ - المسعودي التنبيه والأشراف ص ٣٨١ - ٣٨٢

١٠ - المصدر نفسه ص ٣٨٢ - ٣٨٤.

١١ - المصدر نفسه ص ٣٨٤

١٢ - المصدر نفسه ص ٣٨٤ - ٣٨٥

١٣ - المصدر نفسه ص ٣٨٥ - ٣٨٧. وسبق أن ذكر المسعودي هذه الجريمة وانقطاع الحج إلى بيت الله الحرام. المصدر نفسه ص ٣٧٨. راجع هامش (٣).

١٤ - المسعودي. التنبيه والأشراف ص ٣٨٨.

١٥ - الميل مقياس من مقاييس الطول للمسافات. والفرسخ يتألف من (٣) أميال، والميـل = أربعـة آلاف ذراع. ويساوي : ١٥٨٤ متراً. فالميل هـو ثلث فرسخ، ويسـاوي أقل مـن كيلومـترين هنتـس . المكاييل والأوزان الإسلامية ص ٩٤. إبراهيم . عدن ص ٨٣ .

١٦ - راجع للتفصيل : المسعودي . التنبيه والأشراف ص ٣٨٩ - ٣٩١ .

١٧ - المصدر نفسـه ص ٣٩١

١٨ - المصدر نفسه ص ٣٩١ - ٣٩٢

١٩ - المصدر نفسه ص ٣٩٢ .

٢٠ - المصدر نفسه ص ٣٩٢ - ٣٩٣، ٣٩٤ .

٢١ - المصدر نفسه ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .

٢٢ - المصدر نفسه ص ٣٩٤ . عن بُعْد يبرين. راجع : الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٣٦٥ .

٢٣ - المصدر نفسه ص ٣٩٥، عن مقتله عام ٣٠٠هـ . راجع : المصدر نفسه ص ٣٩١

٢٤ - صورة الأرض ص ٣٣ .

٢٥ - المصدر نفسه ص ٣٤ - ٣٥

٢٦ - المصدر نفسه ص ٣٤ .

٢٧ - المصدر نفسه ص ٣٥ .

٢٨ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٩٣ .

٢٩ - المصدر نفسه ص ١٠٤ .

٣٠ - التنبيه والأشراف ص ٣٧٨، وأعاد ذكرها تفصيلاً المصدر نفسه ص ٣٨٥ - ٣٨٧ . وامتار المسعودي بالدقة في تحديد الوقائع باليوم والشهر والسنة بشكل واصح جداً

٣١ - التنبيه والأشراف ص ٣٧٨ - ٣٩٢ حول أخبار ووقائع أبي طاهر سليمان بن حسن بن بهرام الجنابي .

٣٢ - المصدر نفسه ص ٣٩٢ - ٣٩٥ وكان المفروض أن تقدم أخبار الحسن بن بهرام الجنابي على أخبار ابنه سليمان. وليس العكس كما ذكر المسعودي. لذا التزمنا بذكر أخبار القرامطة كما وردت عنده. لأن التفصيل شمل أخبار سليمان أكثر من أبيه، والهدف هو إبراز أعمال القرامطة وسوء أفعالهم سياسياً وعسكرياً .

# المصادر والمراجع

## [ أ ] المصادر الجغرافية الأساسية

### (القرنان الثالث والرابع الهجريان)


• الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد. (ت : ٣٤١هـ/٩٥٢م) .

١ المسالك والممالك. تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني. مراجعة محمد شفيق غربال. القاهرة. ١٣٨١(هـ/١٩٦١م)

• البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل. (ت : ٣٢٢هـ/٩٣٤م)

٢ صور الأقاليم. مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب / جامعة بغداد رقم ١٤٠٨ - ٣٢٩

• الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (ت : ٢٥٥هـ/٨٦٩م) .

٣ كتاب البلدان. نشره مع مقدمة وتعليقات الدكتور صالح أحمد العلي. مطبعة الحكومة. (بغداد. ١٩٧٠م)

• ابن جعفر، أبو الفرج قدامة الكاتب البغدادي. (ت : ٣٢٠هـ/٩٣٣م) .

٤ نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (مطبوع بعد كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة). باعتناء دي غويه. مطبعة بريل. (ليدن. ١٨٨٩م)

• الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق. (ت : ٢٨٥هـ/٨٩٨م) .

٥ كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر. (الرياض. ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)

• ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبيني. (ت : ٣٦٧هـ/٩٧٧م) .

٦ صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحياة. (بيروت. ١٩٧٩م)

**• ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت : ٣٠٠هـ/٩١٢م) .**

٧ - المسالك والممالك، باعتناء دي غويه. مطبعة بريل، (ليدن، ١٨٨٩م)

**• الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى، (عاش في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) .**

٨ - كتاب صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار، استخرجه من كتاب جغرافيا الذي ألفه بطلميوس القلوذي. باعتناء هانس فون مزيك. مطبعة أدولف هولز هوزن، (فيينا، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م)

**• ابن رستة، أبوعلي أحمد بن عمر، (كان حياً عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م) .**

٩ - الأعلاق النفيسة، المجلد السابع، باعتناء دي غويه، مطبعة بريل، (ليدن. ١٨٩١م)

**• سهراب (عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) .**

١٠ - كتاب عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، باعتناء هانس فون مزيك. مطبعة أدولف هولزهوزن، (فيينا، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م)

**• ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد، (ت: ٣٦٥هـ/٩٧٥م) .**

١١ - بغداد مدينة السلام، تحقيق الدكتور صالح أحمد العلي، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الإعلام، (بغداد، ١٩٧٧م)

١٢ - مختصر كتاب البلدان، الطبعة الأولى،مطبعة بريل، (ليدن، ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م)

**• لغدة الأصفهاني، أبو علي الحسن بن عبد الله، (توفي نحو عام ٣١٠هـ/٩٢٢م) .**

١٣- بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح أحمد العلي. منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، (الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)

**• المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت : ٣٤٦هـ/٩٥٧م)**

١٤ - التنبيه والأشراف، منشورات مكتبة خياط، (بيروت، ١٩٦٥م)

١٥ - مروج الذهب ومعادن الجوهر. ج ١. باعتناء يوسف أسعد داغر. الطبعة السادسة. منشورات دار الأندلس للطباعة والنشر. (بيروت. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)

* المقدسي. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري. (ت : ٣٨١هـ/٩٩١م)

١٦ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. باعتناء دي غويه. مطبعة بريل. (ليدن. ١٩٠٦م)

* الهمداني. لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب. (توفي بعد عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م).

١٧ صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي. أشرف على طبعه حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر. (الرياض. ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)

# ب ـ المصادر القديمة المساعدة

* الحموي. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

١٨ معجم البلدان. مجلد ١ - ٢. منشورات دار الفكر. (بيروت. د ت)

* الرازي. أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد. (توفي بعد عام ٤٦٠هـ/١٠٦٨م)

١٩ تاريخ مدينة صنعاء. تحقيق الدكتور حسين عبد الله العمري. الطبعة الثالثة. منشورات دار الفكر المعاصر/ بيروت ودار الفكر/ دمشق. (دمشق. ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

* الشريف الإدريسي. محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس. (ت : ٥٦٠هـ/١١٦٤م).

٢٠ تحقيق الجزيرة والعراق من روض الفرج وأنس المهج. تحقيق الدكتور إبراهيم شوكت. مجلة المجمع العلمي العراقي. مجلد (٢٣). (بغداد. ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)

٢١ تحقيق الجزيرة والعراق من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. تحقيق الدكتور إبراهيم شوكت. مجلة المجمع العلمي العراقي. مجلد (٢٣). (بغداد. ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)

٢٢ - جزيرة العرب من نزهة المشتاق. تحقيق الدكتور إبراهيم شوكت، مجلة المجمع العلمي العراقي. مجلد (٢١). (بغداد. ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)

## ج ـ المراجع الحديثة المساعدة

* إبراهيم. د. محمد كريم .

٢٣ - البصرة في نصوص تاريخ مدينة صنعاء للرازي. سلسلة تراث البصرة (١٣). منشورات المركز الثقافي/ جامعة البصرة. مطبعة دار الحكمة. (البصرة. ١٩٩١م)

٢٤ - عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦-٦٢٦هـ/١٠٨٣-١٢٢٨م. منشورات مركز دراسات الخليج العربي/ جامعة البصرة، الطبعة الأولى. (البصرة. ١٩٨٥م)

* العنيم. د. عبد الله يوسف .

٢٥ - أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة، (الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) .

* المسري. د. حسين علي .

٢٦ - تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي ٧٤٩ - ١٢٥٨م. منشورات دار الحداثة، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٩٨٢م)

* ناجي. د. عبد الجبار .

٢٧ - دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة البصرة، (البصرة. ١٩٨٦م)

* النجم. عبد الرحمن عبد الكريم .

٢٨ - البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج. منشورات دار الحرية للطباعة. مطبعة الجمهورية، (بغداد. ١٩٧٣م)

* هنتس. فالتر .

٢٩ - المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة الدكتور كامل العسلي، مطبعة القوات المسلحة الأردنية، (عمّان، ١٩٧٠م)

## د ـ الدوريات العربية

• إبراهيم، د. محمد كريم .

٣٠ - الاستقرار العربي في الجانب الشرقي للخليج العربي خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة، مجلة الوثيقة، العدد (٣٣)، مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين، ١٩٩٨م

• آل ثاني، د. روضة سحيم حمد .

٣١ دراسة في جوانب من ديانات العرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام، مجلة كلية التربية / الجامعة المستنصرية، العدد (٤)، (بغداد، ١٩٩٨م)

• حبيب علي .

٣٢ ابن القرية، مجلة المورد، المجلد الخامس، العدد الثالث، (بغداد، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)

• الحديثي، د. قحطان عبد الستار .

٣٣ البحرين في المصادر الجغرافية - دراسة في أحوالها الإدارية والاقتصادية، مجلة الخليج العربي / مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، المجلد (١٦)، العدد (٢)، (البصرة، ١٩٨٤م)

• الحميدان، د. عبد اللطيف ناصر .

٣٤ العصفوريون وقصة ١٥٠ عاما غامضة في تاريخ البحرين، مجلة الوثيقة / مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين، العدد (٣)، السنة الثانية، (رمضان ١٤٠٣هـ/يوليو ١٩٨٣م)

• دكسن، د. عبد الأمير عبد .

٣٥ - عمان في كتابات جغرافيي القرنين الثالث والرابع الهجري، لجنة تدوين تاريخ قطر، الجزء الأول. (الدوحة، ١٩٧٦م)

• زيادة. د. نقولا .

٣٦ - الساحل الشرقي للجزيرة العربية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ملاحظات جغرافية واقتصادية، لجنة تدوين تاريخ قطر. الجزء الأول، (الدوحة، ١٩٧٦م)

• السعدي. د. عباس فاضل .

٣٧ - العرب والنشاط التجاري في المحيط الهندي منذ العصور القديمة إلى العصور الحديثة، مجلة الخليج العربي / مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، المجلد (٢٤)، العدد (١). (البصرة، ١٩٩٢) .

• اليوزبكي. د. توفيق سلطان .

٣٨ - البحرين علاقاتها الإدارية والسياسية بالخلافة العباسية ١٣٢-٣٣٤هـ/٧٤٩-٩٤٥م، مجلة الوثيقة / مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين، العدد (٣٣)، السنة السابعة عشرة، رمضان ١٤١٨هـ/يناير ١٩٩٨م

# نهاية القرامطة

# والصراع على السلطة

## قبيل قيام الإمارة العيونية

**البحرين هو اسم جامع لمنطقة واسعة تمتد من البصرة إلى عمان[1]، وكانت عند قيام الخلافة العباسية هادئة من الناحية السياسية ويرجع ذلك على ما يبدو إلى الضربات التي تلقتها الحركات الخارجية التي قامت فيها إبان الحكم الأموي[2] مما جعلها تركن إلى الهدوء لذلك فإن المصادر لم تشر إليها كثيراً في العصر العباسي الأول وحتى قيام الحركة القرمطية فيها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري والتي لفتت النظام العالم الإسلامي بأجمعه لفترة تزيد على القرن ونصف القرن.**

والقرامطة تنسب الى رجل يدعى حمدان قرمط قدم من خوزستان الى سواد الكوفة واظهر الزهد والتقشف وادعى انه رسول المهدي المنتظر فجمع الاتباع وكثر مؤيدوه من السواد ثم عمل على توسيع دعوته فارسل دعاته الى حدود ايران واليمن والبحرين[3]. وفي البحرين تبنى الدعوة هناك رجل يدعى يحيى بن المهدي فعمل على استغلال عواطف الناس وحبهم لآل البيت فجمع عددا من الاتباع منهم ابو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي وكان تاجر طعام له مكانة مرموقة[4] ويتمتع بقدرة فائقة على

# البحـــرين



عن لوحة للفنان إبراهيم بوسعد

بقلم الدكتور : جاسم ياسين الدرويش



الوثيقة ـ ١٣٩

المناقشة والإقناع[٦]. وقد ركز أبو سعيد على كسب تأييد القبائل من الأعراب وذلك لقلة معرفتهم العميقة في أمور الدين إضافة إلى عدم رغبتهم في الخضوع إلى السلطة المركزية فمال إليه عدد من قبائل كلاب وعقيل والخريس[٧]. الذين أصبحوا فيما بعد يشكلون القوة الرئيسية في الجيش القرمطي طيلة قرن ونصف مدفوعين بدوافع اقتصادية وهي المكسب المادي من وراء مهاجمة المدن وقوافل الحاج ثم بدوافع الحرية وعدم الخضوع للسلطة . لذا نرى أن هذه القبائل التي أعطت تأييدها للقرامطة وحاربت معهم كثيراً ما تخرج عليهم وتقاتلهم[٨]. إذا رأت أن مصلحتها تقتضي ذلك وهذا ما يدفعنا إلى القول أن القبائل التي ساعدت القرامطة لم تكن بالضرورة على عقيدتهم في أغلب الأحيان[٩]

عمل القرامطة بعد إخضاع البحرين لنفوذهم على توسيعه إلى المناطق المجاورة فهاجموا البصرة وجنوب العراق. كما هاجموا عمان وسيطروا على القسم الأكبر منها[١٠] ثم عملوا في توسيع نفوذهم لضم بلاد الشام وذلك في منتصف القرن الرابع الهجري حيث استطاعوا اكتساحها ومهاجمة مصر إلا أنهم أخفقوا في ذلك[١١]. وكانت سنوات العقد السادس من القرن الرابع الهجري تمثل قمة نشاطهم العسكري. ثم أخذ نجمهم في الأفول بعد هذا التاريخ. أما عن كيفية حدوث ذلك فقد اختلفت الآراء حوله بشكل كبير جداً. لذا فإننا سنعمل في الصفحات القادمة على تسليط الأضواء على هذه القضية محاولين التركيز على نقطتين : الأولى هي حل ما أشكل حول اختلاف الآراء عن نهاية القرامطة. والثانية توضيح الصراع السياسي الدولي / المحلي الذي دار للاستحواذ على منطقة البحرين واقتسام أملاك الرجل المريض (القرامطة) وهو يحتضر .

*شهد الربع الأخير من القرن الرابع الهجري ضعف دولة القرامطة وانحلالها[١٢]. فبعد الهزيمة الكبيرة التي حلت بهم في عام (٣٧٥هـ/٩٨٥م) على أيدي جيش الخلافة في الكوفة وانسحابهم إلى معاقلهم في البحرين[١٣].* تجرأت عليهم المناطق التي كانت خاضعة لهم، وكانت القبائل العمانية هي السباقة

هذا المجال، فما إن وصلت أخبار هزيمة القرامطة على أيدي جيش الخلافة عام (٣٧٥هـ/٩٨٥م) حتى باشرت القبائل العمانية وبقيادة الحركة الإباضية بالانقضاض على معاقل القرامطة في شمال عمان وطردهم منها[١٤]، ثم تبعهم في ذلك القبائل العربية القاطنة بين البحرين والبصرة خصوصاً قبائل المنتفق. إذ يشير ابن الأثير إلى أن الأصفر[١٥] زعيم بني المنتفق قام بمهاجمة البحرين عام (٣٧٨هـ/٩٨٨م) وأوقع هزيمة كبيرة بالقرامطة سار على أثرها إلى الاحساء وحاصرهم ثم عدل إلى القطيف واستولى على ممتلكات القرامطة فيها ثم انسحب إلى البصرة[١٦]، وأشارت المصادر أيضاً أن الأصيفر الأعرابي اتفق مع الخلافة على حماية الحاج وخفارتهم من حد الكوفة إلى عمان وإقامة الخطبة العباسية هناك مقابل مبالغ معينة تدفع إليه سنوياً[١٧]. ويبدو أن الأصيفر الأعرابي هو نفسه الأصيفر (أو الأصفر) المنتفقي إذ تأرجحت المصادر في الإشارة إلى هذا اللقب أو ذاك خلال حوادث تعرضه للحاج[١٨].

إن المصادر الآنفة الذكر لم تشر إلى أي نشاط للقرامطة منذ نهاية القرن الرابع الهجري، كما أنها لم تشر إلى نهايتهم، إلا أن ابن خلدون ينفرد بالقول أن حكم القرامطة في البحرين انتهى باستيلاء الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي عليها في عام (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وأقام الخطبة العباسية فيها، ويضيف قائلاً أن الأصفر هذا اختلف مع بني عقيل في البحرين فأجلاهم عنها إلى العراق ثم طمع في ملكهم فسار إليهم وحاربهم برأس عين التمر واستولى على مناطق نفوذهم وأخضع الجزيرة والموصل ولكنه اصطدم بنصير الدولة إبن مروان[١٩] صاحب ميافارين وديار بكر فهزمه الأخير واعتقله وإن ملكه بقي متوارثا في بنيه بالبحرين[٢٠].

ويبدو أن ما ذهب إليه ابن خلدون من أن الأصفر التغلبي[٢١] قضى على القرامطة في البحرين عام (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وأقام له دولة هناك، أمر فيه نظر، إذ لم يعرف عن ظهور أسرة في البحرين بهذا الاسم[٢٢]. كما أن القرامطة استمر نفوذهم في البحرين حتى منتصف القرن الخامس الهجري، فعندما زارهم الرحالة ناصر خسرو ذكر أن ملكهم مازال في الاحساء وأنهم في قوة ومنعة[٢٣].

ويعتقد البعض أن نهاية قرامطة البحرين كانت في نهاية القرن الرابع الهجري عندما سيطر الأصفر التغلبي على

الاحساء في عام (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وأن الأصفر أسس دولة له هناك استمرت حتى قيام الإمارة العيونية[24]. وقد عمل العيونيون على إثارة السلاجقة من أجل الحصول على مساعدتهم للوصول إلى الحكم عن طريق وصف الزعماء المحليين من بني الأصفر بالقرامطة[25]. وقد بنى هؤلاء آراءهم على ما سبقت الإشارة إليه في تاريخ ابن خلدون وهو أن القرامطة تم القضاء عليهم من قبل الأصفر الثعلبي عام (٣٩٨هـ/١٠٠٧م)[26]

ويبدو أن العامل الأول في اختلاف الآراء حول نهاية القرامطة هو أن ابن خلدون لا يعرف شيئاً عن العيونيين، وهذا ما أشكل على ابن لعبون والدكتور الحميدان[27]. فابن خلدون ظن أن هناك إمارة أنشأها الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي[28] استمرت في البحرين من نهاية القرن الرابع الهجري حتى القرن السابع الهجري حيث تغلب عليها بنو عقيل وهو يشير إلى هذا في أكثر من موضع فيصف إمارة الأصفر تارة ببني أبي الحسن[29]. وتارة أبي الحسين الأصفر بن تغلب[30] ومرة ثالثة بنو الأصفر[31] ثم يتبع ذلك قول ابن سعيد *(سألت أهل البحرين في سنة إحدى وخمسين وستمائة حين لقيتهم بالمدينة النبوية فقالوا الملك فيها لبني عامر بن عقيل)*[32]، إن المشكل الرئيسي هنا هو أن ابن خلدون يشير إلى أن بني عقيل أخذوا البحرين من بني أبي الحسن (وترد أحياناً الحسين) في النصف الأول من القرن السابع الهجري. وهذا ما دفع البعض إلى الاعتقاد أن بني أبي الحسن أو الحسين إنما هم أبناء محمد بن أبي الحسين العيوني[33] الذي تولى حكم الإمارة العيونية في نهاية القرن السادس الهجري[34]

ويبدو أن إشارات ابن خلدون هذه لا توحي بأن المقصود هو الإمارة العيونية فهو يشير صراحة إلى أن بني عامر أخو المنتفق غلبوا على البحرين *(وملكوها من يدي أبي الحسين الأصفر بن تغلب وكانت هذه المواطن للأزد وبني تميم وعبد القيس فورث هؤلاء فيها أرضهم وديارهم. قال ابن سعيد وملكوا أيضاً أرض اليمامة من بني كلاب وكان ملكهم فيها لعهد الخمسين والستمائة عصفور وبنوه)*[35]. كما يشير ابن خلدون في مكان آخر إلى أن الأصفر التغلبي قضى على قرامطة البحرين وأسس له دولة أورثها بنيه. كما

حارب بني عقيل في الموصل سنة (٤٣٨هـ/١٠٤٦م)، واستمر ملكهم في البحرين إلى أن غلب السلاجقة على بني عقيل في الموصل والجزيرة فتحولوا عنها إلى البحرين وغلبوا على بني ثعلب جماعة الأصفر، ثم تبع ذلك ما رواه عن ابن سعيد بأن بني عامر بن عوف بن عقيل هم أصحاب الاحساء في منتصف القرن السابع الهجري وأن بني ثعلبة هم من جملة رعاياهم[٣٦] .

يمكن أن نستنتج من روايات ابن خلدون هذه عدة أمور منها :

١ - أن الأصفر الثعلبي قضى على سلطة القرامطة في البحرين في نهاية القرن الرابع الهجري .

٢ - أن إمارة بني الأصفر استمرت من نهاية القرن الرابع الهجري حتى سقوطها على أيدي بني عقيل في القرن السابع الهجري .

٣ - أن بني عامر بن عوف بن عقيل تولوا الحكم في البحرين في النصف الأول من القرن السابع الهجري .

٤ - أن الأصفر الثعلبي هذا حارب بني عقيل في الموصل في عام ٤٨٣هـ/١٠٤٦م .

٥ - أن الأصيفر الثعلبي كان يعترض طريق الحاج ويثير لهم المتاعب وكان منها ما قام به سنة (٣٩٤هـ/١٠٠٣م) عندما اعترض طريق حجاج العراق وخراسان فوعظه قارئان كانا في صحبة الحاج فخلى سبيلهم ولم يعترض طريقهم[٣٧]

٦ - أنه كان يقيم الخطبة العباسية

٧ - ربما يظن أن ابن خلدون قصد ببني ثعلبة هم العيونيين أنفسهم

* * *

ويبدو أن معلومات ابن خلدون هذه يسودها الغموض والاضطراب في كثير من جوانبها وذلك :

١) أنه يشير إلى أن سلطة القرامطة في البحرين انتهت في عام (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) على يد الأصفر أو الأصفر التغلبي في حين أننا نجد أن ناصر خسرو الذي زار الاحساء في عام (٤٤٢هـ/١٠٥٠م) ومكث فيها شهورا عديدة ذكر لنا بأن حكام الاحساء بوسعيديون يحكمون على شكل هيئة جماعية تتكون من ستة ملوك وستة وزراء[٣٨]، وهذا النظام كان سائداً عند

القرامطة منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري. وذكر ناصر خسرو أيضا أن سلطة حكومة الاحساء تمتد إلى جزيرة أوال[٣٩]. كما أن صاحب المخطوطة التيمورية الذي كتب عن أمراء العيونيين والذي يعتقد أنه كان حيا في عام (٦٣٦هـ/١٢٣٨م). أي أنه شاهد عيان لنهاية الإمارة العيونية[٤٠]. ذكر أن نهاية القرامطة في الاحساء كانت على يد عبد الله بن علي العيوني في العقد السادس من القرن الخامس الهجري[٤١]. أما ما ذهب إليه البعض من أن الحكومة التي أطاح بها عبد الله بن علي هم من الزعماء المحليين وأن ادعاء عبد الله بن علي أن هؤلاء كانوا قرامطة هو ادعاء باطل الغرض منه الحصول على مساعدة السلاجقة[٤٢]. فقد فاتهم أن ناصر خسرو نفسه كان داعيا اسماعيليا[٤٣] اعترف بوجود حكومة القرامطة عند زيارته الاحساء كما أشار إلى ثورة القبائل العربية عليهم في عام (٤٤٢هـ/١٠٥٠م)[٤٤] وهذا الوقت كما هو معروف قبل مجيء السلاجقة إلى السلطة في العراق. كما أن صاحب المخطوطة التيمورية كان موظفاً لدى الأتابك أبو بكر السلغري الذي شن الغارات مراراً على الإمارة العيونية حتى تمكن من الإطاحة بها[٤٥]، فهو أيضاً يمثل الجانب المعادي للعيونيين.

٢) أن ما ذهب إليه ابن خلدون من أن إمارة بني الأصفر في البحرين استمرت حتى سقوط دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة أمر لا تؤيده المصادر الأخرى. فالأصفر الثعلبي الذي ذكره ابن خلدون ذكرته المصادر الأخرى الأصيفر الأعرابي أو المنتفقي وأبعد ما وصلت إليه حركة الأصيفر هذا هو محاصرته القرامطة في الاحساء وعندما فشل في احتلالها انتهب أموال القرامطة في القطيف ثم انسحب إلى البصرة وذلك في عام (٣٧٨هـ/٩٨٨م)[٤٦]. ولكن النجاح الذي حققه الأصيفر في تحجيم قوة القرامطة وحصرها في الاحساء صاحبه على ما يبدو تكوين إمارة له في مناطق البادية بين نجد والكوفة والبصرة حيث أخضع كافة القبائل العربية لسلطانه. وهذا ما دفعه إلى إرسال وفد إلى الخلافة وتعهده بحماية طريق الحاج والقوافل وإقامة الخطبة العباسية مقابل مبالغ سنوية تدفع إليه[٤٧]. والواقع أن الأصيفر لم يلتزم بتعهده هذا للخلافة بل استمر في نشاطه في منطقة البادية وتعرضه للحاج حتى وفاته عام (٤١٠هـ/١٠١٩م)[٤٨]. ولا يمنع من أن إمارة للأصفر ربما قامت في منطقة البادية

واستمرت حتى سقوط دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة في عام ٤٨٩هـ/١٠٩٥ - ١٠٩٦م)[٤٩] إذ رجع عدد منهم إلى منطقة البادية حيث يوجد بنو عمهم المنتفق بين البصرة والكوفة والبحرين مما عزز موقفهم وزاد من نشاطهم بعد هذا التاريخ

٣) أما بخصوص بني الأصفر بن تغلب ودولتهم في البحرين فهو أمر لا تؤيده المصادر. إذ لا نعرف ظهور أسرة في البحرين بهذا الاسم. أما الأصفر التغلبي الذي ظهر برأس العين عام(٤٣٩هـ/١٠٤٧م) وادعى أنه مرسل. فقد تم إنهاء حركته هناك وليس له أي صلة بالبحرين[٥٠] .

٤) يبدو لنا أن الأصيفر الأعرابي أو المنتفقي الذي ورد في المصادر هو نفسه الأصفر التغلبي الذي ورد عند ابن خلدون. ولكن ابن خلدون خلط بينه وبين الأصفر التغلبي الذي ظهر برأس العين. وذلك بدليل حادثة تعرضه للحاج (أي الأصيفر الأعرابي أو المنتفقي) عام (٣٩٤هـ/١٠٠٣م) التي وردت متشابهة عند كل من ابن خلدون والمصادر الأخرى[٥١].

٥) أما ما يمكن أن يتبادر إلى الذهن من قول ابن خلدون أن نهاية بني الأصفر كانت ببني عقيل وأن الأصفر من بني ثعلبة (كما يدعي ابن خلدون) فهو إذن من بني ثعلبة بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس. وعلى هذا فهو جد العيونيين الذين ينتسبون أيضاً إلى الحارث بن أنمار من عبد القيس[٥٢]. إن هذا الاحتمال مردود من عدة وجوه منها أن العيونيين مرّيون لا ثعلبيون ولا تغلبيون وذلك بشهادة الحسين بن ثابت[٥٣] وابن المقرب العيوني وشارح الديوان[٥٤] والأصبهاني. فيذكر الأخير أنه كان في البصرة سنة (٥٥٧هـ/١١٦١م) والتقى بأحد شعراء عبد القيس المدعو الحسين بن ثابت بعد أن نقم عليه أمير الاحساء والقطيف أبو سنان محمد بن الفضل (المرّي)[٥٥]. كما أن مؤرخي الإمارة العيونية ذكروا أنها بدأت بإمارة عبد الله بن علي ولم تكن استمراراً لإمارة الأصفر أو غيره. إضافة إلى أن الأصفر (أو الأصفر باختلاف النسخ) كان أعرابياً من أهل البادية بإجماع المؤرخين[٥٦]. والعيونيون من عبد القيس أهل حواضر ولم يرد عنهم أنهم سكنوا البوادي وذلك بشهادة شاعرهم ابن المقرب وشارح الديوان[٥٧]. ثم أغلب المؤرخين عد

ابـن خلـدون ذكـروا أن الأصغـر (أو الأصيفر أو الأصفر) منتفقي أي أنه من المنتفـق بـن عقيـل بـن عـامر بـن صعصعه[٥٨]. وقد تقدم ما يوضح التباس الأمـر على ابن خلدون

٦) وأخيراً فإن ما يعزز مـا ذهبنا إليه من أن إمارة للأصيغر المنتفقي (من بني عقيل) ربما قامت في منطقة البادية بين البحريـن والكوفة والبصرة هـو أن القرامطه في الاحسـاء كـانوا يدفعـون لهؤلاء الإتاوة حتى منتصـف القـرن الخامس الهجري. بدليـل أن عبد الله بن علي عندما قضى على القرامطة قطع تلك الإتاوة التي كان يدفعـها القرامطـة لبني عقيل مما أدى إلى ثورتهم الكبـيرة ضده"

عندما جاء منتصف القرن الخامس الهجري كـان الجـو السياسـي العـام في منطقـة البحريـن يتمثـل بظـهور قوتـين كبيرتين حـاولت كـل منـهما استخدام نفوذهـا للسيطرة على المنطقـة. وهمـا الخلافـة العباسـية والفـاطميون. فيمـا تراجعت القوة الثالثة محاولة الاحتفـاظ بـأقل مـا يمكـن مـن النفـوذ في سـبيل البقاء. وتتمثل القـوة الثالثـة بالقرامطـة الذيـن حـاولوا التقرب إلى الأهـالي عـن طريـق تقديـم الخدمـات العامـة وبـذل الأموال[٦٠] من أجل كسب التأييد. ولكنها بالرغم من هذه الجهود فشلت في مواجهة المد الكبـير الـذي تمثـل في ثـورة القبـائل العربيـة المدعـوم مـن قبـل الخلافـة العباسية

تتمثل الجهة الثانية التي حـاولت السـيطرة على المنطقـة في هـذا الوقـت بالفـاطميين. فقـد أدرك الفـاطميون مـدى الخطر الذي يواجه مصالحهم في الخليج والجزيـرة العربيـة بسـبب انحسـار قـوة القرامطة. فأرسلوا دعاتهم إلى المنطقة منذ النصـف الأول مـن القـرن الخـامس الهجري[٦١]. وقد أوكلـوا مهمـة الإشـراف علـى الدعـوة هنـاك إلى علـي بـن محمـد الصليحي[٦٢] حـاكم اليمـن. ويسـتفاد مـن خطاب أرسله علي الصليحي إلى المستنصر بـالله الفـاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧هـ/١٠٣٥ - ١٠٩٤م) بأنه حارب رجلاً من هجر اسمه ابـن عـراف وهزمـه وقـد شـكر المسـتنصر الفاطمي علي الصليحي علـى هـذا العمـل وعين داعية في البحرين اسمه عبد الله بن إبراهيم بدل الذي توفى وهو أسعد بن عبد الله[٦٣]. كما تشير السجلات المستنصرية إلى داع آخر في الاحساء وهو عبد الله بن علي العلوي وتشيد بجـهوده الـتي بذلهـا

من أجل الدعوة هناك[14]، ويبدو أن رد الفعل الفاطمي تجاه أحداث البحرين لم يكن بالمستوى الموازي لرد فعل الخلافة العباسية فيها. وهذا ما أدى بالتالي إلى انحسار النفوذ الفاطمي من المنطقة إذ لم نعد نسمع له ذكراً في السجلات المستنصرية بعد منتصف القرن الخامس الهجري على عكس عمان التي استمر نشاط الدعاة فيها إلى ما بعد هذا التاريخ على الرغم من أنهم لم يحققوا فيها أيضاً أي مكاسب سياسية[15].

أما الخلافة العباسية فقد عملت على كسب ود القبائل العربية وساعدتها من أجل مد نفوذها على المنطقة وذلك لما لها من أهمية كبيرة لوقوعها على طريق حاج العراق من جهة وخطوط التجارة البحرية ومصائد اللؤلؤ الذي يعد ثروة يحسب حسابها آنذاك من جهة أخرى. وكانت الصفقة الأولى التي عقدتها الخلافة مع الأصيفر المنتفقي لضمان سلامة قوافل الحاج والمدن المتاخمة للبادية من هجمات الأعراب[16]. إلا أن الأصفر لم يف بالتزاماته تجاه الخلافة فاستمر بالتعرض للحاج حتى وفاته عام (٤١٠هـ/١٠١٩م)[17]. مما حدا بالخلافة إلى التفتيش عن حليف جديد في المنطقة، ويبدو أن قبائل عبد القيس كانت الحليف المناسب الذي يمكن الاعتماد عليه إذ كانوا على مذهب الخلافة ويشكلون نسبة مهمة من سكان المراكز الحضرية في البحرين[18].

وفي عام (٤٤٣هـ/١٠٥١م) عندما زار ناصر خسرو الاحساء وجدها محاصرة من قبل أمير عربي منذ سنة، ويستفاد من إشاراته أن هذا الأمير الذي كان يحاصر القرامطة لم يكن من أهل البادية[19]. مما يدفع إلى القول أن هذا الأمير ربما كان أحد زعماء عبد القيس. إذ نرى أن رجالات عبد القيس تزعمت الحركات ضد القرامطة في ثلاثة مراكز مهمة من إقليم البحرين وهي جزيرة أوال والقطيف والاحساء. إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أن جميع عبد القيس توحدوا ضد القرامطة. فقد وقف قسم منهم إلى جانب القرامطة ضد حركة أبي البهلول في جزيرة أوال - كما سنرى - كما أن جميع من ناهضوا القرامطة من عبد القيس لم يكونوا متحدي الكلمة إذ جمعهم اسم عبد القيس وفرقتهم المصالح.

إن أول حركة اتخذت طابعاً دينياً وسياسياً ضد القرامطة هي حركة أبي

البهلول محمد بن يوسف الزجاج وهو أحد زعماء عبد القيس في جزيرة أوال[71] وقد كان ضامناً لمكوسها فطمع بالاستيلاء على الجزيرة لما رأى من ضعف القرامطة وانحلال أمرهم[72]. وكان له أخ خطيب مشهور بالتدين فاتفق مع أخيه أن يبدل القرامطة في الجزيرة وينضم إلى الخلافة في بغداد. فعملوا الحيلة للوصول إلى غايتهم. فأرسلوا إلى ناظر القرامطة وممثلهم في جزيرة أوال مبلغ ثلاثة آلاف دينار على أن يمكنهم من بناء جامع يجتمع إليه من أحب من أهل البلد والمسافرين لأن البلد خال من جامع تصلي فيه الجمعة. كما أن قيامها يعني مجيء المزيد من التجار والمسافرين إلى الجزيرة مما يضاعف لهم الربح. عند ذلك رفع والي القرامطة وممثلهم المدعو جعفر بن أبي محمد بن عرهم هذا الطلب إلى القرامطة في الاحساء، فجاء الرد بالموافقة[73]. فلما تم بناء الجامع صعد أبو الوليد الزجاج المنبر وخطب للخليفة القائم بأمر الله[73]. وقد استنكر أنصار القرامطة هذا الأمر على ابن الزجاج وطالبوا أن تمنع الخطبة والصلاة في الجامع وأرسل إلى القرامطة للمشاورة واتخاذ ما يلزم فأجابوا (*ألا يعترضوا في مذهبهم ولا يمنعوا من خطبهم*)[74]. إن موافقة القرامطة على أعمال ابن الزجاج دليل أكيد على مدى الضعف الذي وصلوا إليه ومحاولتهم عدم إثارة الأهالي ضدهم. وقد أدرك ابن الزجاج ذلك، لذا لم يبال بكل الأصوات التي حاولت الوقوف ضده. فعندما قامت حركة البساسيري في بغداد في ذي القعدة عام (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) وخطب للمستنصر الفاطمي على منابر بغداد اعترض أنصار القرامطة في الجزيرة على أبي الوليد الزجاج ومنعوه من الخطبة وقالوا له (*أن الذي كنت تخطب له قد بطل وصارت الخطبة بالعراق للمستنصر بالله صاحب مصر ويجب أن تكون الخطبة له دون من بطل حكمه*)[75]. إلا أن أبا البهلول رفض طلبهم وأرسل إلى القرامطة مجموعة من الأموال مقابل عدم التعرض له فأجابوه بالرضى. وبذلك ارتفع شأن أبي البهلول في الجزيرة وذاع صيته وقوي أمره. ثم حاول إظهار تقربه إلى أهل البلد فاتفق معهم بتقسيط الأموال التي تدفع إلى القرامطة فإذا رفض طلبهم امتنعوا عن دفع الأموال، فذهب إلى ناظر القرامطة ابن عرهم وسأله التخفيف عن أهل البلد بتقسيط الأموال عليهم. ولما رفض طلبهم اضطربوا عليه وامتنعوا عن دفع الأموال.

وعند ذلك أرسل ابن عرهم إلى القرامطة يستشيرهم بالأمر حيث لم تكن له طاقة بأبي البهلول. عندئذ نفد صبر القرامطة فقرروا عزل ابن عرهم عن الجزيرة وتولية شخص آخر وأمروه بالقبض على أبي البهلول ومصادرة أمواله[٧٦]. إلا أن أبا البهلول جمع أهله وأقاربه واستمال شخصاً آخر يدعى ابن أبي العريان وهو أيضاً أحد رجالات عبد القيس في جزيرة أوال[٧٧] وطلبا من أصحاب البساتين والضياع عدم تسليم الأموال إلا بإجابة مطالبهم. فاجتمع معهم نحو ثلاثين ألف رجل. وعندما عرف والي القرامطة الجديد ذلك قرر القبض على أبي البهلول وابن أبي العريان إلا أنهما عاجلاه بالرجال والقتال فهرب إلى السفن في البحر بعد أن قتل عدد من أصحابه[٧٨]. وبذلك تمكن أبو البهلول من الاستيلاء على الجزيرة، ولما لم يكن القرامطة في وضع يمكنهم من القضاء عليه لذلك قرروا طلب المساعدة من عمان. فأرسل وزير القرامطة أبو عبد الله بن سنبر بعض أولاده إلى عمان لطلب المساعدة من المال والسلاح[٧٩]. ولا نعرف بالضبط الجهة التي ساعدت القرامطة من عمان. إذ أن عمان في هذا الوقت كانت تعيش حالة من الانقسام أيام إمامها حفص بن راشد (٤٤٥ - ٤٥٣هـ/١٠٥٣ - ١٠٦١م) كما أن الغزو السلجوقي لها لم يقع بعد[٨٠]. لذا نرجح أن المساعدة ربما جاءت من بعض القبائل الساكنة في شمال عمان التي كانت تحت النفوذ القرمطي سابقاً وخصوصاً بني الحدان من الأزد الذين وصفهم ابن المقرب بأنهم قد طمعوا في الملك مع القرامطة[٨١]. كما كانت صلتهم بالقرامطة قديمة ترجع إلى نهاية القرن الثالث الهجري[٨٢]. والمساعدة تتكون من خمسة آلاف دينار وثلاثة آلاف رمح ولكن أبا البهلول وابن أبي العريان كمنوا لهم في طريق العودة فاستولوا على المال والسلاح وقتلوا الرجال[٨٣]. وقد عز على الوزير القرمطي ابن سنبر وقوع هذا الحادث فعمل الحيلة للتفريق بين ابن أبي العريان وأبي البهلول. فكاتب الأول سراً ووعده بأن يوليه الجزيرة إن ساعده على أبي البهلول. فوافق ابن أبي العريان على هذا العرض على أن تأتي العساكر القرمطية إلى جزيرة أوال ويقوم هو بقتل أبي البهلول ثم ينحاز إلى القرامطة بعد إقناع أصحابه أن لا سبيل إلى مقاومة القرامطة[٨٤]. ومن جانب آخر عمل القرامطة على استمالة عدد كبير من قبائل بني عامر وذلك عن طريق بذل المال

لهم. ولا ننسى أن بني عامر كانوا الحلفاء المخلصين للقرامطة منذ قيام دولتهم في البحرين حتى نهايتها[85]. كما تمكن القرامطة من استمالة شخص آخر من عبد القيس هو بشر بن مفلح الذي وصفته المصادر بأنه أحد العيونيين[86]. حيث وعدوه هو الآخر بولاية جزيرة أوال إذا تم استرجاعها من أبي البهلول[87]. وهكذا فإن القرامطة قاموا باستنفار قواتهم كافة وجمعوا أنصارهم من أجل استرجاع الجزيرة لأنهم أدركوا أن خروجها من أيديهم يعني حرمانهم من مورد اقتصادي مهم كان يأتيهم من الضرائب المفروضة على التجارة والغوص على اللؤلؤ. ولهذا نراهم يبذلون كل ما في وسعهم لاسترجاع جريرة أوال

وعندما عرف أبو البهلول بالمؤامرة التي حيكت ضده، قرر الابتداء بابن أبي العريان فأرسل من قتله سراً وعندما اتهموه بقتله سارع إلى إنكار ذلك وأرضى أقاربه بالمال فسكتوا عنه، ثم أخذ يعمل على تنظيم جيشه في كل من البر والبحر. أما القرامطة فقد اتجهوا إلى الجزيرة بقيادة الوزير القرمطي أبو عبد الله بن سنبر ولديهم مائة وثمانون قطعة حربية مشحونة بالرجال من بني عامر وخمسمائة من الخيل محملة في السفن. فلما نزلوا إلى الجزيرة لم يتوقعوا حرباً إذ لم يعلموا باغتيال ابن أبي العريان. وهكذا فوجئوا بهجوم صاعق قام به أبو البهلول على جيش القرامطة وحلفائهم في موضع يدعى كسكوس[88] وتمكن من إيقاع الهزيمة بالجيش القرمطي وحلفائه وقتل وأسر عدداً كبيراً منهم وبذلك تم لأبي البهلول الاستقلال بالجزيرة إذ لم يتمكن القرامطة بعدها من المعاودة إليها وانسحبوا إلى الاحساء فيما عمل أبو البهلول في المسارعة بمكاتبة الخلافة لتساعد على تقويض ما تبقى من حكم القرامطة في البحرين وإقامة الخطبة للخلافة فيها[89].

إن النجاح الذي حققه أبو البهلول في جزيرة أوال دفع زعامات طامعة أخرى من عبد القيس إلى التحرك في بقية مناطق البحرين لتقويض وإنهاء نفوذ القرامطة بصورة كاملة، فكانت القطيف المحطة الثانية التي شهدت ثورة على الحكم القرمطي فيها، لقد ثار يحيى بن عياش الجذمي[90] وتمكن من إخراج القرامطة من القطيف والاستيلاء عليها ولم يتمكن القرامطة من التصدي له فاضطروا إلى

التقهقر إلى الاحساء والاحتماء داخل أسوارها فتحرك إليها زعيم ثالث من عبد القيس وهو عبد الله بن علي العيوني. نسبة إلى العيون وهي محلة تقع شمال الاحساء[91]، حيث طمع هو الآخر في أخذ حصته من القرامطة والاستيلاء على البلاد. ولا يعرف تاريخ خروج كل من ابن عياش وعبد الله بن علي على القرامطة إلا أننا نرجح أن ذلك كان في ستينات القرن الخامس الهجري. إذ أجمعت المصادر أن استيلاء عبد الله بن علي على الاحساء كان في عام (٤٦٦هـ/١٠٧٦م) وأن حربه مع القرامطة دامت سبع سنوات[92]

مما مر يتبين أن البحرين في بداية عقد الستينات من القرن الخامس الهجري كانت موزعة إلى ثلاثة مراكز هي جزيرة أوال تحت زعامة أبي البهلول. والقطيف بزعامة يحيى بن العياش. والاحساء بيد القرامطة ومحاصرة من قبل عبد الله بن علي. أن هذه الزعامات الثلاث كلها ترجع في أصولها إلى عبد القيس ولكنها لم تتفق فيما بينها منذ البداية فكل منهم شق طريقه بمفرده وحاول الاستيلاء على بلاد البحرين كافة. وهكذا دخل الثلاثة في حلبة الصراع والعدو الأكبر (القرامطة) ما يزال متقوقعا داخل حصون مدينة الاحساء. وقد وجه الثلاثة أنظارهم إلى بغداد التي أخذت تراقب الموقف باهتمام كبير لترى من سيفوز كي تقدم له المساعدة الضرورية التي تعيد سيادتها على المنطقة، وحتى لا نستبق الأحداث لنتابع خطواتها .

عندما استولى يحيى بن العياش على القطيف طمع في السيطرة على بلاد البحرين كافة، وحاول الابتداء بجزيرة أوال ولكن المنية عاجلته فتولى ابنه زكريا حكم البلاد مكانه وقد حقق خطة أبيه إذ جهز جيشاً عبر به إلى جزيرة أوال وتمكن من إلحاق الهزيمة بأبي البهلول وقتله وضم الجزيرة إلى حكمه[93]، وبذلك علا نجم زكريا بن يحيى بن العياش وزاد صيته فرغبت الخلافة في مراسلته. ويبدو أن أول اتصال حدث بين الطرفين كان في البصرة بين وفد ابن عياش ووفد يمثل الخلافة. إذ عرض أصحاب ابن عياش على وفد الخلافة تقديم مساعدة تقدر بمائتي فارس إلى زكريا صاحب القطيف كي يتمكن بواسطتها من القضاء على القرامطة في الاحساء وتقام الخطب

العباسية هناك. وتعهد الوفد بدفع مبالغ سنوية إلى الخلافة والسلطنة في بغداد، إلا أن وفد بغداد برئاسة ابن الزراد وهو أحد خدمة حجاب السلطان ملكشاه السلجوقي الذي تردد بين القطيف وبغداد أطمع السلطان ووزيره نظام الملك بضرورة السيطرة على تلك النواحي. واتفق مع أمراء البدو القاطنين على الطريق بين العراق والبحرين بإعطائهم حصة من الغنائم متجاهلاً زكريا بن يحيى بن العياش حاكم القطيف[94]. وهكذا تجمع الجيش في البصرة للخروج باتجاه البحرين بقيادة أحد حجاب السلطان المدعو كجلينا فلما وصلوا إلى موضع جبل سنام[95] كانوا يتوقعون انحياز العرب في البادية إليهم. إلا أن أحد بطون العرب من قيس وقبات[96] نزلوا على طريقهم طمعاً فيهم وجرت مناوشات تغلب فيها كجلينا ولكنه لم يستطع ملاحقتهم فبدأ يلاطفهم وهم يسايرونه ويبتاعون التمر والذرة بالثمن الذي يريدونه فلما صار على مقربة من القطيف وراسلوا ابن عياش وجدوا الأمر بخلاف ما جاءوا عليه فعلموا أن ابن الزراد قد كذبهم.

وكان جواب ابن عياش إليهم أن الذي استقر بينه وبين وفدهم هو أن ينفذ السلطان مائتي فارس يكونون تحت زعامة ابن عياش وبرأيه. أما طبل وأعلام وقيادة وسلطان فهذا ما لا يمكن الموافقة عليه. وقد أبدى ابن عياش تحفظه من الاجتماع مع قائد الجيش كجلينا إذ ذكره بغدره بقبائل العرب من قيس وقبات ثم عرض عليه أن يرجع إلى البصرة ويسلم القوات التي معه إليه يسير بها إلى الاحساء ليستولي عليها ويقيم الخطبة العباسية ويرسل الأموال السنوية إلى بغداد فأنت (كالسبع في الأجمة وحولها الأعداء لا يمكنك القام ولا العود)[97]. ثم جرت بينهم مراسلات لم تؤد إلى نتيجة فوقعت الحرب بينهما. وفي اليوم الثالث منها عمل ابن عياش على استمالة قبائل قيس وقبات حيث أخذوا جمالهم وأحمالهم وما عليها من متاع وساروا فيها في البرية. فلما علم كجلينا بذلك انسحب من المعركة وسار وراء قبائل قيس وقبات فنُهب معسكره ولم يظفر بالعرب. وقد أوشك هو وجنده على الهلاك لولا مجيء شبانة أو الشبانات[98] مع عربه وقدموا لهم الغذاء والجمال بالثمن الذي يريدونه

حتى أوصلوهم إلى البصرة فخلع كجلينا على شبانة وأصحابه الذي كان من الممكن أن يهلكوا في البرية لولاه[٩٩].

إن الهزيمة التي حلت بجيش الخلافة في القطيف جعلت أنظارها تتجه إلى الشخص الآخر من عبد القيس وهو عبد الله بن علي العيوني الذي كان ما يزال يحاصر القرامطة في الأحساء ويضيق عليهم الخناق. وكان عبد الله بن علي قد كتب في عام (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) إلى كل من الخليفة القائم بأمر الله والسلطان ملكشاه السلجوقي ووزيره نظام الملك يدعوهم فيها إلى مساعدته للقضاء على القرامطة وإقامة الخطبة العباسية في البحرين، وعند ذاك قررت الخلافة إرسال جيش إلى هناك للانتقام أولاً من ابن عياش الذي حارب الجيش العباسي ثم مساعدة عبد الله بن علي في القضاء على القرامطة. وقد أسندت قيادة الجيش إلى أكسك سلار[١٠٠] وكان عدده سبعة آلاف فارس توجه به نحو القطيف أولاً حيث تمكن من احتلالها وهرب ابن عياش إلى جزيرة أوال، ثم توجه نحو الاحساء حيث كان عبد الله بن علي يحاصرها واشترك معه في عمليات مطاردة الأعراب من بني عامر الذين كانوا يساندون القرامطة وأحكم الحصار عليهم فأرسلوا إليه يطلبون الصلح على مال يدفعونه إليه شرط أن يمهلهم شهراً يتمكنون خلاله من جمع المال مقابل أخذ ثلاثة عشر رجلاً منهم رهينة، فتم الصلح وأخذ الرهائن. ولكن القرامطة عملوا على جمع الأطعمة والأسلحة وإدخالها إلى أسوارهم ليتقووا بها ثم نقضوا الصلح فقتل الرهائن وشدد الحصار عليهم ولكن إطالة أمد الحصار جعل الجند يتضجرون من ذلك. فشاور قائد الجيش العباسي عبد الله بن علي بالأمر وعرض عليه أن يجعل معه من الجند مائتي فارس مع أخيه البقوش وأن يرجع هو إلى بغداد، ويبدو أن رجوعه كان عبارة عن عملية استبدال الجند. إذ أكد للخلافة في بغداد ضرورة الرجوع لاستخلاص البلاد من القرامطة[١٠١]. وكان الخليفة آنذاك المقتدي بأمر الله (٤٦٧ - ٤٨٧هـ/١٠٧٤ - ١٠٩٤م) فأخذ التوقيع منه وقد جاء فيه: *(الحمد لله الموحد بالجمال والبهاء المتفرد بالقدرة والكبرياء، المنجي من غياهب الشرك برسالة محمد صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق محتداً*

وأصلاً. وأشرفهم درجة ومحلاً. النبي العربي سيد الأنبياء وخاتم الأصفياء أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. الحمد لله الذي عضد الإسلام بالخلفاء الراشدين المهديين الذين أزال الله بهم البدع والمنكر. وجعل الاقتداء بهم سبيل النجاة. يوم الفزع الأكبر وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله فقال عز من قائل **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**. فصارت طاعة أمير المؤمنين لازمة الوجوب. وأضحت قلوب أهل الزيغ منه دائمة الوجوب. وغدت راياته حيث يممت منصورة ظاهرة. وفتوحه متتابعة متقاطرة. فالله يمتع أمير المؤمنين بالنعمة فيه ولا يخلي دولته من حميد مساعيه. وليعلم بك سلار أن الخليفة وقف على ما كان له من جميل الخدمة. وامتثال الأمر في جهاد البطلين القرامطة الملحدين. فليستمر في استئصال ذكرهم. وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم. قال تعالى: **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبكم**(١٠٢).

وليعتمد احماد السيرة فيما فتحه الله عليه من تلك الأعمال وليقدم صالحاً ليوم **تجد فيه كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد**)(١٠٣) ثم انحدر أكسك سلار إلى واسط وهناك وافاه رسول أخيه البقوش فذكر أن أعداداً كبيرة من بني عامر جاءت مدداً إلى القرامطة فكانت معركة حامية في موقع يسمى الرحلين(١٠٤) حيث كانت الهزيمة على القرامطة وأتباعهم من بني عامر وقد ملك عبد الله بن علي البلد وأعطاهم الأمان وذلك في سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م)(١٠٥). وبذلك أسدل الستار نهائياً على دولة قرامطة البحرين بعد حكم دام أكثر من قرن ونصف القرن.

إن نهاية قرامطة البحرين لا تعني نهاية الصراع فيها، إذ تحول الصراع بين زعماء عبد القيس أنفسهم، فقد ظل زكريا بن يحيى بن العياش في جزيرة أوال يتحين الفرص للقضاء على عبد الله بن علي، وما إن انسحب الجيش العباسي إلى البصرة حتى أرسل إبن عياش سرية

للإغارة علـى الاحسـاء فـاصطدمت مـع جيش عبد الله بن علي في قريــة تسـمى ناظرة(١٠٦) فوقعت الهزيمة على جيش ابن عياش واضطر إلى الانسحاب إلى القطيف ولكنه لم يتمكن من الصمود فيــها فعـبر إلى جزيرة أوال وتبعـه الفضـل بـن عبـد الله بـن علـي واشـتبك مـع جيـش ابـن عيـاش في معركــة قتــل فيــها وزيــره المعــروف بــالعكروت وكــان يوصـــف بالشجاعة والدهاء. فلما رأى ابن عياش مقتل وزيره هرب إلى المقير(١٠٧) وقام بجمع الأعراب حوله وزحف بهم نحو القطيـف فالتقى بعبد الله بن علي الـذي أوقـع بـه وقتله وبذلـك انتـهت حركـة ابـن عيـاش وخضعت كل مـن جزيـرة أوال والقطيـف والاحســاء لحكـم عبـد الله بــن علــي العيوني(١٠٨) .

**الدكتور جاسم ياسين الدرويش**
**كلية التربية - جامعة البصرة - العراق**

# الهوامش

١ - البكري. جزيرة العرب. كتاب المسالك والممالك . (تحقيق عبد الله يوسف الغنيم . الكويت ١٩٧٣) ط ٣ . ياقوت الحموي. معجم البلدان (طهران ١٩٦٥) ٥٠٦/١ .

٢ - عبد الرحمن العاني. البحرين في صدر الإسلام (بغداد ١٩٧٣م) ص ١٢٧ - ١٣٧

٣ - ابن النديم. الفهرست (بيروت ١٩٧٨م) ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

٤ - ثابت بن سنان. تاريخ أخبار القرامطة (تحقيق سهيل زكار) ص ١٤ .

٥ - ابن الأثير. الكامل في التاريخ (بيروت ١٩٦٦) ٤٩٤/٧ .

٦ - أبو الفضائل اليماني. كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة (تحقيق محمد زاهر الكوثري - القاهرة ١٣٥٧هـ) ص ٢

٧ - المسعودي . التنبيه والإشراف (القاهرة ١٣٥٧هـ) ص ٣٤٠ - ٣٤١

٨ - ابن خلدون. تاريخ (بيروت ١٩٦٧م) ٤/٥ ١٩ .

٩ - ثابت بن سنان. تاريخ أخبار القرامطة. ص ١٥ وما بعدها .

١٠ - بندلي جوزي. من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام (بيروت بدون تاريخ) ص ١٨٨

١١ - أنظر عن حروب القرامطة في بلاد الشام ومصر ثابت بن سنان. تاريخ أخبار القرامطة ص ١٠٢ - ١٠٣ . ابن الأثير. الكامل في التاريخ ٦١٤/٨ - ٦١٦. ٦٣٨ - ٦٤١ .

١٢ - يشير ابن النديم إلى أن القرامطة أخذ نجمهم يأفل وحالتهم تضعف منذ ستينات القرن الرابع الهجري - الفهرست. ص ٨ - ٢٦

١٣ - الروذراوري. ذيل تجارب الأمم (مصر ١٩١٦) ص ١٠٩ - ١١٠ . ابن الجوزي. المنتظم (حيدراباد ١٣٥٨هـ) ١٢٦/٧ سبط ابن الجوزي . مرآة الزمان (تحقيق جنان محمد. بغداد ١٩٩٠م) ص ٢٢٨

١٤ - ابن خلدون. تاريخ. ١٩٨/٤ - ١٩٩ .

Miles, The Countries and Tribes of the (Arabian) Gulf, London, 1966, p. 121.

١٥ – يرد أيضاً الأصيفر .

١٦ – ابن الأثير الكامل في التاريخ ٥٨/٩ .

١٧ – ابن الجوزي المنتظم ١٧٠/٧ . ابن الأثير، الكامل، ١٠٥/٩ . سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص ٢٤٨ .

١٨ – أنظر على سبيل المقارنة : ابن الجوزي، المنتظم، ١٧٠/٧، ١٧٤، ٢٢٧، ٢٢٩ . ابن الأثير، الكامل، ٥٨/٩، ١٠٥، ٢٢٤، ٣١٣ . ابن تغري، بردى النجوم الزاهرة (ط ١ مصر ١٩٣٢م) ٢١٠/٤، ٢٢٠ .

١٩ – نصير الدولة بن مروان هو أحد ولاة الخلافة – على ميافارين وديار بكر من سنة ٤٠١ إلى سنة ٤٥٣هـ . أنظر عنه ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٢/٧ – ٢٢٣ . ابن خلكان، وفيات الأعيان (تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣) ١٧٧/١ – ١٧٨ .

٢٠ – ابن خلدون، تاريخ، ١٩٤/٤ – ١٩٥ .

٢١ – يرد أيضاً الثعلبي .

٢٢ – الحميدان، إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية (مجلة كلية الآداب – جامعة البصرة – العدد١٥) سنة ١٩٧٩، ص ١٢٨ .

٢٣ – ناصر خسرو، سفر نامة (ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٤٥) ص ١٤٣

٢٤ – المسلم، ساحل الذهب الأسود (بيروت ١٩٦٢ ص ١٥٦). الظاهري، أنساب الأسر الحاكمة في الاحساء (الرياض ١٩٨٤) ص ١٤٠ .

٢٥ – المسلم، ساحل الذهب الأسود ص ١٥٦ .

٢٦ – ابن خلدون، تاريخ ١٩٤/٤ .

٢٧ – ابن لعبون، تاريخ ابن لعبون (أم القرى ١٣٥٧هـ) ص ٢٧ . الحميدان، إمارة العصفوريين ص ١٢٨ . أنظر أيضاً شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (القاهرة ١٩٨٠) ٣٣/٥ .

٢٨ – وهو هنا يخلط بين الأصفر المنتفقي الأعرابي الذي حارب القرامطة وبين الأصفر الثعلبي الذي ظهر بمنطقة الجزيرة وحارب الروم عام ٤٣٩هـ وظنهما واحداً .

٢٩ – ابن خلدون، تاريخ، ٦٤٨/٢ .

٣٠ – نفس المصدر. ٢٥/٦

٣١ – نفس المصدر. ١٤٢/٦

٣٢ – نفس المصدر. ١٩٦/٤

٣٣ – أنظر عن محمد بن أبي الحسين العيوني الاحسائي، تحفة المستفيد (أشرف على طبعه حمد الجاسر ط ٩ ١٣٧٩هـ) ص ١٠٤ – ١٠٨ .

٣٤ – ابن لعبون. تاريخ. ص ٢٧ . الحميدان. إمارة العصفوريين. ص ١٢٨ . ويذهب الدكتور الحميدان إلى أبعد من ذلك فيشير إلى أنه من المحتمل (أن بني الحسن ربما قصد بهم أولاد أبي الحسن بن سمار زعيم عبد القيس الذي انتزع منه القرامطة القطيف في نهاية القرن الثالث الهجري .

٣٥ – ابن خلدون. تاريخ ٢٤/٦ – ٢٥ .

٣٦ – نفس المصدر. ١٩٥/٤ – ١٩٦

٣٧ – نفس المصدر. ٢١٦/٤

٣٨ – ناصر خسرو. سفرنامه ٢ ص ١٤٣ أنظر أيضاً: . Rentz, Al – Bahrain E.I.Z., p. 942

٣٩ – ناصر خسرو. سفرنامه. ص ١٤٤

٤٠ – الحميدان. إمارة العصفوريين. ص ٨٦ .

٤١ – تحفة المستفيد. ملحق رقم (٣) ص ٢٥٠ – ٢٥١

٤٢ – المسلم. ساحل الذهب الأسود. ص ١٥٧ .

٤٣ – نقولا زيادة. الجغرافية والرحلات عند العرب (بيروت ١٩٦٢) ص ١٥٥

٤٤ – ناصر خسرو. سفرنامه ص ١٤٤

٤٥ – تحفة المستفيد. ملحق رقم (٣) ص ٢٥٠

٤٦ – ابن الأثير. الكامل. ٥٨/٩

٤٧ – ابن الجوزي. المنتظم. ١٧٠/٧ ابن الأثير. الكامل. ١٠٥/٩ . ابن كثير. البداية والنهاية (بيروت ١٩٦٦) ٣١١/١١ .

٤٨ – أنظر عن نشاط الأصيفر . ابن الجوزي. المنتظم. ١٧٤/٧، ١٧٨، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٩٣. ابن الأثير. الكامل ١٠٥/٩٢ – ٣١٣ . سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ص ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٠٠. يجعل سبط ابن الجوزي وفاة الأصيفر عام ٤٠٧هـ .

٤٩ – أسس بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة – إخوة بني المنتفق – إمارة لهم في الموصل والجزيرة امتدت من سنة ٣٨٠هـ إلى سنة ٤٨٩هـ .

أنظر العاضيدي. دولة بني عقيل في الموصل (بغداد ١٩٦٨)

٥٠ – الحميدان. إمارة العصفوريين. ص ١٢٨، ١٢٩

٥١ – أنظر هذه الحادثة في ابن خلدون تاريخ ٢١٦/٤ . قارن ذلك مع كل من ابن الجوزي. المنتظم. ٢٢٧/٧ . ابن الأثير. الكامل. ١٨٢/٩ . سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان. ص ٢٦٨ ابن كثير. البداية والنهاية. ٣٣٣/١١ . ابن تغري. بردى النجوم الزاهرة. ٢١٠/٤

٥٢ – الظاهري. أنساب الأسر الحاكمة في الاحساء. ص ١٣٦ .

٥٣ – هو أحد شعراء عبد القيس في البحرين في القرن السادس الهجري . أنظر ترجمته في الأصبهاني، تكملة خريدة القصر ( تحقيق محمد بهجت الأثري – بغداد ١٩٩١) ص ٨٦ وما بعدها .

٥٤ – ديوان ابن المقرب (تحقيق عبد الفتاح الحلو. الاحساء. ١٩٦٣) ص ٤٦٢ تحفة المستفيد. ملحق رقم (٣) ص ٢٧٠ . الظاهري. أنساب الأسر الحاكمة في الاحساء. ص ١٣٧

٥٥ – الأصبهاني ٢. تكملة خريدة القصر. ص ٨٦١ .

٥٦ – ابن الجوزي. المنتظم. ١٧٤/٧ . ابن الأثير. الكامل. ١٠٥/٩، ١١٣ . سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ٢. ص ٢٦٧ . ابن تغري. بردى النجوم الزاهرة ٢١٠/٤

٥٧ – أنظر ديوان ابن المقرب. ص ٢٥٢ – ٢٥٨، ٦٣١ – ٦٤٢ تحفة المستفيد. ملحق رقم (٣) ص ٢٦٨، ٢٧٠ . أنظر أيضاً : البكري. معجم ما استعجم (تحقيق مصطفى السقا. القاهرة ١٩٤٥) ٣٣٧/١ Kaskel, Abd-Al-Kays, in E.I. p. 73

٥٨ – القلقشندي. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (تحقيق علي الخاقاني. بغداد ١٩٥٨) ص ٣٠٥ .

٥٩ – تحفة المستفيد ملحق رقم (٣) ص ٢٥٧ . الاحسائي. تحفة المستفيد ص ١٠١ .

٦٠ – ناصر خسرو. سفرنامه. ص ١٤٣ وما بعدها .

٦١ – ماجد. سياسة الفاطميين في الخليج العربي. المؤرخ العربي. العدد (٢). ١٩٨٠. ص ٤٠٧

٦٢ – علي بن محمد الصليحي يمني اسماعيلي المذهب قاد عام ٤٣٩هـ حركة استولى فيها على معظم بلاد اليمن واستطاع تكوين دولة بالتعاون مع الفاطميين في مصر شملت أيضاً حضرموت والحجاز

اغتيل وهو في طريقه إلى مكة عام ٤٥٩هـ أنظر عنه : عمارة اليمني. المفيد في أخبار صنعاء وزبيد. تحقيق محمد الأعوج ط ١٩٧٦ .

٦٣ - حسين الحمداني. الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (القاهرة ١٩٥٥) ص ٢٢١ .

٦٤ - السجلات المستنصرية (تحقيق سام ماجد مصر ١٩٥٤) ص ١٧٦ - ١٧٩ .

٦٥ - ماجد. سياسة الفاطميين في الخليج العربي ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

٦٦ - ابن الجوزي المنتظم. ١٧٠/٧ . ابن الأثير. الكامل. ١٠٥/٩ . سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ص ٢٤٨ .

٦٧ - أنظر نفس المصادر في هامش (٤٨)

٦٨ - البكري. معجم ما استعجم. ٨٠/١ .

٦٩ - ناصر خسرو. سفرنامه. ص ١٤٥ .

٧٠ - ابن لعبون. تاريخ. ص ٥٣ حسن إبراهيم حسن. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي (مصر ١٩٦٧) ٢٥٨/٤

٧١ - ديوان ابن المقرب. ص ٥٣٩. هامش ٩٠ - ٩٦ النبهاني - التحفة النبهانية (ط ٢ مصر ١٣٤٢هـ) ١٣/٨

٧٢ - تحفة المستفيد. ملحق رقم (٣) ص ٢٥٧ .

٧٣ - تولى الخلافة عام ٤٢٢ وتوفى عام ٤٦٧هـ . أنظر : السيوطي. تاريخ الخلفاء (تحقيق محي الدين عبد الحميد (مصر ١٩٥٢) ص ٤١٧ - ٤٢٣ .

٧٤ - تحفة المستفيد ملحق رقم (٣) ص ٢٥٧ .

٧٥ - نفس المصدر والصفحة

٧٦ - نفس المصدر والصفحة .

٧٧ - ديوان ابن المقرب. ص ٦٣٩ . هامش (٧٥، ٧٦) . تحفة المستفيد. ملحق رقم (٣) ص ٢٥٦ .

٧٨ - تحفة المستفيد. ملحق رقم (٣) ص ٢٥٨ .

٧٩ - تحفة المستفيد. ملحق رقم (٣) ص ٢٥٦ . المسلم. ساحل الذهب الأسود ص ١٥٧ .

٨٠ - أنظر عن حال عمان في هذه الحقبة : جاسم ياسين محمد. عمان. دراسة في أحوالها السياسية والإدارية ٢٨٠ - ٤٤٧ (جامعة البصرة ١٩٨٦) ص ١٠٨ - ١١٠ .

٨١ – ديوان ابن المقرب ص ٦٠٩ (هامش ٧٨/٧٧) .

٨٢ – ترجع صلة القرامطة بالحدان من الأزد اليمانية إلى نهاية القرن الثالث الهجري عندما اعتنق أحد أئمة الأباضية المذهب القرمطي وتعاون معهم مما حدا بالأباضية في عمان إلى البراءة منه . أنظر التفصيلات : جاسم ياسين محمد، عمان ص ٦٠ – ٦٤ .

٨٣ – تحفة المستفيد، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٨ .

٨٤ – نفس المصدر والصفحة .

٨٥ – الحميدان، إمارة العصفوريين، ص ٨٠ .

٨٦ – ديوان ابن المقرب ص ٥٣٣ هامش ٥٥ الاحسائي، تحفة المستفيد ص ٩٨

٨٧ – الاحسائي، تحفة المستفيد، ص ٩٨ .

٨٨ – كسكوس : هي جريرة صغيرة تقع قرب الدمام . الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية والمنطقة الشرقية (الرياض ١٩٧٩) ٤٠٢/١ .

٨٩ – الاحسائي، تحفة المستفيد ص ٩٨ النبهاني، التحفة النبهانية ٩٨/٨٠ . أمين الريحاني، ملوك العرب (بيروت ١٩٦٠) ٢٥٠/٢

٩٠ – نسبة إلى بني حذيمة زعماء عبد القيس في القطيف في نهاية القرن الثالث الهجري الذين قتلهم أبو سعيد الجنابي، تحفة المستفيد، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٦ انظر أيضاً المسعودي التنبيه والإشراف ص ٣٤٠ .

٩١ – ياقوت الحموي، معجم البلدان ٧٦٦/٣ .

٩٢ – تحفة المستفيد، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٠ . الاحسائي، تحفة المستفيد، ص ٩٨ .

٩٣ – ابن لعبون، تاريخ، ص ٥٣ الاحسائي، تحفة المستفيد، ص٩٨

٩٤ – تحفة المستفيد، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٢ .

٩٥ – جبل سنام وهو تل منعزل يبعد خمسة أميال عن مدينة سفوان . لوريمر، دليل الخليج العربي – القسم الجغرافي (ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر – بيروت ١٩٦٩) ٢١٤٨/٦ .

٩٦ – يذكر شارح ديوان ابن المقرب أن قيس وقبات من بطون عرب المنتفق تحفة المستفيد، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٢ .

٩٧ – تحفة المستفيد، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٣ .

٩٨ - الشبانات هم أحد بطون بني عامر بن صعصعه في الاحساء . القلقشندي. نهاية الأرب ص ١٠١.
جدير بالذكر هنا أن الدكتور الحميدان يشير إلى أن بني عامر (كانوا القوة الرئيسية إن لم تكن القوة الوحيدة من بين حلفاء القرامطة التي بقيت إلى جانبهم حتى النهاية . . . فقد وقفوا إلى جانب القرامطة في محنتهم هده فقاتلوا جنود العباسيين كما قاتلوا جنود عبد الله بن علي . إمارة العصفوريين. ص ٨٠ - ٨١ ولكننا نرى في هذه الحادثة أن بني عامر يقدمون المساعدة السخية إلى الجيش العباسي الذي جاء للقضاء على القرامطة والذين لولاهم هلكوا جميعاً .

٩٩ - تحفة المستفيد. ملحق رقم (٣) ص ٢٦٣

١٠٠ - أكسك سلار . قيل اسمه أرتق بيك غلام تركي تولى حلوان والجبل ثم القدس للسلاجقة ثم أصبح من قادتهم المشهورين . توفي عام ٤٨٤هـ أنظر ابن خلكان وفيات الأعيان. ١٩١/١ .

١٠١ - تحفة المستفيد. ملحق رقم (٣) ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

١٠٢ - الآية (١٤) من سورة التوبة

١٠٣ - الاحسائي. تحفة المستفيد. ص ٩٩ .

١٠٤ - الرحلين موضع بالاحساء بين بلد العمران وبحيرة الأصفر. الاحسائي. تحفة المستفيد ص ١٠٠
وفي ديوان ابن المقرب أن الوقعة كانت بين باب الشمال وباب الأصفر وقتلى القرامطة امتد من نهر الخندق إلى الباب. ص ٥٣٦

١٠٥ - الاحسائي. تحفة المستفيد. ص ١٩٩ - ١٠٠

١٠٦ - ناظرة هي كثبان من الرمل تقع شرق منطقة الهفوف ديوان ابن المقرب ص ٥٣٨ هامش ٩١

١٠٧ - العقير ذكرها ياقوت أنها (قرية على ساحل البحر بحذاء هجر). معجم البلدان. ٦٩٩/٣

١٠٨ - ديوان ابن المقرب. ص ٥٣٩ هامش ٩٠ - ٩٦. النبهاني. التحفة النبهانية. ٩٦/٨ .

# مصادر البحث


١ - ابن الأثير. أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ. طبعة بيروت ١٩٦٦ .

٢ - الاحسائي. محمد عبد الله. تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد مع ملحقاته. أشرف على طبعه وعلق عليه حمد الجاسر. ط ١٣٧٩هـ .

٣ - الأصبهاني. عماد الدين الكاتب (ت ٥٩٧هـ/١١٢٠م) تكملة خريدة القصر وجريدة العصر تحقيق محمد بهجت الأثري. مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٩١ .

٤ - البكري. عبد الله عبد العزيز (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٤م) جزيرة العرب من المسالك والممالك تحقيق عبد الله يوسف الغنيم الكويت ١٩٧٧ . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تحقيق مصطفى السقا. ط ١ القاهرة ١٩٤٥ .

٥ - ابن تغري. بردى جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ط ١ مصر ١٩٣٢

٦ - ثابت بن سنان (ت ٣٩٥هـ/٩٧٥م) تاريخ أخبار القرامطة. تحقيق سهيل زكار بيروت ١٩٧١م

٧ - الجاسر. حمد. المعجم الجغرافي للبلاد السعودية المنطقة الشرقية. البحرين قديما القسم الأول. الرياض ١٩٧٩

٨ - جوزي بندلي. من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام بيروت بدون تاريخ

٩ - ابن الجوزي. عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم حيدراباد ١٣٥٨هـ

١٠ - حسن إبراهيم حسن. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي القاهرة ١٩٦٥

١١ - الحميدان. الدكتور عبد اللطيف. إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية. مجلة كلية الآداب جامعة - البصرة - العدد (١٥) ١٩٧٩

١٢ - ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) التاريخ - بيروت ١٩٦٧ .

١٣ - ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. بيروت ١٩٧٣ .

١٤ - الرودراوري، أبوشجاع محمد بن حسين (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) ذيل تجارب الأمم . اعتنى بتصحيحه - ف - أمد رور، مصر ١٩١٩.

١٥ - الريحاني، أمين، ملوك العرب، ط ٤ بيروت ١٩٦٠ .

١٦ - سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن علي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان _ الحقبة من (٣٤٥ - ٤٤٧هـ) تحقيق جنان جليل بغداد ١٩٩٠ .

١٧ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط ١ مصر ١٩٥٢ .

١٨ - شوقي ضيف، الدكتور، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات - القاهرة ١٩٨٠ .

١٩ - الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل . أنساب الأسر الحاكمة في الاحساء. ط ١ الرياض ١٩٨٣

٢٠ - العاني، الدكتور عبد الرحمن. البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج بغداد ١٩٧٣

٢١ - عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي (ت ٥٩٦هـ/١١٧٣م) المفيد في أخبار صنعاء وزبير. تحقيق محمد علي الألوع. ط ٣ ١٩٥٦ .

٢٢ - أبو الفضائل الحمادي اليماني، محمد بن مالك (ت منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة - تحقيق محمد زاهر الكوثري ط ٢ ١٩٥٥

٢٣ - القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٢١٨م) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - تحقيق علي الخاقاني. بغداد ١٩٥٨ .

٢٤ - ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية بيروت ١٩٦٦ .

٢٥ - لوريمر، ج. دليل الخليج العربي القسم الجغرافي، ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر بيروت ١٩٦٦

٢٦ - ابن لعبون، حمد بن محمد الوائلي الحنبلي، تاريخ أم القرى ١٣٥٧هـ .

٢٧ - ماجد، الدكتور عبد المنعم، سياسة الفاطميين في الخليج العربي مستمدة من السجلات المستنصرية، مجلة المؤرخ العربي العدد (٢) ١٩٨٠ .

٢٨ - محمد، جاسم ياسين، عمان . . دراسة في أحوالها السياسية والإدارية (٢٨٠ - ٤٤٧) جامعة البصرة ١٩٨٦ .

٢٩ - المستنصر بالله أبو تميم معد (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤) السجلات المستنصرية، تحقيق عبد المنعم ماجد. مصر ١٩٥٤ .

٣٠ - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) التنبيه والإشراف اعتنى بتصحيحه عبد الله اسماعيل الصاوي . بغداد ١٩٣٨ .

٣١ - المسلم، محمد سعيد، ساحل الذهب الأسود، ط ٣ بيروت ١٩٦٢ .

٣٢ - المعاضيدي، الدكتورخاشع دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ .

٣٣ - ابن المقرب، أبو الحسن علي بن المقرب العيوني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ديوان ابن المقرب، تحقيق عبد الفتاح الحلو، الاحساء، ١٩٦٣ .

٣٤ - ناصر خسرو علوي (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) سفرنامه، نقله إلى العربية يحيى الخشاب، ط ١ القاهرة ١٩٤٥

٣٥ - النبهاني، الشيخ محمد بن خليفة، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط ٢ - مصر ١٣٤٢هـ .

٣٦ - ابن النديم، محمد بن إسحق (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م) الفهرست، بيروت ١٩٧٨ .

٣٧ - نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت ١٩٦٢ .

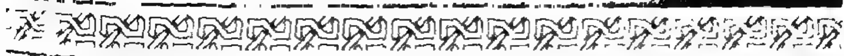
٣٨ - الهمداني، حسين بن فيض الله، الصليحيون والحركة الفاطمية، مصر ١٩٥٥ .

٣٩ - ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان، طهران ١٩٦٥ .

٤٠ - Kaskel, I. Abd-Al-Kays in E.I. 2.

٤١ - Miles, S. B. The Countries and tribes of the (Arabian) Gulf, London, 1966.

٤٢ - Rentz, G., and Mulligan - Al-Bahrain, in E. I. 2 - Al-Katif, in E. I. 2 .



# يطاني الأمريكي

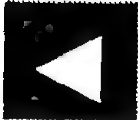
# ول امتياز النفط في عمان

## ١٩٢٢ - ١٩٣٧م

بقلم : **الدكتور فاضل محمد الحسيني**

وهب الله منطقة الخليج العربي خيرات وفيرة. ففضلا عن موقعها الاستراتيجي المهم الذي يربط الشرق بالغرب تدفق في عروقها النفط مطلع هذا القرن الأمر الذي دفع الدول الكبرى للتسابق من أجل الظفر بامتيازات البحث والتنقيب بغية استخراجه وإنتاجه . وعمان من بين مناطق الخليج التي شهدت فصولاً من التنافس الحاد بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من أجل الحصول على امتياز التنقيب عن النفط فيها .

سنحاول في هذا البحث إلقاء الضوء على هذا التنافس من خلال الوثائق الإنجليزية المنشورة وغير المنشورة فضلاً عن بقية المصادر الأجنبية والعربية .



**عندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حاولت الحكومة البريطانية الحصول على تعهد من السلطان العماني يمنحها بموجبه امتيازاً للتنقيب عن النفط في عمان حيث سبق لها أن حصلت على تعهدات من شيوخ إمارات الخليج العربي تضمنت عدم منح امتيازات التنقيب في أراضيهم إلى أية جهة أو شخص دون موافقتها[1] .**

وفي الواقع ، فإن أول امتياز للتنقيب عن النفط في منطقة الخليج العربي قد نجح في الحصول عليه أحد رجال الأعمال الأستراليين يدعى دارسي[2] في عام ١٩٠١م وذلك في منطقة الساحل الشرقي للخليج وتحديداً في منطقة مسجد سليمان جنوب فارس، ولدى اكتشاف النفط في هذه المنطقة بالذات عام ١٩٠٨م . أصبح من المتوقع اكتشافه في الساحل الغربي للخليج أي في منطقة الإمارات العربية وعلى ضوء ذلك، سعت بريطانيا لاحتكار امتيازات التنقيب عن النفط في هذه الإمارات لصالح شركاتها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن حماس بريطانيا للحصول على امتيازات النفط تصاعد بعد التحول الذي طرأ على استخدام أسطولها للنفط كوقود بدلاً من الفحم فقد كانت بريطانيا أول دولة أدركت أهمية النفط في تسيير الأسطول البحري حيث أصدر رئيس بحريتها عام ١٩١٣م قراراً يقضي بالتحول النهائي إلى استخدام النفط في تسيير الأساطيل البحرية . ولذلك حرصت الحكومة البريطانية على الحصول على امتيازات النفط من شيوخ إمارات الخليج فضلاً عن خشيتها من وقوع حكام الخليج في النشاط المريب لبعض صائدي الامتيازات ممن كانوا يمثلون جهات أخرى غير إنجليزية الأمر الذي من شأنه أن يعرض مصالحها في منطقة الخليج إلى الخطر[3] .

وقد صح الخوف البريطاني في هذا الأمر عندما جاء الماجور (فرانك هولمز - Holmes) ونجح في الحصول على عدة امتيازات من البحرين والكويت والسعودية لصالح الشركة الشرقية والعامة وهي ليست معتمدة من قبل الحكومة البريطانية، وبما أن بريطانيا كانت تساند شركة النفط الإنجليزية

الفارسية بحكم مساهمتها الكبيرة فيها فقد ساءها دخول شركة منافسة للمنطقة، الأمر الذي دفع بالمقيم السياسي البريطاني في الخليج إلى تنبيه أمراء الخليج العربي إلى عدم توقيع امتيازات لا توافق عليها بريطانيا بحكم تعارضها والتعهدات السابقة للحكومة البريطانية . وبالرغم من ذلك، فقد استمر هولمز في الحصول على الامتيازات للتنقيب عن النفط. ولعل أول امتياز له كان في عام ١٩٢٢م في الساحل الغربي للخليج. بعدها ارتبط اسمه بأكبر مستودعات النفط في العالم[٤]، فقد حصل هولمز على الامتياز الأول لشركته من ابن سعود وهو امتياز الاحساء[٥] الذي يعد أول امتياز للتنقيب عن النفط في المنطقة، كما حصل على امتياز آخر في المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت .

## دخول الشركات الأمريكية منطقة الخليج

والحقيقة أن شركة هولمز لم تكن متخصصة في استغلال النفط وإنما في الحصول على أكثر ما يمكن من الامتيازات وبيعها لشركات متخصصة في الاستغلال وهذا ما فعله هولمز عندما باع امتياز البحرين إلى الشركات الأمريكية مما شكل أول تدخل للشركات الأمريكية في منطقة الخليج بعد أن كانت هذه المنطقة مغلقة على النفوذ الإنجليزي وحده[٦] .

ومن هنا بدأ التنافس البريطاني الأمريكي حول النفط في الخليج العربي . فقد تبع ذلك شراء آبار الكويت النفطية من قبل شركة أمريكية عرفت فيما بعد باسم (شركة بترول الخليج) والتي أخذت على عاتقها التنقيب عن نفط البحرين واستغلاله[٧] .

ومما لا ريب فيه، إن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تهدف إلى توسيع مصالحها التجارية الخارجية عقب الحرب العالمية الأولى مدفوعة إلى ذلك بعاملين :

الأول . . . . وجود فائض كبير لديها من رأس المال .

الثاني . . . المحافظة على احتياطيها من المخزون النفطي[٨]

وقد ارتبط النشاط الأمريكي في منطقة الخليج العربي ارتباطاً كبيراً بسياسة الباب المفتوح (Open Door Policy) وهو المبدأ الذي دعت إليه السياسة الأمريكية بعد الحرب العالمية الأولى واعتبرته من المبادئ الأساسية المقررة في السياسة الأمريكية طوال فترة ما بين الحربين العالميتين[9]. والذي يتلخص في عدم احتكار أية دولة لامتياز من شأنه الأضرار بمصالح دول أخرى وأن تقف جميع الدول على قدم المساواة. وقد تمسكت الولايات المتحدة الأمريكية بتطبيق هذه السياسة في الخليج العربي فنجحت بواسطتها في الحصول على امتيازات خاصة باستغلال النفط. وقد استشاطت الحكومة البريطانية غيظاً من نشاط الشركات البترولية الأمريكية بالمنطقة فطلبت من الماجور راي (Rae) قنصلها في مسقط أن يبعث برسالة إلى السلطان العماني تيمور بن فيصل يستفسر منه فيها عن موقفه من استثمار النفط في بلاده. وبالفعل. كتب راي رسالة إلى السلطان العماني في السادس عشر من ديسمبر عام ١٩٢٢م بهذا الخصوص[10]. وقد أجابه السلطان تيمور في العاشر من شهر يناير من عام ١٩٢٣ برسالة جاء فيها "أننا نوافق على ألا نستغل البترول الذي قد يعثر عليه في أية بقعة تدخل في نطاق أراضينا وإننا لن نمنح أحداً إذناً باستغلاله دون استشارة القنصل والوكيل البريطاني في مسقط وبدون موافقة حكومة الهند البريطانية"[11] وقد اعتبرت رسالة السلطان تيمور السابقة بمثابة التعهد العماني تجاه الحكومة البريطانية بمنحها حق التنقيب والاستثمار دون سواها وهو لا يختلف عن التعهدات الأخرى التي صدرت من قبل بقية أمراء الخليج العربي الذين سبق ذكرهم[12] وبالفعل، قامت شركة النفط الإنجليزية الفارسية بالتنقيب عن النفط في مسقط عام ١٩٢٥م[13].

ولم تواجه الشركة بادئ الأمر أية منافسة من قبل الشركات الأمريكية في المنطقة. وقد أوعزت الشركة الإنجليزية إلى إحدى فرقها الجيولوجية بإجراء المسح بحثاً عن النفط، حيث تركزت معظم تنقيباتها الأولى في المناطق الساحلية.

## التنافس البريطاني الأمريكي حول النفط العماني

بلغ التنافس الأمريكي البريطاني حدته عندما تقدمت الفرقة الجيولوجية الإنجليزية بأعمالها التنقيبية في عمان فبدت المنافسة قوية من قبل الشركات الأمريكية العاملة في دولة الإمارات العربية أو التي تحاذي عمان

وفي الواقع. لم يكن الأمريكيون بعيدين عن عمان على الرغم من إدراكهم لعلاقاتها المتينة مع بريطانيا. فقد كان القنصل الأمريكي ببغداد يراقب عن كثب النشاطات البترولية الإنجليزية في عمان وبصفة خاصة الرحلات الاستكشافية التي يقوم بها "برترام توماس" في عمان وقد ورد ذلك في تقاريره إلى حكومته حيث أخبرها بأن الإنجليز لم يبعثوا "توماس Thomas" كمستشار مالي للسلطان العماني وحسب وإنما لاستكشاف المناطق الداخلية في عمان وتحديداً أماكن وجود البترول ولذلك فإن رحلته الداخلية في عمان وإن بدت وكأنها رحلة استكشافية لجزء غير معروف من شبه الجزيرة العربية. إلا أنها استخدمت للحصول على المعلومات المختلفة لشركة البترول الإنجليزية الفارسية. الأمر الذي يفسر سبب قيام إحدى ناقلاتها البترولية بحمل اسم "توماس"[١٤] . كما أدرك البريطانيون بأن هناك اتصالاً بين شركة نفط كاليفورنيا الأمريكية والسلطان العماني بصدد امتياز النفط وما أكد ذلك هو ما بعثه السلطان تيمور إلى الشركة الأمريكية من نماذج لنضوح نفطي بغية دراسته مستفسراً عما تثيره هذه النماذج من دلائل نفطية. وقد فسرت بريطانيا تصرف السلطان بأنه دعوة لشركة نفط كاليفورنيا الأمريكية للعمل في عمان[١٥] .

بيد أن الشركة الأمريكبة استغلت ذلك لصالحها في محاولة للنفاذ إلى الأراضي العمانية بهدف استغلال ثرواتها. إذ اتصل (بلانتين) ممثل الشركة الأمريكية في لندن بوزارة الهند مستأذناً منها في الاتصال بالسلطان العماني بناءً على طلبه إلا أن وزارة الهند البريطانية رفضت ذلك بشدة موضحة في ردها بأن السلطان العماني مرتبط بتعهد مع بريطانيا الأمر الذي لا يسمح له بمنح أي امتياز نفطي دون

استشارة المقيم البريطاني أو موافقة الحكومة البريطانية[١٦] وأن هذا الاتصال الذي جرى بينه وبين الشركة الأمريكية كان بدون علم بريطانيا وسينبه عليه السلطان[١٧] ومن الواضح أن الحكومة البريطانية ما كانت إلا لترفض أية خطوة من شأنها التمهيد لتغلغل النفوذ الأمريكي وإضعاف وجودها في عمان

غير أن الشركات الأمريكية لم تترك الأمر عند رفض وزارة الهند البريطانية بل سعت إلى إعادة الاتصال مرة أخرى بالسلطان العماني ولكن بطريقه سربة هذه المرة ومن خلال التعاون مع المصالح النفطية الإيطالية. ففد بعثت أحد الرعايا الإيطاليين ويدعى باستوري "Paston" لزيارة عمان في مايو من عام ١٩٣٧م تحت ذريعة التعاقد على عمال لبناء الطرق في مستعمرة أريتريا الإيطالية في شرق أفريقيا. وكان باستوري يصطحب معه في هذه الزيارة الكونت بروورك "Prork" وهو من رجال الأعمال البولونيين بحجة قيامه بأبحاث أثرية في مسقط. ويذكر أن بروورك عرض أموالاً طائلة على سلطان عمان لتسهيل مهمته إلا أن الوكيل البريطاني في عمان الكولونيل واط "Watt" ارتاب في أمره فرفض إقامته في عمان بالرغم من ادعائه بأن لقاءه مع باستوري الإيطالي قد تم مصادفة . لقد كان ارتياب الوكيل البريطاني "واط" في محله. حيث ظهر أن بروورك ليس إلا عميلاً لشركة الزيت العربية الأمريكية التي كانت تحاول الحصول على عقود امتيازات للنفط في الساحل الجنوبي الغربي للخليج العربي[١٨]. وكان "باستوري" هو الآخر يعمل لصالح شركة إيطالية – أمريكية مهتمة بالتنقيب عن النفط[١٩] .

وعلى كل حال. فإن السلطات البريطانية قد خبرت هذه الأساليب للشركات الأمريكية في محاولاتها المتكررة للحصول على امتيازات لاستثمار النفط في عموم منطقة الخليج العربي وكانت دائمة الحيطة والحذر من النشاطات المريبة لصائدي الامتيازات . وأخيراً. ارتأت بريطانيا أن تسلك أفضل السبل في سد الطريق أمام الشركات الأمريكية إلى عمان وذلك من خلال اهتمامها بالسلطان العماني شخصياً إذ أكدت الحكومة البريطانية في برقيتها للمقيم السياسي البريطاني في الأول من يونيو عام ١٩٣٧م

على ضرورة تنبيه السلطان العماني وتحميله مسئولية تزايد النشاط الأمريكي في بلاده جراء اتصالاته المتكررة مع الشركات النفطية الأمريكية كما أوصت بتذكيره بالالتزامات التي أبداها حيال الإنجليز منذ عام ١٩٣٢م التي تحول دون منحه لأي امتياز نفطي دون مشاورة الحكومة البريطانية وموافقتها[٢٠] وبالفعل. قام المقيم السياسي البريطاني بإبلاغ السلطان العماني في الرابع عشر من يونيو عام ١٩٣٧م بما يلي :

١ - إن الحكومة البريطانية على علم باتصالاته مع الشركة الأمريكية

٢ يتعين عليه الالتزام بتعهداته للإنجليز التي تقضي بعدم منح أي امتياز دون استشارتها

٣ - ألا ينسى الأسبقية في امتياز نفط عمان لشركة النفط الإنجليزية دون سواها وفي الأخير، تمكنت بريطانيا من أن تحصل على امتياز للتنقيب عن النفط في عمان وقد وقعه السلطان سعيد بن تيمور في الرابع والعشرين من شهر يونيو ١٩٣٧م[٢١] وقد أعطى هذا الامتياز إلى شركة بترول العراق الإنجليزية التي سارعت بدورها إلى تأسيس فرع لها تحت اسم شركة استثمار بترول عمان وظفار المحدودة[٢٢]. وبهذا الامتياز تمكن الإنجليز من أن يوصدوا الأبواب في وجه المطامع الأمريكية في عمان والتي كانت آخر منطقة للتنافس الأمريكي البريطاني على النفط في الخليج العربي خلال الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين

ومن المفيد أن نشير في نهاية البحث إلى أن الإنجليز قد واصلوا استثمارهم لهذا الامتياز في التنقيب عن النفط في عمان حتى تم اكتشافه بكميات تجارية عام ١٩٦٤م وتصديره في عام ١٩٦٧م. ويعد النفط اليوم المصدر الرئيسي للدخل القومي العماني وقد زاد إنتاجه بعد زيادة عدد حقوله ليصل إلى ٧٥٠.٠٠٠ برميل يوميا في عام ١٩٩٣م[٢٣]

**الدكتور فاضل محمد الحسيني**

**جامعة ناصر - ليبيا**

# الهوامش

١ - قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤ - ١٩٤٥، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٤٥٣ .

٢ - بيشون، جان، بواعث الحرب العالمية الأولى في الشرق الأدنى، نقله إلى العربية محمد عزت دروزة، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٤١ .

٣ -الحسيني، فاضل محمد، العلاقات البريطانية العمانية (١٩١٣م - ١٩٣٩م)، أطروحة دكتوراة دولة غير منشورة، ١٩٩٥ - الرباط، ص ١٤٤ .

٤ - كان (هولز) في الأصل مهندساً إنجليزياً بدأ حياته بالعمل في مناجم الذهب في نيوزيلندا والمكسيك ثم عاد إلى إنجلترا فالتحق بخدمة البحرية البريطانية وما لبث أن وجه اهتمامه إلى الثروات النفطية في المشرق فأقنع مجموعة من رجال الأعمال بإقامة شركة سجلت في لندن عام ١٩٢٠م باسم الشركة الشرقية والعامة المحدودة وقدوقع اختيار الشركة على هولز ليكون ممثلها في الشرق الأوسط

٥ - سعيد، أمين، الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٧٠ .

٦ - قاسم، المصدر السابق، ص ٤٦٥

٧ - Hamilton. American & oil in the Middle East. London. 1926 P. 26.

٨ - الخصوصي، بدر الدين عباس، اهتمام الولايات المتحدة ببترول الخليج العربي خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣١، السنة الثامنة، تموز ١٩٨٢م، الكويت، ص ١٨٥

٩ - Huerwitz. Diplomacy in the Near and the Middle East, New York,1965. Vol. I. P. 52 .

١٠ - A letter No. 1751 dated 16th December 1922, from the political Agent and consul, Muscat, to His Highness Saiyid Taimur Bin Faisal. Sultan of Muscat and Oman, Muscat.

١١ - A letter No. 1151 dated 10th January 1923, from Taimur Bin Faisal (His Highness the Sultan) to Major Rae, His Britannic Majesty's Consul Muscat.

١٢ - F. O. 371 Oil Possibilities at Views of Aglopriam oil Co. desire of Sultan to Exproit. No. 999/189/91.

١٣ - I-O, P 400, From Political Resident to Government of India, 1925.

١٤ - عُيِّن "توماس" مستشاراً مالياً للسلطان ثم أصبح وزيراً للمالية في الحكومة العمانية عام ١٩٢٦ ولم ينجح في مهمته بسبب كثرة رحلاته وأسفاره في داخلية عمان .

١٥ - وهيم، طالب محمد. التنافس الأمريكي البريطاني على نفط الخليج العربي وموقف العرب في الخليج منه. ١٩٢٨ - ١٩٣٩م، بغداد. ١٩٨٢م ص ٣٣٤ .

١٦ - A letter from the political Agent at Muscat, dated 13th February 1923 to Government of India, Arabian Gulf, oil concessions, 1911-1953, Muscat and Oman.

١٧ - وهيم. المصدر السابق ص ٣٤ - ٣٥ .

١٨ - F. O., 371 - 20772, from political Resident to His Majesty's Ambassador, Baghdad, 1st May 1937. Activities in the Persian Gulf of count Prork.

١٩ - وهيم. المصدر السابق. ص ٣٣٥ - ٣٣٦

٢٠ - السالم. هداية سلطان. أوراق في دفتر مسافرة في الخليج العربي. الكويت. بدون تاريخ، ص ٢٢ .

٢١ - Agreement between Sultan Saiyid Said Bin Taimur and Petroleum Concessions Limited Company, 24 June 1937, ARABIAN GULF OIL Concessions. 1911 - 1953 – Muscat and Oman, London< 1989, pp. 303 – 314.

٢٢ - Peterson, J. E., Oman in the 20th Century, London, 1978, p. 89.

٢٣ - عمان ٩٣، مجلة تصدرها وزارة الإعلام العمانية. مسقط، ١٩٩٣، ص ١٤٢ .

# قنوات الري القديمة

بقلم :

د. أسماء علي أباحسين و هند عبد العزيز القصيبي

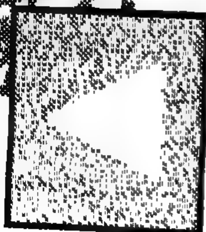
يعتبر نظام الري بالقنوات احد اقدم نظم الري المعروفة في العلم إذ يعود تاريخه الى بضعة آلاف من السنين. إلا انه وبرغم قدمه فانه لازال مستخدما الى يومنا هذا في بقع مختلفة من العالم. وقنوات الري القديمة ما هي إلا أحد الشواهد التي تحكي مهارة الانسان ماضيا في الهندسة. وحسن تدبير وادارة كفء للموارد المائية. وتخطيط زراعي وحضري رائع. وادامة وصيانة لمكتسباته بتعاون وتكاتف أفراد مجتمعه.

وكلمة قدة يعتقد بانها مشتقة من كلمة سامية تعني (الحفر او يحفر ) . وللقنوات سميت عديدة منها الفجارات (Foggars)

# فى الأبيض







الوثيقة ـ ١٦٧

في شمال أفريقيا، والسراديب أو الكهاريز في شمال غربي مصر. والكارزات (Karezes) في باكستان وافغانستان، والقنات(Kanat) في الصين. والفلج (Falaj) في شبه الجزيرة العربية. ويعتقد أن "فلج" كلمة من أصل سامي أصلها بلج (Plg) أي يقسم[٢]، وفلج في اللغة بمعنى شق أو قسم[٣]، ومعنى الأفلاج نظام تقسيم أو توزيع المياه . والذي يسود بين كثير من الباحثين أن الفلج تعني الشق، ويقصد بها القنوات التي تشق تحت سطح التربة[٤] .

القنوات هي عبارة عن طرق أو مجار مائية جوفية أو شبكة من الأنفاق محفورة بأكملها وليست مبنية[٥]. تستخدم لتوجيه المياه من المصادر الجوفية ذات المناسيب المائية أو الباطنية المرتفعة في مناطق السهول الرسوبية للمراوح الطميية (Alluvium fan)، أو عند سفوح الجبال، وتوجيهها نحو الأراضي الأقل ارتفاعاً بواسطة قنوات تشق تحت سطح الأرض، وتكون ذات انحدار طفيف يسمح بانحدار الماء وانسيابه نحو المزارع الواقعة أسفل السفوح[٦]، ويستفاد من ارتفاع مستوى المياه الجوفية بالمقارنة مع مستوى الأراضي الزراعية التي يرغب في إروائها[٧] . وتعتبر القنوات ذات أهمية كبيرة للزراعة والري في المناطق الجافة حيث تعتمد المزارع والبساتين في مثل هذه المناطق (عند سفوح الجبال) اعتماداً يكاد يكون كلياً على هذه القنوات إذ لا يكفيها التهاطل أو الأمطار لعمليات الري وبخاصة خلال الأشهر الجافة، سيما وأن هذه المياه قد تضيع في رمال الصحراء أو الأحواض المغلقة أو البحار دون أية فائدة .

في هذا البحث سنحاول التعرف إلى ماهية قنوات الري، وأسباب بنائها. ونتلمس الطريق إلى أصلها، وكيفية إنشائها، ونتعرف على قنوات الري في البحرين ومواقعها، ونبين مصادر مياهها، والنواحي الهندسية التي ساعدت في إنشائها، وأوجه استعمالاتها، وصولاً إلى أسباب تدهورها واندثارها .

# أصل قنوات الري

تبين المصادر التاريخية أن نظام الري بالقنوات نظام كان معروفاً منذ بضعة آلاف من السنين إذ يعتقد أن نينوى وهي من أقدم المواقع في العراق كانت تحصل على الماء بواسطة نظام القنوات[٨] . كما تشير المصادر التاريخية إلى أن المصريين شقوا القنوات المائية قبل أكثر من ٥٠٠٠ عام وذلك لنقل الماء إلى الأراضي المرتفعة في موسم الفيضان . أما الاهتمام بقنوات الري والصرف في العراق فإنه يرجع إلى ما قبل السومريين، أي إلى حوالي ٣٠٠٠ سنة ق.م.، إذ مارس سكان ما بين النهرين الزراعة المروية من القنوات التي كانت تنظف سنويا من الطمي، واعتبروها شريان الحياة في الأراضي الزراعية . وقد نصت قوانين حمورابي (١٧٦٠ق.م.) على اعتبار أن الماء وأقنية الري أساس دعم الدولة، تجب صيانتها وتنظيفها سنويا، ويعتبر الاعتداء عليها جرما يعاقب عليه القانون. وقال بختنصر ملك بابل يفتخر بما حققه من منجزات في هذا المجال ". . حفرت القنوات، وبطنتها بالطوب المحروق والقار . ."[٩].

رغم ذلك فان بعض الباحثين يرجعون أصل القنوات إلى إيران القديمة إلى سنة ٥٠٠ ق.م.، ويرجح انتشارها بصورة كبيرة في سنة ٧٠٠م[١٠] . ويذكر الموصلي[١١] أن الساسانيين قد أدخلوا نظام السواقي، وحفرت في عهدهم قناة النهروان الكبيرة، وكانوا كلما ازداد عدد السكان زاد حفر القنوات لزيادة المساحة المروية،حيث بلغ عددها حوالي ٢٥,٠٠٠ قناة[١٢]، وفي مصدر آخر ٤٠,٠٠٠ قناة، يزيد طول بعضها على ٨٠ كيلومتراً، وامتدت لأكثر من ٢٧٠ ألف كيلومتر تحت سطح التربة. ووفرت أكثر من ثلث حاجات البلاد المائية[١٣] . وتعطي بعض هذه القنوات تصريفاً مائياً يصل إلى ٥٠٠ جالون ماء في الدقيقة . هذا وقد نقل الفرس تقنية الري هذه إلى جميع المناطق التي كانت تحت سيطرتهم.

وقد استخدمت القنوات في مصر بعد أن احتلها داريوس الأول عام ٥١٨ ق.م. . حيث يشير المؤرخ اليوناني بوليبوس إلى وجود قنوات تحت أرضية في القرن الثاني ق.م . أما

شمال أفريقيا وأسبانيا فقد أدخل نظام القنوات إليهما عقب الفتوحات الإسلامية لهذه المناطق[١٤] .

ولاتزال سلطنة عمان تستخدم نظام القنوات حتى وقتنا الحاضر تحت مسمى "الافلاج"، والافلاج (جمع فلج) عبارة عن سيل من الماء تحت الارض ينزح الماء من مستوى الماء الجوفي ثم يخرج بعد ذلك إلى سطح الارض موزعاً الماء بقنوات[١٥] ويضيف ولكنسون أن السكان المحليين يجهلون تاريخ القنوات وهم يردونها إلى الملك سليمان بن داود منذ عشرة آلاف سنة ، ويقولون أن الجن الذين سخرهم الله لسليمان عليه السلام هم الذين بنوا القنوات، إلا أن العديد من المصادر التاريخية يؤكد على أن الافلاج الموجودة في عمان قد نشأت خلال العصر الإخميني[١٦]، وأن فترات الحكم الساساني في عُمان قد شهدت زيادة واتساعاً في إقامة شبكات قنوات الري[١٧] . وتصل أطوال بعض القنوات في واحة البريمي إلى أكثر من تسعة كيلومترات، وقد تراوحت أطوال عشر قنوات تحت سطح الأرض في هذه الواحة ما بين ٣ إلى ٩,٥ كيلومتر[١٨] .

وفي البحرين كانت توجد شبكة رائعة لهذا النظام في الساحل الداخلي غرب البحرين[١٩] . كما وصف بيبي قنوات الري في منطقة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة فذكر أن بساتين مدينة العين تروى بواسطة القنوات" والتي قابلناها أول مرة في البحرين "[٢٠] . وبالنسبة للاحساء فقد أدخل نظام القنوات متأخراً غير أنه لم ينل شعبية، فتم التخلي عنه على الرغم من أنه يمكن استخدامه حتى في الوقت الحاضر على نحو مفيد[٢١] . وفي اليمن وزعت مياه سد مأرب في أقنية يمين المجرى القديم وشماله . كما توجد القنوات القديمة في منطقة جرش في الأردن، وفي سوريا ومن نهر بردى شقت الأقنية العديدة لري غوطتها، وقد حفرت أعلى هذه الأقنية وأحدثها أيام يزيد بن معاوية، وسميت بقناة يزيد[٢٢] .

## طريقة حفر القنوات

لغرض إنشاء قناة للري يتم أولاً اختيار موقع لحفر بئر تجريبية أو اختبارية وذلك اعتماداً على وفرة

الأعشاب الخضراء والتي تشير إلى وجود كميات من المياه، وعادة ما يكون الموقع المختار على انحدار جبل ما أو سفح أحد التلال . وبعد ظهور الماء في البئر التجريبية يتم تحديد مجرى القناة تحت الأرضية والتي تتطلب حفر مجموعة من الآبار أو الجذوع الراسية تصل المسافة بينها إلى حوالي ٤٠ ياردة. ويتم تغليف الجزء العلوي منها إما جزئيا أو كليا (حوالي بضعة امتار ) او جميع البئر بالحجارة لتدعيمها، كما يتم تبطين القناة بالآجر . ويبلغ عرض القناة نحو ٣ أقدام وارتفاعها نحو ٤.٥ قدم. ويميل النفق إلى الأسفل بانحدار تدريجي من مصدر الماء ليسهل جريان الماء ببطء إلى الحدائق أو المزارع، وحتى لا تؤدي سرعة الانحدار إلى تآكل جوانب القناة . ويتم رفع بقايا حفر القنوات إلى أعلى عبر تجويف التهوية بواسطة دلاء وتوضع في فم التجويف لإعطائه مظهر الفوهة التقليدية[٢٣] .

ويتطلب حفر القناة جهداً كبيراً خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أنه لم تكن تستخدم أية معدات في عمليات الحفر آنذاك . فعملية شق القنوات صعبة، محفوفة بالمخاطر ولذا وصفها الإيرانيون بالعملية المهلكة وأطلق على القائمين عليها اسم القتلة . وتعتبر عملية وصل القناة بمصدر الماء أخطر العمليات إذ تستوجب تفريغ القناة من الحفارين ثم نزع السداد بعناية تامة لتجنب الحوادث، وإلا فإن الماء المندفع يتسبب في غرق الحفارين . وعند الانتهاء من حفر القناة يتم سد تجاويف التهوية (بمدخنة حجرية) تساعد على تفقدها وتنظيفها بصورة دورية[٢٤] . وبعد أن يتم حفر القنوات تفرغ المواد المحفورة حول فوهات أعمدة التهوية مما يعطيها شكل الحفرة . وأعمدة التهوية تعتبر ضرورية لغرض تنظيف القنوات من حين لآخر . ويتم التحكم بتدفق كميات المياه في مثل هذا النظام الواسع بواسطة بوابات .

## قنوات الري في البحرين

وصف جواد علي[٢٥] قنوات الري في البحرين فقال :

"وفي جزر البحرين قنوات يظن أنها من عمل الساسانيين، أقاموها للاستفادة من المياه المتدفقة من العيون، وهي أخاديد حفرت في

الأرض ثم بطنت بمادة تمنع الماء من التسرب إلى التربة ثم سقفت بصفائح من الحجر. أهيل عليه التراب لتمنع أشعة الشمس من الوصول إلى الماء فتبخره، وبذلك تقل كمياته. وبين مسافة وأخرى تقدر ما بين عشرة وعشرين ياردة توجد منافذ لمرور الهواء إلى باطن القناة. وقد بطنت هذه المنافذ بالحجارة، وقد أقيمت جدر عند مخارجها إلى الأرض لتحميها من سقوط الأتربة فيها. ولا تزال بعضها عامرة تجري فيها مياه العيون حتى الآن. وهناك آثار قنوات مشابهة لها تقع في السواحل المقابلة للبحرين من المملكة العربية السعودية تعود إلى هذا العهد أيضاً". وقد ساعد بناء القنوات في البحرين على الاستغلال الأمثل للمياه وثبات الرقعة الزراعية فيها.

يرجح لارسن[٢٦] أن تقنية الري بواسطة القنوات قد عرفت في البحرين إبان النفوذ الساساني، أو ربما في تاريخ أقدم نتيجة لاحتكاك أهالي البحرين بحضارات ماجان (عُمان) وإيران وبلاد الرافدين التي وجد بها هذا النظام منذ القدم. أما بلجريف فقد أشار إلى أن فكرة بناء هذه القنوات جاءت إلى البحرين منذ عدة قرون قبل الاحتلال البرتغالي بين القرن الخامس عشر إلى السادس عشر، ومنذ ذلك الأمد ليس هناك تسجيل حول تاريخ بناء القنوات لذا لا توجد مصادر أخرى تحدد تاريخ انشائها[٢٧].

ويرجع تاريخ القنوات في البحرين إلى ما قبل الإسلام فهناك ذكر لحرب جرت بالقرب من الدراز (شمال غرب جزيرة البحرين) في القرن السابع الميلادي واستعملت هذه القنوات بواسطة من اشتركوا في هذه الحرب[٢٨]. وورد في روايات تاريخية محلية أن البحرينين انتفعوا بهذه القنوات خلال حرب قامت في القرن الثامن بين أهالي البحرين وجيش أرسله الخليفة. ومر البحرينيون من خلال هذه القنوات حتى وصلوا إلى مؤخرة العدو فجأة وهاجموه هجوماً ناجحاً[٢٩].

كما استخدمت القنوات في الحروب فقد استخدمها الشيخ أحمد الفاتح عام ١٧٨٣م في اقتحام قلعة الديوان التي التجأت إليها حاميتها وعائلة الشيخ نصر ومن والاهم في المنامة وذلك بعد انسحاب الشيخ نصر آل مذكور إلى بوشهر إثر فشله في حصار الزبارة، حيث يذكر التاريخ أنه

"كانت في وسط القلعة عين ماء جارية يشرب منها سكان القلعة ويجري ماؤها في جدول متجها شمالاً خارج القلعة والجدول مسقوف وبه عدة فتحات للنور والهواء تعرف (بالتناقيب) ويمر بفريق (المبشر) في المنامة ثم يسقي بستانا داخل المنامة يعرف (بالباخشة)، والباغجة تصغير كلمة (باغ) الفارسية وتعني البستان، وكان أهل المنامة يشربون وينتفعون من مياه هذا الجدول الجارية إلى البستان والمارة ببيوتهم. وقد وضع الشيخ أحمد مع الخاصة من رجاله خطة لاقتحام القلعة عن طريق هذا الجدول أو المشبر كما كان يسمى، فاختار نخبة من رجاله الأشداء يحملون السيوف وأمرهم أن يدخلوا القلعة من هذا الجدول أو المشبر . وفعلاً دخل الرجال في الجدول وهو يشبه النفق حيث كان مسقوفا ولما وصل أولهم إلى فتحة العين فوجىء رجل كان يغتسل في العين بخروج الرجال عليه من جدول الماء. وفعلاً خرج الرجال من العين واتجهوا للبوابة وفتحوها، ودخلت القوات القلعة واستسلمت حاميتها، وعادت البحرين بدخول أحمد الفاتح إلى الحكم العربي حتى الوقت الحاضر[٣٠] .

هذا ويسهل تتبع هذه القنوات حيث توجد وعلى بعد كل خمسين ياردة مدخنة حجرية تصل ما بين السطح والقنوات وتقف رؤوس تلك الأعمدة المجوفة ناتئة فوق الأرض بارتفاع يتراوح بين قدم و أربعة أقدام بشكل خطوط تمتد وتصل إلى ميل أو ميلين حتى بلوغها جداراً يحيط بمصدر المياه المزود للقناة . وتبدو القنوات في البحرين من الأعلى أو من الجو بهيئة سلاسل طويلة لحفرات صغيرة وسط منطقة جافة، هذه الحفر هي فوهات القنوات التي وجدت للتهوية والتنظيف[٣١] .

ويصف بيبي مصادر المياه في قنوات البحرين بقوله : "يحيط الجدار بالمنطقة إلى حد قد يمتد إلى مائتي ياردة طولاً وذلك على نحو بيضاوي . ويهوي الجانب الداخلي للجدار بحدة إلى عمق قد يصل إلى عشرين أو ثلاثين قدماً . ولا توجد هناك أي تربة في المنطقة المسيجة . فالأرض الكلسية قد تكسرت بسلاسة إلى قميمات ومنحدرات تنتشر بها الحشائش وقد انتصب بها ما يقارب العشرين نخلة . وترى الماء في تجاويف الصخور صافيا مثل البلور،

في جريان دائم من العيون التي في الأعماق، يتدفق في سلاسل من الجداول بشلالاتها المصغرة تتساقط على صدوع الصخر. هذه هي العيون التي غذت القنوات بالماء[٣٢].

ونظراً لأن أرض البحرين مستوية ومستوى الماء فيها مرتفع فإن القنوات بنيت بصورة مفتوحة أو مكشوفة كالخنادق ومن ثم غطيت أو سقفت بألواح من حجر الكلس أو بصخور مسطحة (تدعى الفروش) وقد بني السقف على شكل مقوس ثم غُطي بالتراب ليتساوى ومستوى سطح الأرض. ثم غطيت بالتربة حتى سطح الأرض[٣٣]. وتوجد بين كل ١٥ ياردة منافذ للتهوية يتراوح قطرها بين قدمين وخمسة أقدام[٣٤] وفي هذا الصدد يذكر بلجريف أنه عند فتحة التهوية لقناة الماء التي تجري غربي قرية (الشاخورة) توجد غرفة كبيرة تحت الأرض تستخدم كصالة الاستحمام. ولها سقف عالٍ مقوس ذو أعمدة تتشعب من عمود مركزي، ولها سقف خاص وأرضية من الجبس المتين مغطى بالرمل الأبيض الناعم. ويوجد مجرى ماء بارد لا ينقطع انسيابه خلال الغرفة، ما زال يستعمله سكان القرى المجاورة كحمام حيث يذهبون اليه إبان حرارة الصيف ويجلسون في راحة بالمكان الظليل البارد تحت سطح الأرض[٣٥].

ويعتقد بيبي[٣٦] من ملاحظاته الميدانية "إن أنفاق الري حفرت ربما بمستوى الأرض أو تحته قليلا وقد غطيت من الأساس لمنع البخر. ثم تراكمت عليها الرمال وأن الجدار الواقي للينابيع والمدخنات التي تتصل بالقنوات قد بنيت تدريجاً لتتناسب وسرعة الرمال الزاحفة". ويضيف بيبي "وتبرهن نهايات الينابيع عند رأس القنوات بقوة على أن كميات هائلة من الرمال قد تراكمت في بعض مناطق البحرين عبر العصور التاريخية"[٣٧].

إن قنوات البحرين ما هي إلا أنفاق للماء تحت الأرض غالباً ما تجري على عمق ٢٠ قدماً وأكثر تحت السطح وتمتد لأميال عديدة وذلك من المنحدرات السفلى لتلال البحرين الوسطى، إلى الأراضي الواطئة على الساحل الغربي حيث القرى الزراعية[٣٨]. ومن المعتقد أن سلسة القنوات المائية في المنطقة الغربية من البحرين قد بنيت لحفظ

المياه من التبخر، أو بسبب ندرة العيون الطبيعية في هذا الجزء من البلاد ووجود أرض خصبة، ولوفرة مياه العيون في الجانب الشرقي من البلاد بدرجة أكثر من حاجتها ؟ فهي تسقي البعيد وتخلي القريب ؟. أو لتعرض الجزيرة لفترات جافة، ولولا بناء القنوات لاندثرت القرى الزراعية التي تتزود بالمياه عبر هذه القنوات . ولعل الحاجة لبناء القنوات في البحرين جاءت نتيجة لازدياد عدد القرى، أو الرغبة في التوسع للمدن والقرى، أو لزيادة الرقعة الزراعية، وبناؤها قد يعكس فترة ازدهار حضاري وزيادة في عدد سكان الجزيرة .

ومن المعروف أن الاستيطان، والكثافة السكانية، وعدد القرى، وتراصها في جزيرة البحرين كان وعلى مدى العصور متمركزاً على السواحل الشمالية للجزيرة، نظراً لما امتازت به هذه الأجزاء من انخفاض في سطحها، وقلة تضاريسها، وخصوبة تربتها نسبياً، إضافة إلى وفرة العيون الطبيعية وغزارتها والتي جاءت كانعكاس مباشر للفواصل والصدوع في النطاقات تحت السطحية في هذا الجزء من الجزيرة والتي كانت بمثابة ممرات للمياه العذبة المحصورة في باطن الأرض نحو سطحها . غير أن الشواهد الآثارية توضح بجلاء أن امتداد الاستيطان في البحرين (نحو الجنوب الغربي) خلال فترات محددة ارتبط بعوامل حضارية، أو اقتصادية، أو بيئية[٣٩] . فأول شواهد للتوسع الاستيطاني في جزيرة البحرين كانت بين ٥٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ ق.م. حيث وجدت بقايا آثار حضارة العبيد المتأخرة على طول الساحل الجنوبي الغربي للجزيرة، على بعد حوالي ٣٠ كم من الساحل الشمالي. ثم انحسر الاستيطان بداية الألف الرابع ونهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وعاد وامتد ليشغل معظم أرض الجزيرة في نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد في عصر باربار الثانية خاصة الاستيطان الزراعي ليعكس التطور في مركز دلمون الحضاري وازدهار علاقاتها التجارية مع الجزيرة العربية وفيلكا وبلاد الرافدين .

وفي نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ضاقت المستوطنات وتراجعت نحو مراكز المياه في الساحل الشمالي . وفي الألف الأول قبل الميلاد توزعت المستوطنات جنوباً تارة أخرى إلا أنها

لم تتجاوز الكيلومترات العشرة من الساحل الشمالي. واستمر ذلك إلى بداية الألف الأول بعد الميلاد بما فيها الفترة الإغريقية والنفوذ الفارسي في الخليج. تلا ذلك انحسار الاستيطان نحو الساحل الشمالي للجزيرة منتصف الألف الأول بعد الميلاد متزامناً مع الفترة الساسانية. ثم توسع الاستيطان ليصل إلى نحو ٤٠ كيلومتراً جنوب الساحل الشمالي وذلك في بداية الفترة الاسلامية وبلغ ذروته خلال القرون الوسطى المتأخرة(٤).

إن التوسع الاستيطاني في جزيرة البحرين غالباً ما عكس فترات استقرار اقتصادي في الدولة كانت فيها البحرين مركزاً تجارياً مهماً مما أوجد الحاجة لزيادة مواقع الاستيطان نظراً لزيادة عدد السكان من جهة وتضاعفه بنزوح مجموعات إليها من الخارج من جهة أخرى . ولا بد والحالة هذه أن توجد حاجة ماسة للمياه في البقاع الخصبة كالأجزاء الجنوبية الغربية من الجزيرة (والتي تفتقر إلى مصدر للمياه العذبة المتمثلة في البحرين بالعيون الطبيعية)، مما دفع سكانها إلى شق القنوات .

## مصدر الماء العذب في قنوات البحرين

لقد ساعد كل من الوضع الهيدرولوجي الخاص بجزيرة البحرين. والوضع الطوبوغرافي الملائم لإنشاء القنوات في الأجزاء الغربية للجزيرة، في توفير البيئة المناسبة لعمل القنوات والاستفادة من مياه العيون الزائدة . وقد توج ذلك بقدرة الإنسان البحريني على تحمل صعوبة ومشقة هذا العمل. ومهارته وإبداعه الهندسي والذي يتمثل في العديد من الشواهد الباقية آثارها إلى يومنا هذا، ومنها قنوات الري.

فالقنوات في العديد من البقاع تقوم وكما سبق وأشرنا على أساس أن الجبال تتلقى كميات من الأمطار تزيد على تلك الكميات التي تتلقاها المناطق المنخفضة، مما يؤدي إلى ارتفاع منسوب المياه الجوفية في المناطق الجبلية، ويعمد إلى استغلال هذه المياه عن طريق حفر قنوات ذات انحدار طفيف يسمح بانحدار الماء وانسيابه نحو السهول أوالمراوح الطميية الواقعة عند سفوح الجبال. أما في البحرين فإن قنوات الري تعتمد علىمياه العيون التي تمثل أحد أشكال التصريف الطبيعي

للمياه الجوفية القادمة عبر خزان الدمام الجوفي من الجزيرة العربية، والموجودة تحت ضغط مائي (بيزومتري) مرتفع، والمتدفقة عبر الكسور أو الصدوع المتمركزة في الأجزاء الشمالية من جزيرة البحرين.

وخزان الدمام الجوفي (الخزان المائي الرئيسي في البحرين) يمثل جزءاً صغيراً من الخزان المائي الواسع المسمي بالخزان العربي الشرقي، والممتد من صحراء الدهناء وسط المملكة العربية السعودية إلى المنطقة الشرقية بالمملكة والبحرين والكويت وجنوب غربي قطر. يحتوي هذا الخزان الاقليمي أساساً على مخزون مائي أحفوري يعود إلى مابين ٦٠٠٠ و٢٢٠٠٠ سنة خلت حينما كانت جزيرة العرب تتمتع بمناخ مطير[٤١]، كما تتم تغذيته حالياً بمياه الأمطار حيث توجد منكشفات طبقاته على ارتفاعات تصل الى٤٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر في المناطق الوسطى للمملكة[٤٢]. وتتدفق مياه هذا الخزان الإقليمي نحو الشرق والشمال الشرقي باتجاه ميل طبقاته لتغذى خزانات منطقة الساحل الغربي للخليج العربي وجزر البحرين. وتعد مياه العيون الطبيعية في البحرين أحد أشكال التصريف الطبيعي لهذا الخزان الإقليمي[٤٣].

وتتميز العيون الطبيعية في دولة البحرين بأنها من نوع العيون الانجذابية الارتوازية التي ينتج تدفق الماء منها بفعل علاقة مستوى السطح المائي في الخزان الجوفي بمستوى سطح الأرض، حيث يتدفق الماء المحصور في الخزان الجوفي والواقع تحت ضغط ارتوازي بفعل وجوده بين طبقتين قليلتي النفاذية من خلال مواقع الضعف في الطبقة الحاصرة العليا (كالتشققات، الفوالق، نقص في سمك الطبقة، ألخ ..). فعندما يكون مستوى السطح المائي في الخزان الجوفي أعلى من مستوى سطح الأرض في الينبوع تبدأ المياه في التدفق، ويتميز هذا النوع من الينابيع بسرعة الجريان وارتفاع معدل التصريف مقارنة بالأنواع الأخرى من الينابيع كينابيع الانخفاضات والتلاقي. ويتناسب معدل التصريف في هذا النوع من الينابيع تناسباً طردياً مع الفرق بين المستوى البيزومتري أو المائي في الخزان الجوفي ومستوى سطح الأرض، بينما يتوقف الينبوع عن التدفق عندما

يكون المستوى البيزومتري مساوياً أو أقل من مستوى سطح الأرض في الينبوع[٤٤].

هذا الوضع الهيدرولوجي الملائم توافق مع وضع طوبوغرافي ملائم لإنشاء القنوات في الأجزاء الغربية لجزيرة البحرين والتي تمتاز بخصوبة أرضها، وقلة تضاريسها، وانحدارها الطفيف نحو البحر مما جعلها ملائمة من كل النواحي الهيدرولوجية والطوبوغرافية والهندسية لإقامة القنوات.

## أسباب تدهور القنوات في البحرين

للوقوف على أسباب ما آلت إليه القنوات من تدهور واندثار في البحرين لابد من الوقوف أولاً على أسباب تدهور مصادر مياهها. إذ أن القنوات بقيت تستخدم في البحرين حتى بداية هذا القرن حينما كانت العيون تتدفق تلقائياً بغزارة فقد وصف النبهاني الطائي[٤٥] الذي زار البحرين أوائل هذا القرن (١٩١١م) البحرين في كتابه التحفة النبهانية فذكر بأنها "جزيرة كثيرة المياه العذبة. ولكثرة ينابيعها البحرية وعيونها البرية كانت في غاية الخصوبة ..، ويوجد في وسط البحر جملة ينابيع عذبة تفور بقوة، فيغوص عليها المستقون فيملأون منها القرب للسفن ولشرب غالب أهل البلدة وأن من الواقعة على ساحل البحر لما يتدفق ماؤها ويسيل على وجه الأرض، ومنها إذا جزر البحر ظهرت فاستقوا منها، وإذا مد البحر علاها بنحو ستة أذرع فيغوصون عليه للاستقاء ... وعدد الينابيع البحرية المشهورة عندهم نحو٢٥ ينبوعاً غير الصغار والمجهولة الاسم، وعدد التي في البر نحو ٢٠٠ عين وذلك غير الصغار. وغالبها كان يسيح على وجه الأرض ثم يفيض في البحر ...، وفي الحقيقة أن البحرين أكثر البقاع مياهاً مع أنها جزيرة".

ولعل هذه الغزارة في مياه العيون وفيضانها في البحر، والحاجة إليها في موقع آخر يفتقر إلى المياه رغم خصوبة أرضه، هو ما دفع بالإنسان البحريني قديماً إلى التفكير في الإستفادة من هذه المياه العذبة وذلك عن طريق بناء القنوات وإحياء الأرض بدل هدرها في البحر أو زيادتها الضارة أحياناً أخر. ومن منطلق الحرص على هذا الإرث المهم جاءت بعض مواد قانون الري في البحرين ( المواد ٥، ٦، ٨، ١١، ٢٤،

و ٣٠) والـذي حـرر فـي ٩ شـعبان ١٣٧٩هـ لتعالج أمور توزيع كلفة صيانـة وإصلاح القنوات والعيون على الملاكين والمستفيدين منها ووجوب المحافظـة عليها من أي ضرر، لتعكس اهتمام المستفيدين والحكام بعيون البحرين وقنواتها[٤٦] .

غير أنه ومنذ مطلع الثلاثينات من هذا القرن ، وإثرَ اكتشاف النفط في البحرين وما صاحب ذلك من تغيرات اقتصادية واجتماعية أدت إلى توسع عمراني وتزايد مطرد في عدد السكان ومستوى المعيشة، حدث ارتفاع في معدلات الطلب على الماء، وأصبح حفر الآبار ضرورة لابد منها، وبزيادة عدد الآبار زادت الكميات المسحوبة من المياه الجوفية وتجاوزت معدلات التصريف الطبيعي للخزان، مما أدى إلى استنزاف خزان الدمام الجوفي في البحرين، مسبباً إنخفاضاً حاداً في مستوياته المائية رافقه تدهور في نوعية مياهه، الأمر الذي أثر بشكل مباشر على تدفق المياه في العيون الطبيعية، فتدهورت مياه جميع العيون تدهوراً كبيراً تمثل في ضعف تدفقها بل جف العديد منها، وإن استمر فهو قليل جداً كذلك ازدادت نسبة ملوحة مياهها[٤٧]، مما انعكس على معدل تدفق هذه المياه عبر القنوات .

وفي هذا السياق يتطرق بلجريف إلى هذا الموضوع فيذكر "وفي العشرينات والثلاثينات قام الرائد فرانك هولمز بحفر عدة آبار ارتوازية مما غير نظام الري في البحرين جذرياً وأدى إلى زيادة مساحة الأرض الزراعية. ولكن في وقت لاحق انخفض مستوى المياه بسبب كثرة الآبار الارتوازية التي حفرت مما أدى إلى جفاف بعض الحدائق في جنوب الجزيرة"[٤٨] .

فبعد أن كانت المستويات المائية لخزان الدمام في البحرين عام ١٩٢٥ تتراوح ما بين متر واحد إلى أربعة أمتار فوق سطح البحر في المناطق الشرقية والشمالية الشرقية من جزيرة البحرين، حيث توجد معظم العيون الطبيعية . أصبحت هذه المستويات المائية تتراوح ما بين الصفر والمترين فوق مستوى سطح البحر في عام ١٩٩٢ في نفس المناطق، الأمر الذي أدى إلى انخفاض المستوى المائي في منطقة العيون ومن ثم قل تدفقها أو توقفت عن التدفق بشكل نهائي[٤٩] .

ويصف لارسن[٥٠] قنوات الري بين قرية صدد وعين صخارة المعروفة فيذكر

أن ارتفاع قاع العين التي تغذي القناة هو ٤،٣م في حين أن ارتفاع قاعدة مخرج أو نهاية القناة (outlet) يبلغ ٦م، وهذا يعني أنه في الوقت الذي حفرت فيه هذه القناة فإنه لابد وأن ارتفاع سطح الماء في العين كان أعلى من حد أو عتبة نهايتها . وقد قامت الشركة الاستشارية (GDC) بإجراء قياسات للقناة في عام ١٩٧٩، واستنتجت أنه لابد وأنه قد حدث انخفاض في مستوى الماء لا يقل عن ٤م منذ أن توقف الماء عن الجريان في هذه القناة[٤١]

يتبين مما سبق أن قنوات البحرين مرت بتدهور متسارع، أدى إلى جفافها، وردمها، أو تهديمها، هذا التدهور الذي طرأ عليها ما هو إلا انعكاس واضح لتردي الحالة العامة لمياه خزان الدمام الجوفي الذي تستمد القنوات مياهها منه حيث أدى الاستخدام غير المدروس لمياه خزان الدمام بمعدلات سحب تزيد بمقدار الضعف عن الحد الآمن المقترح من طاقته الإنتاجية خلال السنوات الماضية إلى تدهور عام في كمية ونوعية مياهه، الأمر الذي انعكس على العيون الطبيعية ومعدلات تدفقها، وجريان المياه في قنواتها . ولعل هذا الأمر دفع المستفيدين منها إلى إهمالها وعدم صيانتها مما سارع في تدهورها ولربما سهولة حفر الآبار وقلة تكلفتها وعدم تطلب صيانتها أسوة بالقنوات قد ساهم في تدهور قنوات الري في البحرين .

ويصف بيبي تدهور القنوات في البحرين أواسط القرن الحالي فيذكر "لقد أدى انخفاض مستوى الماء في العيون التي تستمد قنوات الري منها مياهها ولم يعد ينبع منها إلا بقدر البخر السطحي من البرك المتكونة . ويمكن رؤية مدخل القناة في أحد أركان ذلك السياج وقد علت قاعدتها بما لا يزيد عن قدم فوق مستوى الماء ولكنه لم يعد ينساب فيها . وكان واضحاً في بعض الأحيان أن الماء منخفض إلى درجة لم يعد بالإمكان فيها أن يعاود انسيابه أبداً، وفي أحيان كان كل المطلوب تنظيف القناة بالاستفادة من المدخنات التي بنيت دون شك لأجل هذا الغرض، فيعاد فتح القناة للري مرة أخرى . ولكن ذلك لم يتم . فعلى نهاية المنحدر الذي يمتد لمسافة ميل واحد وحيث تقوم القرى التي كانت القناة تخدمها، فإن الزراعة – إذا كانت لاتزال قائمة – تتم ممارستها بالاعتماد على حفر تحفر إلى

الطبقات التي تحوي الماء وباستعمال المضخات العاملة بالبنزين ، يمكن سحب الماء باستهلاك طاقة أقل، وبقدر أدنى من الخطر مقارنة بالحال التي كانت قائمة حين بناء تلك الأنفاق تحت الارض وصيانتها(٥٢) . وهكذا أصبح حفر بئر أمراً أسهل وأقل تكلفة وأضمن للحصول على أكبر كمية من المياه ولا تحتاج إلى جهد كبير لصيانتها .

## آثار القنوات اليوم

والقنوات في البحرين غير مستعملة حالياً ومهجورة وتحولت إلى أطلال متداعية وبعضها ردم أو سد بالتراب على مر السنين، أودمر خلال النمو الحضري الذي واكب الزيادة في عدد السكان. باستثناء جزء منها على امتداد قصير قرب قرية صدد . وهناك نظام القنوات في دار كليب على امتداد ميل ونصف الميل (بين شارع الرفاع الهملة وشارع عوالي الزلاق) إذ يشاهد كثير من القنوات الواسعة الجافة تماماً وقد تبقت أجزاء من جدرانها الداخلية فقط. ولكن يمكن اقتفاء أثر خط سيرها على السطح باتباع سلسلة بقايا منافذ التهوية ويستوجب ذلك توخي الحذر عند المشي على خطوط هذه القنوات خشية السقوط فيها(٥٣) . كما توجد مثل هذه القنوات على بعد ميل تقريباً شمال شهركان . ويبدو أن أقصى خط للقنوات كان ينتهي عند شارع قرية الزلاق ومن هناك وباتجاه الجنوب كان يمكن الحصول على الماء عن طريق الآبار(٥٤) .

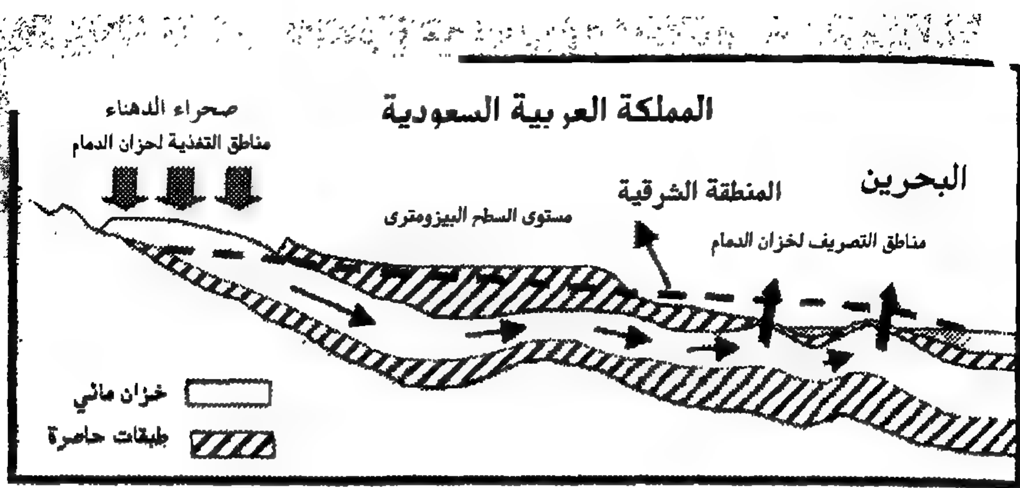
# الخلاصة

لقد ساعد كل من الوضع الهيدرولوجي والوضع الطوبوغرافي الملائم في الأجزاء الغربية من جزيرة البحرين على إنشاء القنوات، رغم صعوبة ومشقة هذا العمل وليست هذه إلا أحد شواهد الإبداع الهندسي للإنسان البحريني. وحكمة وحسن تدبير والإدارة الكفء للموارد.

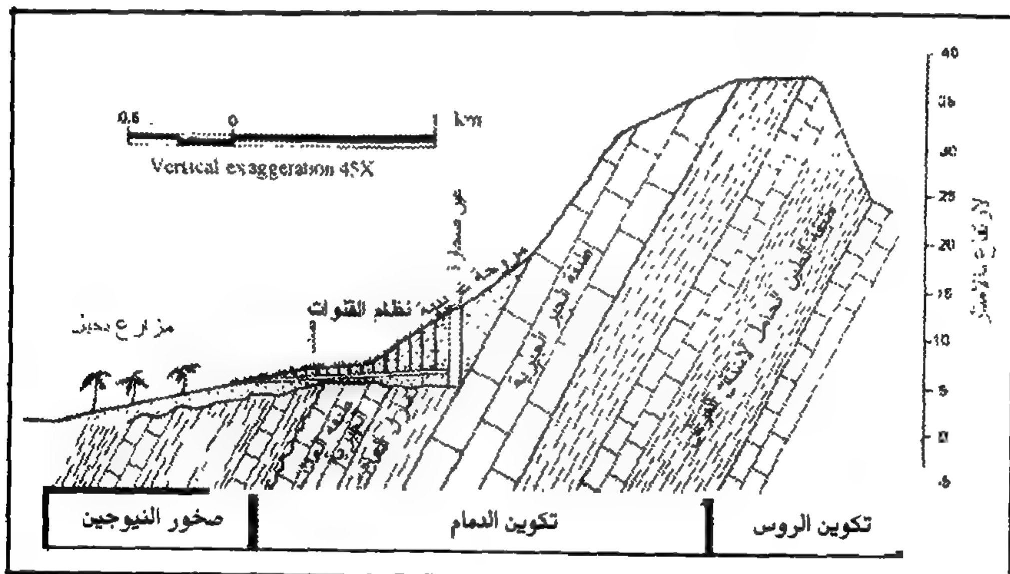
وبما أن القنوات في دولة البحرين تمثل أحد أشكال التصريف لمياه خزان الدمام الجوفي وتستمد مياهها منه، فإن التدهور العام الذي طرأ عليها في الفترة الماضية ما هو إلا انعكاس واضح لتردي الحالة العامة لمياه هذا الخزان، حيث أدى استغلال مياه خزان الدمام بمعدلات سحب تزيد بمقدار الضعف عن الحد الآمن المقترح من طاقته الإنتاجية إلى تدهور عام في كمية ونوعية مياهه، الأمر الذي انعكس على العيون الطبيعية ومعدلات تدفقها ونوعية مياهها، كذلك على تدفق المياه في القنوات . ونظراً لأن تغير وضع خزان الدمام الجوفي هو أمر غير وارد في المستقبل القريب حسب الدراسات الهيدرولوجية الحديثة، فإن الدراسة الحالية توصي بضرورة مسح قنوات البحرين. والاهتمام بها وإبراز قيمتها التاريخية والتراثية ودراسة إمكانية إدخالها ضمن الخطة الحالية لتطوير المناطق السياحية التراثية الجديدة في البلاد، والاستفادة منها كمواقع سياحية مع محاولة التركيز على الإحياء البيئي والتنمية البيئية وخدمة أهداف السياحة البيئية.

**د . أسماء علي أباحسين و هند عبد العزيز القصيبي**

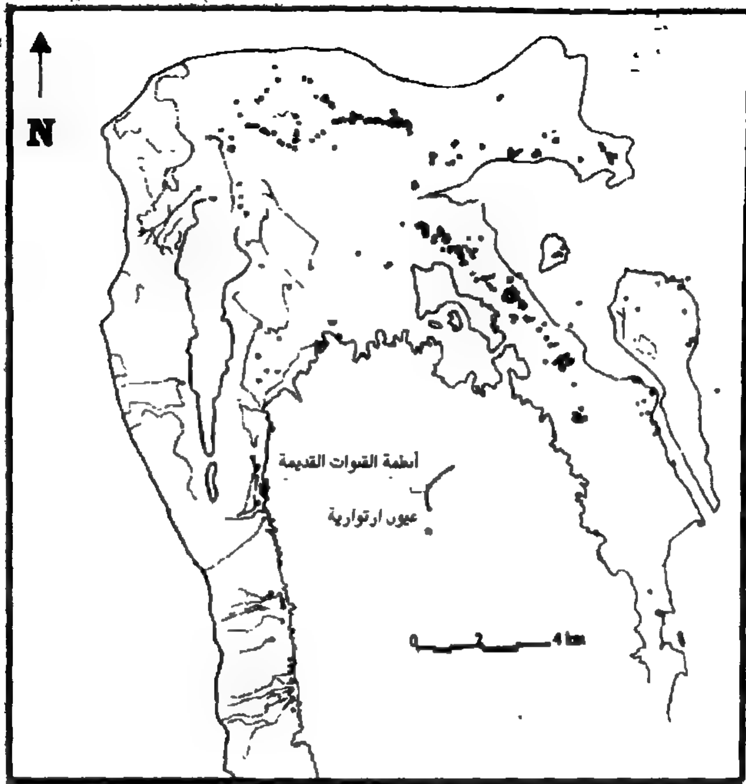
**جامعة الخليج العربي- البحرين**



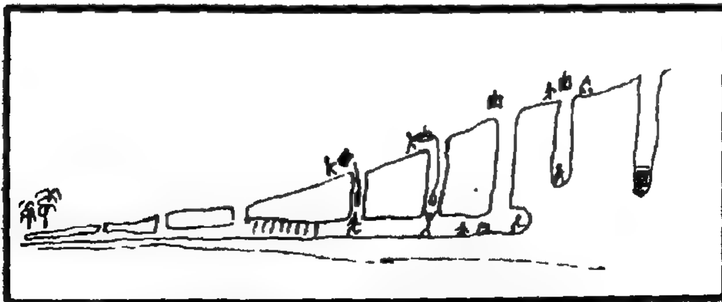

**قطاع هيدرولوجي مبسط للخزان العربي الشرقي**




**مقطع جيولوجي في الساحل الجنوبي الغربي لجزيرة البحرين (محور عن لارسن، ١٩٨٣)**



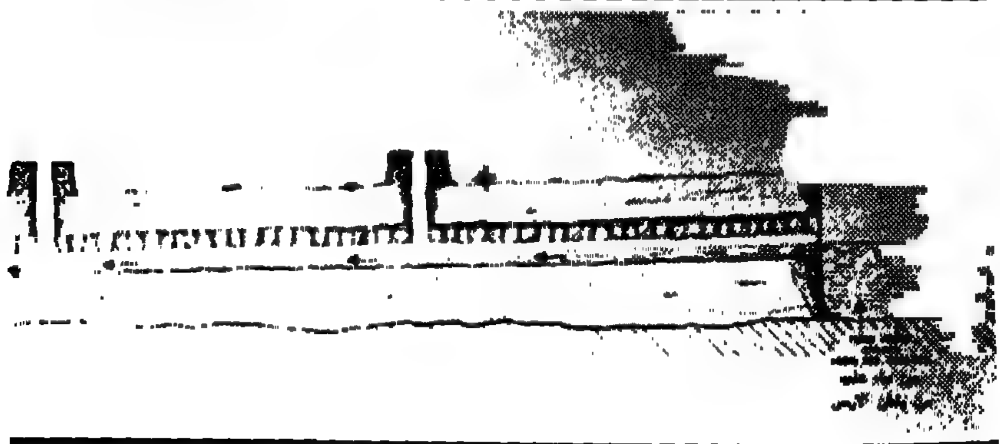

أنظمة قنوات الري القديمة في الجزء الغربي من جزيرة البحرين



مخطط يوضح الأسلوب المتبع في حفر القنوات



صورة لداخل إحدى قنوات الري في منطقة صدد



شكل تخطيطي لقناة ري

# الهوامش

١ – كلارك، أنجلا، ١٩٨٥، جزر البحرين دليل مصور لتراثها، ترجمة الدكتور محمد الخزاعي، منشورات جمعية تاريخ وآثار البحرين، ص ١٧٤ .

٢ – محمدين، محمد محمود وحسن عبد العزيز أحمد، ١٩٨٥، الأقاليم الجافة دراسة جغرافية في السمات والأنماط، ص ٢٩٨ .

٣ – المنجد، ط ٢٩، ص ٥٩٢ .

٤ – Wilkinson, J.C., 1977 . في محمدين وأحمد، ص ٢٩٨ .

٥ – كلارك، ص ١٧٤ .

٦ – محمدين وأحمد، ص ٢٩٩ – ٣٠١ .

٧ – الموصلي، عماد الدين، ١٩٨٤، مشكلة ري الأراضي الجافة وزراعتها في بعض مناطق العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، المجلد الأول، ص ٣٠٥ .

٨ – كلارك، ص ١٧٤

٩ – الموصلي ، ص٣٢٠.

١٠ – محمدين وأحمد، ص ٢٩٨.

١١ – الموصلي ، ص ٣٢٠

١٢ – كلارك، ص ١٧٤

١٣ – (More water for arid lands, Washington,D.C. 1974, p.65) . في محمدين وأحمد، ص ٢٩٩

١٤ – ولكنسون، جي . رسي،١٩٨٦ ، الأفلاج ووسائل الري في عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط ٢، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، عُمان،ص ٦٥ ، ص ٤٤ .

١٥ – ولكنسون، ص ٦٥ ، ص٧١

١٦ – الأحمد ، سامي سعيد ، ١٩٨٥م تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي . مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، مطبعة جامعة البصرة، ص ٣١٠؛ وولكنسون، ص ٧٠

١٧ – ولكنسون، ص ٧٤ .

١٨ – محمدين وأحمد ، ص ٣٠٣ .

١٩ – موللي، جون، وفايز الطراونة . قنوات المياه القديمة في البحرين، نشرة دلمون ، ١٩٧٦ .

٢٠ – بيبي، جيوفري، ١٩٨٥م . البحث عن دلمون . ترجمة أحمد عبيدلي، ديلمون للنشر، نيقوسيا، ص ٣٧٢ .

٢١ – فيدال (٢٦) Vidal في سيرجنت، نظم الري في البحرين، بحث غير منشورص ١ .

٢٢ – الموصلي، ص ٣٢٠-٣٢١ .

٢٣ – كلارك، ص ١٧٤ .

٢٤ – كلارك، ص ١٧٤ .

٢٥ – جواد علي، علي، ١٩٧٦م . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ص ٦٤٨ .

٢٦ – Larsen, C.E. 1983. Life and land use on the Bahrain Islands, the Geoarcheology of an Ancient Society. Prehistoric Archeology and Ecology Series, The University of Chicago Press. p85, 88, 204-205

٢٧ – بلجريف، جيمس، البحرين ترحب بكم، منشورات وكالة الخليج للإعلان والخدمات بالبحرين ص ١٠٢ .

٢٨ – جون مولوني؛ كلارك، ص ١٧٦ .

٢٩ – بلجريف، ص ١٠٢ .

٣٠ – آل خليفه، عبد الله بن خالد، وعلي أباحسين، ١٩٩١ م . البحرين عبر التاريخ، الجزء الثاني، مركز الوثائق التاريخية، دولة البحرين، ص ٢١٣ .

٣١ – كنجلي، جون، ١٩٧١، سلسلة القنوات المائية الاثرية المسقوفة، النجمة الاسبوعية، العدد ٢ ، السنة ١٥، ٣١ يناير .

٣٢ – بيبي، ص٩٨-٩٩ .

٣٣ – كلارك، ١٧٤ .

٣٤ – كنجلي، جون، مصدر سابق .

٣٥ – بلجريف، ص ١٠٣ .

٣٦ - بيبي، ص ١٠٠ .

٣٧ - بيبي، ص ١١٢ .

٣٨ - بيبي، ص ٩٨ .

٣٩ - Larson, C.E., 1986. Variation in Holocene land use patterns on the Bahrain Islands : In construction of a land use model. Al-Khalifa H. and Rice M. (Eds.). Bahrain Through the Ages, The Archaeology. KPI Limited publisher, London. pp. 32-35

٤٠ - Larson ,C E., 1986. pp. 32-35

٤١ - GDC (Groundwater Development Consultants), 1980, Umm Er Radhuma Study, Bahrain Assignment, Vol. III: Groundwater Resources. Ministry of Agriculture and Water, Kingdom of Saudi Arabia , And Water Atlas of Saudi Arabia, 1984. Prepared by the Ministry of Agriculture and Water, Water resources development department. Riyadh , Saudi Arabia, p9-10.

٤٢ - Faulkner, R D, 1994, Fossil water or renewable resource: the case for one Arabian aquifer. Proceedings, Institution of Civil Engineers, Water, Maritime and Energy, vol. 106 (4), pp. 325-331.

٤٣ - Al-Zubari, W.K., Mubarak, A.M., and I. M. Madany, 1993, Development impacts on groundwater resources in Bahrain. International Journal of Water Resources Development, vol. 9 (3), pp. 263-279.

٤٤ - القصيبي، هند ووليد الزباري، وأسماء أباحسين، ١٩٩٩، تأثير استنزاف المياه الجوفية على العيون الطبيعية والبيئة المحيطة بها في دولة البحرين، مؤتمر الخليج الرابع للمياه، تحرير الدكتور وليد الزباري، البحرين، ص ١٦٢ .

٤٥ - الطائي، محمد خليفة حمد موسى، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية . طبع بدار إحياء العلوم العربية (١٩٨٦)، بيروت، صفحة ٢٢ .

٤٦ - قانون الري في البحرين، ثلاثون مادة، حرر في ٩ شعبان ١٣٧٩هـ .

٤٧ - القصيبي، هند عبد العزيز، ١٩٩٧. تاريخ وواقع العيون الطبيعية بدولة البحرين، رسالة ماجستير، برنامج علوم الصحراء والأراضي القاحلة، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليج العربي، البحرين، ص ١١٧ .

٤٨ – سيرجنت ، ص ٢ .

٤٩ – Al-Zubari et al., 1993, pp. 263-279.

٥٠ – Larsen, C.E. 1983.p 129.

٥١ – GDC (Ground water Development Consultant ), Vol. 3, 58 – 59.

٥٢ – بيبي، ص ٩٨ – ٩٩ .

٥٣ – كلارك، ص ٢٧٠ .

٥٤ – كنجلي، ١٩٧١، النجمة الاسبوعية .

# المراجع العربية


- الأحمد، سامي سعيد، ١٩٨٥م . تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي . مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، مطبعة جامعة البصرة .
- آل خليفه، عبد الله بن خالد، وعلي أباحسين ،١٩٩١ م . البحرين عبر التاريخ، الجزء الثاني، مركز الوثائق التاريخية، دولة البحرين .
- الطائي، محمد خليفة حمد موسى، ١٩١١، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية . طبع بدار إحياء العلوم العربية (١٩٨٦)، بيروت.
- القصيبي، هند عبد العزيز و وليد خليل الزباري، و أسماء علي أباحسين، ١٩٩٩، تأثير استنزاف المياه الجوفية على العيون الطبيعية والبيئة المحيطة بها في دولة البحرين، مؤتمر الخليج الرابع للمياه، تحرير الدكتور وليد الزباري، البحرين .
- القصيبي، هند عبد العزيز، ١٩٩٧. تاريخ وواقع العيون الطبيعية بدولة البحرين، رسالة ماجستير. برنامج علوم الصحراء والأراضي القاحلة، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليج العربي، البحرين .
- المنجد، ط ٢٦، ص ٥٩٢ .
- الموصلي، عماد الدين، ١٩٨٤. مشكلة ري الاراضي الجافة وزراعتها في بعض مناطق العالم الاسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول، المجلد الاول .
- بلجريف، جيمس، البحرين ترحب بكم، منشورات وكالة الخليج للاعلان والخدمات بالبحرين .
- بيبي، جيوفري،١٩٨٥ م . البحث عن دلمون . ترجمة أحمد عبيدلي، ديلمون للنشر، نيقوسيا
- جواد علي، علي، ١٩٧٦م . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت .

- قانون الري في البحرين، ثلاثون مادة، حرر في ٩ شعبان ١٣٧٩هـ .
- كلارك، أنجلا، ١٩٨٥، جزر البحرين دليل مصور لتراثها، ترجمة الدكتور محمد الخزاعي، منشورات جمعية تاريخ وآثار البحرين .
- كنجلي، جون، ١٩٧١، سلسلة القنوات المائية الاثرية المسقوفة، النجمة الاسبوعية، العدد ٢، السنة ١٥، يناير .
- محمدين، محمد محمود و حسن عبد العزيز أحمد، ١٩٨٥، الأقاليم الجافة، دراسة جغرافية في السمات والانماط .
- موللي، جون، و فايز الطراونة . قنوات المياه القديمة في البحرين، نشرة دلمون، ١٩٧٦ .
- ولكنسون، جي . رسي، ١٩٨٦، الافلاج ووسائل الري في عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط ٢، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، عُمان .


# المراجع الأجنبية


- Al-Zubari, W.K., Mubarak, A.M., and I. M. Madany, 1993, Development impacts on groundwater resources in Bahrain. International Journal of Water Resources Development, vol. 9 (3), pp. 263-279.
- Belgrave, C., 1996. "Personal Column: A History of Bahrain: 1926-1957" printed by Librairi Du Liban, Beirut.
- Faulkner, R D, 1994, Fossil water or renewable resource: the case for one Arabian aquifer. Proceedings, Institution of Civil Engineers, Water, Maritime and Energy, vol. 106 (4), pp. 325-331.
- GDC (Groundwater Development Consultants), 1980, Umm Er Radhuma Study, Bahrain Assignment, Vol. III : Groundwater Resources. Ministry of Agriculture and Water, Kingdom of Saudi Arabia .

- Larsen, C.E. 1983. Life and land use on the Bahrain Islands, the Geoarcheology of an Ancient Society. Prehistoric Archeology and Ecology Series, The university of Chicago Press.
- Larson, C. E., 1986. Variation in Holocene land use patterns on the Bahrain Islands: construction of a land use model. In : Al-Khalifa H. and Rice M. (Eds.). Bahrain through the ages, The Archaeology. KPI Limited publisher, London. pp. 32-35
- Water Atlas of Saudi Arabia, 1984. Prepared by the Ministry of Agriculture and water with corporation with the Saudi Arabian United states joint Commission on Economic Cooperation, Water resources development Department. Riyadh, Saudi Arabia, 112p .

# القسم الإنجليزي

كلمة العدد:

Jones, 1790, in IOR Factory Records, Persia and Persian Gulf (G/29) v. 25, pp. 200-289.

22 - Malcolm report, paragraph 36.

23 - IOR, BPSP Range 381 v. 33 Seton to Bombay, 9th July 1802, p. 3611.

24 - Ibid., p. 3622.

25 - Al-Nabhani, Tuhfat al-Nabhaniyah pp. 131-32.

26 - For British involvement in Bahraini and Umani affairs during the nineteenth century, see al- Nabhani, Ibn Ruzayq and Lorimer. See also J.B. Kelly, Britain and the Persian Gulf 1798-1880 (Oxford, 1968).

16 - This is in agreement with more general comments by R.G. Landen Oman Since 1856 (Princeton, 1967) p. 62, and M. Morsy Abdullah, Imarat al-Sahil p. 188 and p. 193.

17 - The payment was justified on the grounds that Sayyid Sultan b. Ahmad had "cleared the Gulf of pirates" (IOR, BPSP Range 381 v.20 Seton to Bombay, 12th March 1801, pp. 1021-22), but Sayyid Sultan was in effect hiring pirates to enforce the payments.

18 - Before the 1801 expedition, the Suwaydis fell out with Sayyid Sultan over their seizure of British merchandise entering the Gulf. At Bombay's insistance, Sayyid Sultan evicted the Suwaydis from Hormuz, and they relocated in Qatar and allied with the Wahhabis. See IOR, BPSP Range 381 v. 25 Seton to Bombay. 20th July 1801, p. 4967 and p. 4970. Also, Minutes of the Bombay Council meeting 14th Aug. 1801, ibid., pp. 5ooo-50. The eviction of the Suwaydis decreased the immediacy of the Gumruk issue, by rendering enforcement even more difficult.

19 - For a full discussion of this shift in the carrying trade, see P. Risso (Dubuisson), "A history of Masqat and Uman, c. 1750-1800" unpubl. Ph.D. thesis, McGill University, 1982, chapter5. Masqat also successfully competed with British Indian merchants. See ibid., chapter 10.

20 - Report on Gulf Trade by John Malcolm.1800, IOR, Political and Secret Library (L/P&S/20) v. c227, appendix H, paragraph 30. Malcolm estimated that, of this amount, one crore (10.000.000) rupees'worth passed through Masqat (see paragraph 39).

21 - Malcolm reports, paragraph 46; see also "Report on the Commerce of Arabia . . ." by Samuel Manesty and Harford

J.G.Lorimer, Gazetteer of Persian Gulf, Oman and Central Arabia (Calcutta, 1908-15, Gregg reprint1970) v. I part 1A p. 423, and v. I part 1B pp. 481-42; al-Nabhani, Tuhfat al-Nabhaniyah section 1, pp. 129-31; M. Mursy Abdullah, Imarat al-Sahil wa Uman wa al- Dawlah al-Suudiyah al-Awla 1793-1818 (Qahirah, 1978) pp. 187-90.

9 - IOR, BPSP Range 381 v. 32 Seton to Bombay, 7th May 1802.p. 2144 and 10th May 1802, pp. 2147-48; alsi IOR Residency Records, Bushahr (R/15/1) Seton to Mahdi Ali Khan at Bushahr, 25th April 1802 p. 18 and 18th May 1802, p. 19.

10 - Lorimer, Gazetteer v. I part 1A p. 422.

11 - E.G., letter number 200 from Tibu Sultan to his agent Mir Qasim at Masqat, 12th Jan. 1786,in Wiliam Kirkpatrick, ed., Select Letters of Tippo Sultan (London,1811) pp. 231-34. In this letter, Tipu asks his agent to buy 10.000 rupees'worth of pearls either at Masqat or Bahrain, wherever the price was lower.

12 - A discussion of the pearl trade can be found in J.C. Wilkinson, Water and Tribal Settelement in South East Arabia (Oxford, 1977) pp. 20-25. See also Lorimer, v. I part2 appendix c..

13 - M. Mursy Abdulla, "The First Saudi Dynasty and Oman; 1795-1818" in proc. Sem. Arabian Studies 4 (1970) p. 37. Cf. His Imarat al-Sahil p. 188.

14 - IOR, BPSP Range 381 v. 48 Seton to Bombay, 5th sep. 1803, p. 6523.

15 - Sani Ali Bashir, "A Study of Al-Khalifah's Rule in Bahrain, 1783-1820" unpubl. M.A. Thesis, McGill University, 1979,pp. 55-56.

# NOTES

1 - E.G., Thomas Naff and Roger Owen,eds. Studies in Eighteenth Century Islamic History (Carbondale, Illinois,1977).

2 - India Office Records, London (IOR) Bombay Political and Secret Proceedings (BPSP) Range 381 v. 3 Governor Duncan at Bombay to Sayyid Sultan b. Ahmad at Masqat, 30th May 1799, p. 3071.

3 - Ibid., v. 5 letter of W. Wilson, 21st July 1799, pp. 4621-23; v. 6 letter of East India Company translator at Bushahr to Bombay, pp. 4616-18.

4 - Ibid., v. 20 Capt. David Seton, at Masqat, reporting a conversation with Sayyid Sultan b. Ahmad, 18th Feb. 1801 pp. 696-97.

5 - Ibid., v. 26 Sayyid Sultan b. Ahmad's Naib to British Government at Bombay, n.d., approx. Sep./Oct. 1801.

6 - Ibid., v. 33 Seton to Bombay.9th July 1802, p. 3610; v. 25 Seton to Bombay, 20th July 1801, pp. 4968-71.

7 - Muhammad al-Nabhani, Tuhfat Alnabhakiyah fi Tarikh al-Jazirah al- Arabiyah (Qahirah, 1342) section 1, p. 130.

8 - IOR, BPSP Range 381 v. 26, Seton to Bombay, 4th Oct. 1801, pp. 5871-73, Humaid b. Mohammad b. Ruzayq, Fath al-Mubin al-Mubarhin Sirat al-Sadat Al bu Saidiyin (Cambridge University Library, Add. MS. 2892)folio 193, Ibn Ruzayq claims that the Al-Khalifah took revenge on the Shii al-Baharinah,

British intervention in the Gulf – especially after the General Treaty of Peace in 1820 – that curbed Said's ambitions in this regard , and contributed to his decision to concentrate his efforts in East Africa.

Even after a sound defeat in 1828, Said still wanted Bahrain. At least three times during the next few decades, he suggested to the British that *they* arrange for him to control Bahrain in return for his exclusion of French influence and his compliance with British anti-slavery demands. Not surprisingly, this sort of bargain was never made.

To recapitulate : in 1799, the factors which brought Sayyid Sultan b. Ahmad to begin a series of attacks were the ability of the Al-Khalifah to bypass Masqat; and, more importantly, their ability to engage in the carrying trade between India and the Gulf. This constitutes evidence, albeit indirect, of Bahrain's new commercial success in the 1790's, when much Gulf carrying trade had shifted to Arab shores, and not long after the Al-Khalifah had come to power In the nineteenth century, once Sayyid Said b. Sultan had turned the attention toward East Africa, the Al-Khalifa were left in an even better position to benefit from the shifts in traditional Gulf commerce.

**PATRICIA RISSO**

worth while noting that this amount was one-tenth the estimate, from the same source, for the value of trade at Masqat. The competition, therefore, was not great, but it was noticeable and it was new, somewhat surprisingly, it was coming from a part of the Gulf which had harbors inferior to either Masqat or Suhar and which had far fewer vessels. This new competition, coupled with the ability of Bahraini vessels to evade protection payments at Masqat, was the basic motivation for the series of attacks between 1799 and 1802.

I'd like now very briefly to take the story into the nineteenth century, a period better documented and perhaps more familiar to you.

The major concern for Bahrain in the early nineteenth century was the expulsion of Wahhabi garrisons, imposed immediately after the joint effort against Masqatis in 1801[25]. The paramount Al-Khalifah Shaikhs, Salman and Abd-Allah, were at this time willing to pay a subsidy to Masqat in return for Masqati help against the Wahhabis. I am not aware of any study on Bahraini trade during these difficult years, but the overall impression for the entire nineteenth century is one of rapid growth[26].

Masqat's fortunes, on the other hand, declined in the early nineteenth century, partly because of continued Wahhabi incursions and partly because of civil war in Uman (1804-7). But the new ruler, Sayyid Said b. Sultan, continued to have ambitions for Bahrain. He either planned or actually launched unsuccessful expeditions in 1811, 1816, and 1828. It was

dhows made their way, port by port, to India, buying and selling as they went along.)

A British report submitted in 1800 estimated that the value of all trade in the Gulf was 1 crore, 60 lakhs of rupees, or 16.000.000 rupees, which at that time were worth close to two million pounds sterling[20]. This was a considerable -- although not an extraordinary -- amount. We simply do not know what portion of this fell to the Al-Khalifah merchants. The Britsh thought that Bahrain's share was small[21]. But it should be remembered that the Al-Khalifah controlled Zubarah as well, and that port had for some time been active in the trade of eastern Arabia. It was *estimated that the value* of goods from India imported at Bahrain "and the adjacent parts of the Arabian Shore" amounted to ten lakhs, or 1.000.000 rupees, balanced by an export of an equal value of pearls[22]. As I mentioned before, by the end of the century, Bahraini merchants had at least some ships capable of sailing directly to Indian ports, notably Surat, where they purchased piece goods, base metals, and the spices and sugar which originated from Dutch Java The Bahrainis sold these items all along Eastern Arabia, and at Basra where they were in direct competition with Masqati Merchants[23]. At times when the northward caravan route from Al-Hasa was closed - as it was in 1801-02 due to the Wahhabi incursions into Iraq – the Al-Khalifah sold virtually all their Indian goods at Basra, which further annoyed the Umanis[24]

The figure of ten lakhs of rupees may have been only an educated guess, but it is

to emerge because the bulk of primary sources are themselves British and are therefore directly concerned with the trade of the East India Company. It is possible to learn something about indigenous commerce in an indirect way from the British and French records, and from the relatively few local sources.

We know, for example, that the ports of southern Iran were insecure due to the civil wars which characterized the region after the death of Nader Shah in 1747. Basran trade was hurt by the plague there in 1773, and then by the Persian siege 1775-79. The traditional trade between India and the Pesian ports and Basrah was also disrupted by Gulf "piracy", much of which is perhaps better described as local maritime warfare. As a result Indian merchants felt it was safer and ultimately more profitable to channel goods through Masqat rather than sail into the Gulf. The Masqati fleet, sailing in the relative security of convoy, then carried the goods to their destinations in the Gulf. This commerce resulted in large customs revenues for the ruler of Masqat and freight profits for him and other Umani boat owners Bahrain, Kuwait and Ras al-Khaymah each wanted to have a share in this trans-shipping trade[19].

More importantly, as early as 1770's and especially in the 1790's, Masqat bought European-type vessels. With these they could sail the open sea to India and either buy directly or hire out their ships to carry the cargoes destined for the ports of southern Iran and Basrah. (This was quicker and more lucrative than the traditional coastig method, whereby Masqati

The strategic location of Bahrain for Umani purposes also cannot be overlooked. It is possible that Sayyid Sultan believed he could better protect himself from the Wahhabis, and better execute his ongoing war with the Qawasim, if he had foothold in Bahrain(15).

But the fundamental motivation for the attacks against Bahrain lies elsewhere(16).

The occasion for the earliest expedition was refusal by the Al-Khalifah to pay protection money at Masqat. The payment was called a gumruk, and was 2½ % on all goods passing through Masqat into the Gulf on local vessels(17). Sultan b. Ahmad had an arrangement with Suwaydi Arabs who had settled on Hurmuz whereby the latter tried to inforce payment. It was this system that the Al-Khalifah were managing to avoid. Bahraini vessels had been returning from India, by-passing Masqat, and often evading the Suwaydis who were supposed to attack vessels which had failed to pay up. How much gumruk was involved is not known, but what was more obvious was the fact that the Al-Khalifah were now sailing directly to India and competing in the carrying trade that the Masqatis wanted to monpolize(18)

This carrying trade was worth fighting for While British and other European trade in the Gulf was diminishing—Charles Issawi has called it "a trickle"--the indigenous carrying trade was not so much declining as shifting from the north and northwest shores of the Gulf to the south and the southeast--in other words, to ports controlled by Arabians This situation has been slow

available. Other factors must have intervened to elicit the expedition of 1799.

Dr. Morsy Abdullah has made reference to a source I have not seen(13). This is Abd Allah Salah Al-Mutawwa of Sharjah, who has interpreted the series of attacks as attempts by Sayyid Sultan B. Ahmad to deflect Wahhabi attention from Uman itself. There is definitely something to this, especially in reference to the 1802 attack. I mentioned earlier that just before the unsuccessful 1802 expedition, Masqat had been promised help by agents from Shiraz and Baghdad, both of whom wanted to divert Wahhabi forces from an impending attack in Iraq. (Baghdad's concern is obvious; Shiraz felt an obligation to protect Shii holy places). Similarly, Sayyed Sultan of Masqat may have hoped to divert those Wahhabi forces in eastern Arabia from Uman.

Also, in 1803, Sultan ordered his fleet to patrol the Gulf, in order to prevent the Qwasim and the Utub from selling Indian food supplies to the Wahhabis(14). In this regard, it is important to reiterate that the territory dominated by the Qwasim--al-Sir and its port of Ras Al-Khaymah--had recently come under Wahhabi sway. The long-standing dispute between the Qwasim and the Masqatis had always focused on the port of Suhar. With the imposition of Wahhabi overlords in al-Sir, the possibility increased that near-by Suhar would in fact be taken from Uman and be set up in competition with Masqat. From Sultan b Ahmad's point of view, it was far preferable to direct Wahhabi attention to a more distant point of contention, i.e., Bahrain.

considerable quantities of pearls and who did extensive trade with Masqat, that his agents comparison shopped, buying pearls at Masqat if the prices there were lower than at Bahrain itself.[11] So wouldn't Sultan want to take control from the Al Khalifah?

Perhaps historians speak too loosely about "control" of the pearl trade, implying that the industry was more centrally organized than it actually was.[12] The complicated system of territorial rights and taxation was not all in the hands of a single ruler or ruling familly – and had that been the case, such a ruler would undoubtedly have had a vast income and an invincible fleet to protect it. In fact, a ruler could not hope to "control the pearl fishery in the sense that he could pocket the profits or place them in the Bayt al-mal. Rather, he would have the authority to tax those engaged in pearling in off-shore area traditionally linked to his port (or ports). If the ruler is also a merchant--as were the Âl Khalifah--he could try to become one of the group that really controlled the profits of pearling, that is, the international merchants (tujjar) of India, Iraq, Iran and Arabia. The ruler of Masqat, then, could not realistically hope to take over the pearling industry by garrisoning a Bahraini port, and therefore I don't believe this was a major consideration Furthermore, the pearl banks were a permanent attraction, yet Masqat had made no claim to Bahrain since 1718, even though the naval capacity to do so had always been

Zubarah in Qatar, and forced Salem and Muhammad b. Khalaf to flee to Masqat.[8]

Sultan b. Ahmad did not yet give up. In April, 1802, he sent a representative to Shiraz, looking for assistance for another expedition. He also tried but failed to get help from his habitual enemies, the Qawasim, who had already been compelled to ally with the Wahhabies. In May, Sultan received envoy from Shiraz and Baghdad, both of whom were alarmed by the Wahhabi massacre of Shieis at Karbala in April, and by the current march twards Mashhad Ali near Baghdad. The envoys said their government - the Ottoman and Qajar, respectively - would help Sultan in his efforts to take Bahrain in order to divert the Wahhabi forces in Iraq.[9] Nothing came of these offers, which left Masqat alone to make one last minor and unsuccessful attack against the Al Khalifah in the summer of 1802. Obviously, the Wahhabi expansion in eastern Arabia had forced Sultan b. Ahmad to abandon his ambitions against Bahrain.

Now, all of these events may seem straight forward, yet they are open to interpretation. It is necessary to identify the motives of Sultan b. Ahmad, and to ask : why Bahrain (rather than, for example, Kuwait or Ras al-Khaymah) ? And why so persistent an effort ?

A deceptively simple explanation might be that Masqat wanted to gain control of the lucrative pearl banks. This is, in fact, Lorimer's explanation.[10] Masqat certainly participated in the pearl trade. We know from letters of Tipu Sultan of Mysore, who imported

the Persian coast. Sultan's deputy informed Bombay that all the Huwala, from Bandar Rig to Bandar Abbas had "lifted up the Head of opposition" to the Persians and assumed instead the "yoke of subjection" to Masqat ; "and no one dares breath without [Sayyid Sultan's] permission."[5] Even the Qajars sent some armed dhows to join what looked like the winning side, in hopes of claiming part of the victor's tribute. Sultan's Umani forces were said to number 2.450, augmented by Huwalis and Persians. The fleet consisted of one large ship, two brigs, and numerous dhows – and this was only a portion of the fleet Uman could muster from Masqat, Suhar, Sur and Qalhat.[6] I have not found any description of Bahrain's defensive fleet, but the loss of the three merchant vessels in 1799, coupled with the prohibition of sales from the Bombay dockyard, must have meant that the defence was small.

It looked like a sure thing. When the Masqati forces landed at Bahrain in early September, 1801 many Al Khalifah fled to the mainland, that is, to Zubarah and other ports of the Utub. It was reported that some families who stayed behined were transported to Uman and detained. Sultan b Ahmad appointed his son Salim as wali, in collaboration with a Shiei, Muhammad b Khalaf, of the non-Utubi Baharinah[7].

That however, was not the end of it. The Wahhabis, who already had a hold on large portions of eastern Arabia and had raided into Uman proper, took up the cause of Al Khlifah. Together they launched a counter-offencive from

Nasir's control. Sultan and Nasir became embroiled in a conflict which lasted about six months.[3] Thus the first expedition degenerated into skirmishes, removed from Bahrain and with no clear outcome.

The second Masqati attempt on Bahrain would be in the autumn of 1801, but under very different circumstances. For one thing, the Al Khalifah had in the meantime estranged their newly acquired protector, the Qajar Fath Ali Shah, by stopping payment of tribute. The angry Shah had ordered Shaykh Nasir and other coastal governors to prepare an expedition against Bahrain. Shaykh Salman now turned the tables and negotiated instead with Sayyed Sultan of Masqat, arranging to pay one-half the amount Salman had paid the Shah, in return for Masqat's help in reasserting Bahrain's independence from southern Iran.

This arrangement is not as surprising as it might at first seem. Sayyed Sultan explained his reasoning to the British agent at Masqat along these lines[4] : There was a real danger that the Qajar expedition could depose the Al Khalifa ; this ironically, was not just then in Masqat's best interests, because the Al Khalifah were proving to be an effective deterrent against the Wahhabi in Al-Hasa (or, Al-Ihsaa). But the Bahrain-Masqat alliance lasted only briefly, apparently because the tribute money was not forthcoming.

By 1801, therefore, the Al Khalifah faced naval threats from, both Iran and Masqat. To make matters worse, Sayyid Sultan had acquired the support of the Huwali Arab shaykhs from

much about the island until the end of the century, and even then, most of what we learn is indirect.

Between 1799 and 1802, Masqat tried three times to gain control of Bahrain. My main purposes in this paper are to establish the chronology of events and to identify the motivations behined the attempts.

First, the events. The Al Khalifah ruler in 1799 was Salman b. Ahmad b. Khalifah, and the ruler of Masqat was Sultan b. Ahmad, son of the first Al bu Said and much more interested than his father had been in maritime and commercial affairs. In the spring of 1799, Sultan assembled an expedition, ostensibly to punish the Al Khalifah for failure to pay what amounted to protection money at Masqat. Sultan asked the British at Bombay to prohibit the sale of any vessels from the Bombay dockyards to the Al Khalifah, a request with which the British complied.[2] Sultan tried unsuccessfully to enlist naval support from the ports of southern Iran, but in the end sailed alone.

The success of the expedition was limited ; the Masqati fleet seized three Al Khalifi merchant ships which were just returning from India. Meanwhile, however, the Al Khalifa had written to Shaykh Nasir of Bushahr, who was more or less answerable to the Qajars, offering to pay tribute as Persian subjects in return for Qajar protection. Shaykh Nasir, therefore, sailed in force to Bahrain, causing Sultan b. Ahmad to withdraw In retaliation for this, Sultan temporarily took Kharij, the island just off Bushahr then under

***finding and analysing the exceptions to the negativ generalizations.[1] I believe that changes in the Indian Occan and the Gulf qualify as such an exception - and I emphasize the idea of change, rather than the more value-laden processes of decline or growth. The study of this large maritime region for the early modern period- that is, before nineteenth century British hegemony- is still underdeveloped. Historical research is beginning to employ more sophisticated methodology, but there is still much groundwork to be done : the basic sorting out of chronology, the evaluation of sources, and the consideration of cause and effect.***

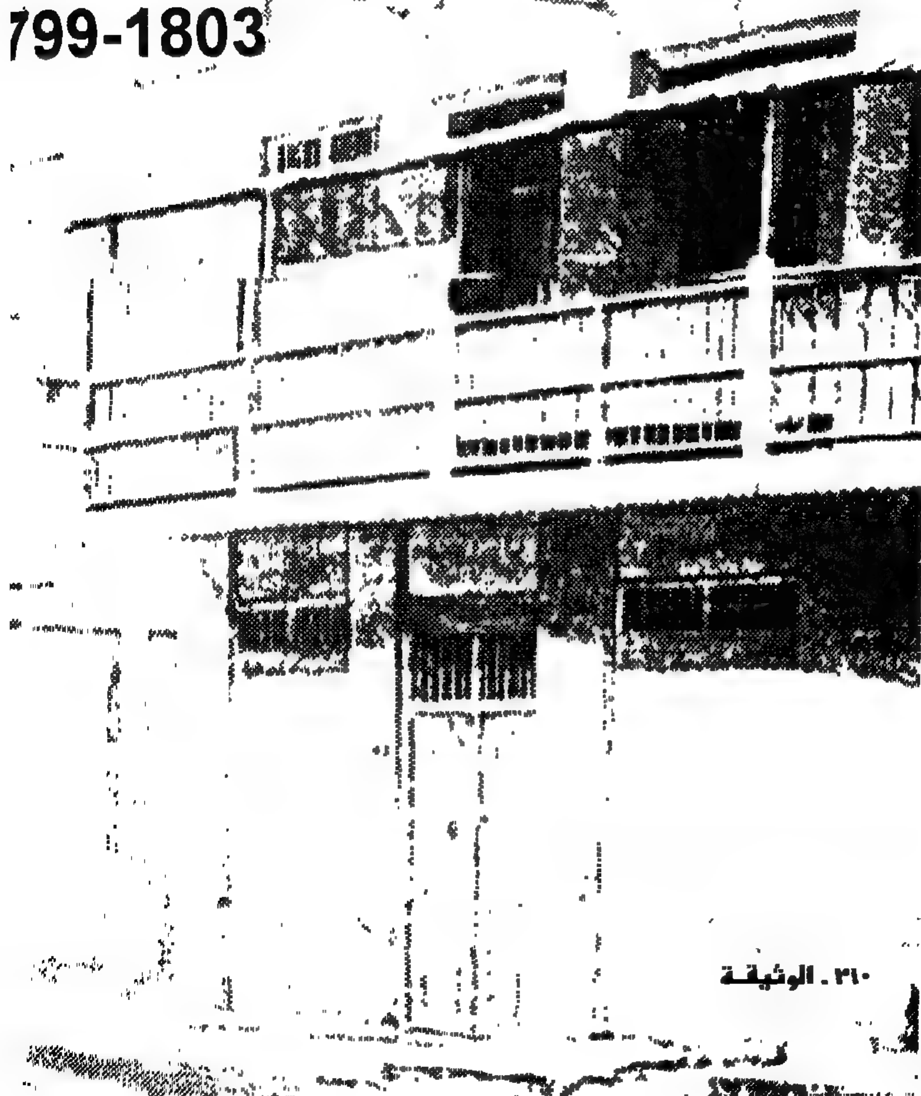
For the Gulf region in particular, an interesting historical thread during the eighteenth century was the contest for control of Bahrain among the Persians, Huwali Arabs, the Utub, and the Masqatis. As my title Implies, I intend to focus on the last two.

When Nasir B. Nasir Al Madhkur tried to defend his hold over Bahrain against the Al Khalifah of Al-Zubarah in 1782, Masqat was conspicuous by its absence from the conflict. This was the last year in the life of Ahmad b Said, founder of the Al bu Said dynasty, who was preoccupied at home and was not, despite received opinion, effective in naval warfare. Meanwhile, the merchants of Masqat - Arabs and Indians alike - were busy increasing their role in Gulf trade. Bahrain was then, as ever, known for the pearl trade, but we do not hear

# R BAHRAIN

## F AL KHALIFA RULE,

## 799-1803



٣١٠ - الوثيقة

# COMPETITI

## DURING THE EARLY DECADE

## ESPECIALLY IN THE YEAR

*By*

**PATRICIA RISSO**

***The early modern era in the Islamic world has been generally regarded as one of decline, or - at best - one of stagnation. There was indisputable decline in the three major Islamic Empires (the Safavid, Mughal, and Ottoman), but certainly not uniform stagnation.***

***There is growing interest in***

# Appendix:

(2170)

Research No.: 3929

Nature of Document: Yildez Papers.

No. of Pages: 255.

Section: 14

Envelope No. 126

Carton: 8

Date of Document: 21 Shubbat 1313H

Document available at: The Ottoman Archives at Istanbul

Summary:

The document relates to Gulf of Basra and deals with relations between the Sunni Government of the Ottoman State and England.

11 - Mohammed Al Aranawut, "Al Usool al Arabiyya li Iddat il Shuoob il Muslima fi Ourobba", Majallat al Manara Vol. 2 No. 1/997. Amman, Jordan.

12 - Ibid, pp. 21, 66.

13 - Petrosian, The Ottoman Empire & Russia from 1800-1900. Al Watheeqa No. 16 pp. 82-115.

14 - Dr. Ali Abahussain, Mushahidat wa Muzakkirat Shakhsiyya, 1997.

15 - Shirin Akinar, Al Muslimoon fil Ittihad il Sovieti, Sout Turkistan il Sharqiyya, No. 3. Sep. 1994. Pp. 112-124.

# REFERENCES


1 - Dr. Arabov. –Nukhbat al Muslimeen fi Russia il Imperialia. P. 1.

2 - The Islamic Encyclopaedia, English Edition, Leiden, p. 584. Khuweini Zatri, Moria, Moscow, 1958-21.

3 - Karatschkovski: Tarikh al Adab il Jughrafi indal Arab, 1957, Cairo, pp. 186-187. Zarkali, Al Alam, Vol. 2 pp. Pp. 195, 196 Published in Beirut, 1980, 5th Edition.

4 - Najdat Fat'hi Safwat, "Al Arab fil Ittihad il Sovieti", Published in Baghdad, 1984, Edn 1. Pp. 11-29.

5 - The family of Romanov ruled from 1713 to 1917. –Dr. Arapov's paper.

6 - George Mirsky. The Haj Reports of Captain Davletshin and Sultanov.

7 - Yeldez Palace Papers No. 255 see 14, file 126 Serial 2170 from the Agent of the Ottoman Embassy in London (Khalil Khalid) Rendered into Arabic by Ahmad Al Anani. Wathaiq Al Tarikh il Qatari Vol. 2, Saldanha, British & Ottoman Documents. 1868-1949. pp. 134-147.

8 - Saldanha, International Rivalry & British Policy. 1872-1905. pp. 1, 40, 44.

9 - Rezvan, Translation, p. 15.

10 - George Mirski, Captain Davletshin's Report on his Travel to Hijaz in 1899. Memoirs of Al Hajj Salim Ghairi Sultanov. 1893.

religion and their faith. The Suljuks, the Ottomans and the Grand Moguls who ruled the Indian subcontinent all launched forth from Turkistan. The remains of their civilization bear a silen witness to their grandeur.

**ABDULLA BIN KHALID AL KHALIFA**

the Trans-Caucasian population and north of it particularly in Azerbaijan. Then there are Muslims of Chinese origin who fled to Russia in the face of Chinese persecution at the end of the 19th Century. Despite their persecution the Muslims constructed mosques whose number reached a figure of 26 thousand in the Russian Empire at the beginning of the 20th Century except for the mosques of kiev and Bukhara which were independent of Russian control. In the Chechen Republic there were 2675 mosques in 1930 and in Turkemanistan 481 in 1911 After 1917 the number of mosques in the Soviet Union did not exceed 450.

In Addition to mosques there are about 420 thousand religious schools in the Russian Empire where the pupils learn the rudiments of Arabic as this language holds a special place in the minds of the Russian Muslims as the language of the Qor'an. The Muslims observe their customs, bury their dead and circumcise their boys according to Sharia They hold banquets to celebrate religious occasions particularly during the holy month of Ramdan(15)

The Islamic Turkistan was divided between Russia and China and it continues to be the cradle of civilization and culture and a pasture of its writers whose works are in circulation in various universities. There is not a single library which does not contain the works of Bukhari, Muslim, Tirmizi, Nasaii, Farabi, Beiruni, Kashferi, Khawarazmi and hundreds of other writers over the ages. Despite the Muslims being subjected to persecution they have steadfastly stuck to their

is Arab, they speak Arabic and their number basically is 1500.

Today the Arabic manuscripts in the Library of Oriental College of the Saint Petersburg University are considerable with 900 manuscripts, some being groups making a total of 1400. The oldest Arabic manuscript goes back to the 13th Century AD. There are some rare and unique manuscripts with Bylo-Russian interpretation in Arabic alphabets as also dictionary transcribed in the 16th Century. This library which was established in 1804 in the Oriental College for Languages & History had on its rolls Francis Selvester Dayasti as its first ever teacher in the very first of the oriental languages, Arabic[14]. This was in addition to the other Russian orientalist institutions existing in Moscow and other towns.

History tells us that the Arabs propagated Islam in Russia and conquered Central Asia in the second half of seventh Century AD A century later Islam spread allover Trans-Caucasian lands where the Ulema exercised great influence in making the Muslims keep to the tenets of their religion Their affairs, however, suffered an eclipse in the 16th Century with the Kahanates of Khazan and Astrakhan succumbing to Ivan IV, the Terrible. Two centuries later Tashqand and Khawqand fell to Russian rule.

There are about 20 million Muslims in Russia dispersed as under: 60% of the total population of Central Asia; 25% of the population in the European part and Siberia and 15% of

the Ottomans changed in favor of Russia. Midhat Pasha refused to accord a special status to non-Muslims thus leading to European demand for the betterment of the lot of the Christians in the Ottoman State. A war ensued with Russia in 1878 as a result of which Russia occupied Sophia, all of Bulgaria and Edirna[13].

It is worth mentioning that the region known as Adgaria on the Black Sea coast west of Georgia enjoyed self rule and was identified as "Bilad Al Karj" in the writings of the early Arab historians such as Tabari, Ibn Hooqal, Masoodi, Astakhri, Ibn al Athir, Yaqoot and others. Its population was Muslim having embraced Islam in the early centuries of its propagation and acceptance. Some Arabic writings and engravings have been discovered dating back to the advent of Islam. Some Muslims of north Caucasia wrote books in Arabic. Today the Centers and Colleges of Oriental Studies have a position in the Academy of Sciences in "the Bilad al Karj" or Georgia holding in their libraries Arabic manuscripts The Institute of Asian & African Studies in this academy teaches Arabic language, literature and history producing many orientalists of distinction who have written many books dealing with the problems of the Arab world.

The Muslims inhabit Uzbekistan and Bukhara and some of them speak Arabic and emphasize their Arabic origin. Their number is about 3000. There are villages in the south of Georgia such as Jena and Qamashi whose population

transport were in usage. He then discusses the patterns of daily life, festivals and other functions.

The Haj pilgrimage helped in vitalizing the flame of Islam in the Russian Empire. The one, who returned from Haj was looked upon with respect by the people. They gathered round him to hear the stories narrated to them avidly[10].

It is worth mentioning that some citizens of Caucasia and the Balkans who embraced Islam traced themselves to Arab stock (like the Sharkis, Chechens, Albans & Bashtiks). Masoodi (who lived in the 4th Century of Hijra / 10th Century AD) has mentioned this phenomenon in his book "Murooj Al Dahab"[11].

Despite the fact that the Chechens embraced Islam in the 16th / 17th Centuries a written formula has been found to show that their origin was from three Arab brothers; namely, Abdu Khan, Rashid Khan and Hamzat Khan. They were the sons of Saeed Ali Shami who lived and died in Syria. They migrated in 63H / 685AD from Syria and one of the grandsons of the three brothers, i.e., Sham Khan settled down in the currently Chechen in 213H. However, this narrative has no historical proof[12].

When the Ottoman State looked after the Muslims in the 18th and 19th Centuries and friendly relations prevailed between it and Russia, the latter asked the Sultan to look after the Christian population of the Ottoman Empire and not merely in Jerusalem. The Sultan refused the request and a war ensued. Britain and France intervened on behalf of the Ottomans and Russia was defeated. Then the European policy towards

which was followed by all other states in due course.

From the accounts written by the Russians we learn the number of Haj pilgrims who visited from year to year. According to Davletshin the number of pilgrims in 1898 was about 8000 of whom three fifths were Arab. Most Meccans were visitors who settled down there for good. The people of Mecca were generous and hospitable to the Haj pilgrims. One could hardly find any among them who could read and write. Most of them worked to serve the Pilgrims as guides and itinerants mainly belonging to the Shafei or Maliki persuasion.

Davlestshin goes on to say that in 1898, 450 Russian pilgrims came for Haj, most of them being elderly people, rich, owning property, and religious-minded wanting to win the esteem of the people by adding the title of Al Hajj to their names. Due to the paucity and difficulty of communications the pilgrimage took as long as two years.

Al Hajj Salim Sultanov has described his pilgrimage of 1893 arriving there by sea and his proceeding to Madina. He has given a description of the prophet's Mosque, and the roads He has stated that the Meccan shrine was about four km Square surrounded by mountains. Then he has described its houses, markets and the merchandise and its dependence on trade. About Madina, Mecca and Taif he says that there were post offices, pharmacies, hospitals, soldiers' barracks for 2ooo soldiers, a printing press and a book Market Animal carriages and animal

remained a British lake for over a century and should remain so in future without any challenge from any other foreign power[8].

Russian documents, travelogues and the accounts of Russian Haj pilgrims have uncovered much information about the history of Muslims in Russia. They give out the population statistics of the holy places which are not available in history books. Captain Davletshin wrote his report in 1899 when he visited Hijaz and stated that the population of Mecca was between 70 to 80 thousand of whom three fifths constituted the Arabs and the remainder were from other denominations. He described their social conditions, biological characteristics, their manners and customs and their professions. Very few of them were educated. He described the imports needed for the large number of pilgrims arriving every year and the currencies that were in use at that time (Davletshin has mentioned that the number of Muslims in Turkistan was formally 19 million[9].

Russian documents have provided us with information about the social conditions and the security climate that prevailed in Hijaz during the period of the Sharifs and the Ottomans. It proves why the people of the Holy Places in Hijaz welcomed King Abdul Aziz who delivered them from the yoke of the Sharifs and the Ottomans. Peace, social justice and good order prevailed during the reign of King Abdul Aziz and the two Holy Shrines in particular and the Arabian Island in general received much attention. This was a reason for Russia taking the lead in according recognition to the Saudi reign over Hijaz

Hence there was no alternative to keeping the Russian forces occupied in a manner which would prevent them from advancing towards the Arab Gulf. This is how Curzon viewed the need for extending British influence in the Gulf[7].

For gaining access to the warm waters of the Gulf it was inevitable that Russia should face difficulties posed by the British, the Ottoman State and the Iranian Empire from time to time according to the developments in the region. In 1886 Russia sent a delegation to Tehran for a railway project connecting the Caspian Sea with the Arab Gulf. Rumours were floated that Iran would cede to Russia an island in the Arab Gulf. However, the Shah denied it emphatically and assured Britain that he would do nothing, which would harm the latter's interests.

In regard to British interests in the Arab Gulf Lord Curzon emphasized in a letter in 1901 that it was essential for Britain to dominate the entire Arab Gulf and Southern Iran. He noted that Russia would endeavor to gain political clout through various means such as through trade, carrying out railway projects or establishing coal depots in any of the Gulf islands.

Curzon observed that if Russia acquired a port in the Arab Gulf and positioned its naval ships there it would be a step for dominating the Arab Gulf in the first instance and Asia in the long run. It would not be possible for Britain to prevent it by reaching an understanding with Russia over their respective zones of influence. The Arab Gulf

Imperial Court. The Muslims took an active part in trade, industry, the army and education. They entered the Parliament (Duma) and there rose among them the strata of Nobility, a privileged group[5]. Some Russian pilgrims have written reports about the social conditions which prevailed in Hijaz. Among them are Salim Ghari Sultanov who performed Haj in 1893 and Captain Abdul Aziz Davletshin in 1899. They have narrated the ill-treatment meted out to the Haj pilgrims by the Turkish soldiers exposing them to loot and plunder. They have commented on the lack of sanitation in Mecca and Madina and intensive slave-trade[6].

In a Memorandum sent to the Chief Scribe of the Ottoman Sultan about the Arab Gulf dated 21 Shubbat 1313H, the following has appeared:

1 - England believes that the Ottoman State is not capable of preventing Russia from encroaching upon any Gulf territory.

2 - British trade with the Ottoman provinces is continuously decreasing while the quantum of Russian trade with the Ottoman provinces situated in the Russian sphere including the Arab Gulf is increasing and expanding.

3 - Some observers have noted that the Russians may enter the Arab Gulf by way of Iraq or Iran and gain access to the Indian Ocean. The British will then move to establish their centers of influence in the Arab Gulf.

she recognized Islam formally as the religion of a section of the Russians and established Muslim Legislature (Ova) as the main center for the Muslims of European Russia.

Czar Nicolai I (1825-1855) personally approved the design of a model mosque with contributions from Muslims subsidized by the Russian administration. He prescribed punishments for those violating the tenets of religion; hitting with a twig for the first violation, with a cane for the second violation and lashing for the third violation.

Nicolai II (1894-1917) ordered the punishment of those who insulted religions following it up with the printing of the Holy Qor'an in Arabic. The Muslims observed the prescribed rites and rituals. Once the steamships got into vogue the Muslims undertook voyages to perform the Haj pilgrimage in the second half of the 19th Century. The number of Muslim scholars of Divinity exceeded a hundred thousand at the end of the 19th Century headed by the Grand Mufti who was promoted to the rank of a Russian General. The family of Romanov testified to religious tolerance towards the Muslims and the exemption of religious scholars (Ulema) from taxes and conscription. The number of mosques went up; for instance, the Merv region which had three mosques in 1885 boasted of 233 in 1911. Russia bore all or part of the expenses of the Sharia Courts. In the case of a dispute between a Muslim and a non-Muslim the matter was referred to the Russian

In 1312 AD Khan Ozbek embraced Islam in the wake of a conflict between Mangolia and Russia more for political than religious reasons. Muslim Bukhara and Kieva were famous for religious freedom even though they were subservient to Russia since the 18th Century. The number of Russian Muslims therein reached a figure of eleven and half million mostly Sunnis from out of a total of 130 million according to the census of 1897. Russia had imposed on them the condition of their obedience to Russia and payment of taxes while they had freedom to practice their religious rituals. An aristocratic class sprang up among the Tartar Muslims who played a notable role in the political, military and cultural history of Russia and a Muslim, Boris Godonov, even became the Czar of Russia between 1598 and 1605. A principality was named Czarist Qasimoscow, which was inhabited by Muslim Tartars and none but a Muslim could become a ruler. The Muslim Russians participated in the war against Bolonia and liberated Moscow from the Catholic invaders in 1612. A scholar, Buter Postnicov translated the Holy Qor'an, into Russian in pursuance of a testament from Peter the Great. In 1722, the first research in Islam was published in Russian by Demetri Kantimeyer in a book. A scholar and a founder of the Moscow University, Lomotosov, wrote about the history and land of Islam and establishment a faculty for oriental studies in the University.

When Catherine the Great became the Russian Czarina from 1772 to 1796

had embraced Islam and then it spread to the Middle Volga Region (Voltskaya Bulgaria) where it became the official religion in 922AD. That was the year when the Ambassador Ibn Fadlan arrived there[1]. Ibn Hooqal (d.882 AD) was the first one to record that Prince Oleg Novgorod occupied Kiev and integrated it into the Principality of Novgorod in the north. Thus was formed the first unified Russian State (Kiev Russia) with Kiev as its center which lasted nearly three centuries. Its Chieftain repeatedly threatened Constantinople. *Ibn Hooqal* and *Ibn Fadlan* have added much historical information about Czarist Russia of the Middle Ages.

The Russian traveller Avanasi Niketin visited the Gulf and described Hormuz in the year 1472 calling it a large entrepot with people from various nationalities complaining at the same time against the very many taxes levied on goods[2]. In recent times many Arab scholars have emerged such as: Mohammed Ayad Al Tantawi, an alumna of Al Azhar of 1840 who was a writer, a teacher and a poet. His grave is still notable in the Islamic Cemetery of Saint Petersburg.

There are many Russian orientalists such as Kratschkovski who wrote about Ibn Fadlan in his book on the History of Arab Geographical Literature[3]. Kratschovski spent 45 years in the study and teaching of Arabic literature and wrote more than 500 papers and articles. His writings smack of his love for the Arabic language and the Arab community free from any shade of prejudice or contrivance[4].

**the region and secondly, against the backdrop of it promoting its merchandise therein and lastly, to win the support of its large Muslim population which was keen on performing the pilgrimage to the Holy Land and establishing contact with the Muslim delegations from all over the world year after year.**

There is no doubt that the historical relations between Russia and the GCC States date back to ancient times. At many institutes of oriental studies, Centers for Arabic Studies emerged as a result of which a strata in society emerged imbibing Arabic-Russian culture. It contributed many studies and researches and published many books of historical and literary value. Perhaps one of the oldest books by an Arab was about "Saqaliba" or what is termed Bulgaria brought out at the beginning of the 14th Century of Hijra or the middle of the 18th Century AD. He was Ahmed Bin Fadlan (d. after 922 AD). He was deputed by the Abbasid Caliph Al Muqtadar Billah as a very first diplomat or ambassador to that country. He wrote down his observations of his sojourn and described it as "The Epistle of Ibn Fadlan" It uncovered many details of the conditions prevailing in the countries which he visited particularly of those that were situated in the vicinity of the Volga. They sent an envoy to the capital of the Abbasid Caliphate seeking their help and requesting that someone steeped in Islamic doctrine and customs be sent to them to teach them these matters. Islam had spread in the region of Lower Volga. Many in the Cossack State

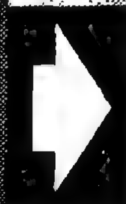
INKS

TATES

by: SHAIKH ABDULLA BIN KHALID AL KHALIFA



In view of the fact that Russia is a country embracing Europe and Asia at one and the same time it is not strange that relations between Russia on the one hand and the Gulf Cooperation Council (GCC) States on the other should have deep roots surpassing the evolution of the Czarist Russia into the Soviet Union and its subsequent breakup into the Commonwealth of Independent States (CIS). There is also the historical fact that Russia always aspired for an entrance to the warm waters of the Arab Gulf and the Indian Ocean. This should be firstly, seen in the context of international rivalry in



# FROM THE CULTURA
# BETWEEN RUSS
# AND THE ARAB GUL



they benefit from our glorious history, we weave on the pattern of their scandalous history. While they adopt the path *of Islamic unity, we copy the era of European conflicts.*

The relations of Arab States with the Islamic States of the world should be patterned anew in the coming century. It is not enough to say that we are a single nation or that we should resurrect our beautiful past and sing paens of praise about it in prose and poetry. It no longer suffices to exchange good wishes on historic occasions. We should galvanize our capacities, coordinate them and hasten the steps taken in this direction since a few years. We should revive the concept of an Islamic market, activate the export markets of the Islamic World, and spur the process of commercial exchange between them. Or at least, bring about some kind of unification in fields, which will not exacerbate differences such as in the fields of information, culture, and tourism. An attempt should be made to coordinate positions and attitudes and create a minimum common ground for agreement, cooperation and coordination. The new century will goad such steps with all its challenges. Mere talk will no longer suffice nor mere pious expressions of hope or projections of expectations. What is needed is serious, persistent and continuous work if we are to take our place among the comity of strong nations and if we are serious about saving ourselves, and our future generations.

May God Grant Success!

**Abdullah Bin Khalid Al-Khalifah**

spillover from the empires of the past and created in the XIX century. It is not logical that that these empires should vanish and their spillovers should remain. They deliberately created these obstacles knowing full well that they would, one day, serve their purpose. It is not dignified for the Arab World, the Arabs being the authors of pride and dignity, to let the shadow of imperialist conspiracy still dog its steps even after the Arab will and the Arab land have asserted their freedom. True, certain wounds remain but the Arab will is capable of overcoming the hurt in the interest of the higher aim. What is required to be taken is a fateful step ; a question of to be or not to be. It is a matter, which calls upon all to transcend the travails leftover and open up their hearts and minds and wipe out the residues of the past from the larger Arab body-politic, knowing that Islamic sagacity is a strong basis for moving towards the aspired goal. Islam is a cloak which can shelter all, providing security and strength to them in facing the coming challenges and settling the standing conflicts on the borders of the Arab east, which will be the main gateway in the coming century. It is a systemic conflict endemic here and there; a conflict over borders. We should remember in depth that the Islamic State, in its golden age, was a single vast expanse embracing many nationalities undivided by borders and barriers. Their movement was unhindered by passports and currency diversities; a matter resolved today by Europe. Europe, which tore apart the states of the Islamic World, unified its own states and attributed separate identities to Arab and Islamic States while trying to impart a single identity to its own nationalities. While scores of currencies diversified the Islamic States, it unified its currencies. While

leaders should put their heads together, to take stock of the differences prevailing among them, in a spirit of brotherhood, and justice, and voice their collective commitment, to what they have affirmed. The unity of ranks is the first requirement for a new thrust forward. Confronting the new century individually constitutes a threat to all. The giant configurations do not show any mercy to small units and the small units by themselves will never be able to stand up to the giant entities which lie in wait for hunting them and gobbling them up. Arab differences have become an abnormal perversion, which harms everyone. Any problem, however serious it may become, have a solution if the intention be sincere and noble. In this case sincerity of purpose has become a question of life and death. It is no wisdom to stake the entire future for the sake of a few minor differences, which could be solved in a single session on the round table, as the Arabs are possessed of wisdom.

Europe went through two world wars involving in it the entire world and the second one alone claiming 45 million lives. All this was over a conflict on borders, which by them were unimportant as these disappeared in the course of the preparations, which Europe made for ushering in the new century. During the last two centuries the borders between countries have advanced and retreated with the rise and fall of empires. The ensuing century is not going to be one of political empires, which have already been consigned to the dustbin of history. The new giant entities make the geographical borders irrelevant. They are not saddled with customs posts. The border problems of the world have been a

hardly entered the race when it was obliged to quit. Even before one thought of taking preparatory steps, there were disruptive forces at work kindling latent enmities. The situation on the India-Pakistan border deteriorated; the abated fires were rekindled all of a sudden, and every one rushed to bear arms and the ranks were lacerated. The South has to remain divided, backward and torn asunder. It is merely a mass of humanity, humble and submissive. It is subservient to the rich North, which is strong and united and has reached an understanding over the distribution of markets and their control in the New Century.

We, in the Arab World, see all this, understand it and bemoan it but do not move. The Arab Agreement for Free Trade is still locked up as a study in the folders of conferences; opened before a meeting and then shelved until the next meeting. The Arab Common Market is a dream of Arab economic thinking but remains a pipedream. Inter-Arab differences are diseases of which all physicians have despaired. They do not offer even a palliative for it or to reduce the pain of its symptoms. The single Arab rank and file stands divided and scattered on the Arab borders erected between brothers on the basis of disputes over a few meters of ground.

A decisive moment has arrived for the Arab World to do some heartsearching and adopt quick and effective measures to confront the new century. Perhaps, at the top of these steps would be to put an end once for all to inter-Arab disputes. I believe that the time has come for the holding of a comprehensive Arab Summit, at which the fraternal Arab

Common Market, unified its currency and devised protective measures to safeguard its markets and products. It strengthened its interrelationship by coordinating its foreign policies and brought into being a giant entity equipped to enter the threshold of the new century.

America which presides over the Uni-Polar world and which remained at the forefront of the march of humanity toward the new age became cohesive and better prepared to face the future. Its various institutions geared themselves to remain dominant to such an extent that some were persuaded to call the coming century the American century. Its economic institutions formed a beachhead in all parts of the world and its financial institutions tightened their grip on their counterparts everywhere. Most of the world's financial reserves are deposited in its banks. With one word, the dollar rate swings upward or downward bringing in its wake fluctuations in the fortunes of the tiny entities all over the globe. Today their social institutions can prevail upon the youth everywhere to wear jeans and eat hamburgers. With equal ease they can introduce a new mode of dress or a snack. The media serve their needs competently and powerfully.

The North, then, completed or almost completed its preparations to herald the new age but what has the South done of which we form a part. When Asia awakened to the reality and wanted to follow in the footsteps of Europe, a tragedy occurred when Indonesia's financial institutions were devastated with bankruptcy looming large in their face. Their monetary reserves were converted into skyscrapers and there were none to occupy them or who could occupy them. It had

*In the name of God, the Beneficent, the Merciful*

## A WORD ABOUT THIS ISSUE

# THE NORTH AND THE SOUTH AND THE CHALLENGES OF THE THIRD MILLENNIUM

*By*

H.E. Shaikh Abdullah Bin Khalid Al-Khalifah

In a few months the New Century will dawn on us bringing in its wake serious challenges; challenges which have remained on the horizon for some time. It is not as though, it is a leap from one century to a new one, or from one bank to another. On the contrary, it is an inexorable rolling process of time like the turning wheel of night and day. Preparations for ushering in the Third Millennium have gone on for years, though being in the Arab World, as usual, we have been somewhat late in comprehending it. The very first phenomenon facing us as a portent of the new century, is the formation of giant syndicates. Europe, which witnessed most of the conflicts during the last century, and which was the theatre of two World Wars, closed its ranks and spoke with one voice. It set aside its traditional differences; established a

# ENGLISH SECTION



PICTURE ON THE COVER PAGE

**"THE MARKET"**

**By: Kuwaiti Artist**

**AMIR ABDUL-RIDA AWAD**

# CONTENTS

## ARABIC SECTION

## AL WATHEEKAH

Devoted to The Heritage. Thought and
History of Bahrain and The Gulf

Bahrain P.B 28882

Telephone - Historical Documents Center-
664854

All Correspondence to be Addressed to
The Editor-in-Chief



# AL WATHEEKA

A REFEREED HISTORICAL PERIODICAL
BY THE HISTORICAL DOCUMENTS CENTER
THE STATE OF BAHRAIN



ISSUE No. 37 - 19th YEAR
RAMADHAN 1420 H. - JAN. 2000

IN THE NAME OF GOD
THE BENEFICENT,
THE MERCIFUL

# THE DOCUMENT

A REFEREED HISTORICAL PERIODICAL
BY H.D.C OF BAHRAIN
RAMADHAN 1420H JAN 2000
ISSUE No. 37 - 19TH YEAR

الثمن ديناران



بسم الله الرحمن الرحيم

# الوثيقة

دورية تاريخية محكمة
يصدرها
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين

رقم التسجيل : MWTH 222



العدد الثامن والثلاثون – السنة التاسعة عشرة

ربيع أول ١٤٢١هـ – يوليو ٢٠٠٠م

# الوثيقة

## لجنة المجلة

الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة

الدكتور علي أبا حسين


العنوان : مركز الوثائق التاريخية ص.ب ٢٨٨٨٢

المنامة - دولة البحرين - تلفون ٦٦٤٨٥٤

جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير

# فهرس

## القسم العربي

### كلمة العدد:

## القسم الإنجليزي

**كلمة العدد:**



**صورة الغلاف**

"بيوت تعبيرية"

للفنان البحريني فريد سعود بوقيس

## كلمة العدد

# التراث الشعبي..
# طوق النجاة في طوفان العولمة

بقلم: سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

على الرغم من أن الدراسات الأكاديمية في مجال الأدب الشعبي، والدراسات الخاصة بالتراث وجمع الوثائق، تعتبر دراسات حديثة نسبياً. فإن أحداً لم يكن يتصور أنها ستكون وفي سنوات قلائل إحدى أهم الدراسات المحورية في العالم العربي عامة، وفي منطقة الخليج خاصة . وإذا كانت الثورة الفرنسية قد فجرت في القرن الثامن عشر فكرة الاهتمام بالتراث الشعبي وأخذت بزمام أوروبا في اتجاه الاهتمام بهذا النشاط، فإن قدوم الألفية الثالثة يفجر اليوم قضية التراث الشعبي باعتبارها شاطئ الأمان للقوميات المهدد بطوفان العولمة الوشيك .

لقد بدأ الحديث حول إرهاصات الألفية الثالثة في العالم العربي منذ سنوات قليلة لا يجاوز عددها عدد أصابع اليد الواحدة . وانبرى العلماء في كل قطاع يبحثون أبعاد هذه القفزة العملاقة التي يتحفز لها العالم في مختلف مجالات النشاط .

فالألفية الثالثة تأتي ومعها العولمة . والعولمة تقترب على حصان جامح هو ثورة الاتصالات . وعالم السماوات المفتوحة . وإذا نحينا جانباً قضية الأسواق والعملة والسلع والتصدير والاستيراد والإجراءات الحمائية

والشركات متعددة الجنسيات، فإننا نصل وبسرعة إلى التخوف الأكبر الذي حذر منه العلماء والباحثون، ليس في العالم العربي وحده وإنما في كثير من دول العالم، فقد أنذروا - وقد أعذر من أنذر - بأن تيار العولمة الهلامي سوف يسيطر عليه الأقوى، وأنذروا أيضاً بأن الأقوى اليوم هو النظام الأمريكي . وأنذروا بأن ثورة الاتصالات العملاقة التي يعيش العالم اليوم في رحابها والتي تتطور بمعدلات فلكية سوف تكون أسيرة الطراز الأمريكي سلوكاً وأخلاقاً وتفكيراً وعادات وتقاليد . . وأنذروا بأن هذا الشبح القادم سوف يمسخ الهوية القومية، وسوف تنشأ أجيال تأكل الهمبرجر وتلبس الجينز، تفكر وتتصرًف وتحب وتتزوج وتتحدث على الطراز الأمريكي . وأن الخصوصيات التي عاشت عليها شعوب كثيرة وقوميات كثيرة، والتي انحدرت إليها عبر حضارات سابقة، وميزت سلوكها وفكرها، وحكمت تصرفاتها وحفظت تقاليدها ورسخت قيمها ومبادئها، سوف تصبح تاريخاً، وأن الأجيال القادمة، سوف تذوب في محيط العولمة بلا هوية ولا حضارة ولا طاقة على تحديد مسارها أو اختيار مصيرها .

وقال العلماء في العالم العربي، إن أحداً مهما أوتي من قوة، ومهما سن من قوانين أو اتخذ من إجراءات، سوف يكون قادراً على إغلاق السماوات أو منع استخدام أجهزة الاتصال والوصال مع عالم الألفية الجديدة . وقالوا إن الخلاص يتركز في شيء واحد، هو تعميق الانتماء للقيم والأعراف والتقاليد، والتراث والفكر العربي، بالحفاظ عليه وغرسه في جرعات مكثفة ومستمرة في عقل ووجدان الشباب العربي، عبر المدرسة والكتاب والأسرة وكل الأجهزة المعنية والقادرة . أي أنهم بكل بساطة وضعوا الكرة في ملعب التراث الشعبي . ومن هنا أصبحت هذه الدراسات - ودون أن يتوقع أكثر المهتمين بها تفاؤلاً - إحدى الدراسات الهامة والمحورية في العالم العربي عامة وفي الساحة الخليجية خاصة .

والتراث الشعبي حملته لنا كثير من الأوعية . هي الحكاية والمثل والوثائق والأسطورة والأغنية والملابس والفنون والملاحم والعادات والتقاليد

والقيم . وكلها أوعية تناولتها وتناقلتها الأجيال العربية جيلاً بعد جيل . قبل التدوين وبعد التدوين وحتى اليوم . وكانت تُصَبُّ في أذن الصغير منذ خطواته الأولى، وتعرض على ناظريه فيما يراه حوله . ويشب على إيحاءاتها فتتشكل فكره ووجدانه منذ سنواته الباكرة، مستمداً منها مجموعة القيم العربية بل والإنسانية العظيمة التي تبلورت في الكرم والشهامة والنجدة والشجاعة والبطولة والفدائية والتضحية وغيرها . وكلنا يعرف أن تناول التراث الشعبي يمر بمراحل ثلاث هي الجمع والتوثيق والحفظ .

فبالنسبة لجمع التراث بالإضافة إلى ما حملته الذاكرة العربية وتناقلته عبر العصور من الملاحم والأساطير والحكايات وغيرها . فإن الجمع يمكن أن نقول تجاوزاً إنه مرَّ بمرحلتين : **المرحلة الأولى هي الجمع العشوائي، والثانية هي الجمع المنظم .**

فأما الجمع العشوائي فإنه يعود بنا إلى ابن خلدون الذي حشد في كتابه الكثير من عادات الشعوب التي زارها بأسلوب وطريقة فذة مازالت حتى اليوم مثار الإعجاب . وفي هذا المجال ذاته، لا يمكن أن ينسى الباحث ما قدمه شهاب الدين محمد الأبشيهي في كتابه المستطرف في كل فن مستظرف فما إن أهل منتصف القرن التاسع عشر حتى بدأت طلائع حركة لجمع التراث مدفوعة بدوافع ذاتية وتركزت في مجرد جمع النصوص وتفسيرها تفسيراً لغوياً دون التوقف لدراستها . ومع مقدم الخمسينات من القرن العشرين بدأت هذه الدراسات تأخذ شكلاً مختلفاً وجاداً وتدخل الجامعات العربية فيما يمكن أن نسميه الاهتمام الأكاديمي .

ومع الحركة النشطة التي شهدتها دول الخليج في ربع القرن الأخير . نشأت وضمن محاولة جادة وهامة ومباركة مراكز الوثائق والدراسات في الخليج والجزيرة العربية . لتنهض هذه المراكز بمهمة عظيمة وجليلة في جمع الوثائق وجمع التراث من كل مكان . وحشد بنية أساسية ضخمة لكل ما يتعلق بهذا المجال وبمباركة مشكورة من قيادات دول الخليج . وبمساهمة ملحوظة في توفير الإمكانات اللازمة انطلقت كتائب الباحثين لجمع الوثائق

. وتسجيل الحكايات من أفواه كبار السن . وتسجيل كل ما يمكن الوصول إليه . وكل ما حفظته لنا السنين . ومن خلال الأمانة العامة لهذه المراكز وعبر خطة للتعاون الأخوي بين الأشقاء . . أخذت هذه الوثائق والموروثات تنتقل من مركز لآخر في حركة نشطة للتبادل والتعاون توفيراً للجهد والمال . حركة الجمع إذن بدأت وتواصلت وهي مستمرة بصورة مُرضية .

ننتقل بعد ذلك للتوثيق . فلاشك أن الرواد الذين اهتموا بجمع التراث منذ البداية اكتفوا أو اهتموا بالتجميع فحسب وتعيين المفردات وبيان أنواع المواقف . أما عملية توثيق ما تم جمعه فلم تواكب النشاط الذي حظيت به عملية الجمع . وبقي الحقيقي مختلطاً بالزائف والغث مختلطاً بالثمين . وإذا كنا نعرف أن التراث الشعبي هو العمود الفقري لأصالة هذه الأمة إلا أننا لا ننكر أن هذا التراث، داخَله الكثير أو أدخل عليه الكثير مما كان يخدم أغراضاً معينة أو أهدافاً بذاتها في فترة ما من تاريخ العرب الممتد . بل إنه استُغِل في بعض الفترات للترويج لفكرة ما أو هدف معين إضافة إلى ما اختلط به أصلاً نتيجة تقادم العهد وعوامل النسيان والجهل وهي كلها أمور يعرفها المتصدون للعمل في هذا السبيل .

وكل ذلك يدفعنا وبشدة إلى التركيز على عملية التوثيق :

**أولاً** : لأن المستشرقين الذين تناولوا ويتناولون الكتابة عن المنطقة العربية. لا يستطيعون مهما أوتوا من علم أن يتوغلوا إلى أعماق الموروث العربي أو الخليجي . ذلك لأنه يحتاج في فهمه لا إلى القواعد العلمية فقط . وإنما يحتاج إلى توافر الحس العربي والذوق العربي والمعايشة الكاملة حتى يمكن الإحاطة بكل مدلولاته ورموزه .

**وثانياً** : لأننا إذا كنا بصدد استخدامه في ترسيخ الأصالة في نفوس الأجيال القادمة فلابد أن يكون ما نقدمه لهم هو الحقيقي دون الزائف. والسليم دون المشبوه .

نحن نعرف أن عملية التوثيق ليست بالعمل السهل بل إنني أكاد أقول إنه لا يعرف مدى صعوبة هذا العمل إلا من كابده ويكابده فهو يحتاج في

*البداية إلى إعداد الباحث نفسه . القادر على التصدي لهذا العمل الكبير* وإعداد هذا الباحث في حد ذاته ليس بالأمر السهل . إذ يجب أن يتوفر على دراسة الفترة الزمنية التي يعالج وثائقها دراسة شاملة تاريخياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وأدبياً وفنياً حتى يكون على علم تام بالمادة التي بين يديه. وحتى يستطيع أن يدرك ما بها من حقيقة وما بها من زيف . نحن إذن في حاجة إلى إعداد الباحث قبل إعداد المنهج . ثم إلى إعادة فرز وتمحيص وتوثيق ما تم جمعه وهو كثير . وقد يكون اللجوء إلى مجموعات البحث منهجاً أكثر فاعلية فيلتقي على مائدة واحدة الباحثون في مختلف التخصصات لمطالعة النص الواحد من جميع الزوايا . فالعمل الجماعي في هذا الصدد أكثر فائدة وأفضل نتيجة .

يأتي بعد ذلك تبادل النتائج ومقارنتها ويمكن أن يتم ذلك عبر شبكة مراكز الوثائق وهي بحمد الله تغطي اليوم الساحة الخليجية كلها . ولا يمكننا في هذا المجال أن نغفل أهمية الدراسات ، فمنذ أن بدأ جمع الوثائق ونحن ندعو إلى ضرورة تنشيط حركة البحث . فالباحث الذي يتناول موضوعاً معيناً، أو فترة زمنية معينة سوف يعالج معطياتها معالجة علمية فإذا أعدت أكثر من دراسة عن الموضوع الواحد لأكثر من باحث، كانت أمامنا حصيلة هامة لأكثر من جهد حول الموضوع الواحد . أنا أعلم أن هناك جهوداً تبذل على هذا الدرب . ولكنني أتكلم هنا عن موجة عامة أو اتجاه عام . أرجو أن يأخذ به الجميع . فليس أمامنا وقت طويل والسباق هنا هو سباق مصير .

فإذا انتقلنا إلى الحفظ فلاشك أن القفزة التكنولوجية الهائلة التي يقدمها لنا العصر سوف تفيد إلى حد كبير في حفظ ما يتم توثيقه وتمحيصه . فالكمبيوتر واسطوانات الليزر وغيرها سوف تساعد إلى حد كبير في حفظ هذا التراث وفي سهولة تبادله وتقديمه والاستفادة منه إذا ما تم تبويبه تبويباً علمياً وفهرسته فهرسة سليمة . ومن هنا فلابد أن تواكب مراكز

البحث في المنطقة كلها أحدث معطيات العصر وأحدث منتجات الثورة التكنولوجية التي هي لغة العصر .

وهنا نواجَه بسؤال يطرح نفسه . هذا السؤال هو : ماذا بعد الجمع والتوثيق والحفظ ؟

إن أي جهد جبار يبذل في سبيل الجمع والتوثيق والحفظ سيظل جهداً ضائعاً إذا لم نحدد من الآن كيفية الاستفادة منه . لقد قلت من قبل أن الجميع وضعوا الكرة في ملعب الباحثين في التراث الشعبي، وقلت إن الأصالة والارتباط بهذه الأصالة هي طوق النجاة الوحيد لمواجهة طوفان العولمة القادم .

وأقول إن هناك جهداً كبيراً مطروحاً أمام كل الباحثين في مختلف مجالات النشاط الإنساني . هذا الجهد هو ضرورة الاعتماد على تراثنا فيما يتصدون له . وأن يكون هو المنطلق والأرضية والأساس الذي يشيدون عليه عطاءهم في مختلف مناحي الحياة .

وأنا هنا أدعو أن تكون معطيات الأصالة العربية نغمة بارزة في الكتاب المدرسي وأن تكون المادة الخام التي تصاغ منها إبداعات الفن العربي والثقافة العربية .

إنني أدعو أن تتحول مراكز الوثائق والدراسات بالموروث الموثق الذي تحتوي عليه إلى نبع يلتقي حوله الباحثون في مختلف المجالات ليقوم عطاؤهم على أساس مما شاده الأجداد وهو عظيم . أدعو أن تكون الأصالة زاداً ورداءً وسلوكاً وفكراً لكل أجيالنا الشابة ولكل أجيالنا القادمة فذلك هو الحصن الذي يمكن أن يحفظ لنا هويتنا ويحفظ لنا حضارتها ويحمينا ويحمي مستقبلنا من الطوفان القادم . والله ولي التوفيق .

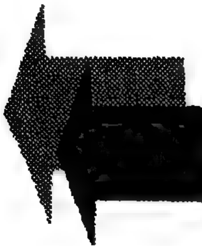
عبد الله بن خالد آل خليفة



١٤ ـ الوثيقة

## بقلم الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

جزر البحرين أو أرخبيل البحرين. هذه الجزر الصغيرة الحجم الكبيرة بموقعها وواقعها وتاريخها وشعبها عاصرت الحضارات فكانت رائدة في هذه الحضارات . قدسها الأوائل فنقلوا رفات موتاهم إليها لتدفن في أرض دلمون أرض الخلود التي حباها الله بالنعم ففي هذه الجزر لم يحس سكانها بالمجاعات التي كانت تجتاح البلدان من حولها فخيراتها متوافرة في برها وبحرها وطيبة شعبها لا تحتاج من الإنسان إلا أن يتحرك ليجد ما يسد به رمقه ويشبع به جوعه. وإذا ما رأينا هذه الجزر في القرون المتأخرة وقد أخذت اسم البحرين عن سائر المنطقة فإني أعتبر ذلك تكريما لها تستحقه .



فهي منذ فجر التاريخ مصدر إشعاع وملتقى حضارات تستقبلها وتبلورها وتصدر النافع منها لأمها جزيرة العرب كما كانت تستقبل البضائع الواردة إليها من بقاع الأرض وتصدرها عن طريق مينائي القطيف والعقير وعندما أشع نور الإسلام وتكونت مبادئ الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وبعث الرسول الأعظم محمد ﷺ برسائله إلى الملوك والرؤساء وجاءت رسالة الرسول إلى أمير البحرين المنذر بن ساوىٰ التميمي يدعوه وشعب البحرين للدخول في الإسلام لبى شعب البحرين نداء الرسول مختاراً ودخل في الإسلام وكان أكبر دعم مادي أتى إلى المدينة ليسند الدعوة الناشئة هو ما ورد من إقليم البحرين . وثاني مسجد بني في الإسلام كان في إقليم البحرين وبقيت البحرين وفية لإسلامها ولعروبتها تابعة للخلافة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية والدولة العباسية ونظراً لبعد إقليم البحرين عن دار الخلافة كان ملجأ لظهور بعض الثورات من الخوارج والزنج، وفي عام ٢٧٨هـ بدأ ظهور أمر القرامطة

ذكر ابن الأثير أن ابتداء أمر القرامطة كان في سنة ٢٧٨هـ على يد رجل قدم من ناحية خوزستان بموضع يقال له النهر بسواد الكوفة وكان يظهر الزهد والتقشف، يسف الخوص ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة والزهد في الدنيا وخدمته الصدف في بعض الحوادث التي مرت به مما ظن الناس أنها كرامات لهذا الزاهد العابد فافتتن الناس به ودعا أهل تلك النواحي إلى مذهبه فأجابوه وكان يأخذ من الرجل إذا أجابه ديناراً ويزعم أنه للإمام وعين من أتباعه اثني عشر رجلاً أسماهم النقباء وقال أنتم كحواريي عيسى بن مريم وهكذا انتشر أمرهم وسموا بالقرامطة نسبة لاسمه أقريمط وخفف الصلاة إلى ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها وأحدث بدعاً كثيرة .

أما في البحرين فقد أعلن أبو سعيد الجنابي دعوة القرامطة سنة ٢٨٧هـ وتمكن من السيطرة على الاحساء والقطيف . وكانت هذه الدعوة من أشد حركات المعارضة للدولة العباسية وكانت من الأسباب الرئيسية في

إ.. عاف الدولة العباسية وظلت فترة .. يلة من الزمن تؤثر في سير الأحداث ف. الدولة العباسية .

لقد تأسست هذه الحركة كدعوة تابعة للإسماعيلية ولكنها تحولت لتشن الحرب على الإسماعيليين والعباسيين والفاطميين ورفع زعماؤهم شعار العدالة الاجتماعية وبناء المجتمع المثالي ولكنهم تحولوا إلى ممارسة الإرهاب والتقتيل والحكم بالحديد والنار، وبدأ علماء القرامطة بالاعتماد على العقل والمنطق ولكنهم انتهوا إلى الإغراق في الخرافات والتنجيم وعبادة الفرد .

ومما يروى عنهم أن زعيم حركتهم في البحرين أبو سعيد الحسن الجنابي أوصى جماعته قبل وفاته إنه سيموت ولكنه سيبعث، وعندما يبعث بعد الموت سيقول لهم أنا أبو سعيد وحتى يتحققوا من ذلك يضربون عنقه بالسيف فإن كان هو فسيقوم ثانية بعد قتله وعند ذلك يتأكدون بأنه هو، أما إذا كان المدعي غيره فإنه بعد قتله لن يقوم ثانية .

هذه الحركة القرمطية استمرت ما يقرب من قرنين وعاصرت ١٢ خليفة من خلفاء بني العباس واحتلت مكة وقتلت الحجاج في الحرم ونقلت الحجر الأسود من الكعبة إلى الخط . وبداية من عام ٣٦٦هـ الموافق ٩٧٦م أخذ أمر القرامطة في التناقص وفي حوادث عام ٣٧٥هـ/٩٨٥م مني القرامطة بعدة هزائم حتى وصلت هزائمهم إلى القطيف والاحساء مما أطمع فيهم قبائل البحرين .

وفي جزر البحرين تحدد مصير القرامطة على يد شخص من قبيلة عبد القيس يسمى العوام بن محمد بن يوسف الزجاج[1] ويلقب بالزجاج وكذلك يلقب أبو البهلول وعلى ما أعتقد فإن هذا اللقب الأخير لقبه به أعداؤه بعد أن تغلبوا عليه .

# كيف استطاع العوام أن يطيح بالقرامطة في البحرين؟

من أهم المصادر التي سنعتمد عليها في بحثنا هذا مصدران، الأول رسالته المطولة والتي بعث بها إلى الشيخ الأجل والثاني ما كتب على ديوان الشاعر ابن المقرب من شروح نشرتها مجلة العرب لصاحبها المؤرخ الكبير حمد الجاسر ونشرناها في كتابنا "البحرين عبر التاريخ" في الجزء الثاني ولنبدأ بتحليل الرسالة التي كتبت في خلافة الخليفة القائم بأمر الله العباسي وهو أبو جعفر عبد الله بن القادر . تولى الخلافة سنة ٤٢٢هـ إلى ٤٦٧هـ/١٠٣١م إلى ١٠٧٥م وقد طالت مدة القائم حوالي ٤٦ سنة وأقرب تاريخ لكتابة هذه الرسالة حوالي العقد الخامس من القرن الخامس الهجري . ونستنتج ذلك من أن الرسالة كتبت باسم الشيخ الأجل، ولم يلقب بالشيخ الأجل سوى رجل واحد هو أبو منصور[٢] عبد الملك بن محمد بن يوسف المتوفى سنة ٤٦٠هـ الموافق ١٠٦٧م، إذن الرسالة كانت قبل وفاته وقد بدأ العوام رسالته بقوله :

***بسم الله الرحمن الرحيم***

***أطال الله تعالى بقاء الشيخ الأجل الأوحد وأدام تمكينه ورفعته وعلوه وقدرته وبسطته وحرس أيامه ونعمته وكبت عدوه وخذل حسدته .***

[من المستقر بجزيرة أوال لسبع بقين من ذي القعدة – ولم يذكر السنة]

وبمراجعتنا للرسالة يقول كاتبها أن دولة القرامطة التي أسسها أبو سعيد الجنابي دامت ١٧١ (مائة وإحدى وسبعين سنة) فإذا كانت بداية تأسيس هذه الدولة عام ٢٨٧هـ فعندما نضيف (عام التأسيس)٢٨٧ + (مدة بقائها) ١٧١ = ٤٥٨ . إذن نحدد سنة ٤٥٨هـ تاريخاً لكتابة الرسالة فنقول كتبت الرسالة في

١ ذو القعدة عام ٤٥٨هـ الموافق ١٤ توبر ١٠٦٦م تقريباً .

أما المصدر الثاني وهي الشروح التي كتبت على بعض النسخ الخطية ديوان الشاعر بن المقرب العيوني يتحدثنا هذه الشروح أن العوام بن محمد كان ضامناً لخراج أوال من وإلى القرامطة وكان له أخ يقال له مسلم يكنى بأبي الوليد وهو رجل متدين محافظ على السنن ويحاول أن يبني مسجداً لأن القرامطة هدموا جميع المساجد في إقليم البحرين بما فيها أوال ويلح على أخيه في بناء مسجد لإقامة الصلاة وخاصة صلاة الجمعة وكان الوالي على أوال من قبل القرامطة رجل يدعى جعفر بن محمد بن عرهم تربطه بالعوام وأخيه صداقة فطلب منه الإذن ببناء مسجد جامع ليجتمع إليه العجم والمسافرون إليهم وخاصة التجار والحجاج لأنهم لا يأتون عن طريق أوال بسبب أن القرامطة هدموا جميع المساجد التي كانت فيها وأن إقامة المسجد سيشجع العجم والحجاج والتجار على المجيء إلى البحرين ويضاعف لسكان البلاد التجارة وتبادل المنافع وتزداد الرسوم التي يجنونها من التجار لصالح الدولة وأنهم سيدفعون للدولة مقابل الرخصة لبناء المسجد ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف دينار) وأن عدم بناء المسجد قد ينفر العجم وعند انقطاع التجار ستقل موارد الجباية والرسوم فاقتنع ابن عرهم برأيهم وكتب للقرامطة يستأذنهم فيما عرضوا عليه فجاءه الجواب أن يتسلم المبلغ ويسمح لهم ببناء المسجد . وبالفعل دُفع له المبلغ وبدأوا في بناء المسجد وهنا يتبادر إلى الذهن سؤالان : أين كان مكان سكناهم ؟ وأين بنوا المسجد ؟ .

أما سكناهم فكانت في بلاد القديم ويجنب سوق الخميس . وأما المسجد فهو المسجد الذي بناه عمر بن عبد العزيز والذي هدمه القرامطة وأعاد العوام بن محمد الزجاج وأخوه مسلم بناءه وهو المسجد ذو المنارتين في الخميس والذي لم يبق منه في الوقت الحاضر سوى المنارتين .

وعندما تم بناء المسجد الذي نقدر تقريباً أن اكتمال بنائه كان حوالي عام ٤٤٣هـ/١٠٥١م . وتولى الإمامة فيه أبو الوليد مسلم بن محمد بن يوسف الزجاج أخو العوام . وفي يوم الجمعة، صعد

المنبر وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله فقال المؤيدون للقرامطة هذه بدعة قد أحدثها بنو الزجاج بالمكر والخداع ويجب أن يمنعوا من الخطبة ولا يمكنوا من صلاة الجماعة . فلما خوطب آل الزجاج في ذلك قالوا ما بذلنا وسلمنا أموالنا إلا لهذا الأمر ولأجل هذا الدين قصداً ولاستجلاب العجم إلينا وترغيبهم في معاملتنا، فإن كرهتموه ردوا علينا ما أخذتم من مال ونحن نمتنع عما قصدناه وإن كان ذلك يضر بمصلحتنا ومصلحة البلاد فكتبوا للقرامطة بواقع الحال فأجابوا بأن لا يعترضوا في مذهبهم ولا يمنعوا عن خطبتهم فجروا على سنتهم . ومن جراء ذلك ازدهرت التجارة ونمت الأسواق ودر عليهم ذلك فوائد كثيرة وأيدهم في ذلك أكثر النواحي لتأييدهم إظهار شعائر الإسلام التي أوقفها القرامطة ولما قامت ثورة البساسيري في بغداد في ٦ ذو القعدة سنة ٤٥٠هـ الموافق نوفمبر ١٠٥٨م وخلع الخليفة القائم بأمر الله وأخرجه من بغداد ونهبت بغداد وقصور الخلافة ودخل البساسيري بغداد في يوم الأحد الثامن من ذي القعدة سنة ٤٥٠هـ، حاملاً الرايات البيضاء شعار الفاطميين وقد كتب عليها اسم المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين. اعترض المخالفون لبني الزجاج عليهم ومنعوهم من الخطبة يوم الجمعة وقالوا إن الخليفة الذي كنتم تخطبون له قد عُزل وصارت الخطبة في مساجد العراق للمستنصر بالله الفاطمي صاحب مصر ويجب أن تكون الخطبة هنا باسمه لأن الخليفة العباسي الذي كنتم تخطبون باسمه قد عُزل فتوقف الإمام عن الخطبة وأرسل بنو الزجاج هدية إلى القرامطة وذكروا ما أصابهم من تدخل المخالفين وإيقافهم عن الخطبة وطلبوا إبقاءهم على عادتهم القديمة بدون تغيير فجاء الجواب بأن لا يغيروا لبني الزجاج ما هم سائرون عليه وليخطب أبو الوليد بن الزجاج لمن شاء وأحب . ولم تدم فتنة البساسيري إلا سنة واحدة ودخل الخليفة القائم بأمر الله بغداد منتصراً على أعدائه بمساعدة السلطان طغرل بك السلجوقي في يوم الاثنين ٢٥ ذو القعدة ٤٥١ هـ الموافق ١١ ديسمبر ١٠٥٩م وانتهت فتنة البساسيري . وكان جعفر بن محمد بن عرهم على وفاق مع العوام

و خيه ابني الزجاج ورسائله إلى ا رامطة في القطيف والاحساء مليئة ب دح آل الزجاج وحسن سيرتهم والعوام ب. محمد يزداد قوة في ماله ومقامه .

مما دفع القرامطة أن يكتبوا لممثلهم في أوال ابن عرهم أن يزيد الأقساط التي يدفعها أهل البلد ويحمل ذلك إليهم ولحسن الصلة التي تربط بين ابن عرهم وأهل البلد وطيب سيرته معهم استدعى العوام وكبار أهل البلد وأخبرهم بما ورد إليه ونصحهم بالنفور منه وعدم الرضى وامتنعوا أن يدفعوا ما طلبه منهم وكتب إلى القرامطة بأن القوم رفضوا ما طلبه منهم ونفروا منه وأنه لا يمكنه مخاشنتهم فكف عنهم وقال والأمر إليكم في ذلك فغاظهم فعلهم وفعله فعزلوه وعينوا شخصاً آخر بدلاً منه وأمروه بالقبض على كل من لديه مال ومصادرة أموالهم عقاباً على ما أقدموا عليه من عصيان أوامرهم .

فجمع العوام أهله وعشيرته وأقاربه ومن وثق به وأنس إليه من متقدمي البلد وعرفهم ما ورد في معناهم، فلما عرفوا ذلك خافوا فعاهدهم على أن يسمعوا له ويطيعوا وقال لهم لا يتم لنا الأمر إلا بأبي القاسم بن أبي العريان فقالوا له افعل ما ترى فقد رددنا أمرنا إليك فقام بهم إليه وحكى له مثل ما حكى لهم وقال هؤلاء القوم قد حضروا وسمعوا لي وأطاعوا وأنا لا أصلح لذلك إلا أن تدخل فيه معي وتكون يدي ويدك فإن فعلت تعاضدنا وتساعدنا وحمينا أنفسنا وأموالنا .

هذا وقد بنوا القول على أن لا يطيعوا القرامطة إلا بعد إعادة ابن عرهم وأن يحفظوا أنفسهم من الناظر الذي عُين مكانه فحالفهم ابن أبي العريان على ذلك وأخذ هو والعوام في استدعاء متقدمي الضياع والسواد وإظهارهم على ما فعلاه وإدخالهم فيما اعتزما عليه فما منهم مخالف لهما ولا ممتنع عليهما إيثاراً لعودة ابن عرهم وإبعاد من يتولى مكانه وقال لهم الخراج موقوف على أربابه وغير مأخوذ، فإن رجع ابن عرهم دفع إليه وإلا فليفر كل منكم بما عليه . فسروا بهذا وكان أكبر الأسباب في اتساق الأمر . وحصل معهم نحو ثلاثين ألف رجل . وعلم الوالي الجديد فاهتم من ذلك فجمع اليه من يتعلق به واعتزم على أن يقبض على ابن أبي العريان

وابن الزجاج بغتة فعاجلاه بالرجال وراجعاه للقتال فهرب إلى الشدات* (السفن) وانصرف عنهما بعد أن قتل من أصحابه عدة رجال وكتبا إلى القرامطة بأننا لا نعود إلى الطاعة ولا نرجع عن المخالفة إلا بعد رد ابن عرهم إلينا ويكون نظره علينا. فورد إليهما الجواب بالصعب الأشد وبأن لا سبيل لابن عرهم إلى العودة وأن العساكر تجيئهم وتتحكم فيهم فأنفذ أبو عبد الله بن سنبر وزير القرامطة بعض أولاده إلى عمان لحمل مال وسلاح من عمان فعرف العوام ابن الزجاج وابن أبي العريان بذلك فكمنا له في العودة من عمان وهجموا عليه وقتلوا معه أربعين رجلاً صبراً بين أيديهما وأخذا ما صحبه وكان خمسة آلاف دينار وثلاثة آلاف رمح ففرقاها في رجالهما وبلغ الخبر ابن سنبر بما جرى فعدل إلى مكاتبة ابن أبي العريان سراً وبذل له البذل الجزيل ووعده الوعد الجميل وأن يوليه الجزيرة ويمكنه منها فمال ابن أبي العريان إلى ذلك وأجاب بالسمع والطاعة والانحياز عن الجماعة وأشار بإنفاذ عسكر في البحر إلى الجزيرة فإذا قرب منها العسكر وثب هو على العوام فقتله وقال لأصحابه وعشيرته هذا الذي نحن فيه أمر لا يتم وما لنا بالقرامطة قدرة ولا في إزالة ملكهم حيلة ونحب أن تدبر أمرنا بغير ما دبرناه ونعجل تلافي ما فرطنا فيه وأطلع بعض خاصته على ما دبره مع القرامطة وأنه اتفق معهم على فسخ ما عقد من اتفاق مع العوام ولكن الخبر تسرب إلى العوام فانزعج له ثم جمع أهله وأقاربه فأطلعهم على ذلك الأمر وقال لهم : ما لنا قدرة بابن أبي العريان إلا بوجه لطيف لأنه أقوى منا جانباً وأكثر رجالاً وهو أن ترصدوا منه فرصة تنتهزونها في قتله وإلا سيقضي علينا ويتقرب بنا لدى القرامطة . وقرر العوام مع ابن عم أبي العريان قتل ابن أبي العريان وتفرقوا على ذلك وترصدوا منه غره وفي ذات ليلة ذهب ابن أبي العريان مع غلام له إلى عين (أبو زيدان) ليغتسل فيها فهجما عليه وقتلاه هو وغلامه في ليلة مظلمة ولما تأخر رجوع ابن أبي العريان إلى أهله وأصحابه أرسلوا من يفتش عنه فوجدوه مقتولاً هو وغلامه في عين (أبو زيدان) فاتهموا العوام بقتله وطالبوه بالقصاص فحلف لهم أربعين يميناً ما

---

* الشدات . هي السفن التي تربط ألواحها بالحبال .

ة ـه وأرضى وجوههم بالمساعدات
ذ غمضوا عنه ورضوا .

وجاء أبو عبد الله بن سنبر بنفسه
على ما استقر بينه وبين ابن أبي العريان
في مائة وثمانين شدة، بها من عامر
ربيعة خلق كثير، وجمع أبو البهلول
الشدات التي له، ونزل على حاله فلما
التقى الفريقان، وكانت شدات أبي
البهلول مائة قطعة، قد شحنها
بالرجال، وكان عند الشدات قد وقع عن
الفرس، فانكسرت ساقه، واجتهد به
أخوه أن يرجع فلم يفعل، وتقدم وأمر
برفع الأعلام، وضرب الدبادب
والبوقات، فاتفق من اتفاق السوء لابن
سنبر أن حط معه في الشدات خمسمائة
فرس، أكثرها لعامر ربيعة تصوراً منه
دخول البلد من غير حرب، ولم يشعر
بما حدث لابن أبي العريان وتجدد، فلما
سمعت الخيل ضرب الدبدبات (الطبول)
والبوقات، ورأت المطارد والعلامات، وهي خيل
بدوية نفرت فغرقت بعض الشدات،
ووقع العرب في البحر وهرب ابن سنبر
إلى الساحل، واستولى أبو البهلول على
بقية الشدات وأخذ منهم نحواً من مائتي
فرس وشيئاً كثيراً من السلاح واستأمن
إليه من كان فيها من أهل السواد،
وحلفوا أن ابن سنبر أخذهم قهراً لا
إيثاراً، وقسراً لا اختياراً، وظفر بأربعين
رجلاً من أصحاب القرامطة فقتلهم .

وبعد أن استتب له الأمر كتب إلى
الشيخ الأجل بتاريخ ٢٣ ذو القعدة
٤٥٨هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٠٦٦م
(الكتاب الذي أشرنا إليه سابقاً)
والكتاب مطول سنقتبس منه النقاط التي
تهم البحث .

***الكتاب كتب بلغة عالية يدل على أن كاتبه متضلع في اللغة العربية والدين استهله بذكر قبيلة عبد القيس وسبق رجالها إلى الإسلام وتمسكهم بالدين ونصرة الرسول ﷺ ثم خلفائه الراشدين من بعده وأنهم لم يزالوا بالدعوة العباسية قائلين ثبت الله أركانها وقرن بالخلود سلطانها ولدعاتها مجيبين ولكلمتها معلين طوى على ذلك منهم السلف بعد السلف حتى ظهر ذلك الملعون الصابي (أبو سعيد الجنابي) .***

***وتطرق في كتابه إلى القرامطة وما قاموا به من قتل واستباحة أموال وتخريب المساجد وإحراق المصاحف***

*ثم أخذ ما أخذه ولده المعروف بأبي طاهر وقصد مقصده، وبلغ من الكفر غايته وأمده، فسار إلى البلاد وأوسع فيها غاية العبث والعناد حتى هجم على بيت الله الحرام، وقتل به سائر المجاورين ومن يتسمى بالإسلام، وسلب الكعبة نفيس ما عليها واستخرج منها ذخائرها التي كانت تجمعها وتحويها واقتلع الحجر الأسود مجاهراً بالكفر والعناد وأراد أن ينصبه في كعبة بناها لنفسه في جانب القطيف المعروف بأرض الخط.*

*وكانت الأيام تنطوي وتمضي والسنون تندرج وتنقضي، والقرمطي في قوة من مملكته، وشدة من سلطنته متمكناً من أغراضه وطلبته، نحو مائة وأربعين سنة، منذ ملك هذه الجزيرة بفرعنته آمناً في ذلك كله من مقاوم يزاحمه ومضاد يضادده، وكلما رأى رأساً ذا حال، وجاه ومال يتوسم فيه إمارة الشهامة، ويدل على سمته الصرامة والزعامة قتله، وبالهلاك بادره وعاجله، حتى لان حبل دولتهم واضطرب، ووهى ركن مملكتهم، وكثرت منهم الأطماع في الأرواح والأموال، واستصفاء الأملاك والأحوال.*

*وكنت أرصد الوقت الذي جاء حينه أغمز قناتهم، وأقرع عند أوانه صفاتهم فنهضت متعصباً للدولة العباسية، والدعوة الهاشمية، أدامها الله ما دام الديموم، وازدهرت النجوم منتصراً لدين الله تعالى، ومعيداً ما طمس من شريعة رسول الله ﷺ.*

وبعد أن تمكن العوام من هزيمة القرامطة وطردهم من أوال حاصر ميناء العقير وهاجمه ودمره ثم حاصر القطيف وذكر في رسالته للشيخ الأجل أنه لولا أن ابن سنبر يستعين بالبادية وبخيلهم التي كانت تحمي القطيف لاحتل القطيف وهو يذكر أنه لو كان لديه مال لدفع للبادية ما يجعلهم ينحازون إليه ويتركون ابن سنبر والقرامطة ويطلب مساعدة الدولة العباسية. هذه الانتصارات شجعت يحيى بن العياش أن يثور عليهم في القطيف وتمكن من التغلب عليهم وسيطر على القطيف وجرت بينه وبين العوام بن محمد الزجاج حروب كل منهما يريد السيطرة على بلاد الآخر ولم يتمكن يحيى من

سيطرة على أوال، وبعد موته تولى القطيف ابنه زكريا بن يحيى بن العياش وتغلب على العوام وقضى عليه ولقب العوام بأبي البهلول وهكذا كانت أوال هي البادئة بدحر القرامطة والقضاء عليهم بقيادة العوام بن محمد الزجاج ولكن الحظ لم يحالفه لكي يجني ثمار جرأته وشجاعته إلا فترة بسيطة فقد انتصر عام ٤٥٨هـ وتغلب عليه زكريا بن يحيى بن العياش حوالي عام ٤٦٤هـ أي أن حكمه لم يزد على ست سنوات .

ولما تغلب زكريا بن يحيى بن العياش على القطيف والبحرين طمع في احتلال الاحساء فأرسل رسلاً إلى الخليفة القائم بأمر الله وجلال الدولة ملك شاه السلجوقي يطلب المساعدة على حرب القرامطة في الاحساء والقضاء عليهم فأرسل له قوة بقيادة أحد حجاب السلطان ملكشاه السلجوقي ويدعى كجكينا وفي طريق هذا الجيش إلى القطيف اعترضته بعض القبائل ونشب بينهم وبينه قتال كان النصر فيه لجيشه ولما وصل إلى القطيف ارتاب فيه ابن العياش ورفض مقابلته وقال لرسله الذين توسطوا في جلب هذا الجيش: *" أنا لا أستطيع مقابلة هذا القائد كجكينا وهو بهذه القوة خوفاً من غدره بي وأنا طلبت مساعدة محدودة بأربعمائة رجل وتشترك مع جيشي وتحت قيادتي، أما أن يأتيني بجيش بهذا العدد وتحت قيادة شخص غيري فلا"* .

ونشب قتال بين ابن العياش وجيش كجكينا الذي كان يتألف من القبائل العربية واستطاع ابن العياش أن يستميل بعض القبائل الموجودة في الجيش إلى جانبه فانهزم جيش كجكينا ورجع كجكينا وبقية أصحابه إلى البصرة في أسوأ حال .

إن الانتصارات التي تحققت على يد ابن البهلول في البحرين ثم ما قام به ابن العياش في القطيف من طرد القرامطة ثم القضاء على آل الزجاج والاستيلاء على القطيف والبحرين شجعت عبد الله بن علي العيوني رئيس قبيلة عبد القيس في الاحساء على أن يثور على القرامطة ويرسل رسله إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان جلال الدولة ملك شاه السلجوقي والوزير نظام الدولة يطلب المساعدة على حرب القرامطة فأمدوه

بجيش قوامه سبعة آلاف بقيادة (أكسك سلار) التركماني وتوجه القائد بجيشه ماراً بالبصرة ثم القطيف وقرر احتلالها من ابن العياش ليثأر لكجكينا وحفظاً لخطوط مواصلاته فاحتل القطيف وانهزم ابن العياش إلى البحرين ثم واصل القائد التركي تقدمه إلى الاحساء واشترك مع جيش عبد الله بن علي في حروبه ضد القرامطة وفي خبر يطول تمكن عبد الله بن علي من القضاء على القرامطة في الاحساء ورجع أكسك سلار إلى بغداد، وبعد رجوعه استعاد ابن العياش القطيف وطرد الولاة الذين عينهم (أكسك سلار) وباحتلاله للبحرين والقطيف منّته نفسه أن يهاجم الاحساء، ويطرد عبد الله بن علي العيوني منها ويحكم إقليم البحرين بأقسامه الثلاثة، وهكذا زحف بجيشه على الاحساء ووصل إلى مكان يقال له ناظرة قريباً من قرية المقدام فالتقى بجيش عبد الله بن علي العيوني ودارت معركة انتهت بهزيمة ابن العياش وطارده عبد الله بن علي إلى القطيف واحتل القطيف وفر زكريا ابن العياش إلى أوال البحرين فأمر عبد الله بن علي ابنه الفضل أن يقود قسماً من جيشه وأعد لهم السفن وعبرت القوة إلى أوال ودارت بين الجيشين معركة قتل فيها العكروت وزير ابن العياش الذي فر إلى العجير ومن هناك اتصل ببعض أنصاره من القبائل البدوية الموالية له وجمع جيشاً منهم هاجم به القطيف فالتقى به عبد الله بن علي العيوني ودارت بينهم معركة قتل فيها ابن العياش وانهزم جيشه وفي ذلك يقول الشاعر ابن المقرب :

أتى مغيراً فوافى جو ناظرة
فعاين الموت منا دون ما زعما
فراح يطرد طرد الوحش ليس يرى
حبل السلامة إلا السوط والقدما
فانصاع نحو أوال يبتغي عصماً
إذ لم يجد في نواحي الخط معتصما
فأقحم البحر منا خلفه ملك
مازال مذ كان للأهوال مقتحما
فحاز ملك أوال بعد ما ترك الـ
عكروت بالسيف للبوغاء ملتزما
وصار ملك ابن عياش وملك أبي البـ
ـهلول مع ملكنا عِقداً لنا نظما

بعد أن تمت لعبد الله بن ... ي السيطرة على أطراف ا...جرين الثلاثة، الاحساء و...لقطيف وأوال، ولى ابنه الفضل - الذي احتل البحرين وقتل العكروت - على القطيف والبحرين. والفضل هو الذي أمر بترميم المسجد المعروف في الخميس وكتب عليه اسمه وانتهى القرامطة من إقليم البحرين بأسره وأبطل عبد الله بن علي الكثير من عاداتهم السيئة.

**الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة**

# الهوامش

١ - اسم العوام اسم شائع عرف به عدة أشخاص منهم والد الزبير بن العوام أحد المبشرين بالجنة وابن عم الرسول ﷺ.

٢ - أنظر عن الشيخ الأجل :

الكامل في تاريخ حوادث سنة (٤٦٠).

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي (٤٨٦).

البداية والنهاية لابن كثير. ص ٩٧ الجزء الثاني عشر، وفاته سنة (٤٦٠).



عن لوحة للفنان
عبد الله المحرقي

# [illegible] في اللسان العربي

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي

## اللؤلؤ في القرآن وفي روائع البيان

يعرّف اللؤلؤ بأنه : "مادة تفرزها بعض الرخويات المعروفة بقدرتها على إفراز مادة الصدف، أو ما يسمى بعرق اللؤلؤ".

ويتركب اللؤلؤ من طبقات رقيقة من كربونات الكالسيوم بشكل أراجونيت (٩٠٪) مع نسب متساوية من الماء ومواد عضوية أخرى هي الكونشولين "Conchiolin"[٢].

"وينتج اللؤلؤ الثمين وعرق اللؤلؤ القيم من حيوانات بحرية ونهرية ثنائية المصراع، جسمها محمي بصدفتين تتفتحان وتنغلقان بمفصل قوي من جهة واحدة. ويتألف الغطاء الخارجي للمحارة من مادة الكونخولين[٣] وهي مادة قرنية أما السطح الداخلي للمحارة فيتألف من كربونات الكالسيوم وهي إما كالسيت أو أراجونيت في هيئة منخورات

عمودية، يليها طبقة يطلق عليها أم اللؤلؤ "Mother of Pearls" وهي حبيبات دقيقة من كربونات الكالسيوم لها بريق لؤلؤي يميز السطح الداخلي للمحارة، ويتكون نتيجة للتداخل الضوئي في رقائق هذا السطح"[3].

"ولعل اللؤلؤ أعجب ما في البحار، فهو يهبط إلى الأعماق، وهو داخل صدفة من المواد الجيرية لتقيه من الأخطار، ويختلف هذا الحيوان عن الكائنات الحية في تركيبه وطريقة معيشته، فله شبكة دقيقة كشبكة الصياد، عجيبة النسج، تكون كمصفاة تسمح بدخول الماء والهواء والغذاء إلى جوفه، وتحول بين الرمال والحصى وغيرها . وتحت الشبكة أفواه الحيوان، ولكل فم أربع شفاه . فإذا دخلت ذرة رمل، أو قطعة حصى، أو حيوان ضار عنوة إلى الصدفة، سارع الحيوان إلى إفراز مادة لزجة يغطيها بها، ثم تتجمد مكونة لؤلؤة!

وعلى حسب حجم الذرة التي وصلت يختلف حجم اللؤلؤة!"[4].

هذا : ويتخذ اللؤلؤ ألواناً متعددة، أشهرها وأعلاها قيمة : الأبيض والوردي، وتوجد بعض اللآلئ السوداء إلا أنها نادرة[5].

## اللؤلؤ في اللغة[6] :

في المعجم العربي الأساسي : لؤلؤ . واحدته لؤلؤة، والجمع لآلئ : دُرٌ يتكون من الأصداف، وهو كروي صلب لماع[7].

هذا، واشتقاق اللؤلؤ من تلألأ الضوء، لأن ضوءه يتلألأ . قيل بل اشتق التلألؤ منه يقال : تلألأ وجه فلان أي لمع لمعان اللؤلؤ[8].

يقول السمين الحلبي مضيفاً : والجمع لآلٍ، والأصل لآلئ ثم أبدلت الهمزة الأخيرة ياءً تخفيفاً ثم أُعِلّ إعلال قاض، فيقال : هذه لآلٍ، ومررت بلآلٍ، ورأيتُ لآلياً، وهذا البدل غير لازم فيجوز أن يُلفَظ بالأصل . والنسبة إليه لؤلؤيٌّ .

وقالوا رجلٌ لآل بمعنى النسب نحو ثمار ولبان وليس لنا همزة مدغمة في مثلها من كلمة غير هذا وغير سآل من سأل[9] .

أقول : وفي اللسان العربي أسماء عديدة للآلئ مثل : التوم،

وا جمانة، والخريدة، والدرة، وا غريدة . . .، حاولنا جمع ما استطعنا جمعه منها - من بطون المعاجم اللغوية -، وأفردنا لها - فيما بعد - معجماً بعنوان : [ معجم اللآلئ في اللسان العربي ]

## اللؤلؤ في القرآن الكريم :

هناك في كتاب الله العزيز ظاهرة فريدة، طالما استوقفت ذوي الفكر والنظر، وحفزتهم للتأمل والاعتبار، وهي اهتمامه بسنن الله الكونية، في غير ما آية من كتاب الله، وتركيزه على نواميس الوجود وأسراره، أكثر من ذكره للأحكام الدينية، والتشريعات الدنيوية، إذ نجده في غير ما آية ينبه المؤمنين إلى ما في هذا الكون الرحيب من عجائب وغرائب، ويلفت أنظارهم إلى مخلوقات الله في السماوات والأرض .

﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[10].

وكلها تدل على آلاء الله ونعمه على مخلوقاته، وهي لا تحصى ولا تعد، ولا تستقصى ولا تحد[11] .

وإذا كانت عناية كتاب الله، بالطبيعة من أجل تحقيق أهدافه الكبرى فائقة هادفة ومؤثرة ؛ فهي تتسم بالأهداف النبيلة التي توخاها الكتاب العزيز، وهي أهداف تتصل عن كثب بقضية الإنسان وتكوينه الفكري والأخلاقي والنفسي، وهو يقطع شوطه في هذه الحياة، ويستعد لاستقبال مصيره في الحياة الأخرى . . .

وقد كانت آيات الطبيعة التي تربو على السبعمائة آية محققة لهذه الأغراض المهمة التي جاء من أجلها كتاب الله الذي كان محوراً لتصحيح فكري على نطاق واسع، وذلك حين حول الفكر الإنساني من الميثولوجية الحائرة، إلى الحقيقة المطمئنة[12] .

ومن آيات الله في الطبيعة : "اللؤلؤ"، ولعله أعجب ما في البحار!

والقرآن الكريم تناول اللؤلؤ من عدة وجوه :

١ - من حيث أنه من آلاء الله في البحرين ؛ فقال - جل شأنه - :

﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [١٣] .

يقول الشهيد سيد قطب : "ومن اللؤلؤ والمرجان تتخذ حلي غالية الثمن عالية القيمة. ويمتنُّ الله على عباده بهما. فيعقب على ذكرهما في السورة ذلك التعقيب المشهود :

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾[١٤] .

٢ - شبه به بعض النعيم المقيم في الآخرة :

أ) يقول تعالى : ﴿ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون﴾[١٥]

والمعنى : ويطوف على المتقين في الجنة غلمان معدون لخدمتهم، كأنهم في الصفاء والبياض والتناسق لؤلؤ مصون في أصدافه[١٦] .

ب) يقول عز وجل : ﴿وحور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾[١٧] .

والمعنى : وللمتقين في الجنة نساء ذوات عيون واسعة، كأمثال اللؤلؤ المصون في أصدافه صفاءً وجمالاً ، جزاءً لهم بما كانوا يعملون من الصالحات في الدنيا[١٨]. يقول ابن عطية . وخص المكنون من اللؤلؤ ؛ لأنه أصفى لوناً وأبعد عن الغبر[١٩] .

جـ) يقول جل شأنه : ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾[٢٠] .

والمعنى : ويدور على هؤلاء الأبرار لخدمتهم غلمان دائمون على حالهم. إذا أبصرتهم ظننتهم - لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم - اللؤلؤ المفرق المضيء[٢١] .

٣ - جعله جزاءً لعباده المتقين :

أ) يقول الله تعالى : ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً﴾[٢٢] .

والمعنى : أن الله - تعالى - يدخل أهل الإيمان والعمل الصالح جنات نعيمها دائم . . . يزيّنون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ[٢٣] .

يقول الزجاج : وفيها وجهان أحدهما يحلون فيها من أساور من ذهب ومن لؤلؤ. ويجوز ولؤلؤاً على معنى يحلون أساور، لأن معنى من أساور كمعنى أساور . والتفسير على الخفض أكثر، على معنى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ . وجاء في التفسير أن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ، كما قال عز وجل : ﴿. . . قوارير * قوارير من فضة﴾[٢٤] . كبياض الفضة، والفضة أصله . ويجوز

أن يكون يحلون من أساور من ذهب، وي حلون من لؤلؤ ويجوز على معنى وي حلّون لؤلؤاً[٢٥] .

ب) يقول عز شأنه : ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً﴾[٢٦] .

والمعنى : جنات إقامة دائمة للذين أورثهم الله كتابه يحلون فيها الأساور من الذهب واللؤلؤ[٢٧] .

## اللؤلؤ في روائع البيان :

لاشك أن لغة العرب غنية ذات دلالة على رقي وحضارة، وثروة وغناء ، لأن وضع اللفظ على الشيء دليل على وجوده . . .

ولعمري، إنه لا يمكن أن يكون تمدن لغوي، إلا بعد تمدن اجتماعي، راقٍ في حقيقته، وإن لم يرقَ في شكله، عامٌ في أثره، وإن لم يعم في أهله . . .

صحيح أن العرب في عصرهم القديم كانوا أغنياء في الحدود التي رسمتها لهم بيئتهم ، فأنت ترى غِنىً في رحاب اللغة فيما يتعلق بالصحراء والخيل والجمال، وما يتعلق بالمشاعر الجياشة، والأحاسيس الرقيقة، كما ترى ثراءً واسعاً عريضاً في اشتقاقها، وتصريف كلماتها بما يشعر شعوراً تاماً بغنى اللغة العربية وصلاحيتها للبقاء . . .

إن الذي ملأ اللغات محاسناً
جعل الجمال وسرَّه في "الضاد"[٢٨]

ومن يتتبع معاجم اللغة، ويتلمس ما ورد فيها من مادة لغوية تتصل باللؤلؤ سواء أكان ذلك في شكل مسميات خاصة به أم صفات معينة، تستعمل على سبيل الحقيقة أو المجاز ؛ لأوقفنا على هذه الكثرة المطلقة من الألفاظ والتعبيرات التي يزخر بها معجمنا العربي لهذا المعدن النفيس !

ناهيك عن أدبنا العربي على اختلاف عصوره ، فلقد حفل منذ العصر الجاهلي بدرر من القصائد – تصلح سفراً –، تصف الغوص على اللؤلؤ في البحار المحيطة بشبه الجزيرة العربية، ومصاعب هذا الغوص ؛ بحثاً عن هذه الدرة العزيزة، ووصف البهجة حال العثور عليها !

يقول المسيب بن علس، وهو شاعر جاهلي، يصف ذلك في قصيدة له يقول فيها :

كجُمانــة البحـــريّ جاء بهــا
غوّاصهـــا من لُجّــة البحــرِ
صُـلبُ الفــؤاد رئيس أربعــة
متخــالفي الألـــوان والنّجـرِ
فتنازعــوا حتى إذا اجتمعـــوا
ألقـــوا إليــه مقالــد الأمــرِ
وعلت بهم سجحـــاء خادمـة
تهــوي بهم في لُجّة البحـرِ
حــتى إذا ما ســـاء ظنهــم
ومضــى بهم شهر إلى شهـرِ
ألقــى مراســيــه بتهـــلكــه
ثبتت مراسيهـــا فما تجري
فانصـــبّ أسْــقفُ رأســه لبد
نُزعــت رباعيتـــاه للصــبرِ
أشــفى يَمُجُّ الزيت مـلتمسٌ
ظمــآن ملتهـب مـن الفقـرِ
قتـــلت أبـــاه فقـــال أتبعـــه
أو أستفيـد رغيبـــة الدهـرِ
نصـــف النهـــار المـــاء غامره
ورفيقـــه بـالغيب لا يـــدري
فأصـــاب منيتـــه فجــاء بهــا
صدفيـــة كمضيئــة الجمـرِ
يعطـــي بهـــا ثمنـــاً ويمنعهـــا
ويقــول صاحبه ألا تشري؟
وترى الصراري يسجدون لهــا
ويضمهـــا بيديــــه للنحــرِ

فتــــلك شـــبه المالكيـــة إذ
طلعت ببهجتها من الخدر[٢٩]

وهـذا هـو الأعشـى، ميمـــون بـن قيس، يصف حبيبته بالدرة الزهراء التي أخرجها غواص دارين غير آبه بالغرق في سبيل الحصول عليها !

**يقول الأعشى :**

كأنهـا درة زهــراء أخرجهـــا
غواص دارينِ يخشى دونها الغرقــا
قد رامها حججاً مذْ طَرَّ شاربه
حتى تسعسع يرجـوها وقد خفقـا
لا النفس توئسه منها فيتركها
وقد رأى الرغْبَ رأي العين فاحترقا
ومارد من غواة الجن يحرسها
ذو نيقـــة مســـتعد دونهـــا ترقـا
ليسـت له غفلـةٌ عنها يُطيف بهــا
يخشى عليها سُرَى السارين والسرقا[٣٠]

ولم يقف الشعراء عند هذا الحد. بل وصفوا محاسن المرأة وشبهوها بـاللؤلؤ في الصفـاء والحسـن ونعومـة البشـرة وأن جميع جسدها في الحسن كالوجه .

يقول بشار بن برد في قصيدة له :

إذا رآها نساء الحي قلن لهـــا
سبحان من صاغها ! يغرقن إطناباً
كأنما خلقت من جلد لؤلـــؤة
نفساً من العطر إن حركتها ثابا[٣١]

من هنا ؛ فإن طه حسين قد وَهِمَ حين قال : "إنا لا نكاد نجد في الشعر الجاهلي ذكر البحر أو الإشارة إليه ، فإذا ذكر ، فذكر يدل على الجهل لا أكثر ولا أقل" ![٣٢] .

فلقد كان "الغوص على اللؤلؤ موضوعاً مهماً في قصائد الجاهليين والإسلاميين ، لا يقل شأناً عن غيره من الموضوعات التي تطرق إليها أولئك الشعراء مثل وصف الأطلال والناقة والأنواء . فضلاً عن تداول الشعراء لعدد من المعاني المتعلقة باللآلئ كالبهاء والنضارة والنعومة وغير ذلك ؛ مما يدل على شهرة هذه الحرفة وأهميتها لعرب الجزيرة العربية"[٣٣] .

# معجم أسماء اللؤلؤ في اللسان العربي

## ﴿ باب التاء ﴾

**التوم:**

**في القاموس المحيط** : التومةُ، بالضم : اللُّؤلؤة . وجمعها : تومٌ وتُوَمٌ. والقرط فيه حبة كبيرة، وبيضة النعام وأُمُّ تومةَ : الصدف[٣٤] .

**وفي مختصر كتاب العين** . التُّومة : القرط[٣٥] .

**قال ابن منظور** : التُّومَةُ . اللؤلؤة، والجمع تُوَمٌ وتومٌ ، قال ذو الرمة :

وصفٌ كأن الندى والشمسُ ماتِعَةٌ    إذا توقَّد في أفنانه التُّومُ

**قال أبو عمرو** هي الدرَّةُ والتُّمةُ والتوّاميةُ واللطميَّة . . .

**قال أبو منصور** : من قال للدرة تُومةٌ شبّهها بما يُسَوّى من الفضة كاللؤلؤة المستديرة تجعلها الجارية في أذنيها، ومن قال توْأميَّةٌ فهما درَّتان للأذنين إحداهما توْأمةُ الأخرى والتُّومةُ . بيضة النعام تشبيهاً بتومة اللؤلؤ، والجمع كالجمع ، قال ذو الرمة

وحتى أتى يومٌ يكادُ من اللظى    به التُّومُ في أفْحُصِهِ يتصيَّحُ

**قال أبو عبيدٍ** . يعني البيْضَ . ويتصيّحُ . لغةٌ في يتصوَّح بمعنى يتشقق .

**وقال ذو الرمة** يصف نباتاً وقع عليه الطل فتعلق من أغصانه كأنه الدُرُّ فقال

وصف كأن الندى والشمس ماتعةٌ    إذا توقد في أفنانه التُّومُ

أفنانُهُ أغصانه، الواحد : فنن . توقَّد : أنار لطلوع الشمس عليه[٣٦]

**وفي الصحاح** التُّومة بالضم واحدة التوم، وهي حبة تعمل من الفضة كالدرة وذكر أن النسبة تعود إلى توّام وهي قصبة عُمان مما يلي الساحل وينسب إليها الدرُّ[٣٧]

## ﴿ باب الثاء ﴾

**الثعثع :**

**في القاموس المحيط** · الثَّعْثَعُ : اللؤلؤ، والصدف، والصوف الأحمر[٣٨] .

قال ابن منظـور : والثعثعُ : اللؤلـؤ ويقال للصدف ثعْثعٌ، وللصوف الأحمر ثعثعٌ أيضاً . قال الأزهري في خطبته فيما عثر فيه على غلط أحمد البُشْتيّ إنه ذكر أن أبا تراب أنشد :

إن تمْنعي صَوبك صَـوبَ المَدْمَـعِ    يجري على الخدِّ كضِئْبِ الثعثعِ

فقيّد البُشْتيُّ : الثعثع، بكسر الثاءين، بخطه، ثم فسر ضِئْبَ الثعثع أنه شـيء لـه حبٌ يزرعُ، فأخطأ في كسر الثاءين وفي التفسير، والصواب : الثَّعْثَعُ، بفتح الثاءين، وهـو صدف اللؤلؤ، قال ذلك : أحمد بن يحيى ومحمد بن يزيد المبرّد[٣٩] .

# ﴿ باب الجيم ﴾

## الجمانة :

**في مختصر كتاب العين** : الجمان من الفضة : كاللؤلؤ[٤٠] .

**يقول الرازي** : الجمانةُ : حبّةٌ تُعمل من الفضة كالدرة، وجمعه جُمانٌ[٤١] .

**وفي القاموس المحيط** : الجُمانُ، كغراب : اللؤلـؤ، أو هنـواتٌ أشـكال اللؤلـؤ مـن فضة. الواحدة : جُمانةٌ، وسفيفةٌ من أدم ينسج، وفيها خرز من كل لون،تتوشحه المرأة، أو خرز يُبيّضُ بماء الفضة[٤٢] .

**وفي المعجم العربي الأساسي** : جُمان : اللؤلؤ، واحدته جمانةٌ[٤٣] .

**يقول ابن منظور** : الجُمانُ : هنوات تتخذ على أشكال اللؤلـؤ مـن فضـة، فارسـيٌ معرب، واحدته جُمانةٌ، وتوهمه لبيد لؤلؤ الصدف البحري ، فقال يصف بقرة :

وتضيء في وجه الظـلام منيرة    كجمانة البحريِّ سُلَّ نظامها[٤٤]

**وفي المعرب** : الجمان : خرزٌ من فضة أمثال اللؤلؤ . فارسيٌ معرب وقد تكلمت بـه العرب قديماً .

وجعل لبيد الدرة جُمانةً ، فقال :

كجُمانة البحريّ سُلَّ نظامها[٤٥]

**يقول أدّي شير**[٤٦] : وجمانة مـأخوذة إما عـن الفارسـيّ جمـان ومعنـاه : المـرج، والمخضرة والجنينة، ويطلق أيضاً على كل شيء مقبول، أو عن اللاتيني gemma[٤٧] .

# ﴿ باب الحـاء ﴾

قال الفيروز آبادي

والحـص، بالضم : الوَرْسُ، أو الزعفران والجمع : حُصوصٌ واللؤلؤةُ[٤٨] .

وفي اللسان : والحُصُ : الوَرْسُ ، وجمعه أحْصاصٌ وحصوصٌ، وهـو يُصْبَغُ بـه .

قال عمرو بن كلثوم

مشعشعة كأن الحصَّ فيهـا    إذا ما الماءُ خالطها سخينا[٤٩]

قال الأزهري : الحص : بمعنى الوَرْس معـروفٍ صحيح ويقال هـو الزعفـرانُ.

قال : وقال بعضهم الحص : اللؤلؤ، قال : ولست أحُقُهُ ولا أعرفه[٥٠] .

# ﴿ باب الخاء ﴾

## الخريدة :

في اللسان : الخريدةُ والخريدُ والخَرُودُ من النساء : البكرُ التي لم تُمس قط .

وكل عذراء . خريدة .

والخريدةُ اللؤلؤة قبل ثقبها ، قال الليث : سمعت أعرابياً من كَلْبٍ يقول : الخريدة التي لم تُثْقبْ، وهي من النساء البكر، وقد أخْرَدَتْ إخراداً .

قال ابن الأعرابيّ : لؤلؤةٌ، خريدٌ : لم تثقب[٥١] .

وفي تهذيب اللغة : الخريدة : الدرة التي لم تثقب، وهي من النساء : البكر[٥٢]

وفي القاموس المحيط : الخريدة : اللؤلؤة لم تُثْقب[٥٣]

وفي المعجم العربي الأساسي : والخريدة جمعها : خرائد : وهـي اللؤلـؤة التي لم تثقب أو الفتاة العذراء (على التشبيه)[٥٤] .

## الخضلة :

في مختصر كتاب العين : والخضل : اللؤلؤ . ودرة خاضلة : صافية[٥٥]

وفي القاموس المحيط : والخضْلُ، ويحرك : اللؤلؤ، أو الدر الصافي[٥٦] .

يقول ابن منظور : والخضْلُ : اللؤلؤ، بسكون الضاد، يثربيّة ، واحدتـه خضلة ولؤلؤة خضلةٌ : صافية، وجاءت امرأة إلى الحجاج برجل فقالت : تزوجني هذا على أن

يـ طيني خضْلاً نبيـلاً، يعني لؤلـؤاً صافيـاً جيـداً . ودرة خضلـةٌ : صافيـة، والنبيـل : الـ ثير[٥٧] .

## الخوضة :

**يقول الفيروز أبادي** : والخوضةُ : اللؤلؤة[٥٨] .

**وفي تهذيب اللغة** : عمرو عن أبيه : الخوضة : اللؤلؤة[٥٩] .

# «باب الدال»

## الدرة :

**في مختصر كتاب العين** : الدر : العظام مـن اللؤلـؤ، والـدُّرَرُ : جمـع . وكوكـب دُرّيٌّ . ثاقب مضيء[٦٠] .

**يقول الرازي** : والدرَّةُ : اللؤلـؤة، والجمـع دُرٌّ ودُرَّاتٌ ودُرَرٌ . والكوكـب الـدري : الثاقب المضيء ، نسِبَ إلى الدُرِّ لبياضه . وقد تكسـر الـدال فيقـال : دِرّيٌّ مثـل سُخْرِيٌّ وسخريٌّ ولُجِّيٌّ ولِجِّيٌّ[٦١] .

**وفي القاموس المحيط** : والدِّرَّةُ، بالكسر : التي يُضرب بها، والدم، وسيلان اللبن، وكثرته . وبالضم : اللؤلؤة العظيمة، والجمع دُرٌّ ودُرَرٌ ودُرَّاتٌ .ودُرٌّ : من أعلام الرجـال . ودُرَّةُ بنتُ أبي لهب، وبنتُ أبي سـلمةَ : صحابيتـان . و﴿ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾[٦٢] : مضـيء، ويُثَلَّثُ[٦٣] .

**وفي المعجم العربي الأساسي** . دُرَّةٌ جمعها دُرٌّ ودُرَرٌ : لؤلؤة عظيمة كبيرة . . دُرِّيٌّ : منسوب إلى الدرِّ في صفائه وحسنه وبهائه، ويشبَّه به الكوكب ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[٦٤] .

**يقول ابن منظور** : والدرَّةُ : اللؤلؤة العظيمة ، قال ابن دريـد : هـو مـا عظُـم مـن اللؤلؤ، والجمع دُرٌّ ودُرَّاتٌ ودُرَرٌ ، وأنشد أبوزيد للرُّبَيْعِ بن ضَبُع الفزاري :

أَقفَرَ من فَيَّـةَ الجريب إلى الزُجْـ ... جَـيْنِ إلا الظبـاء والبقـرا
كأنهـا دُرَّةٌ منعَّمـةٌ ... فـي نسـوة كن قبلهـا دُرَرا

وكوكبٌ دُرِّيٌّ ودِرِّيٌّ : ثاقب مضيء[٦٥] .

**يقول الزركشي** : الدّرّيَ : المضيء بالحبشية[٦٦] .

**ويقول السيوطي** : قال شيد له في البرهان : الدّرّيّ : المضيء بالحبشية . وكذا قال أبو القاسم في لغات القرآن. والواسطي في الإرشاد[٦٧] .

**وفي قاموس الفارسية** : درّي : متلألئ، وضّاء، منير[٦٨] .

# ﴿باب السين﴾

## السَّفَّانـة :

**يقول الفيروز آبادي** . والسُّفّانَةُ، مشدّدةٌ : اللؤلؤةُ، وبنت حاتم طيِّئ[٦٩]

# ﴿باب الصاد﴾

## الصَّدف :

**في مختصر كتاب العين** : الصَّدف : غِشاءُ خَلْق في البحر تضمه صدفتان مُفْرَجَتـان عن لحم فيه يسمى المحارة وفي مثله يكون اللؤلؤ[٧٠]

**وفي مختار الصحاح** . وصَدَفُ الدُّرَّة . غشاؤها، الواحدة : صدفَةٌ[٧١] .

**وفي القاموس المحيـط** : الصَّدَفُ، محركـة : غشـــاء الـدر، الواحـدة : بـهاء، والجمع : أصداف[٧٢] .

**يقول ابن منظور** : والصَّدف . المحـــارُ، واحدته صدفــةٌ . . . وفي حديـث ابـن عباس : "إذا قطرت السماءُ فتحتِ الأصداف أفواهها" - الأصدافُ : جمع الصدف، وهو غلافُ اللؤلؤ، وهو من حيوان البحر[٧٣] .

# ﴿باب الطاء﴾

## المُطَبَّق :

**في اللسان** : والمطَبَّقُ . شيء يلصق به قِشْرُ اللؤلؤ فيصير مثله[٧٤] .

**وفي التهذيب** : والمطبق شبه اللؤلؤ، إذا قُشِر اللؤلؤ أخذ قشره ذلك فـأُلصِق بـالغراء بعضه على بعض فيصير لؤلؤاً أو شبهه[٧٥] .

# «باب الفاء»

## الفريدة :

**يقول الـرازي** : والفريـد : الـدرُّ إذا نُظِّم وفُصِّـل بغـيره . وقيـل : فرائـد الـدر : كبارها[٧٦] .

**وفي القاموس المحيط** : والفريد : الشَّذْرُ يفصـل بـين اللؤلـؤ والذهـب، والجمـع : فرائد. والجوهرة النفيسة، كالفريدة، والدرُّ إذا نظِّم وفصِّـل بغـيره، وبائعـها وصانعـها : فرّادٌ[٧٧] .

**وفي المعجم العربي الأساسي** : فريدة جمعها : فرائدُ : وتعني جوهرة نفيسة[٧٨] .

**يقول الزجاج** : أفردت الشيء جعلته فريداً[٧٩] .

**يقول ابن منظور** : والفريد والفرائد : الشَّـذْرُ الـذي يفصـل بـين اللؤلـؤ والذهـب، واحدته فريدة . . . وبياعه : الفرَّاد .

**والفريـدُ** : الـدرُّ إذا نظـم وفصل بغـيره ، وقيـل : الفريـدُ، بغـير هـاءٍ، الجوهـرة النفيسةُ، كأنها مفردةٌ في نوعها ، والفرَّادُ صانعها . وذهبٌ مفَرَّدٌ : مفصل بالفريد .

**وقال إبراهيم الحربيّ** : الفريد جمع الفريدة وهي الشَّذْرُ من فضة كاللؤلؤة . وفرائد الدرّ كبارها[٨٠]

# «باب القاف»

## القُرْط :

**يقول ابن منظور** : القُرْط : نوع من حلي الأذن معروف ، وقرَّطت الجارية فتقرَّطتْ هي . قال الراجز يخاطب امرأته :

قرَّطك الله على العينين      عقارباً ســوداً وأرقمين

وجارية مقرّطةٌ : ذات قُرْطٌ[٨١] .

## القَلَقِيّ :

**في اللسان** : والقلقيُّ . ضرب من الحَلْي ، قال ابن سيده : ولا أدري إلى أي شيء نُسِبَ إلا أن يكون منسوبا إلى القلق الذي هو الاضطرابُ ، كأنه يضطربُ في سلكه ولا يثْبتُ ، فهو ذو قلق لذلك ، قال علقمة بن عبده :

محالٌ كأجواز الجراد ولؤلؤٌ    من القلقِيّ والكبيس المُلَوّب[٨٢]

**يقول الأعلم الشنتمري** : والقَلَقِيُّ جنس من اللؤلؤ مدحرج لا يستقر[٨٣] .

**وفي القاموس المحيط** : والقَلَقِيُّ : ضرب من القلائد[٨٤] .

**وفي التهذيب** : القَلَقِيُّ : ضرب من اللؤلؤ . وقيل هو من القلائد المنظومة باللؤلؤ[٨٥]

## ﴿باب اللام﴾

## اللؤلؤ :

**في المعجم العربي الأساسي** : لُؤْلُؤ : واحدته لُؤْلُؤَةٌ، والجمع لآلِئُ . درٌ يتكون من الأصداف، وهو كرويٌ صلب لماع[٨٦] .

**يقول الرازي** : واللؤلؤة : الدرة والجمع اللؤلؤ واللآلئ[٨٧] .

**وفي القاموس المحيط** : اللؤلؤ : الدر، واحده : بهاء، وبائعه : لأّلٌ ولأّءٌ ولألاءٌ. والقياس : لُؤْلُؤِيٌّ، لالآءٌ ولالآلٌ، ووهِمَ الجوهريّ. وحرفته اللِّئالةُ[٨٨] .

**يقول ابن منظور** : قال أبو عبيد : قال الفرّاء سمعت العرب تقول لصاحب اللُّؤْلُؤ لأّءٌ على مثال لعّاع. وكره قول الناس لأّلٌ على مثال لعّال .

**قال الفارسي** : هو من باب سبْطَر .

**وقال علي بن حمزة** . خالف الفراء في هذا الكلام العرب والقياس ، لأن المسموع لأّلٌ والقياس لُؤْلُؤِيٌّ ، لأنه لايبنى من الرباعيّ فعّالٌ، ولأّلٌ شاذ[٨٩] .

## اللطيمة :

**في مختصر كتاب العين** : اللطيمة : سوق فيها أوعية العطر ونحوها[٩٠]

وفي القاموس المحيط : واللطيمة : وعاء المسك، أو سوقه، أو عيرٌ تحمله[91].
يقول ابن منظور : وقول أبي ذؤيب :

فجاء بها ما شئت من لطَميَّةٍ تدور البحــار فوقها وتمــوجُ

إنما عَنَى دُرَّةً[92].
وفي شرح هذا البيت ؛ يقول السكري : (فجاء بها) : أي بـالدرة . أي جلبـت في الطائم . و(اللطيمة) : عير تحمـل التجـارة والعطـر، فـإن لم يكـن فيـها عطـر، فليسـت بلطيمة، فجعل هذه الدرة تحملها عير اللطيمـة . (تـدور البحـار) : أي تسـكن فوقـها . (وتموج) : أي تتحرك فتجيء وتذهب[93].
هذا ، وذكر البيروني أن "اللطيمة" مـن أسمـاء اللآلـئ، وهـي كمـا قيـل نسـبة إلى اللطيمة في شعر أبي ذؤيب وغيره ولما لم تكن لطيمته نسبة إلى عير الطيب .
وقيل أيضاً إنها نسبة إلى البحر من قبل تلاطم الأمواج . وكذلك الصدفيـة نسـبة إلى الصدف .
قال النابغة يصف امرأة :

كمضيئـة صدفيـة غَوّاصُها بَهِجٌ ومن يرها يهِلُّ ويسجد

يعني من الفرح والابتهاج بالدرَّة[94].

# «باب الميم»

## المرجان :

يقول الرازي : والمَرجانُ : صغار اللؤلؤ[95].
وفي القاموس المحيط : والمَرْجانُ : صغار اللؤلؤ، وبَقْلَةٌ رِبْعِيَّةٌ، واحدتها : بهاء[96].
وفي المعجم العربي الأساسي[97] : المرجان : جنـس حيوانـات بحريـة ثوابـت مـن طنفة المرجانيات، يعـد مـن الأحجـار الكريمـة وهـو غالبـاً أحمـر اللـون ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجانُ﴾[98].
يقول ابن قتيبة في تفسيره : و "اللؤلؤ" : كبار الحَبِّ . و "المَرْجان" : صغاره[99].
وفي اللسان : والمَرْجان : اللؤلؤ الصغار أو نحوه، واحدته مَرْجانةٌ، قال الأزهري : لا ...ري أرُباعيٌّ هو أم ثلاثيٌّ ، وأورده في رباعيّ الجيم، وقال بعضهم : المَرجانُ البُسَّدُ.

وهو جوهر أحمر . قال ابن برّيّ : والذي عليه الجمهور أنه صغار اللؤلؤ، كما ذكر الجوهري . والدليل على صحة ذلك قول امرئ القيس بن حجر :

أذود القــوافي عني ذياداً ذيــادَ غلام جريٍ جيادا

فأعزلُ مَرْجانهـا جانبـا وآخُذُ من دُرِّها المستجادا[١٠٠]

يقول الجواليقي في المعرب : والمرجان : ذكر بعض أهل اللغة أنه أعجمي معرّب قال أبو بكر : ولم اسمع له بفعل متصرف وأحرِ به أن يكون كذلك[١٠١] .

أقول[١٠٢] : وهو بالسريانية (مركنـا) وهـو مقتطع مـن (مركـانيثا) . وهـو بالعبريـة مـن (مركـل) (مركنيتا، مركليتا) . وكل هذا مأخوذ من الكلمـة اليونانيـة (مركديتيس) ومعناه : اللؤلـؤ (جفري ودوزي)[١٠٣]

ومنه العلم الإنجليزي **Maragaret** .

من ثم ، فكلمة مرجان يونانية الأصل[١٠٤] .

## المهاة :

**يقول الرازي** المَهاة : البلّوْرة[١٠٥] .

**وفي القاموس المحيط** : والمَهْوُ : الرُّطَبُ، واللؤلؤ[١٠٦] .

**يقول ابن منظور** ، وفي النوادر : المَهْوُ : البرْدُ . والمَهْوُ حصىً أبيض يقال له بُصاقُ القمر والمَهْوُ . اللؤلؤ. ويقال للثغر النقيّ. إذا ابيضَ وكثر ماؤه : مهاً ، قال الأعشى

ومهـاً تـرفُّ غُروبُـهُ يَشْفِي المتيَّمَ ذا الحرارَهْ

والمهاةُ : الحجارة البيض التي تبرق، وهي البلّـورُ . والمـهاةُ : البلّـوْرَةُ الـتي تَبصُ لشدة بياضها، وقيل : هي الدرّةُ، والجمع مهاً ومهَواتٌ ومَهَياتٌ .

والمهاةُ ، بقرة الوحش، سميت بذلك لبياضها على التشـبيه بـالبلّورة والـدرّة، فـإذا شبهت المرأة بالمهاةِ في البياض فإنما يُعْنَـى بـها البلـورة أو الـدرة، فـإذا شـبهت بـها في العينين فإنما يُعْنى بها البقرة، والجمـع مهـاً ومـهواتٌ، وقـد مـهت تمـهو مهـاً في بياضها[١٠٧] .

# ﴿باب النون﴾

## النَّطفَة :

**في مختصر كتاب العين**: النُّطَف : اللؤلؤ، الصافي الماء . . . ووصيفة مُتَنَطِّفة مُتقَرِّطة بتُومَتين[١٠٨] .

**وفي القاموس المحيط** : والنُّطفَتان، بالتحريك، وكهُمَزَةٍ : القُرْطُ، أو اللؤلؤة الصافية، أو الصغيرة، وجمعها : نُطَفٌ . وتنطَّفتْ : تقرَّطتْ . ووصيفة مُنَطَّفَةٌ : مُقَرَّطَةٌ[١٠٩] .

**يقول ابن منظور** : والنَّطَفُ والنُّطَفُ : اللؤلؤ الصافي اللون، وقيل : الصِّغارُ منها، وقيل : هي القِرْطَةُ، والواحدةُ من كلِّ ذلك نَطَفَةٌ ونُطَفَةٌ، شبِّهت بقطرة الماء . والنُّطَفَةُ، بالتحريك : القُرْطُ . وغلام منَطَّفٌ : مقرَّط[١١٠] .

# ﴿باب الهاء﴾

## الهَيْجُمانة :

**في تهذيب اللغة** : الهَيْجُمانةُ : الدرّة . وهي الونيّة[١١١] .

# ﴿باب الواو﴾

## الونيَّة :

**يقول الفيروز آبادي** : والوَنِيَّةُ : اللؤلؤة، كالوناة، أو العقد من الدُّرِّ[١١٢] .

**وفي اللسان** : وقال أبو العباس : الوَنْي واحدته ونية وهي اللؤلؤة ، قال أبو منصور : واحدةُ الونْي وناةٌ لا ونِيّةٌ، والوَنِيَّةُ : الدُّرّة ؛ قال أبو عمرو : هي الوَنِيَّةُ والوناةُ للدُّرّةِ . قال ابن الأعرابي : سُمِّيت ونِيَّةً لثُقبِها . وقال غيره : جاريةٌ وناةٌ كأنها الدرة، قال والونية اللؤلؤة، والجمع ونِيٌّ ؛ أنشد ابن الأعرابيّ لأوس بن حجر :

فحطَّت كما حطَّت وَنِيَّةُ تاجر     وَهَى نظمُها فارفَضَّ منها الطوائف

شبهها في سرعتها بالدرّة التي انحطّت من نظامـها، ويُـروى : وهيَّـةُ تـاجرٍ. وهـ
مذكور في موضعه
والونِيَةُ : العِقْدُ من الدُّرّ - وقيل الونية : الجوالق[١١٣] .

## الوهيَّة :

في القاموس المحيط : والوهِيَّةُ : الدُّرَّةُ[١١٤] .
وفي اللسان : والوَهِيَّةُ · الدرة ، سميت بذلك لِثُقبها لأنَّ الثُّقْبَ ممـا يضعفـها (عـن
ابن الأعرابي) وأنشد ·
فحطَّتْ كمـا حطَّـت وهِيَّةُ تاجر    وَهَى نظْمُها فارفَضَّ منها الطوائفُ
قال · ويُرْوى ونيّة تاجر. وهي دُرَّةٌ أيضاً، وقد تقدم[١١٥] .

# ﴿باب الياء﴾

## اليتيمة :

يقول الرازي : كل شيء مفردٍ يعزُّ نظيره فهو يتيم. يقال · دُرَّة يتيمة[١١٦]
وفي اللسان   كل شيء مفرد بغير نظيره فهو يتيم . يقال : درَّة يتيمة[١١٧]
وفي الجماهر . كانت اليتيمة ثلاثة مثاقيل، وسميـت يتيمـة لذهـاب صدفـها قبـل
إيلاد أخت لها
ويسمى أيضاً مثلها فريداً إذا عدمت نظيرتـها فـاضطر إلى تصييرهـا واسـطة العقد.
وسميت القلادة[١١٨]
وفي المعجم العربـي الأساسـي : يتيمـةً وجمعـها يتـامى. وهـي دُرَّةٌ ثمينـة لا نظير
لها[١١٩]

الدكتور محمد السيد علي بلاسي – جامعة الأزهر

# الهوامش

١ - كتاب اللؤلؤ : للدكتور عبد الله يوسف الغنيم، ص٥٩، الطبعة الثانية - دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩هـ .

٢ - الكونشولين Conchiolin : كلمة يونانية تعني الصدفة Shell، ومنها جاء مصطلح علم المحاريات Conchology .

أنظر . هامش المرجع السابق : ص٥٩ .

٣ - نفس المرجع ص٥٩ و٦٠، نقلاً عن أزهار الأفكار : للتيفاشي، (تعليقات المحقق)، ص٢٤٤ .

والجواهر والأحجار الكريمة : يارسولاف بور وفلاديمير بوسكا، ترجمة ميشيل خوري، ص٢١٩ .

٤ - في ظلال القرآن : للشهيد سيد قطب، ٣٤٥٣/٦، الطبعة الثانية عشرة، دار الشروق، سنة ١٤٠٦هـ .

نقلاً عن كتاب الله والعلم الحديث : ص١٠٥ .

٥ - كتاب اللؤلؤ : ص٥٩ .

٦ - لمزيد من التفصيل ؛ يراجع : باب اللام، كلمة اللؤلؤ، في "معجم اللآلئ في اللسان العربي" ص٣٨ .

٧ - المعجم العربي الأساسي : مادة (ل أ ل أ) . تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب، ط. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سنة ١٩٨٩م .

٨ - عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق د. عبد السلام أحمد التونسي الحلبي، ٢٣٤٤/٤، الطبعة الأولى - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ليبيا، سنة ١٩٩٥م

٩ - المصدر السابق : ٢٣٤٤/٤، ٢٣٤٥ .

١٠ - سورة البقرة : آية ١٦٤ .

١١ - الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي : للأستاذ محمد بن عبد العزيز بنعبدالله، ١٢٣/١ - بتصرف - ط. مطبعة فضالة سنة ١٤١٧هـ .

١٢ - المرجع السابق : ١٢١/١ .

١٣ - سورة الرحمن : الآيات ١٩ - ٢٢ .

١٤ - في ظلال القرآن : ٣٤٥٤/٦ .

١٥ - سورة الطور : آية ٢٤ .

١٦ - التفسير الميسر : إعداد نخبة من العلماء، ص٥٢٤، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٩هـ .

١٧ - سورة الواقعة : الآيتان ٢٢، ٢٣ .

١٨ - التفسير الميسر : ص٥٣٥ .

١٩ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لابن عطية (ت ٥٤٦هـ)، ٣٦٦/١٥، ط. وزارة الأوقاف المغربية، سنة ١٤١١هـ .

٢٠ - سورة الإنسان : آية ١٩ .
٢١ - التفسير الميسر : ص٥٧٩ .
٢٢ - سورة الحج : من الآية ٢٣ .
٢٣ - التفسير الميسر : ص٣٣٤ .
٢٤ - سورة الإنسان : من الآيتين ١٥ ، ١٦ .
٢٥ - معاني القرآن وإعرابه : للزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، ٢٧٠/٤، الطبعة الأولى - عالم الكتب، ١٤٠٨هـ .
٢٦ - سورة فاطر . من الآية ٣٣
٢٧ - التفسير الميسر : ص٤٣٨
٢٨ - الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي : ص٦٦، ٦٧ .
٢٩ - أنظر ، خزانة الأدب : للبغدادي، ٥٤٣/١، الطبعة الأولى - بولاق .
٣٠ - راجع ، ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) : ص٣٦٧، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، ١٩٥٠م .
٣١ - أنظر ، ديوان بشار بن برد . ٣١٨/٢، شرح محمد الطاهر بن عاشور. ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٧م .
٣٢ - في الأدب الجاهلي د. طه حسين، ص٨٩، الطبعة التاسعة - دار المعارف بالقاهرة، ١٩٦٨م .
٣٣ - كتاب اللؤلؤ . ص٣٨
٣٤ - القاموس المحيط . للفيروز آبادي، ص١٤٠٠، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ .
٣٥ - مختصر كتاب العين : للخطيب الإسكافي، ١١٥٥/٣، تحقيق د. هادي حسن حمودي، الطبعة الأولى - وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان، ١٤١٩هـ .
٣٦ - لسان العرب : لابن منظور، مادة (توم)، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، ط. دار المعارف، د.ت.
٣٧ - الصحاح : لأبي إسماعيل بن حماد الجوهري، ١٨٧٨/٥ .
٣٨ - القاموس المحيط . ص٩١٤
٣٩ - لسان العرب . مادة (ثعثع) .
٤٠ - مختصر كتاب العين : ٨٧٧/٢ .
٤١ - مختار الصحاح . للرازي، مادة (جمن)، ط. مكتبة لبنان، د.ت. .
٤٢ - القاموس المحيط : ص١٥٣١ .
٤٣ - المعجم العربي الأساسي : تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب، مادة (جمن) .
٤٤ - لسان العرب : مادة (جمن) .
٤٥ - المعرّب . للجواليقي، ص٢٦٠، تحقيق الدكتور ف. عبد الرحيم، الطبعة الأولى - دار القلم، ١٤١٠هـ
٤٦ - الألفاظ الفارسية المعرّبة : لأديّ شير الكلداني، ص٤٥، ط. المطبعة الكاثوليكية ببيروت، ١٩٠٨م

٤٧ - يقول الدكتور ف. عبد الرحيم محقق كتاب "المعرّب : للجواليقي" (هامش ص٢٦٠) : ولا يوجد بالفارسية جمان بهذا المعنى . ذهب صاحب (الكلمات الفارسية في اللغة العربية) إلى أنه من كمان بالفارسية بمعنى الظن ؛ لأن كل من يراه يظنه لؤلؤاً ! وإن كان يرى - وإلى رأيه نميل - أنه من gemmans وهومشتق من gemma اللاتينية ومعناه : المحلّي بالحلي والجواهر .

٤٨ - القاموس المحيط : ص٧٩٣ .

٤٩ - قال الأنباري في شرح هذا البيت : الحُصُّ : الورث .
أنظر : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، للأنباري، ص٣٧٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط. دار المعارف سنة ١٩٦٣م .

٥٠ - لسان العرب لابن منظور : مادة (حصص) .

٥١ - لسان العرب : لابن منظور، مادة (خرد) .

٥٢ - تهذيب اللغة : لمحمد بن أحمد الأزهري، مادة (خرد) .

٥٣ - القاموس المحيط : ص٣٥٧ .

٥٤ - المعجم العربي الأساسي : مادة (خ ر د) - بتصرف يسير - .

٥٥ - مختصر كتاب العين : ٥٢١/١ .

٥٦ - القاموس المحيط : ص١٢٨٣ .

٥٧ - لسان العرب : مادة (خضل) .

٥٨ - القاموس المحيط : ص٨٢٨ .

٥٩ - تهذيب اللغة : مادة (خاض) .

٦٠ - مختصر كتاب العين : ١١٠٧/٣ .

٦١ - مختار الصحاح : مادة (درر) .

٦٢ - سورة النور : من الآية ٣٥ .

٦٣ - القاموس المحيط : ص٥٠٠ .

٦٤ - المعجم العربي الأساسي : مادة (درر) .

٦٥ - لسان العرب : مادة (درر) .

٦٦ - البرهان في علوم القرآن : للزركشي، ص٢٨٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢ - عيسى البابي الحلبي، د.ت. .

٦٧ - المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب : للسيوطي، تحقيق د. إبراهيم أبو سكين، ص٤٦، ط. الأمانة، سنة ١٤٠٠هـ .

٦٨ - قاموس الفارسية : د. عبد النعيم محمد حسين، ص٢٤٥، الطبعة الأولى، الناشر : دار الكتاب اللبناني ببيروت .

٦٩ - القاموس المحيط : ص١٥٥٦ .

٧٠ - مختصر كتاب العين : ص٩٧٤ .

٧١ – مختار الصحاح : مادة (ص د ف) .
٧٢ – القاموس المحيط : ص ١٠٦٨ .
٧٣ – لسان العرب : مادة (صدف) .
٧٤ – لسان العرب : مادت (طبق) .
٧٥ – تهذيب اللغة : مادة (طبق) .
٧٦ – مختار الصحاح : مادة (ف ر د) .
٧٧ – القاموس المحيط : ص٣٩٠ .
٧٨ – المعجم العربي الأساسي . مادة (ف ر د) .
٧٩ – فعلت وأفعلت : لأبي إسحاق الزجاج، ص١١٧، تحقيق ماجد حسن الذهبي، الطبعة الأولى – الشركة المتحدة للتوزيع بدمشق، سنة ١٤٠٤هـ . وانظر : "الاشتقاق عند الزجاج . . . مع عمل معجم اشتقاقي لغويّ من كتبه المتاحة" للدكتور محمد السيد علي بلاسي، ص٣٣٣، (رسالة دكتوراه مخطوطة محفوظة بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر) .
٨٠ – لسان العرب : مادة (فرد) .
٨١ – لسان العرب : مادة (قرط) .
٨٢ – لسان العرب : مادة (قلق) .
٨٣ – أنظر . ديوان علقمة الفحل، بشرح الأعلم الشنتمري : ص٨، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب. ط. حلب ١٩٦٩م .
٨٤ – القاموس المحيط : ص١١٨٩
٨٥ – تهذيب اللغة : مادة (قلق) .
٨٦ – المعجم العربي الأساسي : مادة (ل أ ل أ) .
٨٧ – مختار الصحاح : مادة (ل أ ل أ) .
٨٨ – القاموس المحيط : ص٦٥ .
٨٩ – لسان العرب : مادة (لألأ) .
٩٠ – مختصر كتاب العين : ١٠٩٠/٣ .
٩١ – القاموس المحيط : ص١٤٩٥ .
٩٢ – لسان العرب : مادة (لطم)
٩٣ – شرح أشعار الهذليين : للسكري، ١٣٤/١، بتحقيق عبد الستار فراج، ومراجعة الأستاذ محمود محمد شاكر، ط. دار العروبة بالقاهرة ١٩٦٥م .
٩٤ – راجع : الجماهر في معرفة الجواهر : لأبي الريحان البيروني ص١٠٧، ط. حيدر آباد، سنة ١٣٥٥هـ
٩٥ – مختار الصحاح : مادة (مرج) .
٩٦ – القاموس المحيط : ص٢٦٣ .
٩٧ – المعجم العربي الأساسي : مادة (م ر ج) .

٩٠ – سورة الرحمن : آية ٢٢ .

٩٠ – تفسير غريب القرآن : لابن قتيبة، ص٤٣٨، تحقيق السيد أحمد صقر، ط دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٣٩٨هـ .

١٠٠ – لسان العرب : مادة (مرج) .

١٠١ – المعرّب : للجواليقي، ص٣٧٧، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية – دار الكتب سنة ١٣٨٩هـ . وراجع : المهذب : للسيوطي، ص٨٦ .

١٠٢ – يراجع : "المعرب في القرآن الكريم . . دراسة تأصيلية دلالية" : ص٢٢٥ (رسالة ماجستير مخطوطة محفوظة بمكتبة كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر) .

١٠٣ – المعرّب والدخيل في اللغة العربية : د. عبد الرحيم عبد السبحان، ص٤٨٤ . وراجع : تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية : طوبيا العنيسي، ص٦٨، ط دار العرب للبستاني، سنة ١٩٦٤م . والألفاظ الفارسية المعربة : للسيد أدّي شير، ص١٤٤ . ط٢ – دار العرب للبستاني، سنة ١٩٨٧ . والمعرّب : للجواليقي، تحقيق الدكتور ف. عبد الرحيم، هامش ص٦٠٢، الطبعة الأولى – دار القلم بدمشق ١٤١٠هـ ؛ تجد مزيداً من التفصيل .

١٠٤ – أنظر : غرائب اللغة العربية : رفائيل نخلة اليسوعي، ص٢٦٩، ط٢ المطبعة الكاثوليكية . ببيروت، سنة ١٩٦٠م .

١٠٥ – مختار الصحاح : مادة (م هـ ا) .

١٠٦ – القاموس المحيط : ص١٧٢٢ .

١٠٧ – لسان العرب : مادة (مها) .

١٠٨ – مختصر كتاب العين : ١٠٩١/٣ .

١٠٩ – القاموس المحيط : ص١١٠٨ .

١١٠ – لسان العرب : مادة (نطف) .

١١١ – تهذيب اللغة : ٧٠/٦ .

١١٢ – القاموس المحيط : ص١٧٣٢ .

١١٣ – لسان العرب : مادة (وني) .

١١٤ – القاموس المحيط : ص١٧٣٣ .

١١٥ – لسان العرب : مادة (وهي) .

١١٦ – مختار الصحاح : مادة (ي ت م) .

١١٧ – لسان العرب : مادة (يتم) .

١١٨ – الجماهر في معرفة الجواهر : ص١٢٩ .

١١٩ – المعجم العربي الأساسي : مادة (ي ت م) .

# مضيق هرمز

ايران
بندر عباس
جزيرة هرمز
جزيرة لارك
مضيق هرمز
جزيرة غنم
جزيرة مسندم
عمان
الامارات العربية المتحدة
خليج عمان

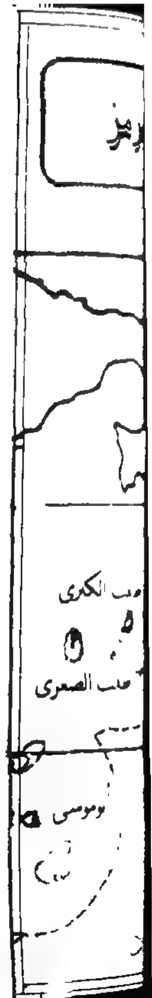
# وأمن الخليج العربي

بقلم : الدكتور عبد القادر حمود القحطاني

العلاقة بين خليج هرمز وامن الخليج العربي علاقة عضوية. فهو بمثابة الشريان التاجي لدول مجلس التعاون. وللعالم الغربي. ومن هذا المنطلق لا يمكن لاي باحث ان يتحدث عن اي منهما بمعزل عن الآخر . أي ان هذا الممر بعبارة اخرى يرتبط بدول الخليج سياسيا. واقتصاديا. وامنيا. ولذلك تسعى دول مجلس التعاون الخليجي الى المحافظة على سلامة وامن الملاحة عبر هذا المضيق ومياه الخليج. لما في ذلك من منفعة لدول المنطقة وللعالم اجمع .

وقد حاولت من خلال هذا البحث ان اتناول الموضوع من النواحي الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية. والدور الغربي في الموضوع. وذلك من خلال المحاور التالية :

أولا : اهمية موقع الخليج العربي .
ثانيا : أهمية مضيق هرمز للملاحة الدولية .
ثالثا : مضيق هرمز وقانون البحار
رابعا : امن الخليج العربي بعد ١٩٧١م .
خامسا . الحرب العراقية - الايرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨م) واثرها على امن مضيق هرمز والخليج العربي

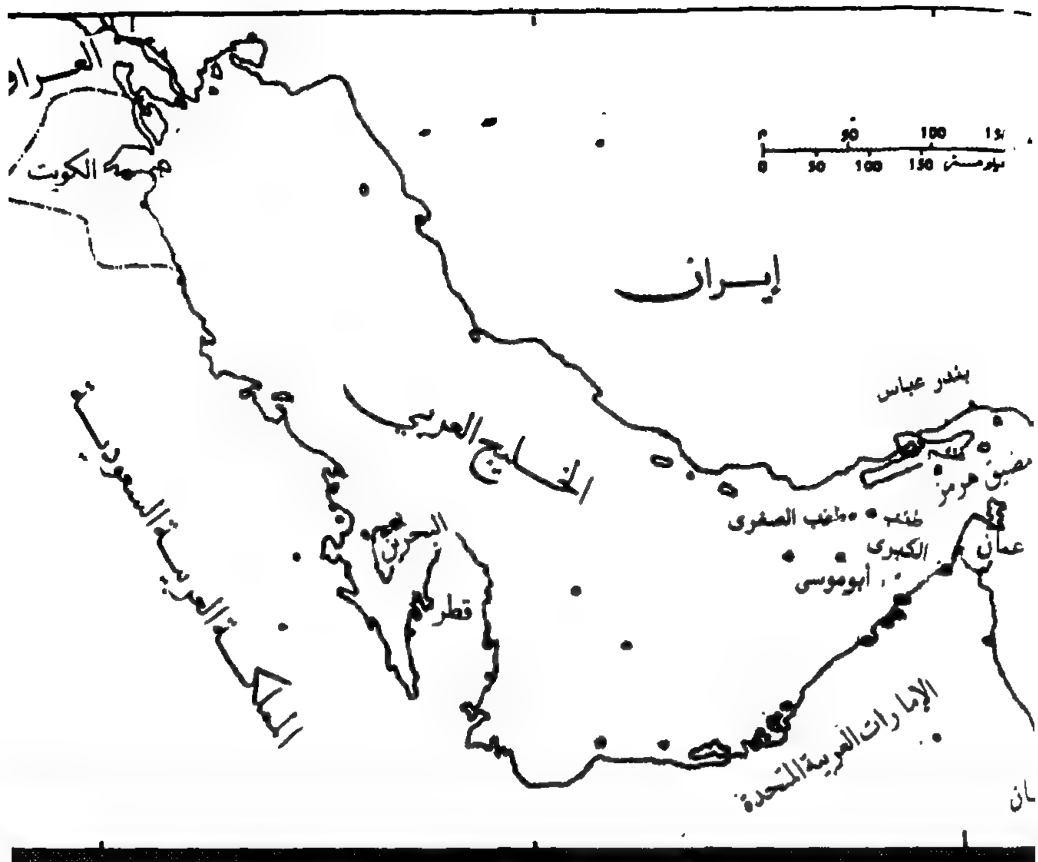


# أولاً: أهمية موقع الخليج العربي

الخليج العربي هو الحد الشرقي من الوطن العربي لا تفصله عنه أية حواجز طبيعية[١] وتعتبر خريطة شبه الجزيرة العربية التي شملت منطقة الخليج العربي، والتي نشرها جاستالدي البندقي في عام ١٥٧١م. أول خريطة للخليج العربي. غير أن الخريطة التي نشرت عن الخليج في لندن في سنة ١٧٥٣م، تعتبر أكثر تفصيلاً . وقد اعتمدت هذه الخريطة على مخطوطات شركة الهند الشرقية الإنجليزية التي تعود إلى القرن السابع عشر . ومع ذلك فإن الخريطة التي نشرت في عام ١٨٢٠م أيضاً في لندن عن الخليج العربي. تعد أكثر دقة ووضوحاً من غيرها من الخرائط، لأن رسمها تم بعد قيام الإنجليز بمسح الخليج مرتين خلال القرن التاسع عشر[٢] ويبلغ طول الخليج العربي بين مصب شط العرب وبين ساحل عمان نحو ٦١٥ ميلاً. وعرضه في أقصى اتساعه ٢١٠ أميال، وأضيق أجزائه عند مضيق هرمز ٢٥ ميلاً، وتبلغ مساحته ٩٧،٠٠٠ ميل مربع[٣] .

ونظراً لأهمية موقع الخليج العربي المتوسط بين العالم القديم والعالم الجديد، فقد كانت السفن العربية منذ القدم تسلك في إبحارها وهي تنقل البضائع والسلع المختلفة من الشرق الأقصى والهند، طريق بحر الصين في المحيط الهندي فالبحر العربي فالخليج العربي حتى رأسه الشمالي جنوب العراق، ومن هناك تنتقل تلك الحمولات براً عبر العراق إلى حلب ثم إلى موانئ البحر المتوسط ليتم نقلها إلى البندقية وإلى بقية أنحاء العالم[٤] .

وقد بدأت الملاحة في الخليج العربي مع بدء الحضارة الإنسانية فقد دلت الحفريات في بعض دول الخليج العربي على قيام حضارات قديمة في المنطقة يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة[٥] . والأطماع الغربية في السيطرة على المواقع الاستراتيجية والمضايق البحرية في العالم العربي قديمة تعود إلى عهد الإسكندر المقدوني، وكورش. ولكن هذه الأطماع برزت بعد هزيمة الصليبيين على يد العرب بعد الحرب التي شنوها على العالم العربي




خريطة للخليج العربي ومبين عليها مضيق هرمز عن ر. ك. رمضاني

والإسلامي. تلك الانتصارات التي أرجعها رجال الفكر والسياسة الأوروبيين إلى قوة العرب الاقتصادية القائمة على التجارة وتحكمهم في المضايق البحرية الهامة .

وعلى ضوء ذلك وضع الأوروبيون خططاً معينة للسيطرة على هذه المضايق مثل مضيق هرمز. وباب المندب. وذلك لحرمان العرب من موارد التجارة ومن هنا نستطيع القول إن السيطرة البرتغالية على مضيق هرمز. في العقد الأول من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن السابع عشر الميلادي. تندرج تحت هذا المخطط العدواني على الأمة العربية والإسلامية كما أن لفارس أو إيران. أطماعاً قديمة في الخليج العربي[6]. والسيطرة والتحكم في بوابة الخليج مضيق هرمز. ويتبين لنا ذلك من خلال المذكرة التي بعثها (حاجي ميرزا) رئيس فارس إلى الحكومة البريطانية والتي جاء فيها :

"إن الشعور السائد لدى الحكومات الفارسية المتعاقبة أن الخليج (الفارسي) من بداية شط العرب إلى مسقط بجميع جزره وموانيه بدون استثناء ينتمي إلى فارس" .

ولذلك رأينا إيران تحاول أكثر من مرة الاستيلاء على البحرين. وبعد أن فشلت لجأت إلى احتلال الجزر الإماراتية الثلاث الواقعة عند مدخل مضيق هرمز. عام ١٩٧١م[7] .

وقد ازدادت أهمية منطقة الخليج العربي عالمياً بعد اكتشاف النفط فيها بكميات هائلة في الثلاثينيات من القرن الحالي .

ولذلك نرى بعد أن كان الاهتمام العالمي بمنطقة الخليج يتركز بالدرجة الأولى على أهميتها الاستراتيجية والتجارية أصبح هذا العامل الجديد والهام في الاقتصاد هو العامل الأساسي في الاهتمام بالمحافظة على أمن المنطقة . ومما يعظم من أهمية المنطقة أن معظم إنتاجها من النفط يصدر إلى الخارج على شكل خامات وبأرخص الأثمان وفي خطاب لنائب ملك بريطانيا في الهند عام ١٩٢٨م جاء فيه : "إذا كان الخليج العربي قبل عام ١٩٠٤م بحيرة مغلقة لا تقود إلى مكان فإنه قد صار الآن قناة اتصال في المواصلات الإمبراطورية وأصبح له أهمية قصوى لخدمة الطريق الجوي وأعطى استثمار النفط له وزناً كبيراً. وعلى الحكومة البريطانية عده

لسماح لأي قوة أن تقيم قاعدة طيران في اي منطقة يصل مدى الطيران منها إلى لخليج العربي"[٨] .

نستطيع أن نقول، إن أهمية الخليج العربي في تاريخنا المعاصر. لا تأتي من كونه ذا موقع استراتيجي يرتبط بالمواصلات عبر البحر الأحمر والمتوسط فحسب بل تتعلق بدرجة عالية من الخطورة بمصير العالم الصناعي، خاصة بأوروبا واليابان، اللتين تعتمدان على نفط المنطقة، حيث إن أكثر من ٢٠ مليون برميل من النفط يمر يومياً عبر مضيق هرمز إلى الدول المستهلكة[٩] .

وتبعاً لهذه الأهمية فإنه إذا ما تم إغلاق مضيق هرمز، بسبب وجود وضع معادٍ على أحد جانبي الخليج أو بشقيه الشرقي والغربي. فإن ذلك يعني كارثة حقيقية للدول المستوردة وللدول الخليجية المصدرة للنفط[١٠] . ولذلك نرى الولايات المتحدة، تطوق المنطقة بقواعدها العسكرية وأساطيلها الحربية بدعوى تأمين مصالحها المتمثلة في استمرار تدفق النفط وتأمين العبور في مضيق هرمز[١١] . وتحرص أمريكا وحلفاؤها الغربيون على جعل هذه المنطقة سوقاً لشراء منتجاتها من الأسلحة والعتاد الحربي والسلع الأخرى .

وتؤكد المصادر أن ما تشهده منطقة الخليج العربي في هذه الأيام من حشد للقوة من قبل أمريكا وبريطانيا على وجه التحديد إنما يندرج تحت المخطط الرامي إلى الهيمنة على مقدرات هذه المنطقة الهامة من العالم[١٢] ويؤكد مايكل أرماكونت مساعد وزير الخارجية الأمريكي للشئون السياسية السابق، أن المصالح الأمريكية في الخليج تتلخص في ضمان استمرار تدفق البترول عبر مضيق هرمز، وحرية الملاحة الدولية في هذا المضيق، وتعزيز الثقة بالولايات المتحدة بين زعماء المنطقة كصديق يعتمد عليه . وبالفعل استطاعت أمريكا أن تحل محل بريطانيا لملء ما سمي بالفراغ الأمني عقب انسحاب بريطانيا من المنطقة في عام ١٩٧١م، وأن تحافظ على استمرار تدفق البترول وحرية الملاحة في مضيق هرمز[١٣] .

# ثانيا: أهمية مضيق هرمز للملاحة الدولية

تعود أهمية مضيق هرمز إلى كونه المنفذ البحري الوحيد لمعظم دول الخليج إلى العالم الخارجي. فعن طريقه تتم عمليات التصدير والاستيراد، وهو بذلك يماثل أهمية مضيق باب المندب البوابة الجنوبية للبحر الأحمر إلى العالم إن لم يزد عليها ونظراً لما يشكله هذا المضيق من أهمية استراتيجية وسياسية واقتصادية. فقد تطلعت الدول الأجنبية منذ عهد قديم للسيطرة عليه وفرض الهيمنة على المنطقة[١٤]. وقد سمي هذا المضيق بمضيق هرمز The strait of Hurmus نسبة إلى جزيرة هرمز الواقعة على ساحل مكران وعلى ضفاف نهر ميناب التابع لإيران حالياً، مما يعطي الإيرانيين أرضية استراتيجية هامة في الإشراف والتحكم في مضيق هرمز وذلك إلى جانب سلطنة عمان وجزيرة هرمز أو جرون هي جزيرة صغيرة تقع في مدخل الخليج ويبلغ طولها ٩ كيلومترات وعرضها ٥ ٨ كيلومتر. ويحدها من الجنوب الشرقي جمبرون Gumbrun أو بندر عباس. ومن الجزر التي تقع بالقرب من مضيق هرمز، جزيرة قشم أو ديراز وتبعد خمسة أميال عن هرمز. وهناك عدة جزر هامة مثل لارك Larak إلا أن أهمية هرمز تأتي في الأولوية من حيث الأهمية الاستراتيجية حيث توجد حولها تحصينات طبيعية أمّنت ملجأ للتجار أدى إلى شهرتها كمركز تجاري في الخليج[١٥].

وتعتبر محافظة مسندم العمانية من المناطق الهامة حيث تقع إلى الشمال الغربي من خليج عمان، عند المدخل الجنوبي لمضيق هرمز، ولذلك كان أول عمل قام به القائد البرتغالي البوكيرك هو احتلال هذه المحافظة وبعدها احتل هرمز وجزيرة قشم.

وطول مسندم ميلان وعرضها من ناحية الجنوب نصف ميل[١٦]. ومن الجزر العمانية الواقعة عند مدخل الخليج جزيرة الغنم. وقد حاول الشاه محمد رضا بهلوي، احتلالها للتحكم في المضيق، لكن أهل عمان تصدوا لقواته وحالوا دون تحقيق مأربه، وأصبحت

ليوم قاعدة بحرية عمانية تشرف على بوابة الخليج[١٧] .

وتعتبر جزيرة سلامة من الجزر العمانية الهامة أيضاً وتقع عند مضيق هرمز. ويوجد بها الفنار الذي يرشد حركة الملاحة في المضيق، وتشرف على الفنار شركة بريطانية هي ميناس Menas ومقرها البحرين . وقد استخدمت الجزر العمانية من قبل القوات البريطانية خلال الحربين العالميتين[١٨] . كما أن الجزر الإماراتية الثلاث التي احتلتها إيران عام ١٩٧١م، تقع عند مدخل مضيق هرمز[١٩] .

وقد اشتهر مضيق هرمز باسم باب الشرق السحري. وهو يعد واحداً من أهم أحد عشر مضيقاً من بين ١٢٠ مضيقاً في العالم[٢٠] . والمضايق الهامة هي : فلوريدا، ودوفر، وساجدات، وموزمبيق، وباب المندب، وجبل طارق، وملقة ولومبوك، ولوزون، والبوسفور، والدردنيل . ويبلغ طول مدخل الخليج ابتداءً من مسندم حتى جزيرة لارك ٣٢ ميلاً بحرياً[٢١] .

ويبلغ طول الخط من رأس (دبة) العمانية إلى (دماغة كوه) الإيرانية، حوالي ٥٢.٥ ميل بحري . وهذا يشكل الحدود الشمالية لخليج عمان أو المدخل الجنوبي لمضيق هرمز .

ويضيق المضيق إلى أن يصل ٢١ ميلاً بحرياً بين جزيرة لارك على الجانب الإيراني وقوين على الجانب العماني . ويبلغ طول المضيق بمحاذاة خط الوسط حوالي ١٠٤ أميال بحرية . ويبلغ عمقه الأدنى ٥٤ قدماً[٢٢] . ويبلغ عرض منطقة الفصل في مضيق هرمز ميلاً واحداً، ويمر فيها خطان ملاحيان أحدهما يتجه إلى الشرق والآخر يتجه إلى الغرب .

فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار ضيق منطقة الفصل وإحجام الناقلات الضخمة عن عبور هذه الخطوط تبين لنا بوضوح خطورة الملاحة في المضيق، وتتضاعف احتمالات الخطر بضعف الرؤية السائدة في أغلب الأحيان . ولكن رغم بعض الحوادث التي تتعرض لها السفن في مياه الخليج فإن التقارير تشير إلى أن الخليج يعتبر من أسلم البحار للملاحة، ويعود ذلك إلى عدة عوامل منها : مياهه الصافية، ورياحه الهادئة، ووجود بعض الإرشادات الملاحية مثل العوامات المضيئة، والمنارات على الشواطئ.

وأجهزة الرادار واللاسلكي وإن كانت هذه الإرشادات غير كافية[٢٣]

وبحكم ارتباط مضيق هرمز بالبحر الأحمر، نجد أن عرض الأول، أي مضيق هرمز أكثر اتساعاً من عرض مضيق باب المندب بوابة البحر الأحمر، فإذا كان الأول يتراوح اتساعه بين ٥٢ ميلاً و٢١ ميلاً بحرياً فإن باب المندب الذي ينقسم إلى ممرين يتراوح عرضهما بين ٢٥ ميلاً و١٢ ميلا بحرياً[٢٤].

ومع أهمية مضيق هرمز - بوابة الخليج إلى العالم، لجميع الدول الخليجية إلا أن درجة أهميته تتفاوت من دولة إلى أخرى فهو يشكل أهمية أكبر لقطر والبحرين والكويت والعراق، في حين أن بقية الدول لها منافذ أخرى فالسعودية لها منفذ على البحر الأحمر، وسلطنة عمان لها منفذ على بحر العرب، والإمارات العربية المتحدة لها منفذ على خليج عمان في إمارة الفجيرة، حيث أقيم فيها ميناء خور فكان، ليكون بديلاً للإمارات لتصدير نفطها في حالة إعاقة الملاحة في مضيق هرمز. كما أن لإيران أجزاء تمتد إلى خليج عمان على بحر العرب[٢٥]. ونظراً لأهمية مضيق هرمز لدول العالم ولو بصورة متفاوتة حسب تأثيره على مصالحها الاقتصادية والسياسية فقد أصبحت مسألة المحافظة على أمر الملاحة فيه مسألة ضرورية تهم الجميع[٢٦].

وقد قامت بريطانيا التي سيطرت على الخليج العربي منذ منتصف القرن السابع عشر، وبالذات في عام ١٨١٩. بوضع مبادئ خاصة بالخليج منها

١ - احترام الأوضاع الداخلية لإمارات الخليج العربي.

٢ - أن تقوم السلطة البريطانية، بتفتيش جميع السفن الداخلة والخارجة عبر مضيق هرمز مهما كانت جنسيتها وصرح وزير خارجيتها بالمرستون، في مستهل عام ١٨٣٨م قائلاً : "إن مهمتنا في الخليج هي وضعه تحت سيطرتنا البحرية بعيداً عن نفوذ أية دولة أخرى تستطيع منازعتنا هذه السيطرة"[٢٧].

ويمكن القول أن أهمية مضيق هرمز في وقتنا الحاضر ترجع إلى أن معظم اقتصاد العالم يعتمد على نفط الخليج العربي، حيث تمر عبره ناقلات نفط المنطقة إلى الدول المستهلكة . وتشير بعض التقارير أن عدد السفن التي عبرت مضيق هرمز ٤٠٠ سفينة في اليوم

واحد، خلال عام ١٩٨٧م . وهذا الرقم يعني عبور سفينة واحدة كل ٣,٨ دقائق[٢٨] . كما أنه يدل على أن معظم نفط الخليج العربي ينقل بوساطة ناقلات النفط عبر هذا المضيق[٢٩] . وتعود زيادة عدد السفن العابرة للمضيق إلى احتياجات الدول الصناعية والنامية لنفط المنطقة . وتعد اليابان في مقدمة الدول المستوردة حيث تستورد ٩٠٪ من احتياجاتها النفطية من منطقة الخليج، وتليها أوروبا ٧٠٪ من احتياجاتها، ثم الولايات المتحدة، والصين، والهند وبقية الدول النامية .

والجدير بالذكر أن احتياطي النفط في دول الخليج وصل في عام ١٩٩٣م إلى أكثر من ٧٠٪ من الاحتياطي العالمي[٣٠] . وفي ضوء العلاقة المتبادلة بين مكانة الثروة ومكانة مضيق هرمز يمكن ملاحظة أن ثلثي إمدادات العالم من النفط مرت عبر هذا المضيق عام ١٩٧٨م .

وهو ما أدى بالتالي إلى زيادة النمو والتطور في دول المنطقة وزيادة التبادل التجاري[٣١] . ومن المعلوم أن العوائد النفطية تشكل العمود الفقري لمشاريع وأنشطة التنمية الاقتصادية لدول الخليج العربي . ومن هنا تبين لنا أن أمن الملاحة في مضيق هرمز، بقدر ما يهم دول الخليج يهم بقية دول العالم، للأسباب الاقتصادية والتجارية والعسكرية . ومن هذا المنطلق لا يمكن للأسرة الدولية أن تسمح لأي جهة ما أن تهدد مصالحها في الخليج العربي[٣٢] .

## ثالثاً: مضيق هرمز وقانون البحار

من دراسة الوضع الجغرافي لمضيق هرمز تبين لنا أنه ممر مائي طبيعي ضيق يقع بين إقليم دولتين هما : سلطنة عمان، وإيران، وأنه يصل بين جزئين من البحار العالية وهما مياه الخليج العربي ومياه خليج عمان أو بحر العرب . وقد ذهبت محكمة العدل الدولية إلى اعتبار مضيق هرمز ممراً دولياً إذ أنه موصل لجزئين من البحار العالية . والمضيق الذي يهتم به القانون الدولي يجب أن تتوافر فيه ثلاثة شروط وهي :

١ - أن يكون ممرا طبيعياً ضيقاً .

٢ - أن يصل بين بحرين .

٣ - أن يكون مستخدماً للملاحة الدولية عادةً .

وهذه الشروط كما يتضح لنا تنطبق على مضيق هرمز. بحيث تعطيه الصفة الدولية. وأن يخضع لقواعد القانون الدولي

والممرات المائية إما أن تكون طبيعية مضايق Straits، وإما قنوات صناعية Channels، ومضيق هرمز يتصل بالخليج والمحيط الهندي، ولذا فهو مضيق طبيعي، ينطبق عليه القانون الدولي في حرية الملاحة لجميع السفن وذلك بعكس قناة السويس مثلاً التي تم حفرها[٣٣] ومضيق هرمز يربط بين الخليج العربي وهو بحر شبه مغلق وبين خليج عمان وهو بحر مفتوح . ويعني مصطلح البحر المغلق أو شبه المغلق، خليجاً أو حوضاً أو بحراً تحيط به دولتان أو أكثر ويتصل بالبحار المفتوحة وعليه فإن الخليج العربي يعتبر بحراً شبه مغلق منفذه الوحيد إلى العالم طريق مضيق هرمز. وهذا الوضع يعطيه كما أسلفت الصفة الدولية[٣٤] .

وقد قامت المنظمة البحرية الاستشارية بين الحكومات (الامكو) بتحديد الممرات الملاحية في الخليج في ثلاث مناطق رئيسية وهي : منطقة مضيق هرمز، ومنطقة جزر الطنب ومنطقة رأس تنورة . وعلى هذا الأساس لابد أن تخضع الملاحة في مضيق هرمز لقاعدة حق المرور الحر[٣٥] . وفي عام ١٩٥٨، عقد المؤتمر الأول لقانون البحار، في مدينة جنيف عاصمة سويسرا . أما المؤتمر الثاني لقانون البحار التابع للأمم المتحدة، فقد عقد في ١٩٦٠م، وكانت إيران وسلطنة عمان من بين الدول التي شاركت في هذين المؤتمرين . وقد رفضت إيران الموافقة على الفقرة ٤ من المادة ١٦ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥٨م. التي تقضي بوجوب عدم وقف المرور البري للسفن الأجنبية في المضايق الدولية بين جزء من البحر العالي وجزء آخر من البحر الإقليمي لدول أجنبية . فمن وجهة النظر الإيرانية يجب أن يكون الجزء الضيق من مضيق هرمز، ضمن المياه الإقليمية المتداخلة للدول المطلة عليه[٣٦] وخلال مناقشات المؤتمر الثالث لقانون البحار المنعقد في كراكاس عاصمة فنزويلا في يوليو ١٩٧٤م ركز المندوب الإيراني في مشاركته على محورين أساسيين هما :

١ - إقرار نظام المرور البري للملاحة في المضايق الدولية .

٢ - عقد اتفاقية إقليمية تضع نظاماً للملاحة في مضيق هرمز بصفة خاصة والخليج بصفة عامة .

وطالب المندوب الإيراني بأن تكون لبلاده مكانة خاصة في مضيق هرمز . ومن جهة أخرى طالب مندوب سلطنة عمان في المؤتمر نفسه، بإفراد المضايق الدولية بنظام خاص بها لأنها على حد قوله تعد جزءاً من المياه الإقليمية وما يطبق على المياه الإقليمية يطبق عليها[٣٧] .

وقد رفضت دولة الإمارات العربية المتحدة، والعراق، إعطاء إيران ميزة خاصة في مضيق هرمز . وقال مندوب الإمارات في مؤتمر كراكاس : "ينبغي أن تتسم الملاحة عبر المضايق الدولية بما فيها مضيق هرمز، بالحرية التامة ودون تمييز بين السفن التجارية أو الحربية" . أما مندوب الكويت فقد قال : "إن حرية مرور السفن التجارية وناقلات النفط عبر المضايق المستخدمة للملاحة الدولية يجب أن تؤمّن في كافة الأوقات، ولكن يجب أن تستخدم معايير مختلفة بالنسبة للسفن الحربية . وهذا الموقف الكويتي يتفق مع الموقف الإيراني الذي يطالب بالتمييز بين السفن التجارية وبين السفن الحربية التي تعبر المضيق[٣٨] . ووفقاً للمادة ٣٨ من الاتفاقية الدولية لقانون البحار التي تم اعتمادها من الدول المطلة على البحار والمضايق في ٣٠ أبريل ١٩٨٢م، فإن جميع السفن العابرة للمضايق الدولية بما فيها بالطبع مضيق هرمز، سواء أكانت هذه السفن تجارية أو حربية تتمتع بحق المرور العابر دون تمييز . كما يحق كذلك للطائرات العبور فوق هذه المضايق . وتفسير المرور العابر هو أن تمارس السفن حرية الملاحة عبر المضايق البحرية ولا تمنع من دخول الموانئ للدول الساحلية بشرط مراعاة الدخول إلى تلك الدول، والامتناع عن أي تهديد بالقوة أو استعمالها ضد سيادة الدولة أو الدول الساحلية المطلة على المضيق أو تهديد سلامتها الإقليمية، وأي مخالفة في هذا الشأن تعد انتهاكاً لمبادئ القانون الدولي وتعاقب عليه . أي أنه يجب على السفن المارة وكذلك الطائرات العابرة في الجو أن تمتثل للأنظمة والإجراءات المعمول بها للسلامة في البحر والجو . وبالمقابل تتعرض الدولة أو الدول المطلة على المضيق أو الساحل للمسئولية الدولية في حالة

إعاقتها للملاحة في هذه الممرات المائية الدولية[39] .

وتتلخص مخاطر الملاحة في خليج هرمز في الآتي

١ - نشوب حرب إقليمية أو بين دول المنطقة ودول أجنبية

٢ - إمكان تعرض ناقلات النفط لعمليات مسلحة سواء من البر أو البحر

٣ - خطر الغواصات التي في وسعها التحرك في مياه الخليج في سرية تامة، وهو ما يشكل تهديداً للملاحة الدولية .

وبما أن مضيق هرمز، يشكل الممر الرئيسي لناقلات النفط والغاز، وللسفن التجارية، فإن إغلاقه سيلحق ضرراً جسيماً بالاقتصاد العالمي . ونظراً لهذه الأهمية التي يتمتع بها هذا المنفذ البحري، تحرص الأمم المتحدة والدول الكبرى على ضمان سلامة الملاحة فيه وعدم تعرضه لأية مخاطر[40] .

# رابعًا: أمن الخليج العربي بعد ١٩٧١م

يقصد بكلمة الأمن الطمأنينة وأمن المواطن على نفسه وماله، والأمن الداخلي للدول ومنذ أن أعلنت بريطانيا عن نيتها الانسحاب من الخليج العربي مع نهاية عام ١٩٧١م، بدأ الحديث عن الأمن الإقليمي لدول المنطقة، وضرورة توفير الحماية العسكرية لسلامة مرور السفن عبر مضيق هرمز

والأمن الإقليمي اصطلاح حديث برز ما بين الحربين العالميتين، ليعبر عن سياسة مجموعة من الدول تنتمي إلى إقليم واحد تسعى من خلال التعاون العسكري فيما بينها إلى منع أية قوة خارجية من التدخل في ذلك الإقليم ومن هذا المنظور يمكن أن ننظر إلى أمن الخليج العربي باعتباره أمناً إقليمياً بمعنى أنه يخص مجموعة من الدول المتجاورة ضمن إقليم واحد[41] . وكانت بريطانيا هي أول من ابتدع اصطلاح أو مفهوم أمن الخليج في عام ١٩٤٧م، وكان المقصود به أمن الوجود البريطاني والمصالح البريطانية في الخليج العربي، عقب خروجها من الهند[42] .

ويصف (فيرجريف) منطقة الخليج العربي بقوله : "إنها منطقة انتقال تجمع بين الصفة البحرية والبرية بدرجات متفاوتة، وهي استراتيجياً جبهة تصادم فيما إذا حدثت بين القوى"[٤٣].

وفي ١٦ يناير ١٩٦٨م، أعلن رئيس وزراء بريطانيا هارولد ويلسون، أمام مجلس العموم البريطاني، عزم حكومته سحب قواتها العسكرية من منطقة الخليج العربي، وأن الوجود العسكري البريطاني سينتهي مع حلول عام ١٩٧١م .

ومن منطلق أهمية أمن المنطقة من وجهة نظر زعماء الخليج العربي، ولضمان سلامة أراضيها ووحدة كياناتها الإقليمية والحفاظ على ثرواتها الوطنية والاستقلال السياسي، بادر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم إمارة أبوظبي حينذاك إلى الاجتماع بحاكم إمارة دبي الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم يوم ١٨ فبراير ١٩٦٨م، في مدينة دبي، ووقع الطرفان اتفاقية اتحادية مهدت إلى اجتماع موسع ضم إلى جانب حكام إمارات الساحل الست، قطر والبحرين، وذلك يوم ٢٧ فبراير ١٩٦٨م، وفي ختام اجتماعاتهم تم التوقيع على اتفاقية تقضي بتوحيد الإمارات الثماني، ويسمى اتحاد الإمارات العربية . وأشار البيان المشترك إلى أن من أهداف هذا الاتحاد تدعيم الدفاع الجماعي عن بلدانه صيانة لأمنها واستقرارها[٤٤] . ومن جانب آخر، بدأت الحكومة الإيرانية عقب إعلان بريطانيا الانسحاب من منطقة الخليج العربي، تكثيف تصريحاتها ومزاعمها أن لها حقوقاً إقليمية في المنطقة . وأخذت الصحف الإيرانية تشن حملة مكثفة على عروبة الخليج وعلى المساعي التي تبذلها دول المنطقة لإنشاء اتحاد فيما بينها . ورداً على الادعاء الإيراني، أدلى الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله بحديث لصحيفة النهار في مايو ١٩٦٨، أكد فيه على عروبة الخليج ومسئولية الدول العربية في حفظ الأمن والاستقرار في المنطقة وتأمين سلامة الملاحة في مضيق هرمز . وقال : "إننا لا ننكر أن لإيران مصالح في الخليج ولكن يجب ألا تكون على حساب مصالح دول الخليج العربية والأمة العربية بصفة عامة"[٤٥] .

وكان الشاه يرى أن إيران الدولة الوحيدة في المنطقة التي تملك من

الطاقة البشرية والاقتصادية ما يؤهلها للحفاظ على أمن الخليج، وصرح بهذا الخصوص لجريدة التايمز اللندنية في عددها الصادر في ١٤ أبريل ١٩٧٠م قائلاً . "إنه قد بدأ عصر جديد للخليج وإن إيران ترى أن مصالحها الحيوية تحتم عليها حفظ الأمن والاستقرار به، وإن بعض الجزر المملوكة حالياً لبعض المشيخات تهم إيران من الناحية الاستراتيجية، وإنها تابعة لإيران أصلاً وهي جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبوموسى، وأن إيران غير مستعدة إطلاقاً أن ترى سقوط هذه الجزر في يد أعدائها"[٤٦] . وقد قامت إيران، عشية انسحاب القوات البريطانية من الخليج سنة ١٩٧١م، باحتلال الجزر الإماراتية الثلاث الآنفة الذكر، وذلك في محاولة منها للسيطرة على مضيق هرمز، متجاهلة في ذلك حقوق بقية دول المنطقة ولم تبد بريطانيا والولايات المتحدة أية معارضة على ما أقدم عليه الشاه، بل أعلنت أمريكا عن تأييدها لسياسة إيران في الخليج العربي . وهذا الموقف الأمريكي المتحيز إلى جانب الشاه، لا غرابة فيه إذا علمنا أن الإدارة الأمريكية كانت تعتبر شاه إيران، شرطي الحراسة للمصالح الغربية في المنطقة ضد الأطماع الروسية . وشجع هذا الموقف الأمريكي البريطاني، الشاه، على نقل قواته البحرية من عبادان إلى بندر عباس القريبة من مضيق هرمز، كما قام الشاه، بإنشاء القاعدة البحرية في (بهار) على ساحل البحر العربي حتى يمكن تطويق المنطقة[٤٧] . ولقد صرح الشاه والمسئولون الإيرانيون في أكثر من مناسبة أن هدف إيران هو التحكم في مضيق هرمز . فهذا الشاه محمد رضا بهلوي، يقول، إن تدخل قواته إلى جانب السلطان قابوس، للقضاء على ثورة ظفار، المدعومة من الشيوعية، لم يكن لأسباب عقائدية ولكن كما قال لأسباب أمنية، موضحاً تلك السياسة بقوله : "لنضع الخريطة أمامنا ونتكلم - هذا هو خليج هرمز مخرجي إلى المحيط . . إلى العالم . . هو معبر البترول الإيراني كله . فهل تظن أنني أسمح لنظام معادٍ لي أن يقوم على الشاطئ الغربي للخليج، أنا أقولها بوضوح لا أقبل بل لا أحتمل . المضيق شريان الحياة لبترول إيران، وبترول إيران حياة لنا"[٤٨] وفعلاً سعت إيران جاهدة للسيطرة على هذا الممر المائي الهام، غير أنه من الملاحظ أن ارتباط الشاه الراحل، مع الإدارة الأمريكية جعل

إيران تساير السياسة الأمريكية التي تطالب بحرية الملاحة في جميع المضايق الدولية والانصياع لهذه المطالب[٤٩] .

ويذكر رمضاني، أن إيران سعت إلى قيام دفاع مشترك مع دول الخليج العربي ولكن بعد أن فشلت إيران في ذلك لجأت إلى احتلال الجزر الثلاث بقصد الإشراف على المضيق ومنع أية قوة أجنبية من السيطرة عليه . ويزعم رمضاني. أنه كانت هناك محاولة لتشكيل حلف عربي ضد إيران، يهدف إلى إيجاد طريقة لضمان المرور عبر مضيق هرمز دون أن يكون لإيران اليد فيها . وأن هذه الفكرة جاءت بعد اتفاقية الحدود البحرية بين إيران وسلطنة عمان. عام ١٩٧٤م، إلا أن تلك المحاولة لم يكتب لها النجاح بسبب اختلاف وجهات النظر مع بقية زعماء الخليج العربي من إيران . وكانت سلطنة عمان قد وقعت مع إيران في السابع من مارس ١٩٧٤م، اتفاقية للتعاون بين البلدين في المجالات المختلفة وبخاصة في الحفاظ على أمن واستقرار وسلامة الملاحة في مضيق هرمز[٥٠] .

وكان لقاء الدمام في ديسمبر ١٩٧٤ من أوائل المؤتمرات الخليجية . وقد وجهت الدعوة لحضور هذا المؤتمر إلى زعماء دول المنطقة بما فيهم اليمن (الشمالي) . وقد اعتذرت عن عدم حضور هذا المؤتمر كل من اليمن والكويت وسلطنة عمان . ولكن على الرغم من ذلك، فقد توالت الاجتماعات بين زعماء الخليج العربي إلى أن كللت جهودهم بتأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية الست في مدينة أبوظبي في ٢٥ مايو ١٩٨١م . ودون شك فإن الدافع الأمني كان وراء فكرة إنشاء المجلس. إلا أنه يمكن القول بصراحة إن هذه لم تتوصل على الصعيد العملي إلى بلورة صياغة استراتيجية موحدة لأمن المنطقة وذلك بسبب اختلاف وجهات النظر حول هذه القضية الحيوية[٥١] .

ولكن المحاولات للتوصل إلى صيغة موحدة لمسألة أمن المنطقة ما تزال تشغل قادة دول الخليج العربية . وقد طرحت السعودية، على هامش مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في جدة في سنة ١٩٧٥م، مشروعاً لأمن الخليج العربي، ينص على ضرورة المحافظة

على أمن المنطقة وعلى الأنظمة القائمة وعدم التدخل في شئون الغير . وقد رفضته إيران التي اعتبرت المشروع تهديداً موجهاً لها . وفي عام ١٩٨٠م، تقدمت السعودية بمشروع آخر لأمن الخليج مكون من خمس نقاط، نصت النقطة الخامسة منه على رفض إقامة أية تحالفات عسكرية في المنطقة[٥٢] .

وقال السلطان قابوس، إن دول الخليج بدأت تتفهم بصورة أفضل وأعمق حقيقة الأخطار التي تهدد أمن المنطقة وسلامة الملاحة في مضيق هرمز وأضاف قائلاً "إذا لم تكن عند المستوى المطلوب منا للحفاظ على هذا الممر الحيوي الذي يهم معظم دول العالم، فإن ذلك سيكون مبرراً لتدخل الدول الكبرى وفرض هيمنتها على دول المنطقة، بدعوى الحفاظ على مصالحها، وتأمين استمرار الملاحة في المضيق" وأكد أن عمان تقدمت بمشروع لدول الخليج العربي يقضي برصد ميزانية خاصة لحماية الملاحة في مضيق هرمز، حتى لا يكون مبرراً للتدخل الأجنبي في المنطقة، ولكن الاقتراح لم يلق استجابة حتى الآن[٥٣] كما تقدمت سلطنة عمان بمشروع آخر إلى مؤتمر مسقط في ٢٥ نوفمبر ١٩٧٦ الذي عقد تحت شعار حماية ممرات الخليج . وكان المشروع المقترح يدعو إلى تحالف إقليمي دفاعي يضم الدول المطلة على الخليج بما فيها العراق وإيران . كما يضم في عضويته الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا وألمانيا، واليابان . ولكن هذا المشروع رفض من قبل معظم دول المنطقة، على اعتبار أن ذلك سيؤدي إلى دخول المنطقة في حلف استعماري جديد وهو مخل بالسيادة الوطنية لدول الخليج العربية، ويعرض أمنها واستقرارها لمخاطر جسيمة وذلك لعدم تكافؤ القوى[٥٤] . وكان مفهوم دولة الإمارات العربية المتحدة لأمن الخليج العربي ينطلق من تأكيدها على ضرورة السعي لضمان حرية الملاحة في مضيق هرمز، ورفضها للأحلاف العسكرية، وترى أن المنطقة يجب أن تكون منطقة سلام بعيدة عن الصراع الدولي .

أما الكويت وقطر والبحرين، فقد كانت ولا تزال تسعى إلى توحيد الآراء حول مفهوم أمن الخليج الذي يجنب المنطقة وشعوبها المخاطر والنزاعات[٥٥]

وفي مطلع عام ١٩٧٩، تقدمت سلطنة عمان، بمشروع جديد لأمن

الخليج لا يختلف عن المشروع الأول الذي تقدمت به عام ١٩٧٦، حيث يدعو هذا المشروع الجديد إلى مشاركة الدول المطلة على الخليج بالإضافة إلى مشاركة الولايات المتحدة وبقية الدول الغربية واليابان، للحفاظ على أمن الملاحة في مضيق هرمز، وأمن المنطقة، على اعتبار أن الخطر الذي يتهدد الخليج يأتي من الاتحاد السوفييتي . وقد تحفظت بقية دول الخليج العربية على المشروع، بينما رفضه العراق صراحة، بحجة أن مشاركة الدول الغربية يهدد أمن وسلامة واستقلال دول الخليج بصورة عامة[٥٦]

وفي الواقع فإن دول الخليج العربي تفضل الاعتماد على إمكانياتها العسكرية في الدفاع عن كياناتها وفي تأمين حرية المرور في مضيق هرمز إلا أن هناك إدراكاً عاماً لدى قادة الخليج العربي، بأنه من المتعذر في الوقت الحاضر قيام قواتها المسلحة بهذه المهمة[٥٧] . ومما هو معلوم عند الجميع أن إنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية كان في مقدمة أهدافه التعاون الأمني بين دوله . وقد جرت أول مناورة عسكرية مشتركة لدول المجلس في ١٥ أكتوبر ١٩٨٣، في دولة الإمارات العربية المتحدة، وأطلق عليها (درع الجزيرة) . وقد توالت المناورات والتمارين العسكرية بين دول المجلس . وفي كل قمة من قمم دول المجلس، يؤكد الأعضاء على أن أمن الدول الأعضاء كل لا يتجزأ . ويعني ذلك التضامن فيما بينهم عند تعرض أي منهم لأي اعتداء يهدد سلامتها وسيادتها[٥٨] .

وهناك احتمال وقوع نزاع بين دول الخليج العربي وبين إيران، بسبب احتلال الأخيرة لجزر الإمارات، والوجود العسكري الإيراني في مضيق هرمز، والاختلافات السياسية تجاه إسرائيل وأسعار النفط . وفي كافة الاحتمالات فإن هذه النزاعات الإقليمية ستؤدي إلى تهديد سلامة الملاحة في مضيق هرمز، وستكون هذه النزاعات مبرراً كافياً لتدخل الولايات المتحدة والدول الغربية والدول ذات المصالح في المنطقة .

ويرى رمضاني، أن أمريكا ستحرص على المصلحة القومية الأمريكية في الخليج العربي على المدى البعيد، وبالتالي ستعمل على إقامة نظام إقليمي يضم الخليج العربي وبعض الدول العربية وإسرائيل، وإحلال السلام بين

العرب والدولة العبرية. لمنع حدوث أي حرب تؤثر على استمرار تدفق النفط من الخليج إلى العالم، أو تعرض مضيق هرمز للإغلاق. حيث لن يكون بمقدور أمريكا أو أية دولة أخرى تلبية الحاجة العالمية من النفط إذا ما تم إغلاق صمام أمان العالم في مضيق هرمز، ومنع تدفق نفط الخليج[٥٩] وعلى ضوء هذه الأهمية لمنطقة الخليج العربي فإن زعماء الخليج ودول العالم ستعمل على الدوام على تأمين المنطقة وسلامة الملاحة في مياه الخليج العربي، وبوابته مضيق هرمز.

## خامسًا: الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) وأثرها على أمن الملاحة في مضيق هرمز والخليج العربي

انفجرت الحرب بين العراق وإيران في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠، وقد كان لهذه الحرب انعكاساتها على أمن الملاحة ومنطقة الخليج العربي عموماً، الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن متغيرات دولية وإقليمية وأخرى داخلية عملت على تفجيرها، وعمدت إلى استمرارها، وفجأة وجدت دول الخليج العربية نفسها في قلب الصراع الدولي[٦٠]. ووجهت إيران في بداية الحرب تحذيراً من أن أي دولة خليجية تسمح باستخدام مطاراتها أو موانئها لشن هجمات ضد الأراضي الإيرانية ستكون عرضة لهجوم إيراني مضاد كما هددت إيران بتدمير آبار نفط الدول الخليجية التي تقدم للعراق مساعدات مالية. وهددت كذلك بإغلاق مضيق هرمز أمام الملاحة الدولية. وبالفعل لجأت إيران إلى فرض الحصار البحري على جميع السفن المتوجهة إلى العراق عبر مضيق هرمز[٦١]. وقد استبعد السلطان قابوس، إقدام إيران على إغلاق المضيق، قائلاً "لا أعتقد أن الإيرانيين سوف يتخذون قرارات عشوائية، وأن كلاً من العراق وإيران يهدد الآخر، العراق يهدد بتدمير منشآت النفط الإيرانية، وإيران تهدد بإغلاق مضيق هرمز وعن التدخل الأمريكي إذا ما أغلق المضيق. قال "التدخل الأمريكي وارد. وقد قلنا نحن في عمان إن مسئولية حماية المضيق هي

مسئولية خليجية جماعية، وإن هذه البقعة من الأرض أي مضيق هرمز، هي أكثر أهمية لبقية دول الخليج مما هي لنا. ولكنها جزء من بلادنا"[٦٢]. ومن ناحية أخرى. أعلن وزير خارجية السعودية. سعود الفيصل تأييد بلاده للعراق في حربه مع إيران وقال : "العراق عضو في الجامعة العربية ونحن كذلك ، ومن الطبيعي أن تؤيد دولة عربية دولة عربية أخرى"[٦٣].

وتتفق المصادر الخاصة بتاريخ الخليج العربي المعاصر، أن الحرب العراقية – الإيرانية، كانت أحد العوامل الأساسية في قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية في ٢٥ مايو ١٩٨١م . وكان في مقدمة أهداف المجلس، التعاون الأمني بين دوله، وذلك على اعتبار أن أمن المنطقة من مسئولية دولها[٦٤] . وإزاء التهديد الإيراني لدول مجلس التعاون بإغلاق مضيق هرمز، حذر وزير الدولة العماني للشئون الخارجية يوسف بن علوي، من أن بلاده تنظر في المشاركة في عمل عسكري مع دول أخرى إذا ما أقدمت إيران على إغلاق المضيق[٦٥] .

ونظراً لأهمية مضيق هرمز وأمن المنطقة للاقتصاد العالمي نلاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية، كانت في مقدمة الدول التي أعلنت استعدادها للتدخل العسكري للحفاظ على سلامة الملاحة عبر مضيق هرمز، وأمن المنطقة ضد أي تهديد، وجاء ذلك الإعلان فور قيام الحرب العراقية الإيرانية، ففي ٢٥ سبتمبر ١٩٨٠، اجتمع الرئيس الأمريكي كارتر، مع أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي، وبحث معهم الخطة العسكرية التي يجب اتخاذها لحماية المصالح الأمريكية وحلفائها الغربيين في الخليج . وبعد إقرار الخطة من قبل مجلس الشيوخ، وصلت بوادر تلك القوة التي كانت مرابطة في بحر العرب والمحيط الهندي إلى الخليج في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٠ أي بعد أسبوع واحد من الحرب[٦٦] وأعلن وزير الدفاع الأمريكي هارولد براون قوله : "إذا انحصرت الحرب الدائرة بين العراق وإيران في الطرف الشمالي للخليج فإن ذلك لن يشكل خطورة على الملاحة في مضيق هرمز، أما إذا امتدت الحرب جنوباً فإنه من المتوقع أن تمارس القوة الأمريكية المرابطة في الخليج بعض الفعاليات

الحربية لضمان سلامة تدفق النفط إلى الغرب"[٦٧].

وفي سنة ١٩٨٢، أنشأت الولايات المتحدة، قوات التدخل السريع لتدعيم الوجود الأمريكي في الخليج العربي ووصل عدد أفراد هذه القوات إلى ٢٠٠ ألف رجل، مزودين بأحدث المعدات ووسائل الحرب العصرية، ترافقهم حاملات الطائرات، والغواصات المزودة بالصواريخ ورابطت هذه القوات في الخليج وبحر العرب، بالقرب من مضيق هرمز[٦٨] وأعدت أمريكا وبريطانيا وفرنسا خطة تتضمن الرد على أية محاولة من جانب إيران لإغلاق المضيق، والتعاون فيما بينهم لتطهير مياه الخليج من الألغام البحرية، وإعداد طرادات حربية مسلحة لمصاحبة ناقلات النفط في دخولها وخروجها من الخليج وأعلن الرئيس الأمريكي ريجان، في مؤتمر صحفي في فبراير ١٩٨٤، أنه لا مناص للولايات المتحدة، من منع إيران من تنفيذ التهديد بإغلاق مضيق هرمز، باللجوء إلى الحل العسكري لملء الاستراتيجية الغائبة على حد تعبيره[٦٩]. ومن ناحية أخرى، وعقب تصاعد حدة التوتر في المنطقة وتكرار التهديدات الإيرانية بإغلاق مضيق هرمز أمام الملاحة الدولية، اجتمع مجلس الأمن الدولي مساء يوم ٣١ أكتوبر ١٩٨٣م، وأصدر بيانه رقم ٥٤٠ دعا فيه إيران والعراق إلى وقف إطلاق النار واحترام حرية الملاحة في المياه الدولية . وفي يناير ١٩٨٤، أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٥٥٢، دعا فيه مجدداً إيران والعراق إلى ضرورة احترام حرية الملاحة في مضيق هرمز وعدم القيام بأي عمل من شأنه أن يؤدي إلى عرقلة الملاحة في المضيق[٧٠].

وقد بدأت حرب الناقلات في مياه الخليج في شهر مايو ١٩٨٤، حينما قامت الزوارق الحربية الإيرانية، بقصف ناقلات النفط الكويتية والسعودية، رداً كما زعمت إيران، على قصف العراق لناقلات النفط في مرفأ جزيرة خرج الإيرانية في فبراير ١٩٨٤، وفرض الحصار على هذه الجزيرة التي يتم عن طريقها تصدير حوالي ٩٠٪ من النفط الإيراني[٧١].

واتهم الرئيس الإيراني هاشمي رافسنجاني، دول الخليج العربية بالوقوف إلى جانب العراق في الحرب، قائلاً : "إن دول الخليج متواطئة مع

العراق في حربه مع إيران، وإزاء ذلك فإن إيران ستلجأ إلى التصرف بحزم ضد هذه الدول ومنها، إغلاق مضيق هرمز، لتمنع دخول سفنها منطقة الخليج". وأعلن الرئيس رافسنجاني أكثر من مرة ان بلاده ستلجأ إلى حرمان دول الخليج من عائداتها النفطية عن طريق منع تصدير نفطها، ففي شهر مايو ١٩٨٧، قال : "إذا وجدت إيران نفسها عاجزة ذات يوم عن تصدير بترولها عن طريق الخليج. فسنمنع أية دولة أخرى من استخدام هذا الطريق المائي"[٧٢]. وكان عام ١٩٨٧. أكثر الأعوام التي تعرضت فيها ناقلات النفط والسفن التجارية في مياه الخليج للخطر، بسبب تعرضها للقصف الصاروخي، أو بسبب الألغام البحرية التي تذكر بعض المصادر أن إيران قامت بزرعها. وكانت ناقلات النفط السعودية (سي تريدر) التي كانت ترفع العلم الليبيري، وكذلك ناقلات النفط الكويتية، والسفينة الأمريكية (صامويل روبرتس) من بين السفن التي أصيبت بأضرار جسيمة من جراء تلك العمليات الحربية. وقد لجأت الحكومة الكويتية في سنة ١٩٨٧، إلى الولايات المتحدة طالبة حماية ناقلاتها وسفنها التجارية ضد الهجمات التي تتعرض لها من جانب القوات الإيرانية، مقابل قيام الكويت بتقديم بعض التسهيلات للقوات الأمريكية[٧٣].

وقد استجابت الإدارة الأمريكية فوراً للطلب الكويتي. وأعلن المتحدث الرسمي للبيت الأبيض في نهاية مايو ١٩٨٧، أن الرئيس ريجان، وافق رسمياً على دعم الحضور العسكري الأمريكي في الخليج العربي، وعلى حماية الناقلات الكويتية[٧٤]، وفي ٢٨ من مايو ١٩٨٧، أعلن وزير خارجية أمريكا، موافقة الإدارة الأمريكية، على إعادة تسجيل ناقلات النفط الكويتية. ومن ناحية أخرى، عكفت الإدارة الأمريكية على إعداد خطة لحماية الملاحة البحرية في الخليج من خلال زيادة قواتها البحرية إلى جانب حاملات الطائرات المتمركزة في خليج عمان، بالقرب من مضيق هرمز.

كذلك وافقت موسكو، على طلب دولة الكويت تأجيرها ناقلات نفط روسية تحمل العلم الروسي. ولكن هذه الإجراءات التي اتخذتها الكويت لحماية ناقلاتها، لم تمنع إيران، من مواصلة تهديداتها فقد صرح الرئيس الإيراني بقوله : "إن الناقلات الكويتية المعاد

تسجيلها تقوم بنقل البترول العراقي. وطالما ظل البترول الإيراني تحت التهديد العراقي. فإن إيران لن تسمح للعراق بحماية بتروله عن طريق نقله بناقلات كويتية وسط حراسة أمريكية"[٧٥]. وبعد أن تصاعدت الحرب بحيث أصبحت تهدد الاقتصاد العالمي. أصدر مجلس الأمن الدولي قراره رقم ٥٩٨ في ٢٠ يوليو ١٩٨٧. دعا فيه العراق وإيران إلى الوقف الفوري للحرب. وضمان حرية الملاحة في مضيق هرمز ومياه الخليج. ولكن الجانب الإيراني رفض قرار مجلس الأمن. ولذلك فقد ظلت الملاحة في الخليج في خطر إلى أن توقفت الحرب في أغسطس عام ١٩٨٨. بعد قبول إيران قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ في ١٨ يوليو ١٩٨٨"[٧٦]

وإذا كان للولايات المتحدة في الحرب العراقية - الإيرانية. مواقف ظاهرة ومواقف خافية. فإن الروس الذين لهم أطماع في المياه الدافئة منذ زمن طويل كان لهم أيضاً مواقف في هذه الحرب ففي ١٠ ديسمبر ١٩٨٠. أعلن الرئيس السوفييتي ليونيد بريجنيف. في خطاب له أمام البرلمان الهندي. عن مبادرة خاصة بأمن الخليج وأمن الملاحة في مضيق هرمز. تضمنت خمس نقاط أساسية. **النقطة الأولى** نصت على امتناع الدول الكبرى عن إقامة قواعد عسكرية في الخليج أو الجزر المتاخمة أو إرسال أسلحة نووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل إلى المنطقة **النقطة الثانية**. نصت على عدم استخدام القوة أو التهديد بها ضد دول المنطقة والامتناع عن التدخل في شئونها الداخلية . أما **النقطة الخامسة والأخيرة**. فقد نصت على عدم خلق عوائق أو التهديد بإغلاق مضيق هرمز في وجه الملاحة الدولية . وقد لاقت هذه المبادرة السوفييتية قبولاً واستحساناً من قادة دول الخليج العربية .

وحينما تردد في وسائل الإعلام. أثناء الحرب العراقية - الإيرانية. التدخل الأمريكي الوشيك في الحرب. حذرت القيادة السوفييتية الولايات المتحدة من ذلك وإن كان من المستبعد في نظر المراقبين، أن تقدم روسيا على مواجهة عسكرية مع أمريكا وأوروبا الغربية. فيما لو تدخلت هذه الدول للحفاظ على أمن مضيق هرمز. إذ أن الروس. يدركون أهمية إمدادات الطاقة

من الخليج للغرب واليابان، والدول الأخرى المستوردة للنفط من المنطقة[٧٧] .

وخلاصة القول، أن أمن مضيق هرمز وأمن الخليج العربي، من منظور قادة دول المنطقة، يتركز في ضرورة الالتزام بقانون البحار والمضايق الدولية، وحرية الملاحة في المضيق ومياه الخليج. وكذلك الحفاظ على أمن وسلامة واستقرار دول المنطقة وأنظمتها السياسية، وإبعاد المنطقة عن الصراعات الدولية . وهذا التوجه الخليجي يتفق وسياسة الدول المحبة للأمن والسلم الدوليين .

ودون شك فإن الدول المستوردة لنفط الخليج وفي مقدمتها اليابان وأوروبا الغربية والولايات المتحدة، تحرص على استمرار تدفق هذه المادة إليها وتأمين الملاحة، وإبعاد روسيا وأية قوىً أخرى عن المنطقة، والسعي إلى مزيد من التعاون مع أنظمتها السياسية وكسب ثقة قادتها بما يخدم مصالح الجميع

**الدكتور عبد القادر حمود القحطاني**
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - جامعة قطر

# الهوامش

١ - د. فاروق عمر. تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى. ط٢، الدار العربية. بغداد، ١٩٨٦، ص ٦٤

٢ أحمد العناني. جدور الحاضر الخليجي. المطبعة الوطنية، الدوحة قطر ١٩٨٣، ص ٧

٣ د. محمد رشيد الفيل. الأهمية الاستراتيجية للخليج العربي. ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٨، ص ص ٣٤ ٣٦

٤ S.A. Morrison : Middle East, Survey, S.C.M. Press. L.t.d. London, 1954, P. 14.

٥ مجلة النفط والتعاون العربي. المجلد ٤، العدد الأول ١٩٧٨، الكويت، حالة الملاحة في الخليج العربي. للدكتور أحمد علي سبيتي. وهيفاء جنيدي خلف الله، ص ١٢٨ وانظر

G. Marlowe. : The Persian Gulf in the Twentieth Century, London, 1962, pp. 239-240.

٦ مجلة الوثيقة العدد ١٤، السنة السابعة، يناير ١٩٨٩، يصدرها مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين. بحث بعنوان الأسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي في الخليج العربي في القرنين ١٦ و١٧، للدكتور محمد عارف الكيالي، ص ١٠٩ وما بعدها

٧ د. بدر الدين عباس الخصوصي في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. ج٢. ط١ ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٨. ص ص ١٠٥ - ١٠٨

٨ P.R.O.F.O. 371/13070. July, 1928.

٩ د. صباح محمود محمد الصراع الجيوبولوتيكي في الخليج العربي. مطبعة السعدون - بغداد ١٩٨٦. ص ٤٥

١٠ الخليج العربي والعالم الخارجي. صادر عن مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة. ١٩٨٧. ص ١٧٣ و ١٧٤

١١ مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة. ١٩٨٧. بحث بعنوان العلاقات الدولية والخصائص الجغرافية والسياسية لأقطار الخليج العربي - للدكتور عبد علي الخفاف ص ٢٨٤

١٢ - صحيفة الوطن الكويتية - العدد (١٩١٢) الصادرة في ١٩٨٠/٢/٢٠ .

١٣ - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٨٣، الكويت ١٩٩٦، أمن الخليج العربي - دراسة في الأسباب والمعطيات، للدكتور عبد الله العنزي، ص ٢٣٢ - ٢٣٣، ٢٣٧

١٤ - د. محمد نصر مهنا الخليج العربي - التطورات الحديثة والمعاصرة، مطابع رويال - القاهرة، ١٩٩٦، ص ٤٤٧ - ٤٤٨

١٥ - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - العدد ٥٦، أكتوبر ١٩٨٨، دول مجلس التعاون وسبل تفادي خطر إعاقة الملاحة في مضيق هرمز، للدكتورة صدقة يحيى فاضل، ص ١٤٩، ١٥٠

١٦ - مجلة الهلال - أكتوبر ١٩٩٠، زلزال في الخليج العربي، للأستاذ مصطفى نبيل، ص ص ٦٦ - ٨٣ .

١٧ - ج.ج لوريمر دليل الخليج - القسم الجغرافي، ج٢ وج٤، مطابع علي بن علي، الدوحة قطر ١٩٧٢، ترجمة ديوان أمير قطر، ص ٧٤٣، ص ١٦٢٥

١٨ - مجلة العربي الكويتية، العدد ٤٥١، يونيو ١٩٩٦، رأس مسندم -للدكتور محمد المنسي قنديل، ص ٤٤ - ٥٨

١٩ - د عبد العزيز عبد الغني إبراهيم . السلام البريطاني في الخليج العربي - دار المريخ، الرياض ١٩٨١، ص ٣٠٥، ٣٠٦ للمزيد أنظر : د خالد العزي . الخليج العربي في ماضيه وحاضره، مطبعة الجاحظ - بغداد ١٩٧٢، ص ٢٥١

٢٠ - R.R. Baxter. : The Law of International Water Ways, Harvard University Press, 1964, P. 2 .

٢١ - د عبد الجليل زيد مرهون . أمن الخليج بعد الحرب الباردة، دار النهار - بيروت ١٩٧٩، ص ٥٣ - ٥٤

٢٢ - ر ك. رمضاني، ترجمة عبد الصاحب الشيخ الخليج العربي ومضيق هرمز، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٤، ص ١٥، ١٦

٢٣ - مجلة النفط والتعاون العربي - المجلد الرابع، العدد الأول، الكويت ١٩٧٨، ص ١٣٤ - ١٣٧

٢٤ - عبد الجليل زيد مرهون : المرجع السابق، ص ٤٣ - ٤٤ .

٢٥ - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٥٦، ص ١٥١ - ١٥٤ .

٢٦ - Area Handbook for the Persian Gulf States< Washington. D.C. American University, 1977, P. 48.

٢٧ - محمد رشيد الفيل  المرجع السابق، ص ٨٧

٢٨ - الهيئة البحرية الاستشارية المشتركة بين الحكومـــات (مسارات السفن) الطبعة الثالثة - لندن ١٩٧٣ ص ٦٨ - ٧٢  وانظر  رمضاني · المرجع السابق، ص ٢٨ - ٣١

٢٩ - عبد الجليل زيد مرهون  المرجع السابق، ص ٥٣، ٥٤

٣٠ - رمضاني  المرجع السابق، ص ٣٢

٣١ - عبد الجليل زيد مرهون  ص ٥٨، ٥٩

٣٢ - جريدة السفير اللبنانية الصادرة في ١٩٩٥/١٠/٢٦م

٣٣ - د  فخري رشيد مهنا  النظام القانوني للملاحـة فـي المضايق الدولية وتطبيقه على مضيق هرمز، ص ١١، مطبعة الأديب البغدادية - بغداد ١٩٨٠، ص ٥٦، ٥٧

٣٤ - فخري رشيد مهنا  المرجع نفسه، ص ٢٠٥ - ٢٢١

٣٥ - حسين ندا حسين  الأهمية الاستراتيجية والنظام القانوني للطريق الملاحي البحري في الخليج العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد، توزيع الدار الوطنية، بغداد ١٩٨٠، ص ٨٧

٣٦ - حسين علي الحبيشي  اليمن والبحر الأحمر، ط١، دار الفكر المعـاصر - بيروت ١٩٩٢، ص ٤٧٣ - ٤٧٤

٣٧  وقائع المؤتمر الثالث حول قانون البحار التابع للأمم المتحدة، في ١٢ يوليو ١٩٧٤، ص ١٠

٣٨  قرارات مجلس الأمـن الخاصة بحرية الملاحـــة في الخليـج، الفصل السادس - التسوية السلمية للنزاع العراقي - الإيراني (١٩٨٣ - ١٩٨٨)

٣٩ - يحيى حلمي رجب  الخليج العربي والصراع الدولي المعاصر، ط١، دار العروبة للطباعة والنشر - الكويت ١٩٨٩، ص ٥٢، ٥٣

٤٠ - د  أنطوان متى  الخليج العربي من الاستعمار حتى الثورة الإيرانية (١٧٩٨ - ١٩٧٨) دار الجبل - بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص ٢٣

٤١ - خالد محمد القاسمي  الخليج العربي في السياسة الدولية قضايا ومشكلات، دار الثقافة العربية - الشارقة ١٩٨٧، ص ٧٥ - ٨٠  وانظـر  محمـد حسـين العيدروس  الأمـن السياسي لدول مجلس التعاون، دار المتنبـي - أبوظبـي، د ت، ص ١٩ - ٢٠؛ مجـلة

السياسة الدولية، العدد ١٠٥ يوليو ١٩٩١، أمن الخليج بين التوجه العربي والتوجه الأجنبي، بقلم مراد إبراهيم الدسوقي .

٤٢ - عبد المهدي شريدة : مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مدبولي - القاهرة، ط١/١٩٩٥ ص ٢٤٨ - ٢٥٠

٤٣ - ندوة - مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي - من سقوط بغداد إلى نهاية الاستعمار البرتغالي، مطابع الوحدة - أبوظبي، ١٩٩٠، ص ٥٨٧

٤٤ - د خالد العري الخليج العربي في ماضيه وحاضره، مطبعة الجاحظ - بغداد ١٩٧٢، ص ٢١٣ - ٢١٦

٤٥ - صحيفة النهار اللبنانية، الصادرة في ١٩٦٨/٥/٨ وانظر خالد العري المرجع السابق ص ٢١٣

٤٦ - محمد رشيد الفيل المرجع السابق، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

٤٧ - د هنري فورتيك سياسة إيران إزاء الخليج العربي في السبعينات، مركز دراسات الخليج العربي _ جامعة البصرة، ١٩٨٧، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ وانظر خالد العري ص ٢٥١

٤٨ - د. محمد حسن العيدروس العلاقات العربية - الإيرانية، (١٩٢١ - ١٩٧١) ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٥، ص ٤٧٥ نقلا عن جريدة الوطن الكويتية، الصادرة في ١٩٧٥/٩/٢

٤٩ - محمد حسن العيدروس . المرجع نفسه، ص ٤٧١ - ٤٧٢ وفخري رشيد مهنا ص ٢٤٢

٥٠ - ر ك رمضاني المرجع السابق، ص ١٣٠ - ١٩٨

٥١ - د محمد جاسم محمد الاستراتيجية الأمنية في منطقة الخليج العربي - رؤية عربية، مطبعة جامعة البصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٣، ص ١٧٧، وانظر مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - العدد ٨٣، أمن الخليج العربي، للدكتور عبد الله العنزي، ص ٢١٨ - ٢١٩

٥٢ - د خليل إلياس مراد حرب الخليج وانعكاساتها على الأمن القومي العربي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٧، ص ١٠٧ - ١١١ .

٥٣ - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٢١، يناير ١٩٨٠، ص ٢٠٨ - ٢١٢ (نقلا عن مجلة التضامن الكويتية في عددها ١٨٣٢ - مقابلة مع السلطان قابوس سلطان عمان)

٥٤ - د. شفيق عبد الرزاق السامرائي المشرق العربي، القسم الأول، مطابع مؤسسة دار الكتب. الموصل العراق ١٩٨٠. ص ٥١ - ٥٢

٥٥ - خليل إلياس مراد المرجع السابق، ص ١١١ - ١١٤

٥٦ - ندوة - الخليج العربي والعالم الخارجي. جامعة البصرة ١٩٨٧. ص ١٧٥ - ١٧٧ وانظر فخري رشيد مهنا المرجع السابق، ص ٢٢٣ وما بعدها

٥٧ الندوة العلمية الخامسة لمركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ٤/٢٩ - ١٩٨٤/٥/١، ص ١٧٦ ١٧٧

٥٨ وثائق مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ج٣، إعداد وكالة الأنباء القطرية - مطابع الدوحة الحديثة، ١٩٨٣ ص ٣٢ وما بعدها أنظر الجزء ٤، نفس المصادر، ص ٢٧ - ٣٠

٥٩ - J.E. Peterson. : The G.C.C. and Regional, Security, American - Arab Affairs, No. 20, Washington, Spring, 1987. وانظر ك رمضاني المرجع السابق. ص ٢٠٠ - ٢٠٥

٦٠ جريدة النهار اللبنانية، الصادرة في ١٩٨٠/١٠/٧ وانظر خليل إلياس مراد المرجع السابق، ص ١٩

٦١ محمد جاسم محمد المرجع السابق، ص ١٤٨ - ١٤٩

٦٢ مركز دراسات الوحدة العربية - الأمانة العامة لجامعة الدول العربية. مركز التوثيق والمعلومات يوميات ووقائع الوحدة العربية، ص ٥٣٠ - ٥٣٢

٦٣ جريدة النهار اللبنانية. في عددها الصادر في ١٩٨٠/١٠/٧

٦٤ د زاهية قدورة شبه الجزيرة العربية، دار النهضة العربية - بيروت، د ت ص ١٣٨ وانظر عبد الجليل زيد مرهون، ص ١١٢ وانظر ميثاق مجلس التعاون الخليجي، ج١، إعداد وكالة الأنباء القطرية، مطابع الخليج - الدوحة قطر ١٩٨٨، ص ٤٧ .

٦٥ - جريدة الاتحاد الظبيانية الصادرة في ٤ فبراير ١٩٨٤، (مقابلة وفد صحفي ياباني مع السيد / يوسف بن علوي)

٦٦ - Yoseph Wright Twinam. : U.S. Interests in the Arabian Gulf. American - Arab Affairs, Summer, 1987, No. 21 Washington, U.S.A وانظر جريدة النهار الصادرة في ١٩٨٠/١٠/٧

٦٧ – الأطماع العالمية في الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨١ ص ١٢٥ وانظر مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٥٦، ص ١٥٨

٦٨ – الأطماع العالمية في الخليج العربي، المرجع السابق، ص ١٢٧ و ص ١٣٠

٦٩ – مركز دراسات الخليج العربي – جامعة البصرة، ١٩٨٥، بحث بعنوان سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الخليج العربي، للأستاذ فيليب استوادارد، ص ٦١ – ٦٤

٧٠ – وثائق مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ج٥، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة قطر ١٩٨٥، إعداد وكالة الأنباء القطرية، ص ٣٢٩ – ٣٣١

٧١ – يحيى حلمي رجب . المرجع السابق، ص ١٩٥ وما بعدها .

٧٢ – صحيفة الشرق الأوسط – العدد٢٨٣٢، الصادرة في ١٩٨٦/٨/٣ . وانظر صحيفة عكاظ – جدة، العدد ٧٦٣٤، الصادرة في ١٩٨٧/٥/٢٣

٧٣ – وثائق مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ج٧، مطابع الدوحة الحديثة، ١٩٨٧، ص ١٢٤ – ١٣٠ وانظر : عبد الجليل زيد مرهون المرجع السابق، ص ١١٦

٧٤ – Laurie Mylroie. : The Super Powers and the Iran - Iraq War< American Arab Affairs, No. 21, Summer, 1987, Washington

٧٥ – وثائق مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ج٨، مطابع الخليج، الدوحة قطر، ١٩٨٨، ص ٨٥ – ٨٦ وانظر : يحيى حلمي رجب المرجع السابق، ص ١٣٥ – ١٣٧، ٢١٢

٧٦ – وثائق مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ج٨، ص ٢٣٤ – ٢٣٧

٧٧ _ د عناد فواز الكبيسي سياسة روسيا المعاصرة تجاه الخليج العربي – جامعة البصرة، ١٩٨٧، ص ٦٥ – ٨٤ وانظر : د توفيق يوسف حصو العلاقات الخليجية العربية الأمريكية، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٧، ص ٢٣٦

# التاريخ بين الرواية



# فهية والوثيقة التاريخية

بقلم : الدكتور رأفت عبد الحميد محمد

"قال الراوي . . يا سادة يا كرام !!" .

عبارة تبتدئ بها كل سيرة وصلت إلى أيدينا من السير الشعبية المعروفة، "سيرة عنترة بن شداد" و "سيرة الملك سيف بن ذي يزن ملك اليمن"، و "سيرة حمزة العرب الأمير حمزة البهلوان"، و "السيرة الهلالية"، أو قصة "الزير سالم أبو ليلى المهلهل"، و "تغريبة بني هلال"، و سيرة الأميرة ذات الهمة"، و "سيرة الظاهر بيبرس"، وغير ذلك، على حين تستفتح شهرزاد كل ليلة من لياليها عند حكيها لحكاية جديدة أو استمرارها في واحدة كانت قد بدأتها بالفعل من قبل، بقولها الشهير "بلغني أيها الملك السعيد" وكلمة "بلغني" هي شكل آخر من أشكال "قال الراوي" . فالدلالة واحدة .

وقد ينص أحياناً في بداية السيرة على اسم واحد من هؤلاء الرواة، قد يكون آخرهم. وقد لا يأتي ذكر لأحد منهم على الإطلاق. ففي "سيرة الملك سيف ملك اليمن"، نجد مثالاً لذلك حين يقال : "قال الراوي أبو المعالي راوي سيرة أبي الأمصار وسائق النيل من أرض الحبشة إلى هذه الديار"[1]، مع العلم أن "أبا المعالي" لقب للراوي وليس اسماً لعلم . بينما يأتي الاسم منسباً في "سيرة الظاهر بيبرس" عندما نصادف في أولها عبارة "قال الراوي وهو الديناري رحمه الله تعالى"[2] على حين تنفرد "سيرة الأميرة ذات الهمة" بإيراد أسماء عشرة من الرواة تقدمهم على النحو : ". . . وإن من روى هذه السيرة العجيبة، وما فيها من الأحاديث المطرفة الغريبة، هو علي بن موسى المقانبي، وابن بكر المازني. وصالح الجعفري، ويزيد بن عنار المزني. وعبد الله بن وهب اليماني. وعوف بن فهد الفرازي، وسعد بن مالك التميمي، وأحمد الشمشاطي، وصابر المرعشي. ونجد بن هشام العامري. قالوا جميعاً والله أعلم"[3].

وتفصح هذه السير، أو إن شئت الدقة فقل هذه الروايات الشفوية المتواترة في مجموعها، عن الهدف الأساسي من وضعها، وهي كلها تتفق عليه وإن اختلفت عباراتها، مثل ". . . وهذه قصة غريبة الوجود، والمستعان بالله تعالى الواحد المعبود. الذي جعل سير الأولين عبرة للقوم الآخرين. وأخبار الأمم الماضين [ هكذا ] اعتباراً للباقين"[4]، أو ". . . إن سير الأولين صارت عبرة للآخرين لكي يرى الإنسان العبر التي حصلت لغيره فيعتبر. ويطالع حديث الأمم السالفة وما جرى لهم فينزجر [ هكذا ]، فسبحان من جعل حديث الأولين عبرة لقوم آخرين ."[5]. أو ". . . إن الله سبحانه وتعالى جعل سير الأولين عبرة للآخرين، وموعظة للجاهلين، وتنبيهاً للغافلين، يتعظم بها أصحاب العقول الكاملين"[6].

ولا أظن أن هذا الهدف الذي تسعى إليه الرواية الشفهية التي تصبح بمقتضى التقادم موروثاً شعبياً. يبعد كثيراً عن الهدف الذي تضعه الدراسات التاريخية نصب أعينها، وإن اختلفت الفكر والمضامين والمصادر، ولننظر مثلاً إلى ذلك العمل التاريخي الرائع الذي وضعه المؤرخ الأشهر تقي الدين المقريزي تحت عنوان "المواعظ والاعتبار

بذكر الخطط والآثار"، وهي دراسة إطارها المحيط هو التاريخ، ولكنها في جوهرها تضم عدداً من ميادين الدراسات الإنسانية المختلفة، كالجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والعمارة والفنون والآداب والتخطيط، أو بعبارة أخرى ننقلها عن أستاذنا محمد عبد الله عنان[٧] متمثلة في قوله : "... فهذا الأثر فوق كونه عرضاً مستفيضاً لجغرافية مصر والقاهرة والنيل القديمة، وسيرها منذ الفتح الإسلامي هو مجمع فريد من صور العمرانية والاجتماعية والفنية في العصور الوسطى، ومعرض بديع لتاريخ مصر الاجتماعي، وأحوال المجتمع المصري، وظواهره النفسية والأخلاقية، وحياته العامة ... وهذا التراث العمراني والفني الخالد، تراث المدينة الإسلامية في مصر، يعرضه لنا المقريزي في صور قوية باهرة ممتعة، وهو يتتبع فيما يكتب شجون الحديث، فإذا ملك أو أمير كبير يقترن اسمه بذكر هذه الصروح والآثار الخالدة أو تلك، وإذا حادث أو واقعة أو نادرة ترتبط بسيرتها، فإنه يستقصي كل ما يتعلق به أو بها من الأخبار، فينتقل بقارئه من المسجد والقصر إلى الأمير، ومن الأمير إلى الحرب، ومن هذه إلى المآدب والرياض، وهو خلال ذلك كله يعنى بعرض صور هامة من تاريخ مصر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري، ويقدم إلينا المجتمع القاهري في أثوابه المختلفة زاهية وقاتمة، ويعنى بشرح النظم السياسية والإدارية والاقتصادية التي توالت على مصر، ورسوم البلاط القاهري في عصوره المختلفة، وأحوال الخلفاء والسلاطين في الحياة العامة والخاصة، ومواكبهم ومآدبهم وأخلاقهم وأطوارهم، وأحوال المنشآت العامة كالثكنات والسجون والمعاهد والمدارس والمساجد والزوايا والتكايا وغيرها، وحياة الشعب الخاصة، وعادات الأفراد وتقاليدهم وأحوالهم في المعاملات والملبس والمأكل والأفراح والأتراح والجد والهزل" .

هذه المساحة المعرفية الواسعة المتعددة الجوانب، عنونها المقريزي بـ "المواعظ والاعتبار"، ومن ثم فليس هناك اختلاف في الهدف - كما أشرنا منذ قليل - بين الدراسات التاريخية الوثائقية والروايات الشفهية أو الموروث الشعبي. والمقريزي نفسه يعبر عن ذلك بقلمه الخاص حين يقول : "علم التاريخ من أجل العلوم قدراً وأشرفها عند العقلاء

مكانة وخطراً، لما يحويه من المواعظ، والإنذار بالرحيل إلى الآخرة عن هذا الدار، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقتدي بها، واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أولو النهى . لا جرم إن كانت الأنفس الفاضلة به رامقة، والهمم العالية إليه مائلة وله عاشقة"[٨] . وهذه العبارات التي أوردها المقريزي لا تبتعد عما أوردته السير الشعبية التي تعد النموذج الحي المتجسد للرواية الشفهية. عن الهدف المبتغى من وراء سردها أو قصها على مسامع العامة

غير أن هذا لا ينحو بنا بعيداً عن الجانب الوثائقي في الدراسات التاريخية، وهو عصبها، فكما أسلفنا من القول إن "الراوي" يبتدئ روايته بالقول عمن أخذ : "قال الراوي"، فإن المؤرخ يدعم دراسته وتأريخه بقوله "تحدثنا الوثيقة" أو "تخبرنا المصادر"، والباحث المدقق يفتتح مطالعته لأي كتاب في التاريخ، بالصفحات الأخيرة من الكتاب. بحثاً عن المصادر والوثائق التاريخية التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه. وتحدد القيمة العلمية تبعاً لمدى أصالة تلك الوثائق والمصادر . ومن البدهي أن أي باحث أو مؤرخ لا يمكن مطلقاً أن يقف فوق جسر الصدق ما لم تكن الوثيقة مصدر بحثه وركيزة دراسته، شريطة أن تكون الوثيقة نفسها صادقة لم تمسسها يد التزييف. وتلك قضية أخرى !

وقد وقف مؤرخنا الأشهر "ابن خلدون" على هذه الناحية وحدثنا عنها بكل الدقة عندما كتب في "مقدمته" يقول : ". . . والتاريخ في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأمم وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها وخلطها المتطفلون بدسائس في الباطل وهموا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها"[٩] .

وابن خلدون هنا كما هو ظاهر في عبارته، يفصل بين المؤرخ بكل ما تعنيه الكلمة في منزلة القضاء، وكاتب التاريخ المتطفل على كتابته بكل ما تفصله كلماته من بعد عن الانتقاء ! !

ولنكمل حديث ابن خلدون لنرى إلى أي حد يعد البعد عن الوثيقة في الدراسة التاريخية ضرباً من العبث. والعبث نفسه في عدم تمحيص كل م

يكتب، والتغاضي عن الدقة في كل ما يقال ويدون، وتلك آفة نفر ليس بالقليل ممن يتصدون لكتابة التاريخ، فإنه يمكننا القول قياساً على شهادة العلامة ابن خلدون، "كثيرون يكتبون التاريخ، وقليل منهم المؤرخون". فالمؤرخ بالدرجة الأولى قاضٍ وليس قاصاً ولا مجرد ناقل. يقول العلامة مكملاً حديثه الذي توقفنا عنده منذ قليل : ". . . واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترّهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض طويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل، والحق لا يقاوَم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمثل، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل"[١٠].

واضح تماماً أن ابن خلدون يقف موقفاً جاداً من أولئك الذين يكتبون التاريخ بأيديهم ثم يقولون إنما قال بهذا الأسلاف، ونحن على آثارهم مقتدون، دون تمحيص وتدقيق، ومناقشة ومقارنة وتحليل، ونقد بعد كل ذلك عميق وأصيل. هؤلاء النفر لا يعدون من المؤرخين وإن حسبوا أنفسهم كذلك وإن عدهم أناس هكذا !

والذي يلفت النظر ويدل على فراسة العرب وسبقهم في العديد من ميادين المعرفة الإنسانية، أن ابن خلدون فصل في صدر مقدمته بين الرواية والتاريخ، أو بتعبير أكثر دقة بين التاريخ المروي أو الرواية الشفهية والتاريخ الوثائقي، وميدان هذا وذاك، وما يحتاجه عامة الناس والجمهور، وما يسعى إليه خاصة الدارسين وأعيانهم، وهذا بيت القصيد في بحثنا هذا، يقول : ". . . فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيه الأقوال، وتضرب فيه الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدى لنا شأن الخليقة كيف

تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال . وفي باطنه . . ."[11]

وهذه العبارات الأخيرة تنصرف دون مناقشة إلى الرواية الشفهية أو التاريخ المروي، الذي "تنمو فيه الأقوال" بزيادة الروايات جيلاً بعد جيل، يضيف إليها راو بعد راو، ومحدث بعد آخر، ويتفنن كل منهم في إضافة قصة على هامش الرواية، أو طرفة لطيفة، أو مثل جرت به الألسنة مع الزمان، ويضيف إليها من عندياته ما يشوق السامعين، وتلك براعة الراوي في فن الإلقاء، وهذا ما يشير إليه ابن خلدون بقوله "وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال"، حيث يتحلق الناس حول هذا الراوي أو ذاك في إصغاء عجيب

وإذا كنا قد فصلنا بحزم بين من يكتبون التاريخ والمؤرخين، وأكدنا على أن المؤرخ هو الذي يضع الوثيقة نصب عينيه، مخضعاً إياها للتحليل والمناقشة والمقارنة والتمحيص والنقد، فإن هذا يدفعنا مباشرة إلى إثارة هذا السؤال الجوهري . . أين موضع الرواية الشفهية من الكتابة التاريخية ؟

لا يستطيع أحد أن ينكر أن التاريخ كان في أصل نشأته روايات شفهية جرت بها ألسنة الناس، أو تناقلها الرواة جيلاً بعد جيل، وتمثلت عند العرب في أشعارهم، حتى عُدَّ الشعر ديوان العرب، فسجلوا بالقريض أفراحهم وأتراحهم، ومجالس سمرهم، وحلهم وترحالهم، وأيامهم في الجاهلية والإسلام، وساعدت ملكة الحفظ لديهم في نقل هذا التاريخ والاحتفاظ به لفترة زمنية طويلة . والعرب هنا لم يبتعدوا عن الأصل التاريخي لكلمة (Istoria) اليونانية، والتي كان يقصد منها في بلد الإغريق قديماً البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة، وهي معرفة البلاد والعادات والمؤسسات السياسية المعاصرة أو الماضية، ثم تطورت الكلمة لتضم إلى ذلك معرفة الأحداث التي رافقت نمو هذه الظواهر[12] .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن هذه المفاهيم لم تكن واردة في أول الأمر، بالمعنى الذي نقصده، لدى هؤلاء الشعراء العرب الذين تركوا شعرهم ودونوا فيه تلك الأحداث التي عايشوها

و حدثوا عنها فيما بعد تمجيداً افتخاراً. "فأيام العرب ، ترجع في صلها إلى الأدب أكثر مما ترجع إلى لتاريخ. فقد كانت تروى بالدرجة لأولى لإيناس السامعين ولإمتاعهم. حقاً قد كانت تحتوي على عناصر تاريخية ن حيث أنها سجلت أحداثاً كبرى [ كحرب البسوس، وداحس والغبراء. وغير ذلك ]، ومن حيث أنها اعتبرت مثل تلك الأحداث متصلة بنواح معنوية معينة"[١٣]. وقد لعبت فنون وأشكال هذه "الأيام" و "القصائد" التي خلدتها، دوراً هاماً في تشكيل علم التاريخ عند المسلمين .

فمن الأمور التي لا يتطرق إليها الشك أن التاريخ الإسلامي نشأ في أول أمره معتمداً اعتماداً كاملاً على الرواية الشفهية، حتى عرف المشتغلون به بادئ ذي بدء بالرواة أو الإخباريين. ولم يكن هناك آنذاك ما ينتقص من قدر هذه الرواية لأن ملكة الحفظ العربية كانت لها السيادة على الكتابة أو التدوين إبان العصور الجاهلية وصدر الإسلام . وإن نظرة سريعة إلى كتب السيرة النبوية والمغازي نجدها كلها تورد أخبارها يقول مؤلفها : حدثنا فلان عن فلان،

وحول هذا يقول الأستاذ أحمد أمين[١٤] " . . . لو تتبعت في ابن جرير الطبري سلسلة رواياته وجدت أن الرواة الثلاثة أو الأربعة الذين يتصلون به وبحياته كانوا في العصر العباسي. وهؤلاء يروون عمن قبلهم ممن كانوا في عهد الأمويين أو الخلفاء الراشدين. نعني بذلك أن الحوادث التي دونت كانت معروفة في العصر الذي يؤرخ له، وابن اسحق وأمثاله إنما دونوا ما كان معروفاً وجمعوه" .

من هنا كان أول ما دون في التاريخ الإسلامي – بطبيعة الحال – يعتمد على الذاكرة الإنسانية. أو بتعبير آخر، الرواية الشفهية، ولعل من يقرأ ما دون من الذاكرة يتجلى له أن أغلب التاريخ العربي الإسلامي الأول مستمد من السمع والمشاهدة. ومن ثم جاء تدوين المؤرخين الأوائل لما استوعبته الذاكرة بالنقل من فلان عن فلان من الحفاظ الموثوق بهم، وهو ما عرف بـ "الإسناد" بمعنى دفع الخبر إلى قائله. وهكذا كان الحُفَّاظ هم الوسطاء بين الخبر والمؤرخ[١٥] .

وهذه السلسلة الطويلة من "العنعنة" التي نشهدها مثلاً عند ابن هشام في السيرة النبوية. والواقدي في

المغازي، والطبري في تاريخ الرسل والملوك. تؤكد أمرين أساسيين على قدر كبير من الأهمية. أولهما : الدور الكبير الذي لعبته الرواية الشفهية في تدوين التاريخ الإسلامي خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة على الأقل. والثاني : دور الرواة أو الحُفّاظ في الحفاظ على هذه الروايات ونقلها جيلاً بعد جيل. مع محاولة التيقن الكامل من عدم انقطاع ثبت السند أو العنعنة حتى لا تمسي الرواية ضعيفة الإسناد فلا يؤخذ بها .

لا غرو إذن أن ينشأ علم التاريخ عند المسلمين في أحضان علم الحديث، لأن هذه الطريقة عينها هي التي اتبعت في جمع الأحاديث النبوية. ولما كان تحري الدقة والأمانة حتماً مقضياً عند جمع هذه الأحاديث. فقد انسحب ذلك بالتالي على الروايات الشفهية التي تتصل بحياة الرسول وصحبه مكونة سيرته ومغازيه ﷺ . ولما كان المسلمون حريصين في الناحيتين على التزام جادة الصدق والضبط في جمع مادتي الحديث والسيرة، فقد أصبح منهاج "الجرح والتعديل" ميزان الحقيقة في كل من هذه وتلك وابن خلدون يشير إلى مثل هذه الناحية ويؤكد على ضرورة "البحث والروية" والبعد عن "الغفلة وضعف النظر"[١٦]. ويشاركه في هذا الرأي "السخاوي"[١٧].

وقد حرص كثير من الخلفاء المسلمين على أن يكون إلى جوارهم دوماً من "يقص" عليهم أو "يروي" لهم أخبار الأمم السالفة التي سبقت الدعوة الإسلامية، وشيئاً عن أحوال ملوكهم وسادتهم. حتى أن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان. كان كما يحدث عنه المسعودي، "يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها. والعجم وملوكها، وسياستها لرعيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة . . . ثم يدخل فينام ثلث الليل. ثم يقوم فيقعد فيحضر من يواصل له الروايات الخاصة بسير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد. فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات"

نحن هنا إذن أمام كم هائل من الروايات الشفهية تناقلها حفاظ العرب أمة بعد أمة، شعراً كان أو نثراً. وإن كان الشعر هو الغالب لسهولة حفظه. وقد وجد المؤرخون المسلمون الأوائل أمامهم كل هذه الروايات الشفهية فجمعوها. وزاد الأمر كثرة دخول

الشعوب المختلفة ذات التواريخ في الإسلام مثل الفرس وجماعات من الروم والمصريين ونفر من بني يهود، وهؤلاء جميعاً رووا تواريخهم. وحدثوا المسلمين بها وبتاريخ الأمم الأخرى، ويكفي نظرة واحدة إلى تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري، وقد قدمته هنا بلفظ "الإمام" لأن الرجل كان مفسراً ومؤرخاً، وهذا ما أسلفنا عنه الحديث منذ قليل عند القول بأن المؤرخين المسلمين الأوائل كانوا رواة ومحدثين أو مفسرين. نقول إن نظرة واحدة إلى تاريخ الطبري تكفي للوقوف على هذا الكم الهائل من الروايات الشفهية التي يوردها هؤلاء المؤرخون الأوائل بعد أن سمعوها وجمعوها، وهو حريص في الوقت ذاته على أن يرويها بسندها. فنراه يذكر مثلاً : ". . . حدثني ابن سعيد عن عبد الله بن سلام أنه قال" أو "حدثنا شعيب عن سيف عن الربيع وأبي المجالد وأبي عثمان وأبي حارثة. قالوا" وهكذا .

ورغم أن ابن خلدون يهاجم في مقدمته نفراً من المؤرخين الأوائل ويذكرهم بأسمائهم. لاعتمادهم على مجرد النقل لما سمعوا أو رأوا وتدوينهم ذلك دون تمحيص، إلا أن هذا لا يلغي مطلقاً الأهمية الكبيرة التي كانت عليها هذه الروايات الشفهية الذائعة والمنتشرة وفي الوقت نفسه المحفوظة شعراً بصفة خاصة أو نثراً، في كتابة التاريخ الإسلامي في أول الأمر . غير أن المسلمين لم يقفوا بتواريخهم عند هذه المرحلة، بل تجاوزوها بمراحل متعددة، ودخل التاريخ من بعد عندهم في مجال العلوم، بل اعتبروه - على حد قول السخاوي - من أحسن العلوم وأشهاها، ونذر السخاوي نفسه للدفاع عنه وذم من ذمه، وتبيان أهميته وأبعاده وأهدافه، في كتابه الذائع "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ"، وأفرد له ابن خلدون الصفحات الطوال في مقدمته الرائعة .

وتشكل الرواية الشفهية الركيزة الأساسية في الموروث الشعبي الذي يحكي مسيرة الشعوب نفسها، وطموحاتها وآلامها، ونبض الحياة الاجتماعية بكل جوانبها، والحياة الاقتصادية من حيث ممارسة الناس لها وتعايشهم في كنفها، بعيداً عن سيرة الحاكم وسلطانه، ومن هذا المنطلق يلتف الموروث الشعبي حول جوهره. ويشكل الاثنان معاً - كما حدث في كثير من الأزمان وعند كثير من الشعوب،

الأسطورة وهي التي خرج من رحمها التاريخ منذ البداية . وفي العصور الوسطى بصفة خاصة في الشرق الإسلامي أو الغرب المسيحي على السواء، يجد المؤرخ نفسه مدفوعاً إلى الاعتماد أحياناً على بعض هذه الروايات أو الموروث الشعبي أو الأسطورة، ليكمل بأي منها ما نقص في المصادر أو الوثيقة التاريخية . ومن ثم فليس غريباً القول إن الرواية الشفهية تعد ضرورية أحياناً لتفسير ما غمض أو صعب فهمه في بعض جوانب الوثيقة التاريخية .

والموروثات الشعبية تحمل رؤية الشعب لتاريخه وتفسيره لمسيرته الحضارية، كما تشي بكل ما كان يحركه من قيم أو مثل عليا والنظام الأخلاقي الذي حكم في الزمان والمكان .

والموروثات الشعبية تتضمن الأسطورة، والسيرة الشعبية والحكايات والألغاز والأمثال والأغاني والنكات، وغيرها مما يعبر به الناس عن أنفسهم بشكل تلقائي .

ولعل الفرق الجوهري بين التسجيل الرسمي للتاريخ والتسجيل الشعبي هو أن الأول قصد به أن يكون تاريخاً، أي أنه مقصود أن يصل للأجيال التالية على النحو الذي تمت به كتابته، أما التسجيل الشعبي فهو تسجيل شفاهي تراثي تتناقله الأجيال وتتزيد عليه، وتعدل في مضمونه بما يخدم أهداف الجماعة الإنسانية، دون أن يقصد به أن يكون تاريخاً يقرأه الناس في الأجيال التالية، ذلك أن الموروثات الشعبية تعبير تلقائي عن الناس في حياتهم اليومية، وعن رأيهم في أحداث تاريخهم ورؤيتهم له، وإذا كنا نستطيع من خلال المصادر التاريخية التقليدية. أن نستعيد صورة الحدث التاريخي من ذمة الماضي، فإن هذه الصورة تظل باهتة لا حياة فيها ما لم نفهم أهل العصر الذي ندرسه من خلال عاطفتهم ووجدانهم وقيمهم الأخلاقية، ومثلهم العليا التي حركتهم آنذاك، والموروثات الشعبية مصدر هام للمؤرخ الذي يدرس التاريخ الاجتماعي، أو النتاج الثقافي لأمة من الأمم(١٨).

ولعل أروع تعبير يمكن أن يؤتى به الآن، هو ما جرى على لسان "جورج ماكولي تريفيليان – G.M. Trivilian" عندما قال : "لا تتألف روح الشعر في تدوين التاريخ من خيال يطوف في

الفضاء، ولكنها تتألف من خيال يقتفي أثر الحقيقة ويلتصق بها، وبالنظر إلى أن الحقيقة قد وقعت فعلاً فإنها تجمع حولها سر الحياة والموت والزمن الذي لا يسبر غوره، فعلم المؤرخ وبحثه يجدان الحقيقة، وخياله وفنه يوضحان مدلولها"[١٩].

ويصل الائتلاف بين الرواية الشفهية والموروث الشعبي ذروته ويضحيان شيئا واحداً في السير أو الملاحم الشعبية التي أشرنا إليها في صدر بحثنا هذا، وهي خاصة بالتراث العربي، ويقابلها في أوروبا أيضاً الكثير مثلها ويسبقها بعضها أحياناً، فالموروث الشعبي يجد ضالته في شخصية محورية تاريخية حقيقية فعلاً، لعبت دوراً معيناً في مسيرة التاريخ الإنساني، وتنسج حوله خيوط روايات تكون "ملحمة" شعبية، ولا يخفى على أحد أن المشاعر الشعبية تبحث عن شخصية البطل الذي ترتجيه في حاضرها ولا تجده ماثلاً بين ظهرانيها، فتستدعيه من ذاكرة التاريخ الرسمي، وتصنع منه البطل الذي تتطلع إليه ليخرج بها بقوته الخارقة وذكائه المتقد وحيله البارعة وشخصيته الجذابة، من هذا الواقع الذي تحياه، وتتلظى به، إلى آفاق أخرى تؤملها أكثر إشراقاً وسعادة.

وكان نظم الشعر كما يقول "جوردون شايلد" - من العوامل المساعدة في تذكر الأحداث حين كانت الكتابة غير مستعملة، وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى ظهور ملاحم البطولة والقصص الشعبية، ونمت تلك التقاليد الشعرية لازدياد تواتر الرواية المنقولة عنها، وكانت المبالغة مستحبة في الإشادة بالمفاخر والأمجاد لإثارة حواس المستمع وانتباهه، وهكذا دخلت في المؤرخات الأولى عناصر الملحمة والقصة الشعبية، ومن الأمثلة الشائعة على ذلك ما جاء في التوراة مثل سفر القضاة مثلاً"[٢٠].

وأجدني هنا ملزماً بأن أترك القلم لـ "إيمري نف **Emery Neff**"[٢١]. ليلقي الضوء على ما قد مناه تواً فيقول: "إن الروايات المختلفة الكثيرة في نص الإلياذة والأوديسة التي جاءت في الشروح الهامشية القديمة، على مخطوط بالبندقية نشره العالم الفرنسي فلوزان سنة ١٧٨٨، واقتباسات قدامى المؤلفين من شعر هوميروس ومنهم أفلاطون وأرسطو وفرجيل، وهي اقتباسات لم ترد

في مخطوطاتنا. أقنعت "وولف Wolf" (الذي كتب تقديماً لدراسة أعمال هوميروس عام ١٧٩٥) بأن فن الكتابة لم يكن معروفاً عند الإغريق في عصر هوميروس. وأعتقد "وولف" أن هوميروس جمع معظم الملحمتين شفوياً معتمداً على القصص الأسطوري القومي. إلا أن المنشدين قد أضافوا إلى جمعه وغيروا فيه طيلة أربعة قرون تقريباً. ونقلوه بطريق الحفظ حتى دون كتابة في أثينا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد. بل إن النص قد تناوله بعد ذلك النحويون والناشرون بالتعديل. وهذا يؤكد الحقيقة الذائعة القائلة بأن الشعب الاغريقي كان حقيقة لا مجازاً هو الشاعر العظيم هوميروس !! وقد أكد المؤرخون في جملتهم أن الملاحم الهومرية ألفت وانتقلت بطريق الرواية الشفوية. بل إن قوة الذاكرة الخارقة عند الشعوب الأمية الحديثة. أثبتت إمكان هذا النقل الشفوي واحتماله. حتى ليقال إن الشيوخ في جزر "هيريديس" يحفظون من الشعر الغاليّ ما يفوق الإلياذة طولاً. وبالرغم من أن العلماء قد عجزوا حتى الآن عن الاتفاق على ما إذا كان للقصائد الهومرية مؤلف واحد أو أكثر. فإنه أصبح من الواضح أن القصائد المنسوبة إلى هوميروس أشبه بالملاحم الشعبية إلى حد كبير منها بالإنشاد المقصود الذي يقوم به شاعر واحد. كما هو الشأن في "إينيادة" "فرجيليوس". وينقل "إيمري نف" عن "نيبور Neibuhr" قوله : "من المشكلات التي قد تستعصي على الحل إنشاء ملحمة شعرية لا تعتمد على موضوع عاش قروناً في الأغاني والقصص الشعبية باعتباره مِلكاً شائعاً للأمة"[٢٢]

ويأخذنا "هرنشو Hearnshaw"[٢٣] مع بحثه الرائع ليؤكد لنا هذا المعنى بقوله : "إن التاريخ من حيث هو سجل العصور الغابرة وديوانها الحافظ لأخبارها، قديم قدم اهتداء الإنسان إلى صناعة الكتابة. بل لقد كان الناس قبل ذلك العهد البعيد يتذاكرون قصة الأزمنة القديمة، ويتناقلونها أبناً عن أب على شكل روايات شفوية. وكان الغرض الذي من أجله تنحدر تلك القصة من جيل إلى جيل رواية شفوية، هو من غير شك نفس الغرض الذي نروي من أجله اليوم التاريخ ونكتبه" وهذا ما أشرنا إليه من قبل في صدر هذا البحث.

وتتسم الروايات الشفهية التي تكون الموروث الشعبي بالتلقائية والبساطة من ناحية. كما أنها تدور حول أمور تتعلق

بثقافة المجتمع وتقاليده وعاداته وأخلاقه من ناحية أخرى، ويتم ذلك كله بأسلوب مثقل بالخيال والرموز الشعبية التي تخدم الأغراض والغايات الاجتماعية الثقافية للمجتمع، والموروث الشعبي يحمل أفكاراً ثابتة حقاً تمثل المنحى الثقافي للجماعة .

بيد أنه يحمل أيضاً تفسيرات تتجدد مع كل حقبة زمنية لهذه الأفكار الثابتة. ومن ثم فإنه يمكن أن نصف الموروث الشعبي بأنه نوع من "القراءة الشعبية للتاريخ" وهو ما يعني أن الموروث الشعبي يعكس رؤية الجماعة لتاريخها بغض النظر عن التفاصيل التي تتعلق بالزمان أو المكان أو الأفراد في القصة التاريخية[٢٤] .

ويذهب الألماني "فريدريش فون لاين Friedrich" أستاذ الأدب الشعبي مع "والتر أندرسون Walter Anderson" إلى أن الرواية المكتوبة بحق تمثل دوراً له قيمته، إلا أن الرواية الشفهية لها نفس الدور من الأهمية، فالقاص أو الراوي لم يستمع إلى الحكاية مرة واحدة فحسب، كما لم يستمع إليها من راو واحد، وإنما استمع إليها عدة مرات ومن رواة كثيرين، وكل شكل من هذه الأشكال يتعرض للزيادة أو النقصان، إلا أنها مع ذلك - أي هذه الروايات المختلفة - تتأرجح إلى درجة كبيرة حول نقطة ارتكاز لا تتغير في ذاتها، وتظل هكذا أحقاباً طويلة[٢٥]

ولما كانت هذه الروايات في صورتها الأولى مجرد خبر أو مجموعة من الأخبار التي تتصل بتجارب روحية ونفسية عاشها الناس منذ القدم، فقد حرص الناس على الاحتفاظ بها ونقلها عبر الأجيال عن طريق الرواية الشفوية، وليس في وسع كل شخص أن يقوم بعملية الرواية، وإنما هو الشخص الذي يجمع بين موهبة الحفظ ومتعة الرواية في آن واحد، أي أنه الشخص الذي يمتلك طاقة فنية تعادل تلك الطاقة التي يمتلكها كاتب القصة على سبيل المثال، بل في خلق أي نوع أدبي آخر، وليس هذا معناه أن القاص أو الراوي حر في تأليف الرواية وفقاً لأهوائه، وإنما هو مقيد بقوانين شكلية وموضوعية خضعت لها الرواية الشعبية الشفوية منذ القدم ولا تزال تخضع لها حتى اليوم[٢٦] .

من هنا ندرك أن الرواية الشفوية، من حيث هي نبض المجتمع بطبقته العريضة أولاً، وفئاته المختلفة ثانياً،

لها أهميتها البعيدة في كتابة التاريخ الاجتماعي لشعب من الشعوب بصورة صادقة. ولا يمكن لأي باحث في التاريخ الاجتماعي، وما يتصل به من نواح اقتصادية وسياسية، أن يقدم بحثاً أصيلا في ميدان هذه الدراسات، دون أن يضع ضمن مصادره الأصلية، إلى جوار الوثيقة التاريخية، بل وفي مكانة لا تقل عنها أهمية، الروايات الشفوية التي تسود المجتمع الذي يدرسه، بل إن الرواية الشفوية وما تقدمه من موروث شعبي تسد كثيراً من الفراغ الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تملأه الوثيقة التاريخية التي غالباً ما تكون لها الصفة الرسمية

وإذا كنت قد أفضت في الحديث - على النحو الذي أسلفنا - عن الرواية الشفوية وعلاقتها بالدراسات التاريخية، فإنما يعود ذلك إلى أن بعض المؤرخين قد يحجمون عن الاعتماد على هذه الروايات، معتبرين إياها لا ترقى إلى منزلة الوثيقة التاريخية، ومن ثم قصدت إلى هذه الإطالة للتأكيد على أن الدراسات التاريخية لابد أن تأخذ الجانبين، أو إن شئت قل، المصدرين، في حسبانها، حتى تخرج الدراسات التاريخية من إطارها الرسمي الضيق إلى ساحة أرحب هي المجتمع نفسه .

وهذه النقطة تنقلنا تلقائياً إلى الجانب الثاني وهو "الوثيقة التاريخية" وقد أسلفنا القول أننا نقيس قيمة البحث التاريخي بمدى اعتماد صاحبه على المصادر الأصلية أو الوثيقة التاريخية، دون أن يغمط ذلك حق "الرواية الشفوية" إذا كانت الضرورة التاريخية تستدعي الرجوع إليها في أمر بعينه لم تتضمنه الوثيقة، ولا غنى عنه في تفسير واقعة معينة .

ويعود هذا بنا إلى حديث ابن خلدون في مقدمته حين يتحدث عن التاريخ بقوله "وفي باطنه - أي التاريخ - نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق" ويقول في موضع آخر "وهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط. لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر

بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم، والحيد عن جادة الصدق"[27].

وهذا القول يؤكد بصورة لا تقبل الشك أن ابن خلدون يدعو إلى التزام جادة الدقة في تحري صدق الواقعة، و "التثبت" من صحة الخبر، ولن يتأتى "التثبت" هذا إلا بصدق مصدره أو سلامة "الوثيقة" التي تتضمنه، ناهيك عن حتمية وجودها، ويعيب بشدة على أولئك الذين يعتمدون على مجرد "النقل" دون استخدام العقل في تناولهم للمادة التاريخية.

ويدعم هذا ما ذكره قبل ابن خلدون بقرون طويلة، وهو "سفيان الثوري" من إعلام القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، عندما يقول "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"[28]. وهو يقصد بالرواة هنا الذين يدلسون الأخبار ويزيفون الحقيقة عن عمد لتحقيق مصالح معينة يبتغونها، وهذا يفسره قول "حسان بن زيد" "لم يُستعن على الكذابين بمثل التاريخ"[29]، طالما كان طريقاً للاطلاع على التزوير في المكاتب (الوثائق" ونحوها[30]. ويجعل السخاوي[31]، من هذه النقطة أول صفة من الصفات الواجب توافرها في المؤرخ، فيقول: "... فالعدالة مع الضبط التام الناشئ عن مزيد من الإتقان، والتحري سيما فيما يراه في كلام كثير من جهلة المعتنين بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام".

والتركيز على "التثبت" و "الضبط التام" ينصرف بالذهن مباشرة إلى ضرورة الاعتماد على "الوثيقة" باعتبارها مصدراً أساسياً لمعالجة قضية تاريخية معينة، إذ كيف يمكن تصور دراسة العلاقات الخارجية بين دولة وأخرى دون الرجوع في المقام الأول إلى أرشيف وزارتي خارجية هاتين الدولتين وغيرهما ممن تجمعهم العلاقات الدولية في هذه الحادثة أو تلك، وكيف يعتد بدراسة عن الأخلاق مثلاً في مجتمع ما دون الرجوع إلى مجموعات القوانين الصادرة إبان تلك الفترة موضوع الدراسة، والمتعلقة بالنص على عقوبات معينة ضد جرائم بعينها أو قوانين السوق المتعلقة بالغش التجاري وما إلى ذلك، وقس على هذا العديد من الدراسات التي تدخل في ميدان التاريخ الاجتماعي والاقتصادي وبالأحرى التاريخ السياسي، مع التنبيه على شيء في غاية الأهمية وهو أن

دراسة النواحي الأخلاقية أو الاجتماعية بصفة خاصة، تقتضي الرواية إلى جوار الوثيقة بالضرورة.

ولعل ديوان الإنشاء الذي عرفته الدولة الإسلامية في عصورها المختلفة، يمثل إحساساً بأهمية الوثيقة التاريخية وحفظها. وليس أدل على ذلك من هذا الكم الهائل الذي حفظته لنا الموسوعات التاريخية والأدبية المختلفة من هذه الوثائق الإسلامية التي لا غنى عنها لأي باحث في التاريخ الإسلامي. ومنها على سبيل المثال لا الحصر. نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وغيرها .

ولو عدنا إلى قول السخاوي عن "التثبت" و "الضبط التام" لنعلم كيف كان مؤرخنا حريصاً كل الحرص على تحري الدقة والاهتمام بعملية التوثيق، لوجدنا أن ما قاله ينطبق تماماً على كلمة "الوثيقة" في معناها اللغوي، فهي من مادة "وثق" والوثاقة الائتمان، وهي مصدر الشيء المحكم الوثيق، والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة[٣٢]. وقد امتد مفهوم الوثيقة الآن في اللغات الأوروبية الحديثة ليضم كل المصادر التاريخية المكتوبة، ولن ندخل هنا في تفصيلات أنواعها واختلافها وتقسيماتها العديدة، فهذا مما لا يتسع المقام له[٣٣]. ولكن الذي يعنينا في هذا المجال هو أهمية الوثيقة في حد ذاتها ومدى صحتها .

والمرجع في ذلك المؤرخ نفسه. أو كما يقول "كولينجوود R.G. Colling Wood" إن الوثيقة أصبحت تحمل طابعاً خاصاً. ربما صدقت عليه كلمة "مصدر تاريخي"، وتلك كلمة معناها أن الوثيقة التي تحتوي على ما قيل في هذا الموضوع أو ذلك، بمعزل عن أية فكرة توحي بقيمة هذه الوثيقة من الوجهة التاريخية، أي أن الوثيقة محل بحث Sub Judice، وأن المؤرخ هو الشخص الوحيد الذي يناط به الحكم على قيمتها[٣٤]، ". فالمؤرخ هو الحجة والمرجع الأخير لنفسه، بمعنى أنه هو الذي يقرر ما يريد من أقوال، أو يصدر الأحكام التاريخية على مسئوليته. وليس لأن هذه الأقوال أو هذه الأحكام قد قررها أو أصدرها مصدر آخر غيره"[٣٥] .

والذي يذهب إليه "كولينجوود" هو التأكيد على ضرورة عدم التسليم مباشرة ودون أي تمحيص بصدق الوثيقة، ولكن لابد أن يتدخل المؤرخ فيها بالنقد والتحليل والمناقشة والمقارنة، وما إلى ذلك من أساليب البحث العلمي الجاد، حتى يمكن الحكم على قيمتها . وقدم لنا "هرنشو"[٣٦] دراسة طيبة عن المدارس التي امتلأت بها أوروبا مبتدئة من ألمانيا ممتدة إلى كل أنحاء أوروبا أو متزامنة في بعض الأحيان، والتي وضعت نصب عينيها "النقد والتحليل" لـ "الوثيقة" التاريخية وليس التسليم المطلق بها دون أية مناقشة كما كان يجري الحال من قبل لدى كثير من المؤرخين .

ومع اتساع مفهوم الوثيقة لتضم معطيات جديدة – كما أسلفنا القول – فإن المؤرخ لم يعد يبحث بالضرورة، وهو يسعى إلى معرفة "الوقائع"، عن الوقائع البدهية التي تظهر في هذه الوثيقة التاريخية التقليدية، إنما نراه يبحث عن روابط لا يمكن تتبعها وقياسها إلا بالتحليل والنقد، وتزيد مفاهيم العلم الاجتماعي وأساليبه من نطاق التحقيق بواسطة الوثائق، وتمكن المؤرخ من أن يذهب إلى ما وراء "المعطيات الخام"، و "الشاهد" المباشر . وقد خطا المنهج التاريخي خطوات واسعة في تقرير صحة السجلات المدونة ومعناها الأصلي، وإن الطريقتين الأساسيتين – وهما تحليل الشاهد الداخلي والتحري عن الشاهد الخارجي، أو مقارنة الوثائق بغيرها، ودراسة القرينة الاجتماعية للوثيقة، من المآثر التي تأخذ مكانتها بين الأمور العلمية[٣٧]

و "التثبت" من صدق الوثيقة على هذا النحو، وإخضاعها للنقد والتحليل، أو ما يعرف بالتاريخ النقدي، يقول الفيلسوف الألماني "هيجل" إنه هو الذي يستحق أن نسميه بـ "تاريخ التاريخ" لأنه نقد للروايات التاريخية ودراسة لحقيقتها ومعقوليتها، والصفة المميزة له من حيث هو كائن وما ينبغي أن يكون، تكمن في حدة الذهن التي يتمتع بها الكاتب والتي تمكنه من أن ينتزع من الوثائق أشياء ليست موجودة في المادة المدونة[٣٨] .

وبوضوح شديد يؤكد "إدوارد كار" هذه المعاني بقوله . "إن التقديس الأعمى للحقائق الذي ساد في القرن التاسع عشر، قد اكتمل ووجد مبررا له في التقديس الأعمى للوثائق. لقد كانت الوثائق حقيقة إذن. ولكن ماذا تخبرنا الوثائق ؟ المراسيم والمعاهدات والكتب الزرقاء والمراسلات الرسمية والأوراق الخاصة واليوميات. إذا ما تفحصناها بدقة ؟ ما من وثيقة بوسعها أن تخبرنا أكثر مما أراد لها محررها، الشيء الذي اعتقد هو بأنه حدث. أو الذي اعتقد بوجوب حدوثه، أو أنه سيحدث، وليس لهذه الأمور أية أهمية إلى أن يباشر المؤرخ تأثيره فيها وفك مغالقها إن الحقائق سواء وجدت في الوثائق أو لم توجد، فإنها لابد أن تخضع لصنع المؤرخ قبل أن تعم فائدتها، وأن الفائدة التي يستخلصها من الوثائق، هي عملية الصنع"[٣٩] "التاريخ هو تجربة المؤرخ، إنه ليس من صنع أحد باستثناء المؤرخ. وكتابة التاريخ هي الطريقة الوحيدة لصنعه"[٤٠] ويتحدث الدكتور عبد الرحمن بدوي[٤١] حديثاً طويلاً عن الوثيقة. وكيف أن التاريخ يصنع من الوثائق. ويفرد الصفحات الطوال لبيان أهمية الوثائق وكيفية معالجتها وتناولها ودراستها وتمحيصها، وكيفية جمعها وفهرستها والإفادة منها .

من كل ما تقدم ندرك أهمية "الوثيقة" في الدراسات التاريخية، وإن كان استخراج ما فيها يعتمد على حاسة المؤرخ التاريخية، ومهما يكن من أمر فقد تبين لنا بعد هذه الدراسة أن التاريخ مع اعتماده الأساسي على المصادر التاريخية، أو الوثيقة بمضامينه المتعددة في عالم اليوم، إلا أنه في الوقت نفسه لا يمكن أن يغفل جانب الرواية الشفوية، والتي لابد أن تكون قد دونت من بعد بشكل أو بآخر ، فهي تكمل للمؤرخ جوانب نادراً ما يمكن أن تتحدث عنه أو تتضمنه الوثيقة . ويقف "كوليجوود" بعض الشيء في كتابه "فكرة التاريخ" ليتحدث عن "المصادر المكتوبة" و "المصادر غير المكتوبة" ويتناول الفارق بينهما، وإن كان يقصد بالأخيرة المخلفات الأثرية التي تركها الإنسان، ويقول إنها كانت في الأصل قبل تحطيمها "مصادر مكتوبة" .

"الوثيقة" إذن بمعناها الواسع، هي عصب الدراسة التاريخيـة، إلا أنـه من الصعـب نزعـها مـن واقعـها الاجتمـاعي الذي وجدت فيه، أو كتبت من خلاله، والواقع الاجتماعي يمتد هنا ليشمل كـل مناحي الحياة الإنسانية فـي المجتمـع، والوثيقة بمعناها الواسع الذي عرضنا لـه من قبل، لابد أنها جزء من هـذا الإطـار الاجتماعي الضخم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، والروايـة الشـفهية التـي غـدت مأثورات شعبية بفعل الزمن تمثل خلفية الكتابـــة التـي لابـد أن يمـلأ فراغـها المؤرخ .

**أ. د. رأفت عبد الحميد محمد**

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

وعميد كلية الآداب – جامعة عين شمس

# الهوامش

١ – سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن، بيروت ١٩٨٥، جـ١ ص ٣ .
٢ – سيرة الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٩٦، المجلد الأول، ص ١١ .
٣ – سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب، بيروت ١٩٨١، المجلد الأول ص ٥ .
٤ – سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن، بيروت ١٩٨٥، جـ١ ص ٣ .
٥ – ألف ليلة وليلة، بيروت بدون تاريخ، جـ١ ص ٥ .
٦ – سيرة الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٩٦، المجلد الأول ص ١٠ .
٧ – مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، القاهرة١٩٣١، ص ٥٠ – ٥١ .
٨ – المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة بدون تاريخ، جـ١ ص ٢٠ .
٩ – ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المقدمة، بيروت بدون تاريخ، ص ٤ .
١٠ – ابن خلدون، المقدمة، ص ٤ .
١١ – المصدر نفسه، ص ٣ – ٤ .
١٢ – روزنتـال (ف) علم التاريخ عند المسـلمين، ترجمة صالح أحمد العلى، بيروت ١٩٨٣، ص ١٦ .
١٣ – المرجع السابق، ص ٣٣ .
١٤ – فجر الإسلام، القاهرة ١٩٦١، ص ١٥٦ .
١٥ – عبد المنعم ماجد، الحضارة الإسلامية، القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .
١٦ – ابن خلدون، المقدمة، ص ٣١ .
١٧ – السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنتـال، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت بدون تاريخ، ص ٩٢ – ٩٣ .
١٨ – قاسم عبده قاسم، بين التاريخ والفولكلور، القاهرة ١٩٩٣، ص ١٦ – ١٧ .
١٩ – إيمري نف، المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق إسكندر، بيروت بدون تاريخ، ص ٢ .
٢٠ – شايلد (ج)، التاريخ، ترجمة عدلي برسوم عبد الملك، القاهرة بدون تاريخ، ص ٥٢ – ٥٣ .
٢١ – المؤرخون وروح الشعر، ص ١٢١ – ١٢٢ .

٢٢ - إيمري نف، المؤرخون وروح الشعر، ص ١٢٢ .

٢٣ - هرنشو (ف)، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، القاهرة ١٩٤٤، ص ١٥ .

٢٤ - قاسم عبده قاسم، بين التاريخ والفولكلور، ص ٢٤ .

٢٥ - فريدرش فون دير لاين، الحكاية الخرافية، ترجمة نبيلة إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥ ص ١٤١ .

٢٦ - المرجع السابق، التقديم، ص ٦ .

٢٧ - ابن خلدون، المقدمة، ص ٤، ١٠ .

٢٨ - السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص ٢١ - ٢٢ .

٢٩ - المصدر السابق، ص ٢٢ .

٣٠ - المصدر السابق، ص ٢٥ .

٣١ - الإعلان بالتوبيخ، ص ١١٤ .

٣٢ - ابن منظور، لسان العرب، ج٤١ مادة "وثق" .

٣٣ - لمزيد من التفصيلات عن هذا الموضوع راجع، ليلى الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي، دمشق ٧٨ - ١٩٧٩، ص ١٥٤ - ١٦١، حيث تذكر الوثائق بمعناها العام الشامل في ثلاث مجموعات : أ - الوثائق المكتوبة والمطبوعة، ب - الوثائق الأخرى، ج - الرواية المباشرة أو المصدر الحي، ويدخل ضمن الأولى وثائق الأرشيفات الحكومية والمنظمات الاجتماعية والمدونات الإعلامية والتقارير السرية، ويندرج تحت الثانية المنشآت العامة كالقصور والمعابد والمساجد والكنائس والمقابر وغيرها .

٣٤ - كولينجوود، فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، القاهرة ١٩٦٨، ص ٤٤٦ .

٣٥ - المرجع السابق، ص ٤٧١ .

٣٦ - علم التاريخ، ص ٨٠ - ٨٦، حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، القاهرة ١٩٧٠، ص ٦٥ .

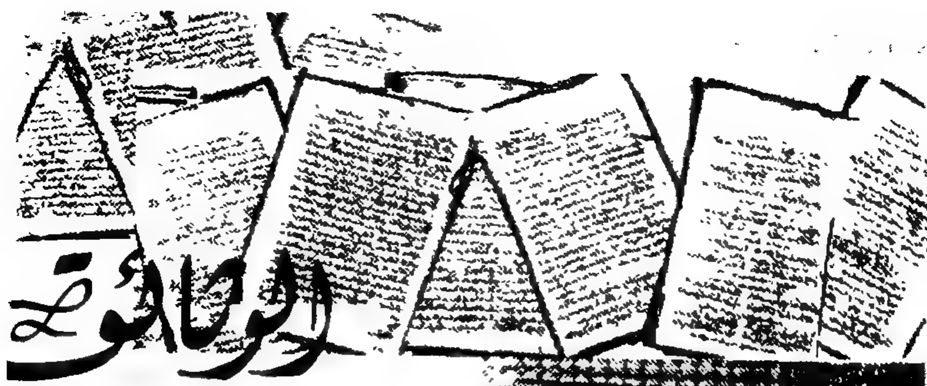
٣٧ - أتكن (هـ.ج.) دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ترجمة محمود زايد، بيروت ١٩٦٣، ص ١٤٩، Marwick (A.)The Nature of History, London 1973,P. 132-138.

٣٨ - هيجل (ج.ف.) محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة بدون تاريخ، ص ٦٩ .

٣٩ - إدوارد كار، ما هو التاريخ، ترجمة ماهر كيالي وبيار عقل، بيروت ١٩٧٦، ص ١٤ .

٤٠ - المرجع السابق، ص ٢٠ .

٤١ - النقد التاريخي، الكويت ١٩٧٧، ص ٥ - ٢٦ .



# الوثائق

## وأهمية





# التاريخية المسجلة

## مقارنتها بالروايات الشفهية

بقلم : **الدكتور عبد العزيز عبد الغني إبراهيم**

المؤرخ صانع فعالية التاريخ تتشكل عدته في صناعة البناء لتاريخي من الوثيقة التي هي المادة التي يعلى بها صرح البناء لتاريخي. وكذلك من الصفات التي تميز المؤرخ نفسه من صبر وجلد. وسعة في المعرفة، وتمرس في النقد. وصدق ونزاهة، وقوة توسم وخيال مقيد بالشواهد الوثائقية . وتعد هذه الصفات لتي يمتاز بها المؤرخ، الخارطة التي يقوم عليها البناء لتاريخي. فالمادة، لا تصنع البناء، والحروف لا تصنع الكلمات ما لم تنظم، والكلمات لا تصنع الجمل المفيدة ما لم تجد من ينظمها بمنهج وهدف . وعلى ضوء هذا يجب علينا أن نقر بداية ن التاريخ مادة تتأثر بالذاتية، وجدت الوثيقة أم لم توجد . ونذهب إلى أننا حين ندفع لمؤرخين اثنين بمجموعة واحدة من ت الوثائق فإننا سنصل بالقطع إلى صياغة عملين متمايزين سهجاً. وقد لا يتفقان في نهاية المطاف على نتيجة بعينها .



سقنا هذه المقدمة لنقول بأن صناعة التاريخ تعتمد على عنصرين متلازمين هما الوثائق والمؤرخ، كل على حدة . سيقتصر بحثنا هنا على الوثيقة دون المؤرخ الذي بيده أن يقارن بين هذه الوثائق المختلفة يعتمد منها ما يشاء على ضوء حرفته، ويستبعد منها ما يشاء على ضوء قدراته على النقد وسلامة الحجة . فهل يجوز للمؤرخ أن يصنف الروايات إلى شفهية ومسجلة ويعتمد على هذا التصنيف في تضعيف هذه المجموعة أو قبول تلك، أم أن عليه أن ينظر لكلا الصنفين من العمل بعين مجردة وعقل مفتوح لا يتقيد إلا باختلاف مناهج النقد اللازمة لكلا النوعين .

نبدأ بسؤال نحسب بأنه سينفي الفواصل بين الوثيقة الشفهية والوثيقة المسجلة ونعتقد أنهما وجهان لعملة واحدة لا اختلاف بينهما يستوجب بالضرورة مقارنة واحدة منهما بالأخرى . فحين يقتضي العمل التاريخي مقارنة بين الوثائق علينا ألا ننظر إليها بحسبان أن هذه وثيقة شفهية والأخرى مسجلة، إنما يجب علينا أن ننظر إلى كافة الوثائق في ضوء النقد التاريخي الذي يصنع الضوابط المنهجية لكل من هذين الشكلين من الوثائق .

## والسؤال هو : ما هي الوثيقة ؟

اشتقت كلمة وثيقة (Document) من الأصل اللاتيني(Docere) بمعنى يعلم، ولهذه الكلمة (وثيقة Document) عدة معان تتسع وتضيق : فهي في معناها الحرفي الضيق تعني كافة أوراق الدولة الرسمية التي تضم القوانين التشريعية والتنفيذية والقضائية والمعاهدات وكافة المعاملات المتصلة بالدوائر الرسمية . أما المعنى الأوسع لهذه الكلمة فيشمل كافة الأوراق المكتوبة والمصورات والبقايا الأركيولوجية والروايات الشفهية وكافة ما يمكن للمؤرخ أن يستعين به من مادة في كتابته للتاريخ .

أما كلمة توثيق (Documentation) فإنها ذات مدلول أشمل وأعم مما ذكرنا . فهي غير مقصورة على الشواهد التاريخية ومواد المؤرخين لأنها تدل على كل وسيلة ممكنة للبرهان على أمر ما اعتماداً على مراجع بعينها . فالتوثيق يستخدمه المؤرخون كما يستخدمه غيرهم من الباحثين والمعنيين بالمجالات العلمية المختلفة .

وعلى ضوء ما ذكرناه نرى أن الوثيقة المكتوبة، والوثيقة المنقوشة والمصورة والمحفورة، والوثيقة الشفهية، لا تزيد عن كونها نقوشاً على وجهي عملة واحدة يقع على المؤرخ تحديد قيمتها التاريخية .وفي اعتقادنا أن الرواية الشفهية أصل متجذر في كتابة التاريخ الذي لا نستطيع أن نرد بداية كتابته إلا إلى الاستفسار . فإذا سلمنا بما هو متعارف عليه في أوساط المؤرخين من أن التاريخ المكتوب بدأ مع هيرودوت الملقب بأبي التاريخ فإننا نجد أن تواريخ هيرودوت لا تزيد عن كونها أسئلة وإجابات، بل أن كلمة تاريخ نفسها حين نحاول الوصول إلى معناها اللغوي (هستوريا **Historia**) فإننا نجد أن ترجمتها لا تعني إلا كلمة استفسار . وأن الاستفسار الذي قام به هيرودوت ثم ثيوديد **Thuydides** من بعده ومن لف لفهما في ذلك العصر حوى فيما حوى المتواترات **Oral Tractitions** كما اشتمل على المعلومات التي سعى كل من هذين المؤرخين وغيرهما إلى جمعها من أفواه الناس .

ذهبت بهيرودوت أسفاره بعيداً عبر آسيا الصغرى ومناطق من الشام وفلسطين ومصر وهو يجمع من أفواه الناس القصص عن الماضي ويتفحص الآثار ويقف دارساً عند الأطلال والخرائب والمخلفات الأثرية . ولا مندوحة من القول بأن كثيراً من تواريخ هيرودوت قد روت حوادث وقعت قبل عهده بقرون أثبتها هذا المؤرخ دون دليل مكتوب إنما استقاها من أفواه الرجال . كتب هيرودوت عن أهرامات مصر وعن فراعنتها ووضع لهم تسلسلاً تاريخياً، كما ذكر شيئاً من أخبارهم، ونسج هيرودوت على ضوء منهجه من أقوال محدثيه ما أثبت العلم الحديث صدقه، واستحق هيرودوت باستفساراته التي أثبتها لقب أبي التاريخ، ذلك رغم أنه أورد كثيراً من الترهات التي سمعها والتي لا تثير في القارئ الحديث إلا الضحك .

ويختلف عمل ثيوديد عن عمل هيرودوت وأعمال غيره من المؤرخين الإغريق والرومان (اكسنفون، بوليبوس، سالوست، قيصر، تاكيتوس، أميانوس **Ammianus** ومارسيلينوس **Marcellinus** وغيرهم) في أنه اعتمد الوثائق الشفهية ولكنه زاد على ذلك بأن أثبت خبرته الخاصة وغدا شاهداً على عصره . فقد

شارك ثيوديد في كثير من الحوادث التي كتب عنها . كتب الرجل عن حرب البلوبونيز التي كان من جنودها. وقد بدأ تسجيله لحوادث تلك الحرب مع بداياتها واستمر على دأبه ذلك يكتب عنها دون انقطاع لمدة سبع وعشرين سنة متصلة. وهي المدة التي شغلتها تلك الحرب. كان ثيوديد طول هذه المدة الزمنية يسجل الحوادث التي عاشها في الميدان ولكنه لم يكتف بذلك بل إنه كان يشد الرحال من مدينة إغريقية إلى أخرى يناقش المشتركين في الحرب ويأخذ من أفواههم ويكتب وعلى الرغم من الدقة التي اتسمت بها كتابات هذا المؤرخ العظيم إلا أنه صرح في مقدمته بأنه لم يرم إلى بلوغ مرحلة "الدقة المتناهية" لأنه عمد إلى نقل القيم المفيدة المتخلفة عن الحوادث التي رواها له الآخرون . وفي اعتقادنا أن ما قاله ثيوديد هنا يضعه في مقدمة المؤرخين في كل عصر. فالتاريخ قيمة أخلاقية وهدف في ذاته يرمي إلى خدمة المجتمع .

واستمر الغربيون يعتمدون المتواترات والشواهد الشفهية قبل فترة العصور الوسطى. وعلى امتداد هذه الفترة حتى نهايتها . وكان لهذه الشواهد والمتواترات أهمية خاصة يعترف بها المؤرخون الغربيون في العصر الحديث في دراسة وتسجيل ما جاء في "الكتاب المقدس **Bible**" في العهدين القديم والجديد وبخاصة في العهد الجديد (الأناجيل) . فالثابت تاريخياً أن كل ما ورد في العهد الجديد تم جمعه وتصنيفه في القرنين الثاني والثالث الميلاديين. وقد استغرق هذا الجمع للمادة من أفواه الناس أكثر من سبعين عاماً . وقد كان أكثر النصارى في تلك الفترة أميين لا يعرفون الكتاب "إلا أماني" ويعتمدون تماماً على الكلمة المنطوقة. وكان أوائل المنصرين في أوروبا يعتمدون على الكلمة المنطوقة لا المقروءة في نشر ثقافة الإنجيل في أوساط المتحولين الجدد في أوروبا

أما في العصر الوسيط فقد اعتمد المؤرخون الغربيون على التاريخ الشفهي اعتماداً كبيراً خاصة ما ورد عن أولئك المؤرخين الذين يعرفون بالمؤرخين التقليديين الذين يرجعون إلى ويلز واسكتلنده وإلى أيرلنده خاصة . عرفت هذه المناطق عدداً من المؤرخين اتخذوا رواية التاريخ حرفة يكسبون بها

معاشهم . وكانت الأسر الكبيرة التي يردد لها هؤلاء الرواة تاريخها هي التي تتولى الإنفاق عليهم وتوظيفهم . ولربما تجاوز مثل هؤلاء المؤرخين مهمة المؤرخ فتجاوزوا إلى المحاباة والتغني بمآثر تلك المجموعة من العائلات، وبرروا ازدهار الأحوال الاجتماعية والسياسية في ذلك الوقت وردوه إلى أهل الفضل والخير من تلك الأسر . ولكننا حتى حين نستثني هؤلاء الجماعة من المداحين لا يسعنا إلا أن نؤكد بأن المؤرخين الملتزمين كانوا في تلك الفترة في أعمهم يعتمدون على الرواية الشفهية في تلك المجتمعات التي يمكن وصفها بأنها كانت أمية أو – على أحسن الفروض – شبه أمية . فكل مؤرخي غرب أوروبا المشهورين في العصور الوسطى من أمثال بيدي (Bede) وجريجوري التلوزي وأسيدور السفيلي (Isidore Seville) و ودوكند (Widukind) والآخرين كتبوا مثلهم مثل أسلافهم الإغريق والرومان في التاريخ المعاصر لهم واستعانوا بالمتواترات التي ورثوها من أخبار النصارى الأول، وأضافوا على ذلك – كما تشهد كتاباتهم – الأمثال والأقوال السائرة .

وظلت للتاريخ الشفهي المكانة الأولى في فكر مؤرخي العصور الوسطى في أوروبا . ويكفينا أن نشير إلى أن كافة سير "الآباء" وشهداء النصرانية الأول ومن إليهم من الرموز المقدسة في الفكر النصراني لم يتم تدوينها في أوروبا إلا اعتباراً من القرن الثالث عشر وقد اعتمد هؤلاء المؤرخون في هذا الصدد اعتماداً كاملاً على ذاكرة الشعوب وصدور الرجال التي توارثت تلك الأقوال جيلاً بعد جيل . ويمكن القول بأن الوثيقة الشفهية قد ازدادت في تلك الفترة رسوخاً وقداسة بفضل ما تحويه من أخبار القديسين والمقدسين . وفي الحقيقة فإن قداسة الرواية لم ترتبط في الذهن الأوروبي بالعصور التي شهدت تسجيل تاريخ النصرانية فقط إنما تجاوزت تلك إلى عصري الإغريق والرومان . فأحداث سقوط طروادة كما ترويه الإلياذة كان لها في الفكر الأوروبي القديم درجة من القداسة . وربما اعتبر بعض مستنيري ذلك العصر هومر المؤرخ الأول الذي سبق هيرودوت . ولم يكن هومر – على ضوء هذا الفهم – إلا أول من يشار إليه من المؤرخين الشفاهيين

ويؤكد احترام الأوروبيين المستنيرين في ذلك العصر القديم للرواية الشفهية ما ينسب إلى سقراط أو إلى بعض أساتذته من الفلاسفة من قول بأنه يفضل لكلماته أن تطبع على قلوب البشر الأحياء ولا يريد لها أن تدون على جلود الأبقار النافقة . وفي ظننا أن الرجل لم يخطئ الصواب. فالكلمة التي تعبر الأجيال من لسان إلى لسان أدعى للاحترام من الكلمة المحفوظة في الأضابير وأوسع منها انتشاراً . وأهمية الوثيقة الشفهية - في ظننا - كبيرة جداً. فأكثر الحوادث المتصلة بالإنسان لا تجد طريقها إلى التسجيل ولا تخلف ما يحدث عنها كتابة ولكنها قد تظل متواترة على ألسنة المجتمع

أخذت الرواية الشفهية في كتابة التاريخ الأوروبي تفقد قداستها ثم مكانتها منذ فجر النهضة وظهور فكر الإنسانيين ثم تهاوت بعد ذلك بالدراسات النقدية التي كان لورنزو فالا رائدها في ذلك العصر لم يثبت التاريخ الأوروبي الذي كان يقوم على التاريخ الشفهي بقوة أمام تلك الدراسات النقدية وأخذت أسسه تتصدع، وأصبحت الوثيقة المكتوبة من ثمة هي الأساس المعتمد لكتابة التاريخ .

وتطور منذ القرن السادس عشر مفهوم الوثيقة المسجلة مع تطور الفكر المادي للغرب . وفي القرن التاسع عشر عدت الوثيقة المكتوبة هي الركيزة الأساسية في توثيق التاريخ . ثم ما لبث أن تطورت في القرن التالي وسائل الطباعة وعلوم الأرشيف والمكتبات ووسائل الحفظ عموماً تطوراً كبيراً فأصبحنا نجد من مؤرخي الغرب من يقول : حين لا توجد وثيقة مسجلة فعلى التاريخ أن يصمت . ومع ذلك نجد أن كثيراً من مؤرخي التاريخ العسكري الغربيين لا يزالون على دأبهم يستخدمون الرواية الشفهية في كتاباتهم استخداماً واسعاً .

أما في البلاد العربية والأفريقية والبلاد النامية عموماً، فلم تظفر الوثيقة المسجلة بالريادة في تسجيل التاريخ الحديث إلا مؤخراً بعد الانفتاح على الغرب من قبل المؤسسات التعليمية المستحدثة في هذه البلاد وذلك لأن هذه البلاد كانت تفتقر إلى وسائل وآليات وتقنيات التوثيق المسجل، ولأن تلك المجتمعات كانت في أعمها مجتمعات

تسودها الأمية . غير أن الإنسان الذي هو مخلوق تاريخي لم يهمل في هذه المناطق تاريخه إنما تولاه بالحفظ وتعهده بالرعاية في الصدور وعلى الشفاه .

ولا تزال كثير من البلاد الأفريقية التي لم تجد حظها الوافر من التعليم تروي تاريخها شفاهة، ولا يزال في العديد من المجتمعات الأفريقية المتحدثة بالعربية والهوسا والسواحيلية على وجه الخصوص رواة محترفون اقتصرت مهمتهم على حفظ التاريخ عن الآباء . ففي رواندا – على سبيل المثال لا الحصر – أسر تتوارث أباً عن جد الرواية التاريخية يدرب الآباء الأبناء على حفظها وإلقائها تدريباً طويلاً مضنياً . ولا ريب إن وجدنا في هذا البلد رواة تاريخ محترفين رسميين تقتصر مهامهم على رواية التاريخ على الملأ إلقاءً في الأماكن العامة، كما نجد هنا نسابين تقتصر مهامهم على حفظ أسماء الملوك والملكات بالتتابع . وتختلف الفئتان المذكورتان في رواندا عن فئة من المواطنين المتخصصين في ذكر جلائل أعمال الملوك السابقين ومدح القائمين على الأمور من أبنائهم. وقد أحسن الذهن الرواندي حين ميز هذه الفئة الأخيرة وأطلق عليها لقب المداحين، أما الفئتان الأولى والثانية فلم يطلق عليهما أيضاً لقب المؤرخين إنما عرفهما باسم المكتبات المتحركة أو المكتبات التي تسعى على قدمين (Walking Libraries) .

أما التاريخ في البلاد العربية فقد عرف منه العرب في جاهليتهم لوناً شفهياً ساذجاً تمثل بصفة أساسية في حفظهم لأصول أنسابهم وفخرهم بمآثر أقوامهم وترقية روح الانتماء للعشيرة والقبيلة، وصاغوا كل ذلك شعراً ونثراً حفظوه في صدورهم وجرى على ألسنتهم . ومع ظهور الإسلام تطور مفهوم الأنساب واستقام، وعرف العرب والمسلمون التاريخ العلمي حين ولجوا التاريخ من أوسع أبوابه . فقد بث القرآن الكريم في أهله وعياً ناقداً بالتاريخ حين أمرهم بتدبير أحوال الماضين، وأصبح للتاريخ قيمة أخلاقية ربطت الماضي بالحاضر وبالمستقبل . وعرف التاريخ الإنساني لأول مرة أن الإنسانية في اتصال غير منقطع، وأن سعي الإنسان في هذه الحياة الدنيا سوف يُرى في الحياة الآخرة . ونشأ عند المؤمنين بهذه

النظرية شعور مؤكد بما يمكن أن يسمى بتاريخ المستقبل . فالتاريخ في محصلته النهائية هو حصاد اليوم من غرس الأمس الإنساني . فإذا عرفنا مسبقاً حصاد الغد بشكل مؤكد وجب علينا أن نعد اليوم بذور ذلك الحصاد ونتعهده ونرعاه .

لم يكن في الأميين الذين عاصروا فجر الإسلام من يحتفظ بوثيقة مكتوبة ، ولم يكونوا يكتبون غير القرآن . فقد ورد عنه ﷺ . من كتب عني غير القرآن فليمحه ويبدو أن الرسول قد خشي من اختلاط حديثه عند الناس بما يتنزل عليه من وحي فظل القرآن منذ ذلك العصر الباكر محفوظاً في الصدور والسطور أما الأحاديث الشريفة فقد ظلت في الصدور غير مكتوبة ، وأصبحت تروى . فقد أدرك المسلمون قيمتها كمصدر أصيل مؤكد من مصادر الفقه والتشريع

وحين تم للمسلمين جمع القرآن واعتماد مصحف عثمان ﷺ. ما عادوا يخشون تداخل الأحاديث في الوحي . أخذوا يفكرون في تدوين الأحاديث والسيرة والمغازي والتراجم بعدئذ وذلك خشية مما قد يداخل الأحاديث بالزمن من الأقوال المأثورة والحكم . ومما قد يدخله إليها أصحاب الهوى والأغراض وبهذا دخلت الرواية في تدوين التاريخ الإسلامي .

وتختلف الرواية الإسلامية التي اعتمد عليها المسلمون في تدوين التاريخ اختلافاً جذرياً عن كافة الروايات غير الإسلامية السابقة لها واللاحقة . فقد ولدت الرواية الإسلامية بمناهجها ارتبط التسجيل هنا بالدين ، فالسنة هي الرافد الثاني للإسلام . وكان على جامعي الروايات أن يدققوا في اللفظ والمعنى ويتوخوا في التسجيل غاية الحذر ووضع العلماء المسلمون الأوائل لأصل الرواية ضوابط الجرح والتعديل واعتدّوا باتصال السند . وفي اعتقادنا أن الرواية الشفهية في عالمنا المعاصر . إذا تهيأ لها الالتزام بتلك الضوابط الصارمة التي وضعها الأوائل . فإنها يمكن أن تصبح المقدمة على غيرها من الوثائق الأخرى المعتمدة في كتابة التاريخ . وتغدو المعيار الذي يمكن أن تقاس به كافة الوثائق المسجلة وغيرها .

اكتسبت الرواية الشفهية بحكم الجرح والتعديل واتصال السند مكانة خاصة لدى المؤرخين المسلمين في

الفترة التي شهدت بداية تسجيل تاريخهم، وأصبحت أمانة الكلمة المروية والثقة فيها تفوق الثقة في أي مصدر مسجل وأصبح التاريخ : "يروي على الحرف" أي يحفظ عن ظهر قلب .

أخذ طلائع المؤرخين المسلمين من كتاب السيرة على عاتقهم تسجيل كافة ما يتصل بشخصية الرسول الكريم، وجهدوا قدر طاقتهم في أن يكون تسجيلهم أميناً . لم يجلس أولئك النفر إلى مكاتبهم يحللون الوثائق المسجلة إنما راحوا يسيحون في البلاد يلتقون بكل من كان له صلة بأحداث العصر، شارك في الأحداث أم كان من سلالة المشاركين فيها أو من خدمهم ومواليهم، يستنطقونهم بعد إخضاعهم لمنهج الجرح والتعديل . وكانوا لا يأخذون عمن يدعو الناس إلى هواه، ولا من يكذب في أحاديثهم، ولا من شيخ خرف، ولا من سفيه . كان أولئك الرجال يتحرون في أشخاص الرجال ويبالغون في التحري، وكان أكثرهم يقوم بزيارات ميدانية للأماكن التي شهدت الأحداث والوقائع ويطابق بين الأقوال ومعطيات الأماكن .

ظل هذا المنهج معتمداً في كتابة العلوم الإنسانية عند المسلمين غير أن ضوابط الجرح والتعديل أخذت تتراخى قبضتها هوناً ما . فقد كان التمسك بها يكلف المؤرخ جهداً أكبر من جهد كتابته للتاريخ، أما اتصال السند فما عاد مع تنامي الزمن وبُعد الراوي زمنياً عن المصدر الأول ممكن التحقيق إلا بكثير من الجهد . وفي هذا الصدد يقول ياقوت بأنه ينقل عن المصادر بكل دقة وأمانة "سواء إن كان المنقول حقاً أم باطلاً فإن الصدق في إيراده" . وعلى الرغم مما تميز به ياقوت من صدق وأمانة لأنه كان غالباً ما ينقل عن صادقين ذوي معرفة وخبرة ودراية يثقون بما يدلون به إلا أنه وأمثاله من المعاصرين له واللاحقين، فارقوا - فيما نرى - المنهج الإسلامي القديم في كتابة العلوم الإنسانية بشكل أو بآخر، فقد جافوا روح المنهج، وإن لم يجافوا شكله . فروح المنهج تقتضي المقارنة والمقابلة والتحري، أما شكله فهو المتضمن تسجيل رواية الراوي . جاء في الفصل السادس من كتاب عبد الباسط بن موسى محمد العلموي المتوفي في دمشق (٩٨١هـ/١٥٧٣م) المفيد في أدب المستفيد الذي هو في حقيقته اختصار

لكتاب الدر النضيد المأخوذ عن تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم الذي كان قد ألفه ابن جماعة في ١٢٧٣م. القول بأن كل من يكتب كتاباً عليه مقابلة (مقارنة) كتابه بأصل موثوق . "فالمقابلة متضمنة للكتاب الذي يراد النفع به . قال عروة بن الزبير لابنه هشام ﷺ . كتبت ؟ قال · نعم . قال : عرضت كتابك ؟ أي على أصل صحيح . قال . لا قال · لم تكتب وقال الإمام الشافعي ويحيى بن أبي كثير : من كتب ولم يعارض، أي يقابل، كان كمن دخل الخلاء ولم يستنج" .

ظل المنهج الإسلامي في أمانة النقل معتمداً في كتابة التاريخ وطوّره آخرون بالوعي المكتسب، وظهر في البلاد الإسلامية مفكرون. في مقدمتهم ابن خلدون، ولم يرفضوا اتصال السند ولا ضوابط الجرح والتعديل، ولكنهم رأوا ضرورة عدم التقيد الصارم بهما إذا وافقت الكتابة المذكورة طبائع الأشياء . جاء عند هؤلاء النفر بأن تلك الضوابط الصارمة كانت ضرورية في تسجيل السنة وأخبار الرسول ﷺ لاتصالها بلب الدين. وكانت غايتها إفعل أو لا تفعل، أو هكذا كان دأب الرسول ﷺ ومنهجه الذي يجب على المسلمين أن يتبعوه ويتأسوا به . أما المسائل الإنسانية الأخرى المتصلة بلب الحياة العامة فليس المقصود منها الاتباع أو الترك. فنحن أمام أفعال تتطلب النقد وتخضع للتفسيرات العقلية .

وعلى الرغم من هذا التطور النظري الذي جاء به ابن خلدون والذي لم يستطع هو نفسه الاستجابة لمتطلباته. وعلى الرغم من أن الذين جاءوا بعد ابن خلدون تمسكوا به نصاً وإن لم يستطيعوا في الغالب العمل به. فقد ظلت أمانةالنقل السابقة لعصر ابن خلدون تسري في المؤرخين اللاحقين الذين كانوا يعتدون دائماً بذكر أسماء الرواة ويترجمون لهم أحياناً . قال المقريزي (ت ١٤٤٢م) عن مصادره في خطط مصر أنه استعان بالمصنفات الأدبية. وبالمعلومات التي عمل على جمعها من أساتذته ومعاصريه من العلماء، واستند على مشاهداته الخاصة ومعايشته لأحداث عصره : "أما الرواية عمن أدركت من الجلّة والمشايخ فباني في الغالب والأكثر أصرح باسم من حدثني إلا أن لا يُحتاج إلى تعيينه أو أكون قد

أنسيته، وقلّ ما يتفق ذلك . أما ما شاهدته فإني أرجو أن أكون، ولله الحمد، غير متهم ولا ظنين" .

ويمكن لنا هنا أن نقول أن الأصل الذي ثبتت عليه كتابة التاريخ الإسلامي هو الأمانة والصدق، فقد كان كل من يكتب في التاريخ الإسلامي يقيد نفسه بهما. فإذا أتيح للمؤرخ أن يستمد معلومته من شاهد عيان يسميه للقارئ فقد كان ذلك أدعى له من الرجوع إلى أصل مكتوب، أما إذا أتيح للمؤرخ أن يكتب عن معايشته للأحداث التي شاهدها أو اشترك فيها فإن على من يريد الاعتماد عليه أن يستوثق نقدياً من صدق ذلك المؤرخ ثم يأخذ منه ما يشاء . يقول السخاوي إن كتاب الصولي : تاريخ الوزراء "كتاب فاضل" لأن مؤلفه كان شاهد عيان لكثير من الحوادث التي يأتي على ذكرها في مصنفه هذا . أما الصولي نفسه فيقول عن منهجه في كتابه "أخبار الراضي" والمتقي فيما كتبه عن الخليفة الراضي : "ما حكيت من ألفاظه التي جرت وما أحكيه من كلامه بعد. فهو كما أحكيه أو شبيهه أو مقارب، وإذا كنت لا أقدر أن أحفظ لفظه فأنا أحفظ معناه" .

إلى هذا الحد البعيد بلغت الدقة في الرواية الشفهية في تراثنا التاريخي فلا ريب أن كانت الرواية الشفهية أصدق من غيرها . أما الروايات الأخرى فتقارن بها فهي التي يعول عليها في هذا الصدد . وثق المسلمون - حتى العامة - في الرواية الشفهية أكثر من المسجلة، وكانوا يؤثرون التعليم الشفهي على العلم المحصل من الكتب، ويعتقدون - صواباً - أن الأخذ عن معلم خير من الأخذ عن كتاب .

اتسعت مع الزمن الكتابة التاريخية لدى المسلمين فتطورت ثم ترهلت وذبلت بعدئذ، شأنها شأن المجتمعات الإسلامية . وحين وفد الغرب مستعمراً للشرق أو مهيمناً عليه بصورة أو بأخرى، قدم مؤرخوه لأهل البلاد المغلوبة مناهجهم فتلقفوها على علاتها . وللأسف فقد أنكر أكثر الرعيل الأول من المؤرخين العرب والمسلمين الوثيقة الشفهية، وغدت الوثيقة المكتوبة عندهم أقوى من الوثيقة المنطوقة، فجانبهم الصواب حين أغشاهم بريق الغرب . فالمؤرخون الغربيون - حين أنكروا الوثيقة المنطوقة - استجابوا لمناخهم الثقافي . فالرواية الشفهية على امتداد

استعمال الغربيين لها لم تعتمد عندهم أبداً على منهج علمي قوي تقوم عليه خلافاً لما كان سائداً في العالم الإسلامي الذي اعتمدها بضوابط تجعل درجة الثقة فيها عالية ودرجة الصدق فيها لا يتطرق إليها الشك . ولهذا فكل عمل تاريخي اعتمد فيه الغرب على الرواية عبر تاريخه داخله الغرض والهوى . أما كل عمل تاريخي في الشرق المسلم عبر تاريخه فقد جردته الضوابط المنهجية القاسية من الغرض والهوى، ولم تعتمد من المروي إلا الصادق المجرد من الغرض . هذا إضافة إلى اعتبارات قومية ووطنية كانت تحرك تاريخ الغرب ما كان يعرفها تاريخنا الإسلامي .

فأكثر المؤرخين الأمريكان كانوا - ولايزال العديد منهم - ينكرون دور الروايةالشفهية في كتابة التاريخ . وتنصب اعتراضاتهم على أن مثل هذه الروايات تؤخذ عادة من أفواه الأميين، ولا يهم - في تقديرهم - إن كان الأميون يتذكرون الحوادث أو لا يتذكرونها، ولكن الأمي - كما يقولون - لا يدرك القيمة التاريخية للحوادث التي يرويها . وينفي هؤلاء النفر القيمة التاريخية لكافة المتواترات اعتماداً على حجة لا تثبت أمام التمحيص . تقول هذه الحجة أنه ليس للإنسان البدائي إحساس حقيقي بالتاريخ وهذا عندما ينعدم الإحساس الحقيقي بالتاريخ في جماعة ما فإن الشهادات التي يدلون بها قد يكون لها مردود خطير إذا استعملها المؤرخ في كتابة التاريخ . ولا ضير أن نشير هنا إلى أن هذا الرأي العنصري المتحيز نبع أساساً من إنكار أصحابه لكافة متوترات الجماعات البدائية التي سادت القارة الأمريكية قبل وصول الرجل الأبيض إليها، ومن محاولة هذه الجماعة أن يكون العالم الجديد جديداً تماماً غير مشدود إلى ثقافات عناصر بدائية أصيلة أو عناصر بدائية مجلوبة عن طريق الاسترقاق من أفريقيا وغيرها .

وبالقطع فإننا - في العالم العربي الإسلامي - حين نتحيز ضد الرواية الشفهية انحيازاً "للتحديث" إذا جاز التعبير نخطئ كثيراً فليس في المجتمع العربي والإسلامي انقطاع قيمي أو أخلاقي، أما الإحساس بالتاريخ فهو موجود حتى عند الأميين في مجتمعاتنا . فالأمية في المجتمعات المسلمة لم تصل أبداً إلى حد البدائية

أما ذاكرة الحفظ وأمانة الرواية ومعاني القيم وما إلى ذلك من المتلازمات فهي عند الأميين في مجتمعاتنا أصيلة ونشطة . فمن في هذه المجتمعات من الأميين لا يحفظ قدراً من القرآن لأداء صلاته، ومن منهم لا يدرك معاني اليسير الذي يحفظه، ومَن مِن الأميين أيضاً من لا يحفظ من الشعر، خاصة العامي منه، والشعبي قدراً كبيراً، فالشعر سليقة عربية، وكم من أمي في هذه المنطقة من العالم من لا يحرك شعره الذي يقرضه أشجان الصفوة المتعلمة !

وقد رفض بعض المؤرخين الأوروبيين الرواية الشفهية في كتابة التاريخ اعتماداً على أن هذه الرواية الشفهية تنتقل عبر الأجيال المتطاولة من شخص إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى، ثم ما تلبث هذه الرواية أن تفقد قيمتها التاريخية . فالأقوال مثلها مثل كل كائن حي تنمو وتتبدل وتشيخ . وكل شخص ينقل روايته عن آخر يضيف إليها ويعيد تأليفها ويضفي عليها عناصر الخيال إشباعاً لرغبته الشخصية في التأليف والإبداع، ووصولاً إلى ما يروق سامعيه وإحداث التأثير الذي يتوخاه . هذا بالإضافة إلى التغييرات التي تدخل إلى الرواية المنتقلة من عصر إلى عصر استجابة لروح العصر . ولا نعترض على هذا الرأي الذي لا نأخذ عليه إلا المبالغة والعمومية . فالرواية الشفهية أشكال عدة وأصناف متجانسة وغير متجانسة . فلا يصح أن يبنى مثل هذا الإنكار على تسطيح الحقائق .

فالمتواترات (Oral Traditions) التي هي الرواية الشفهية تعني كل قول مرسل يُعنى بالماضي، نثراً كان ذلك القول أم شعراً . وهذا الإرسال هو الأمر الذي يميزها عن الوثيقة المسجلة المقيدة بالكتابة، وبالقصد من الكتابة وكما أنها تختلف في طبيعتها عن الوثيقة المادية التي يمكن أن يستعملها المؤرخ مصدراً من مصادر معرفة الماضي .

وفي اعتقادنا أن الرواية الشفهية لشاهد العيان لا تدخل في المتواترات ولا في الاعتراضات المذكورة آنفاً . فهي ليست منقولة من زمن إلى آخر، ولا من لسان إلى آخر . ومن ثم فإن مثل هذه الرواية الشفهية تخرج تماماً عن دائرة المتواترات التي تتمثل بشكل أساسي في الكلام المنقول عن مصادر مسموعة ليس

للراوي فيها إلا فضل النقل . وبناءً على هذا يمكننا القول بأن مثل هذه الرواية الشخصية لشاهد العيان ليست من المتواترات إنما هي خبر من الدرجة الأولى يجب على المؤرخ أن يتعامل معه بعد تمحيصه ونقده بما هو أهل له من الاعتماد .

تعد الشهادة الشفهية، أو الخبر من الدرجة الأولى، مهم تماماً في دراسة التاريخ المعاصر أو التاريخ الحي الماثل والشهادة الشفهية مهمة بصفة خاصة حين تتصل بتاريخ الخليج العربي والأقطار الأخرى التي ينشط فيها فعل التاريخ بالطفرة الاقتصادية الكبيرة والقفزات الواسعة في المجالات التعليمية والحضارية المختلفة خاصة في المجال التعليمي .

ولربما جاز لنا هنا أن نثبت شهادات بعض الشهود العيان التي وقفت عليها عرَضاً . فقد حدث أن أبديت لأحد الزملاء من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمارات إعجابي باخضرار بلدة العين . وكان مما أثار دهشتي إجابته بأنهم قبل امتداد هذه الخضرة ما كان لهم أن يحتسوا الشاي في منازلهم إلا مخلوطاً بذرات الرمال التي كانت تجد طريقها إلى داخل الكوب . وحدثني صديق آخر من المهتمين بالدراسات الخليجية من العاملين في مجال حفر الآبار. أنه حين تم تفجير أول بئر ارتوازية في العين تدفقت عليهم مع تدفق المياه كل البادية برجالها وإبلها وطيورها وثعابينها وعقاربها وكافة هوامها . ولربما نستطيع أن نثبت شهادة عرضية ثالثة لشاب سألته عن شارع معين في أبوظبي. وكنت أدرك أنه أقام في هذه البلدة لفترة طويلة، فأجاب بأنه لا يعرفه لأنه غادر أبوظبي في الفترة الأخيرة لمدة سنتين عاد بعدهما ليجد أن كثيراً من ملامح المدينة قد تغير تماماً .

وعليه نعتقد أن الشهادات الشفهية لشهود العيان التي قد لا تجد سبيلها للتسجيل مهمة يجب على المؤرخ. خاصة حينما يدرس الجوانب الحضارية أو الاجتماعية أو العمرانية المعاصرة، أن يسعى إلى تسجيلها . فكل جملة من الجمل الماضية التي جاء بها الشهود المذكورون تصلح لأن تقوم عليها خطة بحث لموضوع في التاريخ أو لموضوعات عدة .

أطلقنا على مثل هذا الخبر المباشر صفة الخبر من الدرجة الأولى، وهناك - في تقديرنا - خبر من الدرجة الثانية لا يدخل أيضاً في دائرة المتواترات . ونقصد بالخبر من الدرجة الثانية الرواية التي يرويها من لم يدرك الحدث ومن لم يساهم فيه ولكنه وجده عن والده أو جده أو أحد أقربائه أو معارفه أو جيرانه . ونستطيع أن نعامل الخبر من الدرجة الثانية معاملة الخبر من الدرجة الأولى وذلك بإضافة شرطي اتصال السند والتحقق من أهداف الراوي الأول لروايته .

أما الخبر من الدرجة الثالثة فإننا نطلقه على ذلك الخبر الشائع على ألسنة الناس الذي لا يستطيع الراوي أن يثبت مصدره، فيمكن أن نعده من المتواترات . فهو يختلف عن الخبرين من الدرجة الأولى والثانية في أمرين هما : عمق الامتداد الزمني للخبر، ثم عدم معرفتنا للشخصية التي روت الخبر أولاً . واعتماداً على هذا الرأي ندخل الخبر الثالث في دائرة المتواترات التي هي في جملتها ذكريات من الماضي انتقلت عبر ذاكرة المجتمع على ألسنة الناس إلى الحاضر . وفي اعتقادنا أن مثل هذا الخبر من الدرجة الثالثة لا يجوز اعتماده مصدراً للتاريخ ما لم تؤيده شواهد أخرى تكون قد أثبتت صدقها . فالمؤرخ لا يتفق له أن يسبغ ثقة مسبقة على نوع من الوثائق دون النوع الآخر. فهو لن يأخذ الوثيقة المنطوقة على عواهنها ولن يقبل الوثيقة المسجلة على علاتها .

وحين نتجاوز الخبر بدرجاته الثلاث ونخرج إلى المأثورات التي هي لب المتواترات، يتحتم على المؤرخ أيضاً أن يجري مقارنة وثيقته المسجلة بهذه المأثورات وينبذ منها ما يتعارض مع روح هذه الروايات . ولا مندوحة هنا من القول بأن كافة هذه المأثورات وجدت طريقها إلى الحفظ في صدور الرجال وعاشت فيها أجيالاً بعد أجيال لأنها تمثل تعبيراً صادقاً للنسيج الاجتماعي في المنطقة المعينة، فهي - في نهاية الأمر - التي تميز هذه المنطقة عن غيرها من المناطق الأخرى . ففي هذه المأثورات تسود قيم المجتمع التي يؤمن بها أو التي يتطلع إلى تحقيقها .

وفي الحقيقة فإن كل قول أو فعل يرثه مجتمع ما من الماضي يحمل دفقاً من المعلومات عن ذلك الماضي حتى

وإن داخل النسيج ما يداخله من الأسطورة والخرافة والإضافة . فالرواية الموروثة في المجتمع لها شكل ولها مضمون . ويمكن لكل باحث في التاريخ أن يرفض شكل الرواية لأن شكلها قد يختلف بالرواية من زمان إلى زمان بما قد يداخلها من إضافات عفوية أو متعمدة. كما يمكنه أحياناً أن يرفض الأخذ بأسلوب عقدة الرواية وطريقة حبكها غير أنه لا يستطيع أن يرفض المضمون أو الموضوع العام أو روح الرواية وما تعبر عنه من أهداف أخلاقية وقيم تظل ثابتة في المجتمع الذي يظل يردد تلك الرواية وما كان لهذه الرواية أن تعيش في ذاكرة المجتمع إلا لأنها تمثل تعبيراً عن بعض أغراضه وتجسيداً لتاريخ الفكر والثقافة والفلسفة فيه

وإذا كان من غير المتيسر لنا أن نستنطق المتواترات لتحكي لنا تاريخنا السياسي والاقتصادي دون الاستعانة بأي شكل آخر من أشكال الوثائق الأخرى فإننا نعتقد أن تطورها وازدهارها شكلاً ومضموناً يمكن أن يعتبر مصدراً قيماً من مصادر التاريخ الثقافي (Ethonohistory) .

ويستطيع المؤرخ أن ينظر إلى كل رواية من هذه الروايات السائدة في المجتمع لتحديد قيمتها التاريخية من عدة زوايا أهمها الغرض الذي تخدمه هذه الرواية في المجتمع الذي سادت فيه . وعلى المؤرخ أن ينظر أيضاً إلى حجم انتشار الرواية في المجتمع المعني والطبقات الاجتماعية التي تتمسك بروايته أكثر من غيرها. ثم المنحنى السيكولوجي للمجتمع تجاه هذه المتواترات .

تأتي الشعارات التي ترفعها القبائل والعشائر والعائلات الكبيرة "ونخوة" الأفراد بشقيها النثري والشعري في أعلى قائمة المأثورات أو المتواترات في هذه المنطقة، وتمثل - بعد النقد - مصدراً قيماً للتاريخ . فتحليل "نخوة" قبيلة ما أو عشيرة ما يكشف عن حجم ونوعية ارتباطها بالقبائل والعشائر الأخرى في المنطقة وخارجها وكثيراً ما نجد النخوة ذاتها عند قبيلة أو عشيرة تبعد عن الأخرى مئات الأميال مما يدل على انشقاقات أو هجرات من هذه المجموعة القبلية أو تلك وكثيراً ما تكشف "نخوة" الشيوخ عن قيم أخلاقية يعيشها ذلك الشيخ أو يتطلع إليها .

وهناك الشعر الملحمي أو الغنائي الذي يؤدى في "العرضة" أو "العيالة" وغيرها من الرقصات التي تكشف عن استعراض القوى والافتخار بالمآثر . وعلى الرغم من أن هذه الملاحم الغنائية العربية الشعبية لا يتجاوز عدد أبياتها غالباً عدد أصابع اليدين إلا أنها في موضوعاتها ومعانيها لا تكاد تختلف عن الإليـاذة، إحدى مفاخر الغرب التاريخية . هذا بالإضافة إلى أن العديد من القبائل لا تزال تحتفظ بأجزاء من تاريخها في صورة أغنيات وأهازيج تؤدى مع الرقصات أو بدونها فتثير في الرجال الحماسة بما تتضمنه من معاني الفروسية والبطولة . غير أن هذا الشعر، وإن كان في حد ذاته من المصادر التاريخية الثرة، غالباً ما تخالطه الأوهام والتخيلات الناجمة عن المبالغة والتضخيم والتهويل، إلا أن المؤرخ يستطيع أن يتعامل مع مثل هذا الشعر بقلم ناقد . وتبقى هناك خطورة أخرى في استعمال هذا الشعر في كتابة التاريخ . فمثل هذه الأشعار قد تنكأ في المجتمع جراحاً قديمة وتثير الإحن والثارات بين القبائل، وتحرك شجوناً طمرها الزمن وإن لم يتجاوزها تماماً .

ونعتقد أن مثل هذه المصادر الحساسة يجب على المؤرخ تسجيلها دون نشرها، ففي الزمن المقبل، مع تنامي التعليم وتتابع التطور، يمكن أن تبرز هذه الأحداث المسجلة غير المنشورة معلماً للمجتمع يسبر به غور مسيرته القاصدة لتحقيق الرفاهية والسمو فوق الممارسات القبلية .

ويرتبط بالأغاني والأهازيج ورقصات "العيالة والعرضة" وما شاكلها أغاني البكائيات أو النواح . فمع كل فقد جلل في القبيلة أو المنطقة تنطلق ألسنة الشعراء بالرثاء . فإذا قدر لهذه المراثي التي صاغها الإبداع الشعبي على وجه الخصوص أن تعيش على ألسنة الناس زمناً حتى تصبح في المتواترات فإن الأخذ بها - في ظننا - في كتابة التاريخ جائز والقياس عليها واجب، فمعانيها لم تحفظ وتخلد في الذاكرة إلا لأنها من قيم المجتمع، وهي في تقديرنا - روحاً وإن لم تكن نصاً - أحرى بالتصديق من الوثيقة المسجلة التي لا تتسق مع المعاني المذكورة . فالمؤرخ لا يستطيع أن يطرح جانباً شهادة مجتمع بأسره ويأخذ بشهادة أخرى لفرد لا لشيء إلا لأنها مسجلة . ويمكننا أن

نلحق بهذه الغنائيات أيضاً القصص الشعري الذي صاغته قرائح أمية مبدعة أخذته عنهم طوائف أخرى راحت عبر الزمن تلقيه في الأسواق والموالد والمقاهي والأماكن العامة .

وفي الحقيقة فإن مثل هذا القصص الشعري ليس مقصوراً على المناطق العربية والأفريقية التي ينتشر فيها انتشاراً واسعاً فقد عرف في أوروبا خاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر. كما عرف أيضاً في الولايات المتحدة الأمريكية وساد لفترة حتى بعد ظهور الصحف وتزايد عدد القراء . فقد كانت كل فاجعة تقع في ذلك المجتمع وكل أخبار الفيضانات والعواصف. لا بل حتى حوادث تصادم القطارات تصيغها القريحة الشعبية شعراً ويروي في الأماكن العامة . ويرتبط بهذا النمط أيضاً كل القصص والحكايات التي تسود المجتمع. والأغاني الشعبية للأفراح. والحكايات الشعرية والأهازيج التي تهدهد بها الأم صغيرها عند النوم أو تحكيها الجدة للصغار. فهذه المتواترات جميعها هي أوعية تصب فيها رموز هامة تعكس القيم الفنية والجمالية والأخلاقية السائدة في المجتمع، وتحدث عن آماله وطموحاته. وتكشف للمؤرخ العديد من النواحي ذات الطابع المحلي. وتمثل فوق هذا وذاك، سفراً متكاملاً من التاريخ الثقافي للمنطقة . وفي اعتقادنا أن كل قصص المجتمع. مهما كان نوعه. حتى ذلك الذي تخالطه الأساطير والماورائيات وقصص الجن والأشباح والغول والعنقاء. وقصص الحيوانات المختلفة التي قد تسود هذه الحكايات يجب أن تنال اهتمام المؤرخ . فكل تلك الحكايات وما فيها من الجن والأشباح والحيوانات. هي في نهاية الأمر قصص شارحة أو مفسرة من حيث جوهرها ترمي إلى شرح علة أو تثبيت غاية قيمية دفينة في وسط النسيج الخرافي وتحدثنا في بعض جزئياتها عن بقايا متخلفة عن مراحل ثقافية ماضية لعلها كانت واسعة الانتشار في ذلك المجتمع فيما مضى من الزمن . ويقع على المؤرخ حين يقارن الوثيقة المسجلة مع مضامين هذا التراث ويجد أنها لا تتسق مع روحه أن يتردد كثيراً في قبول تلك الوثيقة .

أما الأمثال والألغاز السائدة في المجتمع فهي ذات قيمة كبيرة في كتابة

تاريخ، بل يمكننا القول بأن المثل يقوم
ي الذهنية الشعبية مقام التاريخ لأنه
ربط الماضي بالحاضر . فالأمثال في
حقيقتها جمل حفظتها ذاكرة المجتمع
تظهر عادة للتعبير عن وضع حاضر كان
ه نظيره في الماضي .

والخاصيتان الأساسيتان في المثل
ما الطابع التعليمي من حيث الموضوع
الاختصار من حيث الأسلوب أولاً ثم
تركيز على الهدف الذي هو تعليمي
الطابع . وأبرز ما في المثل أنه ليس
تاج ذاكرة جماعية إنما هو صياغة عقل
رد واحد نتيجة لموقف معين . ولا
ستطيع المؤرخ أن يحدد الزمن الذي
لد فيه المثل بشكل محدد بل يكفيه أن
عين لذلك شريحة زمنية واسعة،
العبرة للمؤرخ ليست بالزمن الذي ولد
يه المثل ولكن في استشعار روح المثل
مضمونه مما يكشف عن عمق ثقافة
لمجتمع ونوعية القيم والمبادئ فيه،
غالباً ما يشير لنا المثل عن شيء من
حكمة المجتمع، وربما كشف لنا عن
سور من بيئته وإيكولوجيته .
الحيوانات الأبرز في أمثال نيجيريا
لى وجه الخصوص هي الأسد والضبع،
في السودان هي الجمل والصقر والثور
والتيس، أما في منطقة الإمارات فهي
الصقر والسخلة والتيس، والكلب
والدجاجة .

رفض المؤرخون الأوروبيون، حتى
حديثاً، الرواية الشفهية بحجة البدائية
كما أسلفنا، كما رفضوها بحجة أن تلك
الروايات الشفهية لا تكاد تحمل من
أصلها الذي انطلقت منه شيئاً، وإنها -
في أحسن حالاتها - لا تصلح إلا لكتابة
التاريخ الثقافي . ولعلنا قد قمنا من
جانبنا بتفنيد تلك الحجج الواهية .
وهناك ذريعة غريبة ثالثة لرفض
المتواترات في كتابة التاريخ والادعاء
بأنه على المؤرخ أن لا يلجأ إليها إلا
مضطراً . يقول هؤلاء أنه إذا كان لازماً
أن يقبل المؤرخ شهادة الوثيقة المروية
فعلية أن ينظر إليها على ضوء الوضع
السياسي والنسخ الاجتماعي "الراهن"
للمنطقة . احتج هؤلاء المؤرخون في هذا
الإطار بأن الرواية الشفهية متحيزة دائماً
وذلك لأن التحيز مغروس بالضرورة في
كل نسيج اجتماعي أو سياسي في منطقة
ما، وأن الأمي أشد ما يكون تحيزاً من
المتعلم، مما يجعل الحقيقة غير موجودة
في المتواترات، صناعة قرائح الأميين .
وعلى هذا قامت حجة هؤلاء النفر على

أن الاعتماد على الرواية الشفهية يجب أن لا يكون كاملاً شاملاً بمعنى أن لا يمكن لبحث كامل في التاريخ أن يقوم على الرواية الشفهية بمفردها .

أما إذا لم تتوافر للمؤرخ وسائل قياس ومقارنة للمتواترات في المجتمع المعني فعليه أن يقيسها بالمتواترات التي تسود مجتمع الجيران ويسبرها بما يتمكن من الحصول عليه من الموجودات الآثارية وآثار الظواهر الطبيعية، هذا بالإضافة إلى الاستنارة بآراء المثقفين والمستنيرين في المجتمع المعني حول تلك الروايات . وعلى المؤرخ - قبل هذا كله - أن يسقط من حسبانه أية رواية شفهية تظهر تناقضاً صريحاً في نسيجها الداخلي، أو تعارضاً مع حقائق ثابتة، أو مصادر موثوق بها . وعلى المؤرخ أن يستبعد مثل هذه الوثيقة الشفهية من مجال صناعة التاريخ ويضعها في مجال التقاليد الفلكلورية . ولا يخلو هذا الرأي في تقديرنا من وجاهة ظاهرية لأنه يطالبنا بالتشدد في نقد الرواية الشفهية قبل استخدامها ويحدد للمؤرخ وسائل النقد التي يجب عليه الأخذ بها . ونحن إذا كنا نوافق تماماً على مسألة التشدد في النقد لا نوافق أبداً على تحديد وسائل النقد للمؤرخ الذي يملك - في ظننا - وسائله الخاصة بالنقد التي تلائم كل وثيقة على حده . كما أننا لا نوافق أبداً على قصر التحيز على الرواية الشفهية دون سواها من المصادر التاريخية .

ونعتقد بدورنا أن الرواية المسجلة أدعى من غيرها وأقرب للتحيز إذ يجد الراوي وقتاً كافياً لتأنيق روايته، بل إن كاتب الوثيقة ربما حاول بما تهيأ له من علم أن يعمل في تأنٍ على إخفاء آثار التحيز ما أمكنه ذلك . وعليه نجد أن مثل هذا الإنكار للدليل الشفهي فيه تحامل واضح على المعرفة الذاتية بحسبان أنها بنيت على الاعتبارات الشخصية، وهي - بهذه الكيفية - تعد في اعتبار البعض أدنى مستوى من الموضوعية . وفي اعتقادنا أن التعامل مع المصادر في صناعة التاريخ هو أمر خاص بصفة كاملة بالمؤرخ الذي يختار وسائله ويحدد مناهجه وصولاً إلى التفسير الصحيح لمصادره المحدودة .

فلكل مصدر في التاريخ، شفهياً كان أم غير ذلك، تحيزه ومحدوديته التي يتطلع المؤرخ أن ينفذ بوسائل النقد إلى ما وراءها . فالمؤرخ لا يعرف من أية

وثيقة مكتوبة كانت أم شفهية إلا جانباً محدوداً من الحقيقة التي يعمل على استجلائها باستثمار ملكاته النقدية واستئصال كل ما قد يوجد في الوثيقة من تحيز أو زيف أو كذب . فالماضي الذي يعالجه المؤرخ من خلال وثيقة ما، استعصم عنا بستار الزمن الذي ليس لإعادته من سبيل، وبالإنسان الذي رحل عن هذا العالم وليس لاسترجاعه من سبيل، بل إن الأرض ذاتها، ثالثة الأثافي في البناء التاريخي، متغيرة بفعل عوامل التعرية وبفعل الإنسان . ولا يبقى للمؤرخ إلا أن يتعامل مع كل المتغيرات من خلال محدودية المصدر، أياً كان شكله أو مضمونه .ويدرك المؤرخ الناقد قبل غيره أن التحيز مرتبط بكل خبر مروي، وبكل تاريخ مكتوب، ويدرك أيضاً أن عليه أن يحارب في نفسه – جهد استطاعته – هذا التحيز .

ولربما أنكر جماعة المؤرخين أن يكونوا متحيزين، وهذا الإنكار حق مكفول لهم بالوعي ولكن ماذا عن اللاوعي ؟ ولنضرب لذلك مثلاً . إذا كتب مؤرخ سوداني أو صيني عن غوردون باشا، ذلك الرجل الذي حمل راية الإمبراطورية البريطانية وغرسها مظفرة فوق هضاب الصين، وفي غابات قلب أفريقيا، وخاض من أجل ذلك في دماء الأبرياء هنا وهناك، وداس على جثثهم، وعبث حتى بمقابر زعمائهم، ألا يرى فيه مثل هذا المؤرخ مستعمراً لئيماً ؟ وهل يرى هذا الرأي ذاته المؤرخ البريطاني أم يرى في الرجل فاتحاً عظيماً ؟ وشتان ما بين الرأيين . وهنا لا أجد – في الوعي – تحيزاً عند أي من هؤلاء المؤرخين المذكورين جميعاً فكلهم على صواب . ويمتد التحيز في التاريخ حتى إلى اللغة التي يستعملها المؤرخ في التعبير عن التاريخ غير المتحيز، فكثير من الكلمات التي يستعملها المؤرخ متحيزة، يتحدث كل المؤرخين عن الاستعمار وهي الكلمة التي تعني بنص الكتاب الكريم إرادة الإعمار .

فهل كان امتداد الرجل الأبيض في بلادنا العربية والأفريقية وغيرها استعماراً أم استخراباً ؟ وهل يستطيع القارئ أن يتبين غرض المؤرخ إذا كتب عن الاستخراب البريطاني بدلاً من أن يقول الاستعمار البريطاني للسودان ؟ ويذهب تحيز الكلمة بعيداً إلى درجة لا يمكن لنا سبر غورها إلا على ضوء أيديولوجية وفكر المؤرخ الذي يظن، ونوافقه الظن،

بأنه غير متحيز، فهناك كلمات يستعملها مؤرخ مثل : تحرير ونضال وجهاد، ويستعملها مؤرخ آخر فيقول : إرهاب واعتداء واغتصاب .

تواتر حتى منتصف هذا القرن الإنكار المتكرر لكثير من المؤرخين الغربيين للوثيقة الشفهية والتاريخ الذي يقوم عليها . تبلور في أوساطهم رأي عام يقضي بضرورة التخصص . وأصبحت من ثمة دراسة الحضارات البدائية (أو الشفهية) للأنتروبولوجيين والفلكلوريين بينما التزم المؤرخون كتابة تاريخ الأمم الأرقى والمجتمعات التي تكتب، والوثيقة المسجلة . ومع كل ذلك الإنكار فقد ازداد منذ العقود الأولى من هذا القرن المنصرم اعتماد الحكومات الغربية الاستعمارية على التاريخ الشفهي القائم على الوثيقة الشفهية !

أخذ الموظفون الرسميون العاملون في المستعمرات ومناطق النفوذ ينقبون في التاريخ غير المكتوب لهذه البلاد بهدف تفهم دوافع الإنسان في هذه المناطق ودراسة اتجاهاته . وراح هؤلاء الموظفون يسجلون الشهادات الشفهية، ويتدارسون متواترات القبائل والجماعات، ويعالجون على ضوء هذا التاريخ المشكلات الإدارية والسياسية التي تعترضهم في المستعمرات . ونشأ جراء ذلك نوع من التاريخ أقامه رسميون لا يتمتعون بالمزايا اللازمة لصناعة التاريخ . ففي منطقة الخليج العربي، على سبيل المثال، لدينا أسماء بارزة أصبحنا للأسف نعتمدها في كتابة تاريخ الخليج والجزيرة العربية دون تردد حتى غدت مصادر عامة في كل بحث للتاريخ في هذه المنطقة . فكُتُب مايلز وديكسون وولسون فلبي كلها كتب تقوم على الوثيقة الشفهية . أما إذا توغلنا في وثائق بومباي والمختارات منها التي هي من أهم مصادر لوريمر، أشهر المصادر في تاريخ الخليج العربي، فنجد أنها تقوم على قاعدة شاملة من التاريخ الشفهي مع إضافات نادرة من التقارير العسكرية والإدارية .

أما إذا قيض لنا أن نتعامل مع الوثائق الخاصة بوكالات الخليج ووثائق الوكلاء الوطنيين "المحليين" فنجد أنها قد اعتمدت تماماً على الرواية الشفهية تبدأ دائما موضوعات هذه الوثائق بالقول : "خلال زيارتي إلى منطقة . التقيت شيخها . . . قال لي . . وقلت له . . . وحدثني أيضاً الوكيل

الوطني . . . وأجاب حين سألته . . . وجاءني طبيب البعثة الأمريكية الذي كان في زيارة منطقة . . . وقال أنه عرف من . . . أن . . . " وهكذا يجد المؤرخ نفسه غارقاً في خضم من الوثائق الشفهية، أو إن شئت قل التاريخ الشفهي .

أما كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزيرة العربية والتي هي عمدة في تاريخ هذه المنطقة فهي في تقديرنا لا تزيد عن تاريخ شفهي صاغه هؤلاء الرحالة عن ألسنة الذين قابلوهم أو رافقوهم مع خليط من التجارب الشخصية والتحامل المقصود وغير المقصود .

وهكذا أصابت الوثيقة الشفهية والتاريخ الذي يقوم عليها بصفة شاملة قبولاً لدى الحكومات الاستعمارية خاصة في بريطانيا وفرنسا واعتماداً متنامياً دفع بالأكاديميين الغربيين بعدئذ إلى ولوج هذا المضمار منذ الأربعينيات . دخل اعتباراً من تلك الفترة عدد من المؤرخين المحترفين الأكاديميين إلى مضمار الوثائق الشفهية في أفريقيا بصفة خاصة وراحوا يغشون تلك المناطق من القارة "المظلمة" يتلمسون الحقائق اللوجستية في حياة الناس يتلقفونها من شفاههم وأصابوا في هذا المضمار نجاحات كبيرة رغم التحفظ الذي كان يمارسه العديد من الرواة الوطنيين في كثير من الأحيان، فقد كان البعض من هؤلاء الأخيرين يقولون في غير مواربة : أنتم أيها الأوربيون لا تحدثونا بأسراركم فلماذا نحكي لكم أسرارنا ؟ .

ومع بداية الخمسينيات جرى في كافة الجامعات الغربية الاعتراف بالتاريخ الشفهي والرواية الشفهية وعقدت في العديد من تلك الجامعات الندوات والمؤتمرات الخاصة بهذا التاريخ . واستعان هؤلاء المؤرخون بالرواية الشفهية للشاهد العيان ولكنهم اعتمدوا بصورة أكبر على المتواترات، ورغم الاختلاف بين هذين الشكلين المذكورين إلا أنهما أصبحا يعرفان بالتبادل بالتاريخ الشفهي (Oral Histrography) .

نخلص إلى القول بأنه يجب علينا أن نعتمد في تاريخ الخليج والجزيرة العربية على الوثائق الشفهية والمتواترات ونجعل منها، بعد نقدها، الأساس الذي نسير به الرواية المسجلة، وذلك لعدة اعتبارات عامة وخاصة .

تـتركز وظيفـة المؤرخ فـي أمريـن أساسيين وهما : رواية ما تيسر لـه مـن تاريخ التطـور البشـري، وحراسـة تراثـه القومي . ونجد أن تراثنـا العربـي الـذي يتحتم علينا حراسته يقوم على الرواية الشفهية، وكما نجد كذلك ملكـة الحفظ في هذه المنطقـة قديمـة متوارثـة أكدهـا فينا بعدئذ الدين الإسلامي .

ومـن الاعتبـارات العامـة أيضـاً أن قدراً يسيراً فقط مما حدث في ماضي هذه المنطقة قـد تمـت روايتـه للرسـميين البريطـانيين وللرحالـة الأجـانب المختلفيـن، وأن جـزءاً فقط ممـا تمـت روايته، وهو الجزء الـذي يـهتم بخدمـة أهدافهم، قد جرى تسجيله، وأن جـزءاً فقط مما وجد طريقه إلى التسجيل قد تم حفظـه وفهرسـته وحفظتـه لنـا دور الوثـائق . ونجـد أن اهتمامنـا كمؤرخيـن عرب أو خليجيين تـتركز في مجـالات ربما ما كانت مـن اهتمامـات المؤرخيـن الرسميين . وعلى ذلك نجد أن "توطين" المعلومـة أميز لخدمـة أهدافنـا التراثيـة وأوفـق لنـا من التقاطهـا مـن كتابـات الآخرين . ولا مندوحة من القول هنا أننا نعرف الكثير من التفـاصيل فـي التـاريخ الإداري والسياسي للخليـج من وثـائق الرسـميين البريطـانيين وغـيرهم ولكننـا نجهل جهلاً يكاد يكـون مطبقـاً الحيـاة الاجتماعية التي لا نكاد نجد لها وثـائق إلا مـن الرحالـة الأجـانب، ومثـل هـذه المعلومـة، كمـا ألمعنـا سـابقاً، يكـاد يخنقها التحيز .

وتختلـط الاعتبـارات الخاصـة مـع العامة حيـث نجـد أن التـاريخ الشـفهي للخليج الذي سجله لنا هؤلاء المؤرخـون الرسميون كانت له أهدافـه التـي تـتركز في إجراء السياسـة الإداريـة والسياسية في المنطقة وإهمال ما دون ذلك . فـهذه الوثائق – على وفرتها – ناقصة مبتورة . وعليـه يقـع علـى مؤرخـي الخليـج أن يتعاملوا ما وسعهم التعـامل مع الوثـائق الشـفهية والمتواتـرات الخليجيـة بعـد نقدها لسد الفـراغ وتصحيـح المكتـوب ونضيـف إلـى ذلـك أيضـاً أن اختـلاف الديـن واللغـة وعـدم الثقة فـي الإداري البريطـاني وغـيره مـن الأجـانب ربمـا دفعـت البعـض مـن الـرواة إلـى الإدلاء بشهادات مغلوطة أو ناقصة .

أمـا أهـم الاعتبـارات جميعـاً التـي تجعلنـا نتمسك بالرواية الشـفهية فـي كتابة تاريخ الخليج فهي أن شكل تاريخ الخليج يتبدل بسـرعة هائلـة وذلـك بمـا

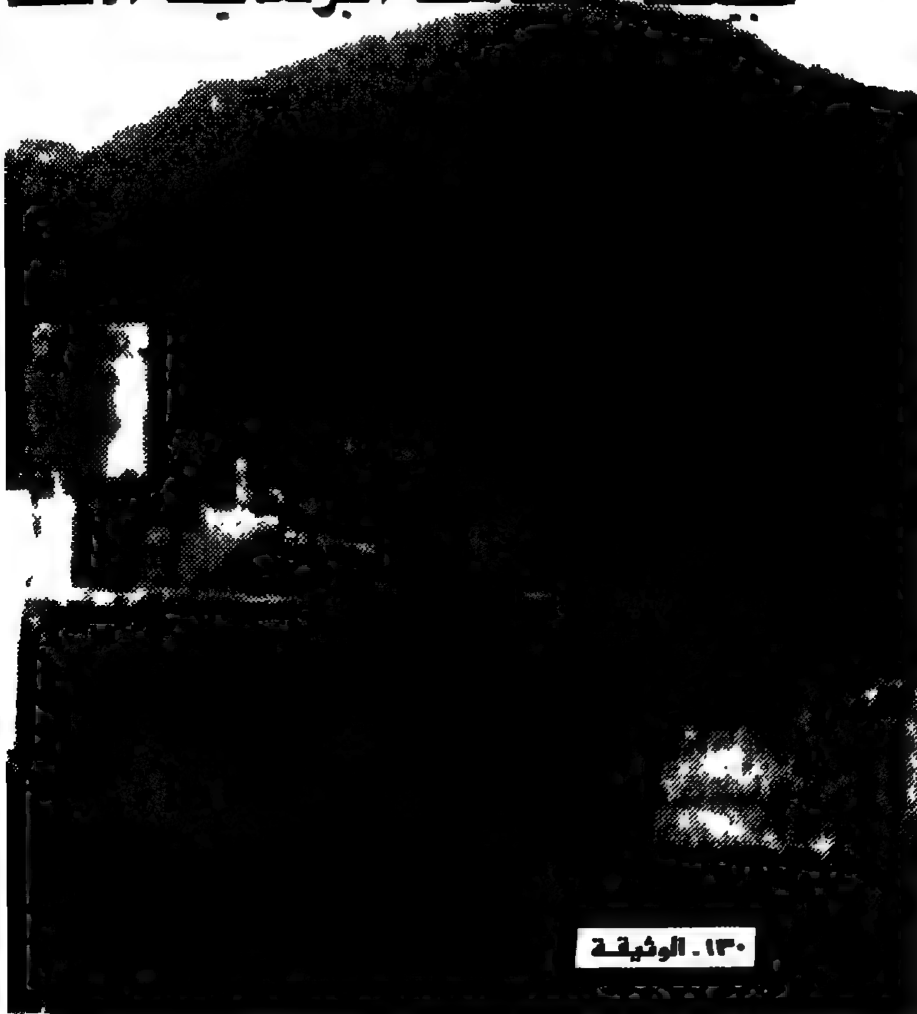
أسبغ الله على المنطقة من نعمة الثروة المادية وعلى قادته من فضل الإنفاق، مما أدى إلى تسارع حضاري وعمراني . ويحتاج هذا التبدل السريع إلى ملاحقة الأحياء الذين عاشوا هذا التطور المتلاحق وتسجيل شهاداتهم حتى لا ينفلت مع التقدم السريع زمام تراث المنطقة فتنقطع عن جذورها .

نختتم بالقول بأننا حين نضع ثقتنا في الوثيقة الشفهية نسبر بها غور كل وثيقة أخرى لا نفعل ذلك جزافاً ولا تحيزاً إنما لثقتنا في منهج المؤرخ الذي يجد أمامه دليلاً حياً يقوم شاهداً عياناً على عصره ومجتمعه . ونجد أن فن هذا المؤرخ التحليلي يقترب إلى حد كبير مما يقوم به العالم النفساني أو القاضي لأنه يستطيع أن يزيد في معلوماته ويستوثق من صدقها بالمقابلات والأسئلة وإعادة الأسئلة بأساليب مختلفة . ونثق أيضاً في وجوب أن يتمتع هذا المؤرخ الذي تقوم مصادره على الوثيقة الشفهية بما كان يتمتع به راوي الحديث الشريف من أربعة : العقل والضبط والإسلام والعدالة ليكون صادقاً - كما يقول الكافيجي - في أمر الدنيا والدين . "ولتزداد الرغبة في تاريخه والاحتراز من المجازفة والافتيات فيحصل له الأمن من الوقوع في الضلالة والإضلال" . ونثق أيضاً عوداً على بدء من أن المؤرخ لن يأخذ علمه من سفيه ولا من شيخ خرف، ولا ممن يدعو الناس إلى هواه، ولا ممن يكذب أحاديث الناس . وأنه حين يبدأ في تسجيله للرواية الشفهية يهتم بتسجيل اسم الراوي وعنوانه وسنه ونسبه ووضعه الاجتماعي، كما يمكن له أن يثبت أية ملاحظات عن شخصية الراوي وسيكولوجيته، هذا بالإضافة إلى إثبات مكان المقابلة وتاريخها . ولا يبقى لنا بعد كل هذا الاحتراز إلا أن نقيس كل وثيقة أخرى بوثائقنا الشفهية التي يتأكد لنا بالنقد أنها صادقة، وأنها ستخدم هدفنا في كتابة تاريخ هو أقرب للصواب مما عداه .

**الدكتور عبد العزيز عبد الغني إبراهيم**
مركز زايد للتراث والتاريخ

# السياسة الاقتصادية البرتغالية

## طبيعة السياسة البرتغالية الاقتصا



١٣٠ ـ الوثيقة

# ...الخليج العربي وآثارها
## ١٥٠٧-١٦٦٢م

## ...ة حتى منتصف القرن السادس عشر

بقلم : الدكتور صبري فالح الحمدي

أعطت أغلب الدراسات التاريخية المنشورة التي تناولت الغزو البرتغالي للخليج العربي والذي يمثل بداية عهد الأطماع الأجنبية للمنطقة، الأولوية للعامل الديني في تحديد مسارات السياسة البرتغالية، كما ركزت في معظمها على الجوانب التاريخية والعسكرية لكنها أغفلت الاقتصادية منها رغم أهميتها، وتعد هذه الدراسة محاولة متواضعة في تسليط الضوء على طبيعة السياسة الاقتصادية التي انتهجها البرتغاليون والولوج إلى معالمها في الفترة موضوع البحث. كونها لا تقل أهمية عن الروح الصليبية التي برزت في مجمل فعالياتهم العسكرية وإجراءاتهم التجارية. مع التذكير بأن هذا الغزو البرتغالي يعد ثاني موجة استعمارية غربية تعرض لها الوطن العربي بعد الحروب الصليبية .

استغل البرتغاليون حالة الضعف والانقسام التي كانت تعاني منها القوى المحلية العربية وافتقادها للوحدة في بداية القرن السادس عشر. بهدف فرض سيطرتهم على الطرق البحرية واحتكارهم للتجارة الشرقية، إذ لم تواجه القوات البرتغالية حين غزوها سواحل البحر الأحمر والخليج العربي مقاومة من القوى الإسلامية الكبرى، سوى من دولة المماليك التي تصدت لهم عسكرياً خلال السنوات الأولى من وصولهم إلى الهند، وكان اصطدامهم أكثر وضوحاً مع القوى المحلية الإسلامية[١] ، الأمر الذي مكنهم من الاستحواذ على تجارة الهند الشرقية واحتكارها طيلة القرن السادس عشر[٢]

كانت الخطة البرتغالية التي وضعها القائد ألفونسو البوكيرك الذي يعد المؤسس الحقيقي للإمبراطورية في الشرق، تقوم على أهمية إحكام السيطرة على منافذ التجارة البحرية متمثلة بالبحر الأحمر وعدن وجنوب الجزيرة العربية وسواحلها والبحرين والقطيف والبصرة، وتحقيق الأهداف الرئيسية للبرتغاليين في تحطيم تجارة المسلمين واحتكار التجارة الأوروبية - الآسيوية وتحويلها إلى طريق رأس الرجاء الصالح[٣]، ومنع العرب من مزاولة مهنة النقل والحمل والتي أصبحت احتكاراً خالصاً لهم طيلة قرون عديدة، منطلقاً من دافع المنفعة والمصلحة المادية بالدرجة الأولى[٤] .

أدرك البوكيرك ضرورة احتلال المواقع الاستراتيجية في الخليج العربي بغية احتكار تجارة التوابل الشرقية[٥] وفي المقدمة منها هرمز التي تتحكم في مدخل الخليج العربي، إلى جانب كونها تمثل مصدراً مالياً وذات ثراء كبير بما تأخذه من الضرائب والجمارك والإتاوات من المناطق المجاورة. وما تفرضه من ضرائب على السفن والقوارب البحرية التي تعمل في صيد اللؤلؤ. تستخلصها في كل موسم حيث تفد هذه المراكب إليها[٦]، وللدلالة على أهميتها التجارية ما أوردته الوثائق البرتغالية بالإشارة إلى ما توفره هرمز من مداخيل، ذكر منها ضريبة الولاء المؤداة من طرف هرمز ومداخيل الجمارك التي تؤديها عن سلع السفن المقبلة من الهند والقوافل التي يرسلها الشاه إسماعيل الصفوي ملك فارس، أو التي تأتي من البصرة. إضافة إلى الضرائب المؤداة عن تجارة الخيول[٧] .

قام القائد البرتغالي وقواته بمهاجمة هرمز عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م

وطلب من ملكها سيف الدين الاستسلام لكن الأخير رفض بشدة، وأعقب ذلك وقوع معركة كبيرة استخدم فيها البرتغاليون كل أساليب القتل والتدمير الوحشية والتي لم يألفها السكان من قبل، وانتهت بقبول ملك هرمز ووصيه الشيخ خوجة عطار شروط الاستسلام، وهي دفع ضريبة سنوية قدرها خمسة عشر ألف دينار أشرفي[٨] ذهب سنوياً، والخضوع لملك البرتغال وبناء قلعة في الجزيرة[٩] .

وزيادة على هذا يتوجب على كل سفينة هرمزية أن تمتنع عن الإبحار في مياه الخليج العربي دون ترخيص من الأسطول البرتغالي، وينقل لنا الرحالة البرتغالي تكسيرا (Teixeira) وصفاً لدخول البرتغاليين ميناء المدينة بقوله : "دخل البرتغاليون ميناء هرمز وسط نيران ملتهبة قضت على أسواق المدينة التي كانت بحق أغنى أسواق العالم بمنتوجات الشرق من التوابل والمنسوجات الحريرية وقاعدة دولية مهمة في تجارة اللؤلؤ[١٠]، وتبع ذلك ملاحقتهم للسفن العاملة في المنطقة، الأمر الذي ترك نتائجه السلبية على مجمل التجارة من وإلى الخليج العربي[١١] .

بعد انتصاره البحري على هرمز أمر البوكيرك بأن تعفى البضائع التي تأتي للبرتغال من الضرائب، وأن لا يدفع البرتغاليون أكثر من الوطنيين على البضائع التي يشترونها في هرمز والموانئ التابعة لها، كما وضع قيوداً على حركة السفن العربية العاملة بالتجارة، وبذلك طغت الأهداف الاقتصادية على السياسة التي اتبعها البرتغاليون إزاء سكان الخليج العربي ومنذ وقت مبكر، لدرجة أن الأولين انصرفوا نحو التجارة حتى أن أولئك الذين كانوا قباطنة أصبحوا تجاراً[١٢] .

ثم توجه القائد البرتغالي وقواته لمهاجمة مسقط التي كانت تعد الهدف الثاني في خططه الحربية، لأنها تمثل المصدر الرئيسي للتجارة مع مملكة هرمز فضلاً عن أهميتها كقاعدة عسكرية، وقد ناشد سكان المدينة البوكيرك وقف القتال، إلا أن الأخير طالبهم بدفع جزية سنوية مقدارها (١٠٠,٠٠٠) أشرفي فدية للمدينة وأمهلهم يوماً لدفعها، ولما لم يتمكن السكان من دفع المبلغ أعطى القائد البرتغالي أمره بإحراق المدينة وتدمير مساكنها، وأعقب ذلك مهاجمته بلدتي خورفكان وصحار ونهبهما، ثم إقدامه على تقطيع آذان وأنوف السكان

الذين عانوا الأمرين من جراء سوء المعاملة البرتغالية[13].

شرع البوكيرك في انتهاج سياسة اقتصادية قائمة على فرض الضرائب الباهظة على سكان المدن الخليجية التي أصبحت واقعة تحت النفوذ البرتغالي. بعد تدميرها، إلى جانب إلحاقه الخراب بالمراكز التجارية والبحرية في الخليج العربي عن طريق إحراق الموانئ بما فيها من السفن الراسية، وحرمان السكان من حق المتاجرة باتباع وسائل النهب والقرصنة. ومنع أية سفينة عربية من ممارسة التجارة دون إذن رسمي بالملاحة من البرتغاليين. وفرض الرقابة على السفن بواسطة الحاميات العسكرية التي أقامها البرتغاليون في المراكز التجارية. وبذلك تحول هذا المعبر المائي المزدهر إلى مخزن للتجارة فقط يسوده الخراب[14].

وحقيقة الأمر لم يكن البرتغاليون سوى جامعي ضرائب، إذ عمدوا إلى فرض الرسوم الجمركية على نشاطات الشحن والتفريغ والتخزين في الموانئ العربية، بإشراف موظفين كبار يمثلون الأرستقراطية البرتغالية. ولم يكن يسمح لأي سفينة بمغادرة الموانئ التي خضعت لنفوذهم بدونها وإلا تعرضت للسلب والنهب من قبل البرتغاليين أنفسهم. وجرت العادة أن تقوم سلطات الأخيرين بتحصيل الرسوم الجمركية على البضائع بما لا يقل عن ١٠٪. ومن أجل ذلك تجبر السفن على المرور إما في هرمز أو في مسقط[15].

من جانب آخر جدد البوكيرك أطماعه الاقتصادية في مناطق الخليج العربي بقيادته لحملة عسكرية استهدفت احتلال هرمز للمرة الثانية عام ٩٢١هـ/١٥١٥م[16]، بسبب تنامي أهميتها التجارية ومردوداتها المالية للسلطات البرتغالية، وفي هذه المرة أجبرت المدينة على دفع غرامة مالية حالت دون إحراقها[17]. ويتحدث الكابتن دي باروز (De Pirose) أحد القواد البرتغاليين عن دخل هرمز في تلك الفترة، بالقول: "إنه كان يبلغ نحو (١٩٨،٠٧٨) ألف أشرفي كان يتم جمعها من المناطق الخاضعة لهرمز في عمان والساحل وهي قليات ومسقط وصحار وقريات وخورفكان ودبا وليما وجلفار، كما كان يساهم في ذلك الدخل ما تربحه السفن من صيد اللؤلؤ"[18].

بعد أن بسط نفوذه على هرمز وأضافها إلى أملاك البرتغال تراجع البوكيرك نحو الهند، وأوردت المصادر

التاريخية مقتله في إحدى غزواته البحرية في جوا عام ٩٢١هـ/١٥١٥م، وخلفه في حكم الممتلكات البرتغالية بالهند لوبو سواريز (Lopo Suwires) الذي وصف بأنه انتهج سياسة مشابهة لسلفه من حيث الشدة والعنف، ولكنه كان أشره منه إلى استلاب ثروات البلدان واستغلالها أبشع استغلال[١٩]، إذ أعلن أنه قد عين موظفين برتغاليين لضبط سائر الشئون الجمركية في هرمز وما يتبعها من مناطق، وقد وقع هذا الخبر وقع الصاعقة على سائر العرب في تلك الربوع[٢٠].

تجددت الهجمات البرتغالية على الموانئ العربية وهنا أدرك البرتغاليون ضرورة السيطرة على البحرين، التي اشتهرت بمغاصات اللؤلؤ ومصايد الأسماك والجواهر، وبأهميتها التجارية المتأتية من موقعها الجغرافي على الطريق للسفن المنطلقة من البصرة والقوافل التي تأتي من بلاد فارس، وهي خصائص جعلت منها بمثابة خزان لبضائع الشام والجزيرة العربية وخصوصاً الخيول، فسارعت حملة برتغالية تولى قيادتها أنطونيو كوريا (Antonio Goria) تمكنت من احتلال البحرين في عام ٩٢١هـ/١٥٢١م، وحولتها إلى محطة تجارية للإمبراطورية البرتغالية ولعرقلة تجارة الخليج العربي ما بين الهند والدولة العثمانية[٢١]، وأعقب ذلك فرض الغزاة ضرائب باهظة على العاملين في الغوص على اللؤلؤ، وإجبارهم على بيع اللآلئ لحسابهم بأثمان بخسة ثم نقلها إلى الغرب، وبذلك يحصلون على أرباح وإيرادات ضخمة من هذه التجارة الرائجة[٢٢].

ولعل نظام الجوازات كان من أهم مصادر الدخل البرتغالية وواحداً من مظاهر سياستهم الاقتصادية في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، والذي بموجبه كان يتحتم على كل سفينة الحصول على جواز عن طريق دفع ضريبة معينة في أحد الموانئ أو المواقع البرتغالية، إذ يحدد في كل جواز الموانئ التي يحق للسفينة دخولها والسلع التي يسمح لها بحملها، وأية سفينة لا تحمل مثل ذلك الجواز أو تتخطى الحدود المرسومة لها فيه، مصيرها المصادرة أو التدمير[٢٣]. ومما يعزز ذلك ما أوردته المصادر الإنجليزية بالقول : "إن السلطات البرتغالية لم تكن تتردد في منح الجوازات لمن يرغب فيها لقاء شيء بسيط من المال"[٢٤].

يمكن القول على ضوء استقراء الأحداث السابقة أنه باستيلاء البرتغاليين على جزيرة هرمز وهيمنتهم على بعض موانئ الخليج العربي، فقد استطاعوا تحويل الجزء الأكبر من التجارة الرئيسية من طرق القوافل التقليدية إلى طريق رأس الرجاء الصالح[٢٥]، إلى جانب محاولاتهم فرض سياساتهم الاقتصادية بالخليج العربي، وفي نطاق احتكارهم للسلع والطرق التجارية أرادوا أن تكون لهم كلمة الحسم في شئون الصادرات والواردات، وأن يضعوا أيديهم في سائر الشئون الجمركية في هرمز والقطيف والبحرين[٢٦]، وهي ممارسات أدت إلى ردود فعل عربية واسعة النطاق، تمثلت في اندلاع سلسلة من الثورات المحلية في كل من هرمز وساحل عمان والبحرين استهدفت الوجود البرتغالي برمته .

ويبدو أن أهم الثورات العربية هي ثورة عام ٩٢٨هـ/١٥٢١م التي تم فيها مهاجمة جميع الحصون البرتغالية ليلة ٣٠ تشرين الثاني عام ١٥٢١م ويورد لنا ويلسون في كتابه (تاريخ الخليج) أسبابها بالقول : "إنه بناءً على تعليمات صادرة من الملك الدون عمانويل ملك البرتغال، بتعيين بعض المسئولين البرتغاليين كمشرفين على الجمارك في هرمز محل الموظفين المحليين، غير أن هؤلاء وبسبب معاملتهم الصلفة تسببو في قيام ثورة شاملة في هرمز، تعاون فيها اهالي الأخيرة والبحرين ومسقط وقريات في سبيل إنهاء الوجود الأجنبي على أراضيهم، وقد قتل خلال الاشتباكات والأحداث عدد كبير من البرتغاليين"[٢٧]، وأوشكت الثورة على النجاح لولا أن دب الخلاف بين أبناء الخليج العربي وخاصة بين شيوخ الجبر وملوك هرمز، واستغل البرتغاليون الفرصة فأرسلوا نجدات إلى هرمز التي تزعمت الثورة وتمكنوا من إسقاط الإدارة الوطنية فيها[٢٨]، وتبع ذلك نجاح الأسطول البرتغالي في محاصرة جزيرة البحرين ثم النزول فيها بعد قصفها بشدة، وقاتل سكان مدينة المنامة بالشوارع ضد القوات البرتغالية وأبدوا من ضروب الشجاعة ما لا يمكن وصفه[٢٩]، وأجبر الغزاة أهالي البحرين على دفع الإتاوة السنوية والتي يقدرها الرحالة البرتغالي تكسيرا (Teixeira) بأربعمائة دوكات[٣٠] سنوياً[٣١]، وبذلك أعاد البرتغاليون فرض سيطرتهم على تدفق الحركة التجارية بالمنطقة وأصبحت هرمز بجانب مسقط والبحرين

قواعد الارتكاز الرئيسية في الخليج العربي .

وفي عام ٩٣٦هـ/١٥٢٩م اندلعت ثورة أخرى نتيجة لعزل شرف الدين ملك هرمز من قبل حاكم المستعمرات البرتغالية في الهند. فقد أثار عزله احتجاج البحرين حيث غضب حاكمها (بدر الدين) وهو ابن عم (شرف الدين) ورفض دفع الجزية السنوية التي كان يدفعها للبرتغاليين، فأرسلت البرتغال حملة عسكرية نجحت في القضاء على الثورة[٣٢]، ومع ذلك استمرت حالة الرفض العربي للوجود الأجنبي لدرجة أن ملك البرتغال أمر بترحيل كافة القوى والجماعات المناوئة للنفوذ البرتغالي في جزيرة هرمز. كما أنتجت هذه الثورات المتتالية انفصال البحرين التي جهد البرتغاليون في ضمها ولم يفلحوا[٣٣] .

أما البصرة فيلاحظ أنه ومنذ وصول البرتغاليين إلى الهند، ودخولهم الخليج العربي في أوائل القرن السادس عشر، فقد أخذت المدينة تتأخر شيئاً فشيئا ولم تتمكن من بلوغ الرقي الذي كانت تصبو إليه. طالما أن سياسة البرتغاليين الرئيسية كانت تستهدف تحويل التجارة ورصد المواصلات البحرية عن كل الموانئ الواقعة على سواحل الخليج العربي ومن بينها البصرة، ومنع الأخيرة من تبوؤ المكانة التجارية والسياسية التي تطمح إليها في المنطقة. ومما يعزز ذلك ما أوردته الوثائق البرتغالية من رسالة بعث بها حاكم هرمز كريستوفر دي مينوس (Christofer de Minos) مؤرخة في ١٥٢٨/٧/١١م إلى ملك البرتغال جوا الثالث، تتضمن الإشارة إلى محاولات والي البصرة راشد بن مغامس إنشاء أسطول خاص به وخطر ذلك على هرمز. رغم أن الأخير كان يدعي ولاءه للبرتغاليين والطلب بضرورة الحيلولة دون تقوية نفوذ الوالي المذكور وخروج البصرة من تبعية ملك هرمز. نظراً للأهمية الاقتصادية التي تتمتع بها بالنسبة لهرمز، إذ تزود البصرة الأخيرة بالمواد الغذائية وخصوصاً بالقمح. كما تتولى المدينة توزيع بضائع الشرق الأقصى على الجزيرة العربية والشام[٣٤] .

بدأ الاهتمام البرتغالي بالبصرة منذ نهاية العقد الثاني من القرن السادس عشر، وقد جاءتها أول حملة برتغالية في عام ٩٣٦هـ/١٥٢٩م، عندما استعان راشد بن مغامس أمير البصرة بالبرتغاليين ضد خصمه أمير الحويزة، فبعث دي كونها (De Kunha) نائب الملك في الهند حملة عسكرية تولى قيادتها تافرز

دي سوزا (Tavers de Sousa) ولكن دب الخلاف بين القائد البرتغالي وأمير البصرة، مما جعل القائد البرتغالي يدمر بعض القرى التابعة للبصرة ثم عاد أدراجه إلى هرمز[٣٥]، فيما أرجع لونكريك (Longrigg) سبب الخلاف إلى رفض راشد بن مغامس مساومة البرتغاليين له وضربه بشروطهم حول التجارة عرض الحائط[٣٦].

ويرى الكتاب والباحثون أن البصرة لم تشهد طوال تاريخها عهداً انحسرت فيه تجارتها كالعهد الذي شهدته في معظم النصف الأول من القرن السادس عشر، ذلك أن الحروب المستمرة بين الصفويين المسيطرين على العراق حتى عام ٩٤١هـ/١٥٣٤م والعثمانيين المستولين على بلاد الشام، منع تجار الأخيرة من الوصول إلى بغداد والبصرة لحمل المتاجر الشرقية، فامتنعت بالتالي السفن الشرقية الواردة من الصين والهند من دخول الخليج العربي والبصرة، وتعقد الأمر بوقوع مناطق العراق الوسطى والجنوبية تحت السيطرة العثمانية، ودخول العثمانيين في صراع طويل مع البرتغاليين المهيمنين على مياه المحيط الهندي والخليج العربي، والذين لم يتخلوا أبداً عن سياستهم الاقتصادية الرامية إلى السيطرة على التجارة الشرقية، إمعاناً في القضاء على كل النشاطات التجارية الأخرى غير البرتغالية في الخليج العربي وموانئه[٣٧]. وقد ألحقت هذه السياسة البرتغالية كما يعرضها لنا ستربلنك (Stripling) :

"ضرراً كبيراً باقتصاديات المنطقة بعد أن فقد المواطنون بسببها عائدات كبيرة كانت تنهال عليهم من جراء ممارستهم للفعاليات التجارية كتجار وبحارة وبناة سفن وسماسرة ومتعهدي شحن وتفريغ كل هؤلاء أخذوا يقاسون بشكل متفاوت من قلة الدخل، يضاف إلى ذلك ما كان يعانيه أصحاب الحوانيت في الأسواق من بائعي الأقمشة والمواد الغذائية وكذلك الوسطاء لأنهم كانوا بشكل أو بآخر مرتبطين بالتجارة الهندية – الأوروبية"[٣٨].

ومع ذلك وقف البصريون صامدين أمام الإجراءات البرتغالية لفترة غير قصيرة، وقاموا بعدة محاولات جادة لفك الحصار الاقتصادي المفروض عليهم. إذ تزعم راشد بن مغامس آل عليان حكومة محلية في ولاية البصرة لمواجهة التحالف البرتغالي – الصفوي الموجه ضد العثمانيين، وأضحت البصرة أكثر مناطق العراق تأثراً بنتائج ذلك التحالف

وخاصة الحصار الاقتصادي الذي وضع ضد العثمانيين بالعراق والخليج العربي، فما كان من راشد بن مغامس إلا أن اتجه نحو العثمانيين الذين تمكنوا من احتلال بغداد عام ٩٤١هـ/١٥٣٤م، ويبدو أنه أراد من إعلان ولائه للسلطان جر الدولة العثمانية باعتبارها أعظم قوة برية يومئذ إلى رأس الخليج العربي، لتقوم بدور في إقصاء النفوذ البرتغالي وكسر الطوق المفروض على تجارة المشرق العربي[٣٩].

من جانب آخر لم يطرأ أي تغيير على السياسة الاقتصادية البرتغالية القائمة على استغلال خيرات الشعوب وحرمانها من حق المتاجرة باتباع وسائل النهب والقرصنة، فقد أوردت المصادر الإنجليزية حدوث نزاع في عام ٩٤٨هـ/١٥٤٢م بين السلطات البرتغالية وشيخ هرمز شرف الدين، بسبب عجز الأخير أو إهماله دفع المتأخرات عليه من الضرائب، وهو ما دفع البرتغاليين إلى أن يتولوا بأنفسهم الإشراف المباشر على المراكز الجمركية، وبذلك حصلوا على كل ما كانوا يطالبون به[٤٠].

وعلى الرغم من نجاح العثمانيين في الاستيلاء على البصرة عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م وطرد حاكمها من آل عليان (راشد بن مغامس) الذي خلع طاعته للأولين وطلب العون من البرتغاليين[٤١]، فقد بادر العثمانيون إلى فتح باب الحوار مع البرتغاليين في هرمز من أجل إنعاش التجارة في البصرة، إذ أرسل محمد باشا والي البصرة التاجر العربي الحاج فياض (Hajji Fayt) إلى الحاكم البرتغالي في هرمز مانوئيل دي ليما (Manuel de Lema)، مبدياً رغبة السلطات العثمانية بأن تبقى التجارة مفتوحة وضرورة إقامة علاقات تجارية ودية مع البرتغاليين، ومع أن الأخيرين أوفدوا شخصاً إلى البصرة لمدة ثلاثة أشهر لتمثيل مصالحهم التجارية، إلا أن المحاولة ككل لم تكن ناجحة بسبب اعتقاد البرتغاليين بأن السياسة العثمانية تهدف إلى جعل البصرة مركزاً تجارياً يتهدد مصالحهم وأهدافهم الاقتصادية في الخليج العربي، لذلك ظلوا متيقظين ويتوجسون شراً من التحركات العثمانية[٤٢].

على ضوء ما تقدم يمكن القول أنه ما إن انتصف القرن السادس عشر حتى كانت البرتغال قد وضعت يدها تماماً على معظم جمارك الخليج العربي بالإضافة إلى تملكها لجزيرة هرمز، كما اتضحت سياسة البرتغاليين الاقتصادية

التي كانت ترمي إلى جعل الخليج العربي مجرد سوق محلية للتجارة البرتغالية سواء كانت تجارة البرتغال نفسها أو تجارة إمبراطوريتها في جنوب آسيا. وهو الأمر الذي حول قباطنتهم البحريين وكبار مسئوليهم من حكام إلى تجار، معتمدين على القوة دون سواها لتحقيق أغراضهم القومية والفردية. وهي سياسات أنهكت قواهم كونها جوبهت بمعارضة متزايدة من السكان المحليين، حتى وجد البرتغاليين أنفسهم في منتصف القرن المذكور يواجهون تهديداً مؤثراً من العثمانيين[43].

## تطور السياسة الإقتصادية منذ منتصف القرن (١٦) وحتى عام ١٦٢٢

أدركت السلطات البرتغالية أن سياسة الحصار الاقتصادي التي اتبعتها ضد الموانئ والمدن الواقعة على سواحل الخليج العربي لم تعط النتائج المرجوة منها، ومما يعزز ذلك ما أوردته المصادر البرتغالية ذاتها لعام ٩٥٧هـ/١٥٥٠م مشيرة إلى: "رسالة موجهة من قاضي هرمز إلى الملك البرتغالي في العام المذكور، يخبره فيها أن نائب الملك بالهند منع على جميع التجار ومهما كانت جنسيتهم أن يلتحقوا بالبصرة، وهدد من فعل ذلك بعقاب شديد... وهو الشيء الذي جدد العمل به القبطان الحالي الذي أعلن الحصار ضد البصرة ومقاطعتها تجارياً ولكن هذه المقاطعة لم تعط نتائجها لاستمرار التجار في الإقبال على البصرة من البحرين[44]، وعلى ذلك أجرى القادة البرتغاليون تعديلاً مهما على سياستهم الاقتصادية تجاه سكان المنطقة، بعد أن عاينوا معطيات التجارة وصاروا يدركون أن إغلاق الخليج العربي في وجه التجارة العربية سوف لن يؤدي في نهاية الأمر إلا إلى تنشيط الطرق البرية التي لا يمكن للبرتغاليين مراقبتها، كما أن الهند لا يمكنها الاستغناء عن مواد تعودت الحصول عليها من الوطن العربي كالخيول والفضة، لهذا لم يعد المسئولون

البرتغاليون ينظرون إلى التحكم في هرمز نظرتهم إلى احتلال عدن أو جزر القمر مثلاً[٤٥].

من جانب آخر واجه النفوذ البرتغالي ومنذ بداية خمسينيات القرن السادس عشر تحديات جديدة تمثلت في المحاولات التي قامت بها الدولة العثمانية لمد سيطرتها إلى الخليج العربي. إذ أدى تنازل عرب القطيف عام ٩٥٧هـ/١٥٥٠م عن حصنهم للعثمانيين إلى دفع البرتغاليين إلى اغتنام فرصة محاولات التقرب التي صدرت من قبل زعماء عرب البصرة، الذين ناشدوا الأخيرين بالتدخل، لذلك عين ألفونسو دي نورونها (Alfunso de Noronha) الحاكم البرتغالي في الهند أنطونيو دي نورونها (Antoio de Noronha) قائداً لقوة تتألف من (١٢٠٠) رجل وسبع سفن كبيرة، انضمت إليها قوة بحرية قادها شرف الدين أمير هرمز تمكنت من احتلال القطيف بعد حصار دام ثمانية أيام، ثم عزم القائد البرتغالي على الزحف نحو البصرة لكنه لم يحقق إلا شيئاً قليلاً لأن والي البصرة علي باشا طبق خطة ذكية لتفادي هذا الهجوم بحيث جعل القائد البرتغالي يعتقد بأن العثمانيين والعرب قد شكلوا في البصرة حلفاً ضد البرتغاليين، الأمر الذي جعل دي نورونها يقرر الانسحاب إلى هرمز وهناك فقط علم أنه قد خدع[٤٦]

عاود البرتغاليون في السنوات اللاحقة شن هجمات على البصرة، حيث شهد عام ٩٦٤هـ/١٥٥٦م قيامهم بغارة مفاجئة على المدينة وتمكنوا من إلحاق بعض الأضرار بالميناء إلا أنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليه. إذ هبت على الأسطول عاصفة عاتية شلت حركته بعد وصوله إلى البصرة، فعاد إلى قواعده دون أن يحقق شيئاً. أما منطقة الفاو فقد استخدمها البرتغاليون كقاعدة وميناء لهم لفترة زمنية معينة، تحقيقاً لمردودات اقتصادية تعود عليهم بالنفع[٤٧]

وتمثل رد الفعل العثماني في إرسال استنبول عدة حملات بحرية خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر إلى مدن وموانئ الخليج العربي. استطاعت إلى حد كبير إضعاف الاحتكار التجاري البرتغالي، إلا أنها لم تستطع القيام بعمل حاسم في طرد البرتغاليين من المنطقة. وهذا ما كانت تسمح به إمكانيات العثمانيين المادية وقتذاك، إلا أنه يبدو أن قبضة البرتغاليين بدأت تتراخى في ظل تزايد النشاط العثماني من جهة وتصدع الجبهة

البرتغالية – الفارسية من جهة أخرى، الأمر الذي أتاح للبصرة اختراق الحصار البرتغالي الذي لم يعد طوقه محكماً[٤٨].

ومع أن العثمانيين دخلوا في صراع عنيف مع البرتغاليين في المنطقة إلا أنهم حاولوا إعادة العلاقات التجارية مع الأخيرين في هرمز[٤٩]. وقد قوبلت هذه المبادرة بالارتياح من جانب السلطات البرتغالية التي كانت تطمح في فتح باب الحوار وإقامة علاقات تجارية مع البصرة. وفي هذا الصدد يشير المؤرخ التركي أوزبران إلى أن علي باشا والي البصرة بعث في عام ٩٧١هـ/١٥٦٣م برسول من قبله إلى هرمز للتفاوض مع البرتغاليين من أجل إعادة العلاقات التجارية بينهما عبر الخليج العربي، وعلى هذا الأساس أرسل نائب الملك في الهند شخصاً يدعى أنطونيو تكسيرا (Antonio Teixeira) إلى السلطان، الذي بعث بدوره رسالة إلى ملك البرتغال تطلب منه تأمين الطرق البرية والبحرية وضرورة حمايته للأهالي والتجار التابعين للإمبراطورية العثمانية، والذين يتاجرون من وإلى البلدان الخاضعة للنفوذ البرتغالي. فإذا ما استجاب الملك لهذا المطلب فإنه ستنشأ علاقات صداقة بين الجانبين[٥٠]. وهو أمر نظر إليه البرتغاليون على أنه يعد تطوراً إيجابياً في علاقتهم التجارية مع البصرة. غير أن السلطان اتخذ موقفاً غير متوقع بإصراره على أنه إذا كان البرتغاليون جادين حقاً في استمرار تجارة البصرة – هرمز، فعليهم إرسال مندوب على مستوىً رفيع إلى البلاط العثماني لإعلان رغبة بلاده علناً[٥١].

ورغم الاعتراف بعدم حصول تقارب ملحوظ في مواقف كل من الجانبين البرتغالي والعثماني. إلا أن سنوات الربع الأخير من القرن السادس عشر قد شهدت تنامي العلاقات التجارية بينهما. واستناداً إلى الوثائق البرتغالية فإن مما ساعد على تطورها هو إقدام السلطات البرتغالية على انتهاج سياسة اقتصادية جديدة قوامها الاستمرار في فرض الرسوم الجمركية على السلع المصدرة، مع السماح للعرب بالتجارة في الخليج العربي وعدم تعرض سفنهم لهجمات الأسطول البرتغالي، شريطة حصولهم على تراخيص من السلطات البرتغالية تسمح لهم بالاتجار مع هرمز. وهو ما أدى إلى انتعاش تجارة الأخيرة بشكل ملحوظ حيث أخذت تتردد عليها السفن المحملة بمختلف البضائع من وإلى الخليج العربي، كما أصبحت

تؤدي وظيفة تجارية أساسية تقوم على امتصاص بضائع الجزيرة العربية والعراق والشام وتوزيع مواد الشرق الأقصى اعتماداً على البصرة على وجه الخصوص[٥٢] .

كان من نتائج تلك السياسة الاقتصادية البرتغالية الجديدة أن أخذت مدن وموانئ الخليج العربي تستعيد بعض نشاطها التجاري، وفي مقدمتها البصرة التي أصبحت المصدر الرئيسي للبضائع الهندية المارة بالعراق، كما عاد التجار الأوروبيون يتعاملون مع مراكز التجارة في سواحل الشام ومصر[٥٣]، ولعل ما أورده الرحالة الأوروبيون الذين زاروا المنطقة خلال تلك الفترة من إشارات مهمة تعزز ما ذهبنا إليه، إذ أشار الرحالة الهولندي راوولف الذي زار بغداد عام ٩٨٢هـ/١٥٧٤م إلى ذلك بقوله "وكان العثمانيون يصدرون الخيول الجميلة فيرسلون عدداً وفيراً منها إلى الهند عن طريق فارس، ولكن معظمها يرسل بطريق هرمز حيث يتلقى ملك البرتغال كل سنة مبلغاً طيباً من المال بصفة رسوم تبلغ أربعين دوقة، لكل رأس من الخيل"[٥٤]. أما الرحالة نيوبري (Newbery) الذي مر بمدينة البصرة عام ٩٩١هـ/١٥٨٣م فقد أكد على ازدهار تجارتها، إذ ذكر : "إن في البصرة مخازن كبيرة للقمح والأرز والتمور وهي تمون بغداد وكل الأقطار الأخرى مثل هرمز وكل أجزاء الهند"[٥٥]، إلى جانب ذلك فقد أورد الرحالة إلدريد (Eldred) الذي زار الخليج العربي في نهاية القرن السادس عشر : "بأن السفن المحملة باللؤلؤ كانت تشق طريقها من هرمز إلى البصرة، كما تصلها البضائع الهندية المختلفة كالتوابل والبهارات والأقمشة"[٥٦] .

شهدت بدايات القرن السابع عشر حدوث تطورات مهمة في غير صالح البرتغاليين في الشرق عموماً والخليج العربي بخاصة، نتجت عن وصول سفن أوروبية أخرى جاءت لتشارك في منافع التجارة الشرقية، فقد ظهر الهولنديون في المياه الشرقية كما كان الإنجليز يتطلعون إلى نفس الاتجاه، الأمر الذي ترك نتائجه السلبية على الوجود البرتغالي برمته، خاصة بعد تقلص قوة البرتغاليين منذ الهزائم الكبيرة التي لحقت بهم في منطقة سوالي على أيدي الإنجليز في عام ١٠١٩هـ/١٦١٠م[٥٧]، ومع ذلك فقد قام البرتغاليون بعدة محاولات لاستعادة كامل نفوذهم في الخليج العربي، وأوردت المصادر

الإنجليزية مهاجمتهم موقع صحار على ساحل عمان والاستيلاء عليها، وكان هدفهم من ذلك تحطيم الميناء الذي ينافس هرمز ومسقط الخاضعين لنفوذهم وبالتالي يقلل عائداتهم من الضرائب[٥٨].

إلا أن الأحداث اللاحقة برهنت على أن مظاهر ضعف البرتغاليين وانحلالهم كانت واضحة وجلية حتى قبل سقوط هرمز - أبرز معاقلهم في الخليج العربي - عام ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م، وقد أدى ظهور تجار أوروبيين آخرين ينافسون البرتغاليين في احتكارهم للتجارة الخليجية إلى انخفاض العائدات المالية للأخيرين، ففي أحد التقارير الإنجليزية التي كتبت في عام ١٠٢٨هـ/١٦١٨م، ذكر أن تجارة التوابل البرتغالية أصبحت لا تكون إلا سدس ما كانت عليه قبل سنوات[٥٩]. فضلاً عن ذلك فقد ترتب على التعاون الذي حصل بين الأسطولين الإنجليزي والهولندي نجاحهما في احتلال حصن قشم وطرد البرتغاليين منه بعد معارك دامية في بداية عام ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م، وما أعقب ذلك من هزيمة الأسطول البرتغالي أمام الأسطول الإنجليزي في جسك في الفترة ذاتها. وهي أحداث أدت إلى إنهاك القوات البرتغالية[٦٠]، ومهدت السبيل إلى سقوط هرمز وجلاء البرتغاليين عنها في نيسان عام ١٦٢٢م، على إثر التحالف الإنجليزي - الفارسي. وحقيقة الأمر أن السنوات اللاحقة قد أكدت على أن عرب عمان هم الذين أتموا المرحلة النهائية في تحرير الخليج العربي من فلول البرتغاليين[٦١]

ولعل من أهم أسباب انهيار الإمبراطورية البرتغالية تلك المعاملة الوحشية للشعوب الآسيوية والأفريقية. فقد ضيقوا عليها الخناق من كل جانب وحرموها من الملاحة في الخليج العربي، بل حتى في مياهها الإقليمية. فكان يطلب من السكان المحليين الحصول على تصريح خاص من مسقط أو هرمز، كما منعوهم من مزاولة التجارة التي كانت مصدر رزقهم والتي تعد بمثابة شريان الحياة بالنسبة لتلك الشعوب الساحلية ولهذا رحبت تلك الشعوب بأية قوة أجنبية أخرى تملك إمكانيات لمواجهة البرتغاليين والإطاحة بإمبراطوريتهم[٦٢].

على أن ما يمكن ملاحظته على سياسة البرتغاليين الاقتصادية هو محاولتهم التمسك بذات الأهداف التي عملوا على تحقيقها منذ وصولهم إلى

الخليج العربي، حيث توجهت أنظارهم بعد ضياع هرمز إلى مدينة البصرة التي اتخذوها مركزاً لنشاطهم التجاري ونشاطهم في مجال التبشير، وقد أسسوا محطة تجارية فيها ومركزاً لدراسة الديانة المسيحية، ودخلوا بالتالي في منافسة جدية مع التجارة الإنجليزية في المنطقة خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر[٦٣]، إلا أنه يبدو أن تلك المحاولات البرتغالية جاءت متأخرة ولم تسفر عن نتائج ملموسة يمكن أن تؤدي إلى الحفاظ على ما تبقى للبرتغاليين من مناطق نفوذ، فقد كانت مظاهر الضعف والفساد تدب في صفوفهم وتصرفاتهم، وبدلا من أن يركز الضباط اهتمامهم في القتال والشئون العسكرية، بات انشغالهم الأساسي ينصب على ممارسة التجارة والتماس الثروة معتمدين على مختلف وسائل الرشوة والخيانة، إلى جانب عدم كفاءة الإدارة البرتغالية حيث كان يعين نائب الملك في الهند لمدة ثلاث سنوات وهي سنوات قصيرة جداً، فكان هدفه وهدف موظفيه هو جمع الثروة في أقصر مدة ممكنة وذلك على حساب سكان الخليج العربي[٦٤].

## في خاتمة هذه الدراسة يمكن التوصل إلى النتائج التالية :

**أولاً** : إنه على الرغم من احتفاظ ملوك البرتغال بشعار الحرب الصليبية لدفع البرتغاليين إلى المساهمة في الحملات العسكرية وتحمل نفقاتها وتضحياتها، فقد بات واضحاً من خلال البحث طغيان العوامل الاقتصادية على سياسات البرتغال التي عدت الدولة الأوروبية الأولى ذات الأهداف الاقتصادية الاستعمارية والتجارية الواضحة للعيان، وبأن العامل الاقتصادي كان من أهم الدوافع التي جذبت البرتغاليين إلى المياه العربية .

**ثانياً** : توصلت الدراسة إلى حقيقة مفادها أن سياسة التوسع الاستعماري والقهر العسكري والسياسي لم تنجح في الإبقاء على الاحتلال البرتغالي لمدن وموانئ الخليج العربي بسبب اتساع حركة المقاومة العربية، وبأن الإمبراطورية البرتغالية قد حملت معها بذور ضعفها وانحلالها منذ قيامها،

وتمثلت تلك البذور في ممارسات البرتغاليين العسكرية والسياسية من ناحية وفي أساليبهم التجارية من ناحية أخرى، والتي عدت بمثابة الإسفين الذي نخر في إمبراطوريتهم الاستعمارية، حتى أنهم عجزوا عن الفصل بين مصالحهم التجارية والسياسية من جهة وحماسهم الديني من جهة أخرى .

**ثالثاً** : رغم كل أساليب القتل والتدمير التي انتهجها البرتغاليون في غزوهم للخليج العربي، وقسوة إجراءاتهم وسياستهم الاقتصادية - الآنفة الذكر - الموجهة ضد السكان المحليين، فإن التجارة العربية في الخليج والجزيرة العربية والمشرق لم تتأثر بنشاطات البرتغاليين إلا جزئياً، كما أنها لم تتوقف رغم المضايقات والحصارات التي مارسها الأسطول البرتغالي ضد السفن والموانئ الخليجية، فيما لم يتمكن البرتغاليين من قطع الطرق التجارية التي تربط الهند وإندونيسيا بالشرق الأدنى عبر الخليج العربي، في حين بقيت التجارة البرتغالية حتى النهاية تمثل كما يصفها أحد الباحثين، تجارة الباعة المتجولين (The Peddiers) ليس إلا .

**د. صبري فالح الحمدي**
كلية التربية - قسم التاريخ
الجامعة المستنصرية - بغداد

# الهوامش

١ - Douglas, Carruthers ; The Desert Route to India, London,1929, P. XIII.

٢ - Holden, Furber ; Rival Empires of Trade in the Orient 1600 - 1800, Oxford University Press, 1976, P.3.

٣ - أنظر : - Alboquerque, Alfonso ; The Commentries of (Trans) into English by W De Gray Bray Birch Hakisoc, Vol. I, London, 1973, P.115.

٤ - لمزيد من التفاصيل أنظر ك.م. بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز جاويد، مراجعة أحمد خالي، القاهرة (د.ت.) ص ٥٢ .

٥ - سونيا، ي، هاو، في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، راجعه الدكتور محمود النحاسي، القاهرة ١٩٥٧، ص ص ٢١٤ - ٢١٥ .

٦ - عائشة السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ١٦٢٤ - ١٧٤١م،بيروت، ١٩٧٥، ص ٢٩ .

٧ - أحمد بوشرب، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الأحمر والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل، مجلة المناهل، العدد السادس والعشرون، السنة العاشرة، الرباط، جمادى الأولى ١٤٠٣هـ/مارس (آذار) ١٩٨٣م، ص ٥١ .

٨ - الأشرفي يساوي ديناراً عثمانياً .

٩ - نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ص ١٢٥ - ١٢٦ .

١٠ - The Travels of Pedro Teixeira, With his "Kings of Harmuz" and extracts from his "Kings of Persia" Hakisoc. 1902, P. 20.

١١ - لمزيد من التفاصيل أنظر زين الدين، تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، لشبونة ١٨٩٨، ص ٦٧ .

١٢ - أرنولد ت. ويلسون، الخليج العربي، نقله إلى العربية وقدم له الدكتور عبد القادر يوسف، الكويت (د.ت.) ص ٢٠٩ و ٢١٦ .

١٣ – أنظر س.ب. مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، سلطنة عمان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ص ١٥٤ – ١٥٥ ؛ د. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا، دراسة وثائقية، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢٥) الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ص ٢٧ – ٢٨ .

١٤ – الصيرفي، المصدر السابق، ص ١٨٨ و ١٩٦ .

١٥ – د. خلدون النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٦٥ .

١٦ – R.B. Serjeant, The Portuguese Off the South Arabian Coast, Oxford, at the Clarendon Press, 1963, P. 11.

١٧ – أنظر قدري قلعجي، الخليج العربي، دار الكاتب العربي، بيروت،١٩٦٥، ص ٣٦٥ .

١٨ – سليمان محمد الغانم، الوجود البرتغالي في عمان في المصادر المحلية العمانية في كتاب "مصادر تاريخ الجزيرة العربية" الكتاب الأول، الجزء الثاني، مطبعة جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ١١٧، مايلز، المصدر السابق، ص ١٦٣ .

١٩ – قلعجي، المصدر السابق، ص ٣٦٦ .

٢٠ – أنظر أحمد العناني، البرتغاليون في البحرين وحولها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد الرابع، السنة الثانية، ربيع الآخر ١٤٠٤هـ/يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤م، ص ٩٦ .

٢١ – R.H. Sanger ; Arabian Peninsula, Cornell University Press, Ithaca, New York, 1954, P. 147 : بوشرب، المصدر السابق، ص ١٢٣ .

٢٢ – أنظر د. محمد عارف الكيالي، الأسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي في الخليج العربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر، مجلة الوثيقة، العدد الرابع عشر، السنة السابعة، جمادى الثانية ١٤٠٩هـ/يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩م ص ١١٦ .

٢٣ – د. عبد الأمير محمد أمين، نظرة جديدة للإنجازات السياسية والعسكرية والتجارية البرتغالية، مجلة دراسات، المجلد الخامس عشر، العدد السابع، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٨، ص ٨٢ .

٢٤ – W.H. Moreland ; From Akbar to Aurangzeb, London, 1923, P. 8 .

٢٥ – أمين، المراحل الأولى للتنافس بين طرق القوافل القديمة وطريق رأس الرجاء الصالح الجديد، في "كتاب تكريم الأستاذ عبد الكريم غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين"، عمان، ١٩٨٨، ص ٢٧٨ .

٢٦ – أنظر العناني، البرتغاليون في البحرين، ص ٩٦ .

٢٧ – المؤلف نفسه، الأوروبيون في الخليج . البرتغاليون (٣) مجلة الدوحة . ذو القعدة ١٣٩٦هـ/نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٦م، ص ٨٨ . ويلسون، المصدر السابق، ص ٨٠ .

٢٨ – لمزيد من التفاصيل أنظر د. محمود علي الداود، العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ – ١٦٥٠، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد الثاني، شباط، ١٩٦٠ ص ٢٣٦ ؛ ويلسون، المصدر السابق، ص ٢١٨ .

٢٩ – عباس أحمد العصفور، صراع الخليج العربي ضد المطامع الأجنبية في العصر الحديث، بحوث المؤتمر الدولي الأول للتاريخ، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٢٥ ؛ د. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٩ .

٣٠ – الدوكات : جمع دوكة (دوقة) وهي عملة فينيسية قديمة تعادل الواحدة منها ستة شلنات إنجليزية أو ما يعادلها .

٣١ – Fereydaum Admiyat ; Bahrain Islands, Alegal Diplomatic study of the British Iranian Controversy, New Yourk, 1935, PP 21 - 22 .

٣٢ – أنظر د. خالد يحيى العزي، الواقع التاريخي والحضارى لسلطنة عمان. بغداد، ١٩٨٥، ص ٦٦ .

٣٣ – الداود، المصدر السابق، ص ١٣٢ .

٣٤ – Serjeant ; Op. Cit, P. 12 ؛ بوشرب، المصدر السابق، ص ٥٤ .

٣٥ – أنظر الصيرفي، المصدر السابق، ص ١٣٢ .

٣٦ – أنظر ستيفن همسلي، لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، ١٩٦٨، ص ٥٨ .

٣٧ – د. طارق نافع الحمداني، تجارة البصرة الخارجية ودورها في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الرابع والثلاثون، السنة التاسعة، جامعة الكويت، أبريل (نيسان) ١٩٨٣م/جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ، ص ٦٦ .

٣٨ – G.W.F. Stripling ; The Ottoman Turks and the Arabs 1511 - 1574. (Urbans. 1942) P. 80 .

٣٩ – أنظر عماد أحمد الجواهري، الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي ١٥٠٠ – ١٦٠٠، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الثالث عشر، السنة الرابعة، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٨م/محرم ١٣٩٨هـ – ص ص ٨٥ ٨٦ .

٤٠ – ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج١، ترجمة ديوان أمير قطر، الدوحة، ١٩٧٦، ص ١٦ .

٤١ – أنظر عباس العزاوي، تاريخ الضرائب العراقية منذ صدر الإسلام إلى آخر العهد العثماني (١٢هـ –٦٣٣م/١٣٣٥هـ – ١٩١٧م)، بغداد، ١٩٥٨، ص ٦٤ .

٤٢ – د. صالح أوزبران، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ – ١٥٨١، ترجمة وتعليق د. عبد الجبار ناجي، بغداد، ١٩٧٩، ص ٣٢ و ٣٨ ؛ الحمداني، تجارة البصرة الخارجية، ص ٦٧ .

٤٣ – العناني، البرتغاليون في البحرين، ص ١٠٠ .

٤٤ – بوشرب، المصدر السابق، ص ٥٤ .

٤٥ – المصدر نفسه، ص ٧٧ .

٤٦ – أوزبران، المصدر السابق، ص ص ٤٠ – ٤٢ .

٤٧ – د. عبد الوهاب القيسي، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية، مجلة الخليج العربي، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٠، ص ٥٠ ؛ لوريمر، المصدر السابق، ص ١٨ .

٤٨ – مايلز، المصدر السابق، ص ١٧٢ ؛ الجواهري، المصدر السابق، ص ص ٨٩ – ٩٠ .

٤٩ – الحمداني، تجارة البصرة الداخلية والعوامل المؤثرة فيها خلال القرن السادس عشر، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة العاشرة، الرياض، شوال ١٤٠٤هـ/يونيو (حزيران) ١٩٨٤م، ص ص ١٦٠ – ١٦١ .

٥٠ – لمزيد من التفاصيل أنظر أوزبران، المصدر السابق، ص ص ٥٥ – ٥٦ .

٥١ – M. de Farlay Sousa ; The Portuguese in Asia (Trans) . From English by T. Stevens, Vol. I, London, 1695, P. 332 ; العناني، البرتغاليون في البحرين، ص ١٠٧ .

٥٢ – Sergeant, Op. Cit, P. 23 ؛ بوشرب، المصدر السابق، ص ص ٧٨ – ٧٩ .

٥٣ – الصيرفي، المصدر السابق ص ١٦٩ .

٥٤ – لمزيد من التفاصيل أنظر ليونهارت راوولف، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٧٨، ص ١٧١ .

٥٥ – C.R. Beazley (ED) ; Voyages and Travels Mainly During the 16th 17th Centuries, Vol. I, West Minister, 1903, P. 311.

٥٦ – The Voyages of M. John Eldred ; An English caruer voyages and travels mainly during the 16th and 17th centuries, Vol. I, P. 300.

٥٧ – C.R. Boxer ; Portuguese Conquest and Commerce in Southern Asia, 1500 - 1750, London, 1985, PP. 55 - 56 ; ويلسون، المصدر السابق ص ٢٢٣ .

٥٨ – لوريمر، المصدر السابق، ص ٢٩ .

٥٩ – أمين، نظرة جديدة، ص ٢٩١ .

٦٠ – Alexander, Hamilton ; A New Account of the East Endies, Vol. I London, 1930, P. 84.

٦١ – لمزيد من التفاصيل أنظر نوار عبد الوهاب قاسم القيسي، الخليج العربي الأهمية الاستراتيجية وملامح السياسة البرتغالية، مجلة الوثيقة، العدد الرابع عشر، السنة السابعة، جمادى الثانية ١٤٠٩هـ/يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩م، ص ١٦٥ ؛ الحلو، المصدر السابق ص ٥٨ ؛ العقاد، المصدر السابق، ص ٢٦ .

٦٢ – مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي، ١٦٢٢ – ١٧٦٣م، بيروت ١٩٨١، ص ٤٦ .

٦٣ – F.C. Danvers ; The Portuguese in India, Vol. II, London, 1966, P. 223.

٦٤ – العناني، البرتغاليون في البحرين، ص ١٠٦ ؛ الصيرفي، المصدر السابق، ص ١٨٨ .

# موقف بريطانيا من ثورة



١٥٣ . الوثيقة

بقلم :
**الدكتور فاضل محمد الحسيني**

لم يتداول الباحثون العرب هذا الموضوع بتجرد وموضوعية. وللأسف لقد نسي بعض الباحثين العرب ذلك التاريخ [illegible] الحقيقي الدقيق هو تاريخ عمان الحديث والمعاصر [illegible] [illegible] قرب من الحقيقة [illegible] التي احتلت حركة الإمامة في عمان عام ١٩١٣م والتي استطاعت أن تبسط [illegible] [illegible] وسلطان عمان في [illegible] والإمامة في الداخل. هذا [illegible] [illegible] ومن جانب حركة [illegible] غير الثورة [illegible] عن هذا الحدث [illegible] هذه [illegible] من حقيقة هذه [illegible] [illegible] الثورة [illegible] بالسلطة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المجتمع العماني. [illegible] [illegible] التاريخي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الثورات الحديثة

والواقع، إني لا أعني بكلمة الثورة وفق المفاهيم الحديثة والتي غالباً ما تطفو معها على السطح مفردات الطائفية والإقليمية والعنصرية، وإنما أردت من كل ذلك أن أوضح المسلك البريطاني تجاه منطقتنا العربية ومنها عُمان كنموذج وهو أن بريطانيا لم تتبنَّ يوماً نظاماً سياسياً معيناً أو تقف بوجه أيديولوجية محددة وإنما كان همها الوحيد الحفاظ على مصالحها الحيوية في المنطقة ليس إلا، وقد عبر مرة وزير خارجيتها (بالمرستون) صراحة عن هذه الرؤية السياسية الإنجليزية العامة في العالم حيث قال : "ليس لبريطانيا صداقة دائمة أو عداوة دائمة وإنما هناك مصالح دائمة" .

سنعتمد في بحث أبعاد هذا الموضوع على الوثائق الإنجليزية والمصادر والمراجع العربية والأجنبية فضلاً عن المصادر المحلية العُمانية وفق الفقرات التالية :

# أولاً: تاريخ الإمامة في عمان

ألف العُمانيون الإمامة كنظام للحكم منذ القرن الثامن للميلاد[1]، والإمامة تستند في أحكامها على المذهب الإباضي الذي يعد واحداً من الفرق الإسلامية[2]، وقد بدأ العُمانيون انتخاب أئمتهم وفق هذا المذهب منذ النصف الأول من القرن الثامن للميلاد على مدى أربعة قرون دون انقطاع فكان (الجلندي بن مسعود) هو أول إمام انتخبه العُمانيون للحكم في البلاد[3]، وبعدها سيطر النبهانيون على الحكم فألغوا الإمامة ولقبوا أنفسهم بالملوك الأمر الذي أدى إلى خلو مقعد الإمامة لفترة قرنين ونصف قرن تقريباً ثم حدثت الثورات الإباضية التي أعادت حكم الإمامة للبلاد في النصف الأول من القرن الخامس عشر للميلاد، ومن الجدير بالذكر أن أولى الثورات الإباضية كانت ثورة (عبد الله بن إباض) والذي منه جاءت تسمية المذهب الإباضي[4]. وكانت ثورته ضد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ثم أعقبتها ثورات

ة عديدة خلال العصرين الأموي
سي، ولعل أشدها ما قام بها
ان وسعيد الجلنديين أيام الوالي
الحجاج بن يوسف الثقفي إلا أن
هما باءت بالفشل مما اضطرهما
إلى أفريقيا الأمر الذي أدى
ل المذهب الإباضي إلى شرق
ال أفريقيا وتأسيس الدويلات
ية ومنها دولة تاهرت لمؤسسها
لرحمن بن رستم عام ١٦٠هـ[٥].
لقد استمر نظام حكم الإمامة قائماً
لك الوقت حتى عام ١٥٦١م ثم
لأكثر من ستين عاماً حيث يجوز
نظام الإمامة أن لا ينتخب إمام
عندما لا يتوافر الشخص المؤهل
أو عندما تمر البلاد بظروف
ئية كالاحتلال الأجنبي أو الانفراد
م من قِبَل الملوك وذلك ما يسمى
الشغور[٦].
ثم عادت الإمامة الإباضية في أسرة
بة التي حكمت عُمان في الفترة من
م إلى ١٧٣٨م وكان ناصر بن
اليعربي هو أول إمام لعُمان من هذه
[٧]. وقد واجهت أسرة اليعاربة في
أيامها صراعاً أسرياً خطيراً حول
الإمامة حتى إن أحد المتنازعين
ناء الأسرة الحاكمة استعان بالفرس

ضد منافسه في الحكم فاستغل نادر شاه (حاكم الفرس يومذاك) الفرصة، إذ وجد فيها الذريعة لبسط سيطرته على عُمان[٨]، وبالفعل احتل الفرس عُمان للفترة (١٧٣٩ - ١٧٤٤م) ثم تصدى لهم والي اليعاربة على ميناء صحار (أحمد بن سعيد) وكان لنجاحه في تخليص عُمان من الاحتلال الفارسي الأثر الكبير في انتخابه إماماً على عُمان عام ١٧٤٩م[٩] وبذلك، انتقلت الإمامة الإباضية من أسرة اليعاربة إلى أسرة البوسعيد، ولما توفى الإمام أحمد بن سعيد عام ١٧٨٣م، وقع اختيار العُمانيين على ابنه سعيد[١٠]، وقد تميز عهد الإمام سعيد بن أحمد الذي استمر حتى عام ١٨٢٠م بثنائية الحكم أي الحكم الديني الذي كان يمثله الإمام في داخلية عُمان وحكم آخر زمني في الساحل العُماني يمثله ابنه أحمد[١١].
ومن الجدير بالذكر أن هذا الأمر يحدث لأول مرة في تاريخ عُمان الحديث وأن الأسباب التي أدت إلى ظهور ثنائية الحكم في عُمان عديدة إلا أن أبرزها يعود للظروف التي دعت إلى ظهور الحكم الزمني على الساحل إذ أن ظهور النفوذ للدول الأوروبية كبريطانيا وفرنسا وهولندا في منطقة الخليج العربي بعد

انهيار البرتغاليين واختلافهم في الأساليب الاستعمارية كتركيزهم على تأسيس المستعمرات واستغلال الأهالي وتكوين الإمبراطوريات فضلاً عن ابتداعهم الطرق الجديدة في التعامل التجاري حيث أعطوا الفرصة للعناصر القديمة في العمل من جديد علاوة على حرص هذه الدول الأوروبية الجديدة وخاصة بريطانيا على تأمين طرق المواصلات لإمبراطورياتهم الاستعمارية الأمر الذي ترتب عليه الدخول في علاقات مع القوى المحلية المسيطرة على هذه الطرق الحيوية، لذلك، وبدافع من التنافس فيما بينهم وهو الطابع الذي ميز هذه القوى الأوروبية خلال تواجدها في المنطقة، أخذت كل منها تحاول الحصول على اعتماد من أهالي المنطقة بهدف توطيد نفوذها وتوكيد وجودها، ولما كانت الإمامة الإباضية لا ترحب بقيام مثل هذه العلاقات وتعتبر الاتصال بالأجانب وما يجري من محرمات خرقاً للمبادئ الإباضية علاوة على انزوائها في المناطق الداخلية لعُمان الأمر الذي مهد السبيل للحكام المعنيين في الساحل بمهمة الاتصال الخارجي وإقامة العلاقات مع الأجانب مما جعلهم أكثر تحرراً ورغبةً في الاحتكاك بالخارج حيث دخل حكام الساحل في علاقات مع كل من الفرنسيين والهولنديين والإنجليز[١٢]، وهناك سبب آخر ساهم في نشوء الحكم الزمني في الساحل وهو ضعف شخصية الإمام سعيد بن أحمد. فانتخابه للإمامة لم يكن لكفاءته بقدر ما كان اعترافاً بمواقف أبيه الجليلة علاوة على عدم حصوله على اعتراف غالبية العُمانيين بإمامته[١٣] الأمر الذي أتاح للحركات الانفصالية المجال للسيطرة المحلية حيث لم يبق له سوى الاحتفاظ بلقب الإمامة الذي اختفى هو الآخر عندما وافته المنية عام ١٨٢٠م مما أعطى الفرصة لحكام الساحل أن يبرزوا ويطغوا .

ومن المفيد الإشارة إلى أن الحاكم العُماني في الساحل قد تلقب لأول مرة بلقب "السلطان" خلال هذه الفترة وقد ورد ذلك في المعاهدة المعقودة بين عُمان وبريطانيا عام ١٨٣٩ وكان لقب السلطان قد جاء بناءً على اقتراح من قِبَل بالمرستون وزير الخارجية البريطانية يومذاك[١٤] .

وعلى ضوء ذلك، بدأت السلطنة تشق طريقها بالظهور فاتخذت من ميناء مسقط عاصمة لها، بيد أن الإمامة ظلت قابعة في الداخل وعاصمتها مدينة

الرستاق، كما أن حكام الساحل أخذوا يضطلعون بمهام الحكم تدريجاً ويوطدون علاقاتهم مع فرنسا من خلال اتصال نابليون بونابرت – أثناء وجوده بمصر – بالسلطان في مسقط[١٥]، فضلاً عن تمتين العلاقة مع بريطانيا، بينما نجد في المقابل انحسار سلطة الإمامة واقتصار سيطرتها على المقاطعات الداخلية ولاسيما بعد وفاة الإمام سعيد وعدم مواتاة الفرصة لانتخاب إمام جديد الأمر الذي أعطى الفرصة لسلطان مسقط وهو سعيد بن سلطان (١٨٠٦ – ١٨٥٦م) أن يقوم بتوحيد عُمان تحت سلطته ويجعل من مسقط العاصمة الوحيدة للبلاد، وقد أدى عمله هذا إلى خلق فجوة واسعة بينه وبين رجال الإمامة في الداخل، ومما زاد في شقة الخلاف بين السلطان والإمامة هو تقرب السلطان سعيد الزائد للأجانب حيث أبرم عدة اتفاقيات معهم من أبرزها اتفاقية مع بريطانيا بصدد إلغاء تجارة الرقيق .

وهناك عامل آخر ساهم في اتساع الهوة بين السلطان والإمامة هو عدم استعداد رجال الدين الإباضيين للاعتراف بأسلوب الحكم القائم في الساحل العُماني وتشبثهم بنظام الإمامة في الحكم، وعلى ضوء ذلك، فهم لم يعترفوا بشرعية الحكم للسلطان مقابل ذلك لم يعبأ السلطان باعترافهم بعد أن فقد الحاجة إليه حيث استند في حكمه إلى نواحٍ أخرى تدعم نفوذه وسلطته كالقوة العسكرية والاعتماد على الدول الأجنبية والحصول على معونتها، كما استغنى السلطان عن موارد البلاد الداخلية بعد أن تضاءلت وتوجه نحو استثمار الساحل من خلال فرض المكوس الجمركية، وقد تمكن السلطان سعيد إبان عهده من أن يمد نفوذه على الساحل الشرقي للخليج العربي إذ أصبحت موانئ بندر عباس وجزيرة هرمز وقشم تحت إدارته[١٦] .

ومن العوامل الأخرى التي أدت إلى التباعد بين حكام الساحل ورجال الإمامة الإباضية هو ما يتعلق بصلب المبادئ الإباضية إذ عمل حكام الساحل بعد زوال التعصب في العقيدة لديهم نتيجة للاحتكاك الخارجي، على إحداث تطور في العقيدة الإباضية، وذلك بإهمالهم مبدأ الانتخاب الذي تستند عليه الإمامة في الحكم وأحدثوا بدلا عنه صيغة الحكم الوراثي الأمر الذي أثار استياء رجال الإمامة الإباضية .

إن الأسباب مجتمعة أدت بالإباضيين في الداخل إلى تكفير السلطان والثورة عليه والسعي إلى بعث حكم الإمامة من جديد في عُمان إلا أن هذه المحاولات لم تلق النجاح المطلوب بسبب الدعم البريطاني للسلطان، فضلاً عن الصراع القائم بين القبائل العُمانية من الكتلتين الغافرية والهناوية وصعوبة توحيدها صوب إسقاط الحكم في الساحل[١٧]، وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات التي جابهت الإمامة في طريق إعادة حكمها للبلاد إلا أنها تمكنت من النجاح والسيطرة على مقاليد الحكم في عُمان وإحياء الإمامة وذلك في عام ١٨٦٨م أثناء حكم الإمام عزان بن قيس (١٨٦٨ - ١٨٧١م)[١٨]، والذي استطاع الإطاحة بحكم السلطان . وقد اتخذت الإمامة في عهده من العاصمة مسقط مقراً لها وكان ذلك لأول مرة في تاريخ الإمامة التي كان مقرها عبر العصور مدن أزكي ويهلى والرستاق ونزوى، إلا أن حكم الإمامة هذا لم يستمر طويلاً، فقد تمت الإطاحة به عام ١٨٧١م لتعود عُمان تحت حكم السلطان من جديد وكان من أسباب سقوط إمامة عزان هو عدم اعتراف الإنجليز به فضلاً عن عجز الإمام عزان عن توحيد القبائل من الكتلتين الهناوية والغافرية[١٩] .

ومع ذلك فقد ظلت المحاولات لبعث حكم الإمامة من جديد مستمرة بعد هذا التاريخ ومنها ثورة الإمامة عام ١٩١٣م والتي هي موضوع بحثنا هذا .

# ثانيا: ثورة الإمامة عام ١٩١٣م

## (أسبابها، قادتها وتحركاتهم، سماتها)

لعل أبرز الأسباب التي أدت إلى اندلاع ثورة الإمامة في عُمان عام ١٩١٣م هو ما تقدم ذكره في الفقرة السابقة أي ظهور الحكم الزمني على الساحل في عُمان مدعماً بالقوى الأجنبية في المنطقة ومنافساً قوياً لحكم الإمامة في داخلية عُمان بل مهدداً لها بالسقوط والتلاشي فكان هذا من أهم الأسباب وراء ثورات الإمامة العديدة ومنها ثورة عام ١٩١٣م[٢٠] وهو

ما يمكننا أن نطلق عليه السبب غير المباشر للثورة .

أما الأسباب المباشرة لثورة الإمامة عام ١٩١٣ فيمكن أن ندرجها كما يلي :

أ - خضوع السلطان التام للنفوذ الأجنبي وبخاصة النفوذ البريطاني حيث كان الإنجليز يديرون دفة الحكم في الساحل ويتحكمون بأهم المرافق الحيوية للدولة فقد كان الكابتن (مكارثي) مسئولاً عن الجيش و(باور) مسئولاً عن الجمارك و (برترام توماس) عن المالية والقنصل البريطاني (ونجت) مسئولاً عن العلاقات الخارجية .

ب - خروج السلطان العُماني على المبادئ الإباضية وبخاصة ما يتعلق بالنظام الوراثي للحكم والذي يتعارض مع مبدأ الشورى والانتخاب الذي تدعو له الإمامة في الداخل .

ج - إقدام السلطان العُماني في الساحل على استيراد المحرمات كالمشروبات الكحولية والتبغ[٢١] .

د - ومن الأسباب الأخرى المباشرة للثورة في اعتقادنا سبب اقتصادي بحت وهو ما يتعلق بموافقة السلطان على إلغاء تجارة السلاح في عُمان من خلال رضوخه للاقتراح البريطاني بشأن إنشاء مستودع للأسلحة في مسقط عام ١٩١٢م والذي حد من تجارة الأسلحة في عُمان، تلك التجارة التي كانت تمثل جانباً مهما من النشاط التجاري للعُمانيين كافة، وكان إلغاؤها قد أدى إلى حرمانهم من أهم مواردهم المالية فضلاً عن حرمانهم من الحصول على الأسلحة الحديثة[٢٢] .

وهناك أسباب اقتصادية أخرى للثورة منها موافقة السلطان على استغلال الإنجليز لموارد عُمان الداخلية وكذلك فرض السلطان زيادة في الرسوم الجمركية على البضائع المارة من وإلى داخلية عُمان حيث ارتفعت نسبتها من ٥٪ إلى ٢٠٪[٢٣] .

أما قادة الثورة الذين تصدروا المطالبة بإسقاط السلطان في الساحل وتكفيره والذين بذلوا قصارى الجهد في التحضير والاستعداد لتعبئة الرأي العام العُماني صوب ما كانوا يعتقدون بأنه خطر يتهددهم فمن أبرز هؤلاء القادة المؤرخ العُماني المعروف وأحد رجال الدين البارزين الشيخ نور الدين عبد الله بن حميد السالمي المعروف بتطرفه في العقيدة الإباضية وهو كفيف البصر وبالرغم من ذلك فهو كاتب عُماني مرموق ومن أبرز مؤلفاته "تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان"[٢٤] .

والشيخ سالم بن راشد الخروصي زعيم بني خروص القبيلة التي أنجبت العديد من الأئمة العُمانيين إبان القرون الوسطى[٢٥]، وهو من مواليد عام ١٨٨٣ في مدينة المشايف في ساحل الباطنة ثم انتقل إلى بلدة العوابي وهي دار قومه بني خروص الذين سمي الوادي باسمهم[٢٦]، وكذلك الشيخ عيسى بن صالح أكثر زعماء قبائل الهناوية نفوذاً وزعيم قبيلة الحرث وهي قبيلة عسكرية مثلت النواة الصلبة للقوة العسكرية في الثورة وقد سبق لها الفضل في قيام إمامة عزان بن قيس عام ١٨٦٨م[٢٧]، وقد عرف عن الشيخ عيسى بن صالح قوة الشخصية فقد وصفته مسز بيل (Bell) في كتابها الحرب العربية (The Arab War) بأنه رجل صارم الملامح ذو شخصية قوية[٢٨]، كما عرف عنه الطموح الشخصي فقد حاول مراراً الاستقلال الذاتي لقبيلته وهو لم يكن متزمتاً بالمسائل الإباضية كالسالمي مثلاً.

ومن قادة ثورة الإمامة لعام ١٩١٣م أيضاً الشيخ حمير بن ناصر النبهاني شيخ قبيلة بني ريام الغافرية وكان مقرها مدينة (تنوف) الواقعة على منحدرات الجبل الأخضر.

عقد قادة الثورة الأربعة اجتماعهم الأول في مسجد الشرع في مدينة تنوف وذلك في الشهر الخامس من عام ١٩١٣م، وقد حضره عدد من زعماء القبائل وكبار رجال الدين وتدارسوا الضائقة الاقتصادية التي تمر بها عُمان وانعكاساتها السيئة على الأوضاع السياسية والاجتماعية كما ناقشوا في الاجتماع السبل الكفيلة بتخليص البلاد من النفوذ الأجنبي، ولقد كان المؤرخ العُماني السالمي من أبرز المتحدثين في الاجتماع والمحرضين على الثورة والعودة بعُمان إلى حكم الإمامة الإباضية ولكونه فقيهاً ومتضلعاً في العقيدة الإباضية دعا المجتمعين إلى إعادة النظر بسلطة حاكم عُمان في الساحل فيصل بن تركي كما اقترح على المجتمعين اختيار الرجل المناسب ليكون إماماً على عُمان وقد تقدم بترشيح الشيخ سالم بن راشد الخروصي لهذا الموقع، وقد أثنى المجتمعون على اقتراح السالمي، وتمت الموافقة عليه[٢٩]، وعلى ضوء ذلك اتخذ المجتمعون في نهاية الاجتماع قرارات هامة وحاسمة، من أهمها إعلان خلع السلطان فيصل بن تركي عن الحكم

لانحرافه عن جادة الشريعة واعتبار وجوده في الحكم غير شرعي وتعيين الشيخ سالم بن راشد الخروصي إماماً لعُمان كافة .

والواقع أن قادة الثورة ما إن انقضى اجتماعهم برؤساء القبائل ورجال الدين حتى أخذت تحركاتهم تزداد نشاطاً بين العُمانيين في أغلب المناطق محرضين على الثورة والتصدي بحزم لحكم السلطان ومؤيديه من الداخل أو لمؤازريه من الأجانب كما اتخذ قادة الثورة عدة إجراءات لتعزيز سلطة الثورة ووضوح شخصيتها منها اتخاذ مدينة نزوى عاصمة جديدة للإمامة ومقراً لقيادة الثورة ومن المعروف أن هذه المدينة من كبرى مدن عُمان وقاعدة البلاد تقع في سفح الجبل تحف بها البساتين والأنهار ولها أسواق حسنة ومساجد عظيمة أهلها معروف عنهم الشجاعة والنجدة، وجميعهم إباضيو المذهب(٣٠) .

كما اتخذ قادة الثورة شعارا للثورة وهو العلم الأبيض الذي ظل شعاراً للإمامة كذلك(٣١) .

لكن الحدث الأكبر والذي جاهد قادة الثورة كثيراً في سبيل إنجازه هو إعلان غالبية القبائل العُمانية من الكتلتين الغافرية والهناوية تأييدها وولاءها للإمام الجديد . فلم تمض سوى بضعة شهور حتى تحقق ولاء الكتلتين للثورة وهذا يعد من أبرز مقومات النجاح للثورة الجديدة حيث لم يتحقق هذا الأمر في عُمان منذ القرن الثامن عشر وكان عدم تحققه من أهم أسباب الإخفاق الذي لحق بالثورات الإباضية ومنها ثورة الإمام عزان بن قيس (١٨٦٨ - ١٨٧١م) كما أسلفنا في مطلع هذا البحث(٣٢) .

وعلى ضوء ذلك انطلقت ثورة الإمامة هذه المرة بقوة واندفاع كبيرين وهي تهدف للإطاحة بحكم السلطان فيصل وإقامة حكم الإمامة يضم جميع عُمان الساحل والداخل بدلاً عنه(٣٣) .

أما سمات الثورة فيمكننا وفق ما اطلعنا عليه من مصادر تخص الموضوع أن نحدد أهم السمات الأساسية لثورة الإمامة عام ١٩١٣م في عُمان .

فقد اتضح لنا أنها لم تكن ثورة دينية صرفاً تهدف إلى تطبيق التعاليم الإباضية حرفياً وستؤيد الأحداث اللاحقة في البحث ذلك إذ بدت عليها بوادر الحركة القومية(٣٤)، كما أنها لم تكن حركة انقلابية داخل الأسرة الحاكمة في عُمان كما حدث في إمامة

عزان بن قيس، فاختيار الثورة لرجل من غير أسرة البوسعيد الحاكمة أعطاها سمة أخرى وهي سمة الديموقراطية ولو بصفة نسبية أي حرية الانتخاب والاختيار بدون قيود نوعاً ما[٣٥]، كما اعتمدت التاريخ وتجاربه في صيرورتها فلم تغفل الماضي خاصة وإن أحد قادتها وهو السالمي من المؤرخين العُمانيين المبرزين فقد استفادت الثورة من التجارب السابقة للثورات الإباضية فأنجزت الاتفاق بين عيسى بن صالح زعيم قبائل الهناوية في عُمان وحمير بن ناصر زعيم قبائل الغافرية وقد ساعد ذلك الثورة كثيراً في تثبيت أقدامها والتفاف غالبية القبائل العُمانية حولها . . .

## ثالثاً: انطلاقة الثورة ومسيرتها والموقف البريطاني حيالها

ما إن أعلنت الثورة، حتى بدأ الثوار عملياتهم العسكرية وذلك بالزحف على المدن العُمانية بهدف إسقاطها الواحدة تلو الأخرى ثم التقدم صوب العاصمة مسقط للإطاحة بحكم السلطان فيصل. وقد استطاع الثوار في الشهر الثامن من عام ١٩١٣م السيطرة التامة على الممرات الواقعة في وادي سمائل الاستراتيجي[٣٦]، الأمر الذي أدى إلى تدهور مركز السلطان لأن وادي سمائل كان الممر الوحيد الذي يصل بين مسقط ومطرح والداخل، وعلى ضوء ذلك أصبحت العاصمة مسقط معرضة للتهديد المباشر من قبل الثورة .

لقد أثارت انطلاقة الثورة مخاوف الوكيل السياسي البريطاني في مسقط الماجور نوكس (Knox) فوجه تحذيره الشديد الى قادة الثورة في حالة مهاجمتهم العاصمة مسقط حيث أعلمهم بأن الحكومة البريطانية لن تقف مكتوفة الأيدي حيال عمل كهذا[٣٧]. وقد رد عليه الإمام الخروصي محذراً إياه من التدخل في شئون الثورة أو الاعتداء على الثوار بقوله : "إن مصير المسلمين

يجب أن يكون بأيدي المسلمين أنفسهم وإنهم ماداموا قد اختاروا إمامهم فهو الذي يملك السلطتين المدنية والدينية"[٣٨] .

ثم أردف الإمام الخروصي موجهاً كلامه للوكيل البريطاني نوكس قائلاً : "انتم معشر هذه الدولة (بريطانيا) يجب عليكم أن تكفوا عن أسر المسلمين ويلزمكم ألا تعتدوا علينا ومن تعدى علينا فالله يعيننا عليه". وقد امتعض نوكس لهذا الرد[٣٩] .

وفي الواقع فإن الموقف البريطاني من ثورة الإمامة في بداية الأمر كان موقف المراقب لكنه سرعان ما تغير عندما تهددت العاصمة مسقط فهرع الإنجليز لنجدة السلطان حيث سارعت حكومة الهند البريطانية إلى تلبية طلب السلطان في إرسال قوة عسكرية بقيادة العقيد سميث (Smith) تم إنزالها في مدينة مطرح ثم انتشرت بعد ذلك في المناطق الحيوية حماية للحكم في مسقط[٤٠]، وفي الشهر الحادي عشر من عام ١٩١٣م تمت مضاعفة هذه القوة لترابط في المناطق القريبة من المدينتين الساحليتين مطرح ومسقط[٤١] .

ومن الجدير بالذكر أن السلطان فيصل في الوقت الذي كانت فيه قوات الإمامة تضيق الخناق على عاصمته مسقط، كانت حالته الصحية متدهورة وسيئة للغاية . وقد فارق الحياة في الرابع من أكتوبر عام ١٩١٣م فخلفه على الحكم ابنه الأكبر تيمور وكان يومئذ في السابعة والعشرين من عمره .

ومن المفيد أن نشير إلى أن السلطان الجديد قد تلقى دراسته العالية في كلية (مايو) في أجمير بالهند (Mayo College in Ajmer)[٤٢] . وقد وصفه الإنجليز أمثال توماس بأنه شخص طيب وقدير وذكي[٤٣]، كما وصفه القنصل الأمريكي في مسقط بريت (Bret) بأنه يحمل أفكاراً أكثر تحرراً .

وعلى العموم، فقد دخل تيمور بن فيصل الحياة الرسمية وهو في السادسة عشرة من عمره عندما مثل أباه في احتفالات عيد التتويج للملك إدوارد عام ١٩٠٢م وعند عودته إلى مسقط استقبله أبوه بإطلاق ثلاث عشرة طلقة مدفع لتحيته بشكل رسمي الأمر الذي يوضح الرغبة في إبراز مكانته الاجتماعية والرسمية في السلطة كما كان لتيمور نشاط ملحوظ في حكومة والده حيث قاد العديد من الحملات العسكرية لمواجهة الاضطرابات في الداخل وقد شارك أيضاً في مواجهة ثورة الإمامة

بعد انبعاثها على يد سالم الخروصي عام ١٩١٣م .

لقد تولى السلطان الجديد الحكم وخزانة الدولة فارغة وسلطة الحكم مزعزعة فحاول بكل جهده أن يعمل على تحسين الأوضاع إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م وانشغال القوات البريطانية بها أثر على الدعم العسكري البريطاني له، فاستمرت أوضاع البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في التدهور نتيجة لاستمرار الصراع بين السلطان وقوات الإمامة .

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد ازداد التأييد لثورة الإمامة قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى وخاصة من القبائل العُمانية القاطنة على الساحل بحيث تمكنت الثورة من أن تضم إليها مدن بركا على ساحل الباطنة وقريات الواقعة على مسافة ٤٠ ميلاً إلى الجنوب من العاصمة مسقط ومطرح وصور وصحار مع بعض الموانئ الصغيرة على ساحل الباطنة، عندها لم يكتف الإنجليز بالتحذير فقط بل وجهوا أول ضربة لقوات الثورة وذلك بواسطة الطرادين البريطانيين فوكس (Fox) ودارتموث (Dartmouth) اللذين تمكنا من إقصاء قوات الإمامة من بركا وقريات[٤٤] .

كما واجه السلطان تيمور من جانبه تعاظم الثورة واتساع رقعتها باتباع وسائل الحصار الاقتصادي على الداخل عن طريق زيادة الضرائب الجمركية على البضائع القادمة من داخلية عُمان لتصديرها من الموانئ الساحلية، وكذلك على جميع الواردات المغادرة من الموانئ الساحلية في طريقها نحو الداخل حيث بلغت نسبة الزيادة ٢٥٪ كما عمل السلطان على تقييد وصول المواد الغذائية الأساسية إلى داخلية عُمان . إلا أن هذه الضغوط الاقتصادية لم تفت في عضد الثوار، بل زادتهم إصراراً على موقفهم من بعث الإمامة وإسقاط حكم السلطان تيمور، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في الشهر الثامن من عام ١٩١٤م تفاءل الثوار كثيراً بها وعقدوا الآمال عليها واعتقدوا بأن ظروف الحرب ستكون لصالح ثورتهم بعد أن ينشغل الإنجليز بها ويتعذر عليهم تقديم العون والمساندة للسلطان الأمر الذي أدى بثوار الإمامة إلى تصعيد عملياتهم العسكرية مستندين في ذلك على

عدة عوامل ستفرزها ظروف الحرب لصالحهم منها :

أ - الطابع الديني الذي طبع الثورة واعتمادها على مبدأ الجهاد الديني الذي نادى به الإمام سالم الخروصي بين قبائل عُمان وارتباط ذلك بالجهاد الديني الذي دعت إليه الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية، مع ما ينتج عن هذا الترابط من دعم وتأييد إسلامي للثورة[٤٤] .

ب - المساعدات التي من المحتمل أن تحصل عليها ثورة الإمامة من قِبَل ألمانيا وتركيا بحكم وقوفها ضد الوجود البريطاني في المنطقة .

وبالفعل، فقد استطاع الألمان التأثير على الثورة العُمانية من خلال الأتراك، فقد أكد الوكيل البريطاني في مسقط كثرة تردد المبعوثين الأتراك من الأستانة والبصرة إلى داخلية عُمان فضلاً عن وصول عملاء ألمان من شرق أفريقيا ومن موظفي شركة الفانكهاوس (Wankhose) الألمانية الملاحية في البحرين إلى ميناء صور العُماني[٤٦] ومن ثم إلى المقاطعة الشرقية حيث أجروا مقابلة مع الشيخ عيسى بن صالح أحد قادة الثورة البارزين ووزعوا الهبات الكثيرة على القبائل لاستمالتها إلى جانبهم، كما أوضحوا لهم - بهدف كسبهم - بأن الإنجليز يستبدون بالرعايا المسلمين بخلاف الألمان الذين يدافعون عن الإسلام والمسلمين وأنهم من أجل ذلك تحالفوا مع الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية[٤٧] .

ومن الجدير بالذكر أن الدعاية الألمانية قد تسربت إلى عُمان عن طريق دار السلام وأفريقيا الشرقية الألمانية (تنجانيقا) وقد بلغت درجة من التأثير على الثوار حتى اعتقدوا بأن الألمان قد كسبوا الحرب وأن قواتهم تحرز النصر في كل مكان كما اعتقدوا بأن القيصر الألماني قد اعتنق الإسلام واستبدل باسمه اسم الحاج محمد غليوم[٤٨] وقد حان الوقت لإلقاء السلطان وحلفائه الإنجليز في البحر حيث لم يعد للنفوذ البريطاني من وجود[٤٩] .

وفي الواقع فإن الدعاية الألمانية قد نجحت في إلهاب الحماس لدى الثوار إلا أن هذا التأثير لم يكن العامل الحاسم في تأجيج الثورة وإشعال أوارها للدرجة التي تبالغ فيها بعض المصادر حيث ذكرت بأن الوكلاء الألمان هم الذين حركوا الثورة. خاصة وقد عرفنا العوامل والأسباب التي أدت إلى تصعيد الثورة واستمرارها من خلال ما تقدم ذكره

فـي البحـث وعرفنـا أن دور الألمـان ودعايتهم كان محدوداً جداً . . .

لقد صعدت الثورة من عملياتها العسكرية استناداً للعاملين الآنفين فضلاً عن عامل ثالث سبق ذكره وهو اعتقاد الثوار توقف التعزيزات البريطانية العسكرية لمسقط بسبب انشغال القوات المسلحة البريطانية بالعمليات الحربية خارج المنطقة وإن حاولت فهي لن تتمكن من العمل بالسرعة والشكل الذي كان متوافراً قبل الحرب لذلك اعتقدت قيادة الثورة بأن القوة البريطانية ستصبح في موقف حرج فهي لا تستطيع الدفاع عن مسقط ولا حتى عن نفسها وبناءً على هذه الاعتقادات التي هيمنت على تفكير قادة ثورة الإمامة مطلع الحرب العالمية الأولى انطلقت قوات الإمامة في الشهر الأول من عام ١٩١٥م بقيادة الإمام سالم الخروصي مستهدفة العاصمة مسقط والإطاحة بحكم السلطان تيمور، وقد بدأ تعاظم القوات من خلال أعدادها الهائلة التي بلغت الآلاف حيث ضمت أفراد القبائل من الكتلتين، الهناوية بقيادة الشيخ عيسى بن صالح، والغافرية، تحت قيادة الشيخ حمير بن ناصر وقد تقدمت القوات جميعاً حتى وصلت إلى ما يقارب ستة أميال عن العاصمة مسقط التي أصبح سقوطها وشيكاً[٤٠] .

كما شنت قوات الإمامة هجوماً مركزاً على الحامية البريطانية التي كانت تقوم بالدفاع عن المدينة مسقط. ولكن، بالرغم من أن مسقط لم تكن معززة إلا بقوات قليلة العدد بلغ قوامها ٧٠٠ جندي يرابطون وراء تحصينات قوية، إلا أن هذه القوات تمكنت من أن تدحر هجوم الثوار غير المنظم والذي كان يعوزه التكتيك العسكري، ففي المعركة التي نشبت بين الطرفين في رائعة النهار لم تستطع قوات الإمامة الوصول إلى قلعة مسقط وإنما تعرضت قواتها لمجزرة رهيبة اضطر الثوار بعدها إلى التراجع نحو المرتفعات الداخلية دون أن يفكروا في إعادة الكرة بسبب الخسائر الفادحة التي تكبدتها قوات الإمامة في هذه المعركة، فقد كانت هذه آخر محاولة للإمامة في الهجوم على العاصمة مسقط[٤١] .

وعلى إثر الهزيمة التي منيت بها قوات الإمامة، قاد السلطان تيمور قطعاته في الشهر السابع من عام ١٩١٥م صوب المناطق الساحلية لتخليصها من فلول الثوار، وقد نجح

السلطان في دحر قوات الإمامة بفضل التعزيزات التي وصلته من حكومة الهند البريطانية، حيث أرسلت له ست فرق من المدفعية الثقيلة[٥٢]، فضلاً عما ذكرناه من تمتع هذه القوات بالتنظيم والتدريب الجيدين .وقد أراد السلطان تيمور تعقب قوات الإمامة إلى الداخل ومطاردتها كي يتم القضاء عليها تماماً، إلا أن الوكيل البريطاني في مسقط منعه من ذلك ونصحه بالتوقف عند هذا الحد . . .

## رابعًا: نهاية الثورة

سارعت بريطانيا لبذل قصارى جهودها في سبيل إيقاف الصراع القائم بين الإمامة والسلطان خوفاً من ألا تستطيع في المرة القادمة أن تمنع حكم السلطان تيمور من السقوط، إن حاولت قوات الإمامة إعادة الكرة وذلك بسبب انشغال الإنجليز بظروف الحرب فضلاً عن خشية بريطانيا من تأثير دعوة الإمام الخروصي إلى الجهاد على المناطق الإسلامية كالهند وجزيرة العرب وشمال أفريقيا مما سيخلق لها مصاعب بالغة، زائداً تعارض ذلك وما كان الإنجليز يفاوضون عليه الشريف حسين بن علي ملك الحجاز حول إعلان الجهاد المقدس ضد الدولة العثمانية[٥٣] .

وعلى هذا الأساس تقدم اللورد هاردنج (Lord Hardinge) نائب الملك في الهند لدى وصوله إلى مسقط عام ١٩١٥م ضمن جولته التي خصصها لزيارة موانئ الخليج العربي بتوصية للسلطان تيمور يدعوه فيها لعقد الصلح مع الثوار[٥٤]، كما طلب من الكولونيل بين (Benn) الوكيل السياسي البريطاني في مسقط أن يكون وسيطاً بين الطرفين، وقد أوضح الكولونيل بين لنائب الملك في الهند طبيعة الموقف بين الإمامة والسلطان والصعوبات البالغة التي تعترض الصلح بينهما، إلا أن اللورد هاردنج ألح عليه بضرورة التوصل إلى اتفاق ينهي النزاع بينهما، كما أقنع السلطان بذلك بعدما توضح لهاردنج أن ثوار الإمامة لا يزالون قابضين على زمام الموقف .

وعلى ضوء ذلك تم الاتصال لأول مرة بين الوكيل السياسي البريطاني في مسقط وزعماء ثورة الإمامة في الداخل،

وقد حاول الوكيل البريطاني لهذا الاتصال بأن قدم لزعماء الثورة الهدايا والهبات، إلا أن هذه المحاولة لم تجد القبول عندهم بسبب امتناعهم عن قبول الهدايا باعتبارها رشوة مخلة بالمبادئ .

وقد جاء رد زعماء الثورة للوكيل البريطاني سلبياً، مفسرين موافقة السلطان على إجراء التفاوض معهم بأنها علامة ضعف وكانوا يتوقعون انهيار حكمه . . .

والواقع، إن ثوار الإمامة بالرغم من أنهم أوقفوا عملياتهم العسكرية ضد السلطان بعد معركة مسقط، إلا أنهم استمروا في صمودهم حيث ظلت سيطرتهم على وادي سمائل الاستراتيجي والمدن العُمانية التي سبق أن اجتاحوها وخاصة مدن الداخل، ويمكننا تفسير ردهم السلبي للوكيل البريطاني بأنه يعود لسبب آخر غير الذي تقدم ذكره وهو عدم ثقتهم بصدق النوايا البريطانية في الوساطة إذ عرفوا بريطانيا وموقفها الدائم والثابت مع السلطان طيلة فترة الصراع، لذلك لم تلق دعوة الوكيل البريطاني للتفاوض تجاوباً منهم وخاصة أن الوكيل البريطاني أرفق مع دعوته للتفاوض شروطاً يجري على ضوئها هذا التفاوض وهي كما يلي :

١ – الاعتراف بشرعية حكم السلطان في عُمان .
٢ – عدم نقض المعاهدات التي عقدت بين بريطانيا وعُمان .
٣ – عدم المساس بمشروع إنشاء مستودع الأسلحة الذي يلغي تجارة السلاح في عُمان(**) .

وإبان فترة الاتصالات بين الوكيل البريطاني (بين) والسلطان تيمور من جانب وزعماء الثورة من الجانب الآخر، حاول كل طرف من أطراف الصراع انتهاز الفرصة لضرب الطرف الآخر وإجباره على التفاوض معه وفق الشروط التي يمليها .

فقد حاول السلطان تيمور من جانبه استمالة شيوخ السمائل لمساعدته في حالة هجومه على قلعة سمائل الاستراتيجية، كما حاول إقصاء فلول قوات الإمامة من خلال الهجوم الذي شنه في الشهر السابع عام ١٩١٥م على قبيلة (بني بطاش) الهناوية والتي لم تكن قد ألقت السلاح بعد، كما تمكنت. من الجانب الآخر، قوات الإمامة من الزحف على مدينة صور في الشهر العاشر من عام ١٩١٥م وحاولت خلق الاضطرابات وإثارة القلاقل فيها لزعزعة حكم السلطان إلا أن كلا المحاولتين لم

تقدم شيئاً لأي من الطرفين، وفي الواقع، فإن زعماء الثورة قد أدركوا في النهاية استحالة إلقاء السلطان تيمور وقواته في البحر فتدارسوا موقف الثورة المتصدع في الاجتماع الذي عقدوه فيما بينهم، فوجدوا من الحكمة أن يوافقوا على إجراء المفاوضات مع السلطان والتوصل معه إلى اتفاق(٥٦) .

وعلى ضوء ذلك، بعث الشيخ عيسى بن صالح رسالة إلى الوكيل البريطاني (بين) تضمنت موافقة الثوار على التفاوض شريطة أن تدرس الحكومة البريطانية القضايا المختلف عليها مع السلطان على أساس العدل مادامت بريطانيا قد قبلت لنفسها التوسط والإشراف على المفاوضات بين الطرفين(٥٧) .

وفي منتصف الشهر الحادي عشر من عام ١٩١٥م تم عقد أول اجتماع بين الشيخ عيسى بن صالح ممثل قيادة الثورة للإمامة والوكيل السياسي البريطاني (بين) نيابة عن السلطان تيمور، وذلك في مدينة (السيب) التي تبعد عن العاصمة مسقط بحوالي ٢٥ ميلاً(٥٨)، وقد تم في هذا الاجتماع طرح شروط الثورة للتفاوض والتي على أساسها يتم الصلح مع السلطان وهي كما يلي :

١ - أن تكون الشريعة الإسلامية أساساً للحكم في عُمان سواء في الساحل أو الداخل وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الجنائية والمدنية، وأن تكون العدالة أساس التعامل مع الجميع دون تفرقة أو تمييز .
٢ - إلغاء القيود المفروضة على تجارة السلاح .
٣ - إلغاء الضرائب المفروضة على واردات وصادرات المقاطعات الداخلية في عُمان .
٤ - تحريم استيراد الخمور والتبغ .
٥ - حل الجيش الجديد والمتكون من العناصر الدخيلة مع إطلاق سراح المعتقلين، وتسليم جميع اللاجئين لدى السلطان من المجرمين وتطبيق العقوبات عليهم وفق قواعد الشرع(٥٩) .

ثم طرح ممثل الإمامة رأي الثورة إذا ما حصلت موافقة السلطان على هذه الشروط فإن زعماء الثورة على استعداد للاعتراف به حاكماً على عُمان شريطة أن يكون الإمام مسئولاً عن السلطة التشريعية وفق أحكام الشريعة وأن يتولى

بنفسه ممارستها في مسقط أو عن طريق ممثل له . . .

ثم قام الشيخ عيسى ممثل الإمامة في هذا الاجتماع مع الوكيل البريطاني بإثارة جملة من المشاكل التي تعاني منها عُمان إضافة إلى ما تقدم ذكره وكانت هذه المشاكل في غالبيتها ذات صبغة اقتصادية مثل مسألة انخفاض قيمة الريال العُماني وآثاره السلبية على السكان. كذلك ارتفاع أسعار المواد الغذائية والأقمشة ولم يفت ممثل الإمامة أن يوجه النقد مباشرة للوكيل البريطاني بسبب سيطرة بريطانيا على البحار والتي يجب أن تبقى حرة للجميع والرسوم الباهظة التي تفرضها على السفن العاملة في البحر والتي تلزم بالتوجه مباشرة إلى ميناء مسقط أولاً لدفع هذه الرسوم .

ورد الوكيل البريطاني (بين) على شروط الإمامة باعتباره ممثلاً عن السلطان فوصف شروطهم بأنها تعجيزية وقد أجاب على بعضها في حين رفض البعض الآخر رفضاً قاطعاً. فوعد مثلاً بإمكانية النظر في إعفاء البضائع من الضرائب بينما تمسك بعدم تسليم بعض زعماء القبائل الذين تعاونوا مع السلطان خلال الاشتباكات التي جرت بين الجانبين باعتبارهم أدوا واجبهم في الحرب لصالح الحكم في عُمان وأنهم ليسوا مجرمين . كما أعلن ممثل السلطان عدم مسئولية السلطان عن استيراد الخمور والتبغ للبلاد بذريعة أن رعاياه لا يقومون بذلك وإنما يفعله رعايا الدول الأجنبية إذ ليس له سلطات قضائية عليهم. وقد أكد ممثل السلطان خلال هذا الاجتماع طلب السلطان تيمور من قادة الثورة تحقيق أمرين هامين هما :

أ ) خضوع الإمام التام له. وعندما يتأكد له ذلك، ينظر بشأن تعيين ممثل عنه في داخلية عُمان .

ب ) الانسحاب الفوري غير المشروط من وادي سمائل لأهمية موقعه الاستراتيجي والتجاري للعاصمة مسقط[٦٠] .

وهكذا، بدا من الاجتماع الأول . شدة التعارض بين مطالب قادة الثورة للإمامة والسلطان. إذ كان السلطان تيمور يتطلع إلى استعادة نفوذه في الداخل بينما كان ثوار الإمامة يسعون إلى الإبقاء على مراكزهم التي احتلوها .

وعندما لم يتوصل الطرفان إلى صيغة للاتفاق بينهما، انتهى اجتماع السيب الأول بالفشل. فانقطعت

المفاوضات التي لم تتخذ خطوات لاستئنافها حتى الشهر الثالث من عام ١٩١٨م[٦١] .

وعلى ضوء ذلك، أصبحت عُمان منقسمة إلى نظامين للحكم أحدهما في الداخل تحت سلطة الإمامة وثانيهما في الساحل تحت حكم السلطان تيمور ولم يحدث ما يغير هذا الأمر طوال سني الحرب العالمية الأولى بالرغم من محاولة كل طرف اغتنام أية فرصة تدعم نظامه وتزعزع النظام الآخر .

ومن هذه المحاولات عمل قادة الإمامة على تكوين جبهة متماسكة في الداخل ويعتقد أن مما زاد تماسك هذه الجبهة هو احتمال وصول مساعدات عثمانية إليهم عام ١٩١٦م حيث سبق وأن خاطب الإمام سالم الخروصي كلاً من الإمام يحيى في اليمن وسعيد باشا قائد القوات العثمانية هناك طالباً منهم تعزيزات عسكرية، كما انتهزت الإمامة حالة الاضطرابات التي نشبت في المدن العُمانية ضد السلطان في الشهر الرابع من عام ١٩١٧م فأرسلت (حميد بن سالم) أحد الشخصيات البارزة في داخلية عُمان والمقربة من الإمام إلى سيناء صور بهدف تأجيج الاضطرابات فيها ضد حكم السلطان تيمور، لكن قوات السلطان تمكنت من إخمادها وقتل حميد بن سالم .

وبالرغم من كل ذلك، فقد تمثلت سيطرة الإمامة بشكل واضح على معظم المقاطعات الداخلية في عُمان ولاسيما بعد أن تمكنت قواتها من اجتياح مدينة الرستاق والسيطرة عليها وهي من المدن العُمانية الرئيسية التي تطل على ساحل الباطنة، وقد عين الإمام الخروصي أخاه ناصر بن راشد الخروصي والياً عليها .

بينما بقي حكم السلطان تيمور في مسقط يعاني من التدهور المالي الذي بلغ درجة الإفلاس، فضلاً عن انهماك الإنجليز بالحرب وعدم تمكنهم من مد يد العون والمساعدة له، ومع ذلك، فقد اتخذت قوات السلطان تساندها القوات البريطانية المرابطة في عُمان جميع الاحتياطات اللازمة على امتداد الساحل العُماني تحسباً لأية محاولة من جانب الإمامة في التقدم صوب الساحل[٦٢] .

وبذلك عاشت عُمان فترة عدم استقرار، بسبب مواصلة ثوار الإمامة تعزيز سيطرتهم على مدن الداخل من جانب، وتطلع السلطان تيمور إلى انتهاء الحرب العالمية الأولى كي يحصل على

المزيد من الدعم والإسناد البريطاني الذي يتمكن به من سحق الثورة واستعادة سيطرته على الداخل من الجانب الآخر . . .

وما إن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وأسفرت عن تدعيم السيطرة البريطانية بالخليج العربي بصورة تفوق كثيراً ما كانت عليه في السابق الأمر الذي ساعد بريطانيا على فرض التسويات العديدة في المنطقة ومن بينها اتفاقية السيب لعام ١٩٢٠م بين سلطان مسقط وزعماء الإمامة في الداخل حيث أرغمت بريطانيا الطرفين على الجلوس إلى طاولة المفاوضات التي تمخضت عن الاتفاقية وقد وقعها عن جانب الإمامة الشيخ عيسى بن صالح ومجموعة من شيوخ القبائل وعن جانب السلطان تيمور وينجت (Wingte) القنصل البريطاني في مسقط يومذاك وذلك في الخامس والعشرين من الشهر التاسع لعام ١٩٢٠م[٦٣] .

لقد قسمت اتفاقية السيب والتي كانت نتيجة لثورة الإمامة عام ١٩١٣م عُمان عملياً إلى نظامين للحكم أحدهما في الساحل يقوده السلطان وآخر في الداخل بزعامة الإمام، وبالرغم من أن عُمان في تاريخها الحديث قد تعرضت لمثل هذا التقسيم عندما أصبح فيها الحكم ثنائياً كما مر بنا في الفقرة الأولى من هذا البحث، إلا أن الأمر يختلف هذه المرة لكون عُمان قد قسمت إلى نظامين للحكم بشكل رسمي وفق اتفاقية موثقة وموقعة من طرفي النزاع وبإشراف بريطانيا إلى درجة أن انعكس هذا التقسيم على اسم البلاد فأصبحت تسمى بـ (سلطنة مسقط وإمامة عُمان)، ولم يبدل هذا الاسم لعُمان إلا في عهد السلطان سعيد بن تيمور عندما قضت قواته وبمساندة من القوات البريطانية على حكم الإمامة في الداخل بشكل نهائي وذلك في عام ١٩٥٩م لتخضع عُمان بأجمعها لحكم السلطان فقط وليبدل اسم البلاد رسمياً إلى (سلطنة عُمان) والذي لازالت تعرف به عُمان حتى يومنا هذا[٦٤] .

# الخلاصة والإستنتاجات

مما تقدم توصلنا إلى ما يلي :

١ - حاربت بريطانيا ثورة الإمامة التي اندلعت عام ١٩١٣م لكونها تعارض الوجود الأجنبي في المنطقة بشكل عام والوجود البريطاني بشكل خاص .

٢ - وقفت بريطانيا إلى جانب حكم السلطان في الساحل للعلاقات الإيجابية التي تربطها به فضلاً عن وقوع مركز حكمه (مسقط) على الطريق المؤدي إلى أهم مستعمراتها - الهند - .

٣ - لم تقض بريطانيا على ثورة الإمامة نهائياً بالرغم من قدرتها على ذلك وقد سبق أن هددهم قنصلها في مسقط هاورث (Haworth) عندما بعث لقادة الثورة رسالة شديدة اللهجة عام ١٩١٩م جاء فيها "لو أردنا ضرركم لكان من السهل علينا أن نرسل إليكم من طائراتنا طائرة واحدة لا غير تحطم مدنكم وتخرب حصونكم" .

لكن بريطانيا لم تفعل ذلك لكي يبقى حكم السلطان مهدداً من قبل الإمامة وفي حاجة دائمة لدعم ومساندة بريطانيا الأمر الذي يحفظ مصالحها في عُمان .

٤ - أجبرت بريطانيا طرفي النزاع (السلطان وقادة الإمامة) على توقيع اتفاقية السيب لكي تكرس تجزئة البلاد وفق سياستها المعروفة في العالم (فرِّق تسد) .

د. فاضل محمد الحسيني

جامعة ناصر / ليبيا

# الهوامش

١ – قاسم، جمال زكريا. الأصول التاريخية لقضية عُمان، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر، السنة ٦٤ – ١٩٦٥م، القاهرة، ص ١٦٧ .

٢ – الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. المِلل والنِحل، الجزء الأول، القاهرة. ١٩٦١، ص ١١٥ .

٣ – الموهوبي، عامر علي عمير، عمان قبل وبعد الإسلام، ١٩٨٠، عُمان، ص ٣٧ – ٣٨ ؛ السيابي، سالم بن حمود. الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز، عُمان، ١٩٨٠، ص ١١ .

٤ – السيابي، المرجع السابق، ص ٣٥ .

٥ – الباروني، سليمان. الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق محمد علي الصليبي، الجزء الثاني، عُمان، ١٩٨٧، ص ٨٣ .

٦ – سلطان، سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان، مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، عُمان، بدون تاريخ، ص ١٤ .

٧ – الأزكوي، سرحان بن سعيد، تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي، الطبعة الثانية، عُمان، ١٩٨٦، ص ٩٦ .

٨ – Lockhart, Laurence, Nadirshah, Arihcal study Baised-mainly upon contemporary sources, London, 1938, p. 182.

٩ – الأزكوي، المصدر السابق، ص ١٥٤ .

١٠ – Wellsted, J.R., Travels in Arabia, Vol. I, London, 1840, p. 39.

١١ – عبدواني، صادق حسن، الدولة العُمانية نشأتها وازدهارها (حصاد) ندوة الدراسات العُمانية، ١٩٨٠، عُمان، المجلد الثاني، ص ٧٥ .

١٢ – Arabian Boundaries, primary Documents, 1853 - 1957, Richard Schofield and Cerald Blake, volume 19, Sultanate of Muscat and Oman, London, 1988, p. 43.

١٣ – قلعجي، قدري، الخليج العربي بيروت، بدون تاريخ، ص ٨٩٨ .

١٤ – كيلي، جون ب.، بريطانيا والخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، الجزء الأول، عُمان، ١٩٦٥، ص ٢٥ .

١٥ – سعيد، أمين، ثورات العرب في القرن العشرين، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٤٥ .
١٦ – Palgrave, William, Narrative of Year's Journey Through Central and Eastern Arabia, Vol. I, London, 1865, p. 255.
١٧ – Selections From the Records of the Bombay Government, New Series, No. XXIV, Bombay, 1856, p. 50.
١٨ – لمزيد من المعلومات عن حكم الإمام عزان، أنظر كتاب : أحمد عبيدلي، الإمام عزان بن قيس، ١٨٦٨ – ١٨٧١، بيروت، ١٩٨٤م .
١٩ – السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٢٨، ص ص ٢٦٦ – ٢٧٢ .
٢٠ – Arabian Boundaries, Primary Documents, 1853 - 1957, OP-ct, p. 52.
٢١ – المشهداني، خليل إبراهيم صالح، التطورات السياسية في عُمان وعلاقاتها الخارجية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٥٥ .
٢٢ – لاندن، روبرت جيران، عُمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً، ترجمة محمد أمين عبدالله، الطبعة الثالثة، عُمان، ١٩٨٣، ص ٤٥٧ .
٢٣ – المشهداني، المرجع السابق، ص ص ٤٧ – ٥٦ .
٢٤ – اعتمد البحث على هذا المؤلف والذي يعد في طليعة المصادر العُمانية المحلية .
٢٥ – لاندن، المرجع السابق، ص ٤٥٨ .
٢٦ – السيابي، سالم بن حمود، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان، بيروت، ١٩٦٥، ص ١١١ – ١١٤ .
٢٧ – F.O., 371, 6252, Muscat, Dated 1921, No. e 1949/95/9.
٢٨ – فيليبس، وندل، تاريخ عُمان، ترجمة محمد أمين عبد الله، ١٩٨١، عُمان، ص ١٦٧ .
٢٩ – المشهداني، المرجع السابق، ص ٥٨ – ٥٩ .
٣٠ – ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الجزء الأول، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢٨، ص ١٧٢ .
٣١ – المشهداني، المرجع السابق، ص ٥٤ .
٣٢ – العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٤١ .
٣٣ – لاندن، المرجع السابق، ص ٤٦٠ .
٣٤ – قاسم، الأصول التاريخية . . . المرجع السابق، ص ١٧٨ – ١٧٩ .
٣٥ – العقاد، المرجع السابق، ص ٢٤١ .

٣٦ – I.O., L/p s/18-B 398, The Rebellion Against the Sultan of Muscat, dated, May, 1913.

٣٧ – F.O., 371/1695, Muscat, 1913, Warning to Shaikhs of Oman.

٣٨ – الداود، محمود علي، التطور السياسي الحديث لقضية عُمان، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٤٢ .

٣٩ – قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية، ١٩١٤ – ١٩٤٥، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣٨٨ – ٣٨٩ .

٤٠ – I.O., Political Report to Political Resident, Mar. 9, 1913.

٤١ – لاندن، المرجع السابق، ص ٤٦١ .

٤٢ – Peterson, J.E. Oman in the Twentieth Century, London 1978, P. 49.

٤٣ – Thomas, Bertram. Arab Rule Under the Albu-Said Dynasty of Oman, 1741 - 1937, London, 1938, P. 25.

٤٤ – لاندن، المرجع السابق، ص ٤٦٢ .

٤٥ – قاسم، جمال زكريا، المؤثرات السياسية للحرب العالمية الأولى على إمارات الخليج العربي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس عشر، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٦٩ .

٤٦ – قاسم، جمال زكريا، بريطانيا والخليج العربي في الحرب العالمية الأولى، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣ السنة الأولى، الكويت، ١٩٧٥، ص ٩٤ .

٤٧ – F.O., 371/2416 Muscat, 1915, Colonel Benn, Political Agent to Knox Political Resident, 25th, January, 1915.

٤٨ – Thomas, Op. Cit. P. 24.

٤٩ – فيليبس، المرجع السابق، ص ١٦٨ .

٥٠ – F.O., 371/2416, Political Agent, Muscat, To the Secretary of the Government of India. dated 7th, January, 1915.

٥١ – F.O., 371/6248, confidential No. 2052, Dated the 14th October, 1920, from Wingate, Muscat to the deputy resident, of events from colonel Benn's first meeting with the Oman chief's in 1915, Till major Haworth's meeting with the same in Sept. 1919.

٥٢ – F.O., 371/2416, Muscat, 6th companies of the 95th Russel's Infantry, Secretary to the govt. of India to the chief of the general staff, Delhi, 16th, Jan. 1915.

٥٣ – قاسم، الخليج العربي، ١٩١٤ – ١٩٤٥ . . . المرجع السابق، ص ٣٩٧ .

٥٤ – الداود، محمود علي، أحاديث عن الخليج العربي، الطبعة الثانية، بغداد، بدون تاريخ، ص ٤٢ .

F.O., 371, Muscat, 2416, B-398, The rebellion against Sultan of Muscat, 1913 - 1919. – ٥٥

٥٦ – لاندن، المرجع السابق، ص ٤٦٣ .

I.O. Political report to pol, res, Mars, 1917. – ٥٧

F.O., 371/2416, Muscat, no. 25/164/688, dated 15, Sept.. 1915, Sultan's Negotiations with Imam. – ٥٨

F.O., 371/2416, Translation of a petition presented by Shaikh Isa Bin Saleh, reperative of the Imam Salim Bin Rashid, Alkharousi, to the Political Agent, Muscat, at Sib, 15th, Sept., 1915. – ٥٩

A.B., Primary Documents, 1853 - 1957, Op. Cit. p. 52. – ٦٠

I.O., Memorandum, administration, Muscat, 1908 - 1928, [L/P and S/18/B400], August, 1928. – ٦١

Peterson, Op. Cit. P. 75. – ٦٢

٦٣ – الحسيني، فاضل محمد، الدور البريطاني في عقد اتفاقية السيب عام ١٩٢٠ بين سلطان مسقط والإمام في داخلية عُمان، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد التاسع عشر، ١٩٩٦، الدوحة، ص ١٧٨ .

٦٤ – الموافي، عبد الحميد، الوحدة الوطنية في عهد السلطان قابوس بن سعيد، أحد بحوث ندوة عُمان في التاريخ، مسقط ١٩٩٤، ص ١٠ – ١١ .

**ملاحظة :**

الرموز التي وردت في الهوامش تعني ما يلي :

١ – وثائق وزارة الخارجية البريطانية F.O. Foreign Office record

٢ – وثائق وزارة الهند البريطانية I.O. India Office records

٣ – وثائق الحدود العربية A.B. Arabian Boundaries

**Majallat al Watheeka** Al Othmaniyun wal Rus fil Khalij il Arabi, Al Hamadani, Tariq, 1990, No. 16 pp 105-106

# APPENDICES

1- **Letters of King Abdul Aziz, his sons and brothers mentioned in the study.**

2- **Photocopies of Ottoman documents & their Arabic translations.**

3- **Copies of English documents.**

4- **Translations of Russian Documents**

**Al Sadoon, Khalid** Al Alaqat Bain Nejd wal Kuwait, Darat al Malik Abdul-Aziz, No 33, Riyadh 1983.

**Saeed Ameen** Tarikh al Dawlat il Saudiyya, Pts1 & 2, Darat al Malik Abdul-Aziz, Riyadh, No 9

**Attar, Ahmed Abdul-Ghafoor** Saqr Al Jazirat il Arabiyya, Vol 2

**Al Marawi, Omar Bin Ghrama** Al Ma'alim al Jughrafiyya li Mawaqı il Malik Abdul-Aziz, Field Study, Edn 1, Riyadh 1985

**Philpy, John** Al Arabiyya al Saudiyya, Maktaba Lubnan, 1955

**Philpy, John** Saudi Arabia 1955

**Lorimer** Gazetteer Gulf Historical Parts 1 & 3, Doha

**Al Mana, Mohammed** Arabia Unified, Edn 1, Dammam, 1982

**Al Razi, Mohammed Bin Abi Bakr Bin Abdul Qadar** Mukhtar il Sahah, Dar al Mustaqbal, Beirut 1987

**Al Mukhtar, Salahuddin** Tarikh al Mamlakat il Arabiyya il Saudiyya fi Madiha wa Hadiriha, Beirut

**Wahba, Hafiz** Jazirat al Arab fil qarn il Ishreen, Edn 5, Cairo, 1967

**Yaseen, Yusuf** AlRahlat al Malakiyya A'am 1343H Matabi' Jamia Imam Mohammed Bin Saud il Islamiyya Edn 2, Riyadh1404H

## NEWSPAPERS & PERIODICALS

**Umm al Qura** Hadha Balagh No. 1, 15 Jumada al Oola, 1343H/12 Dec 1924

**Umm al Qura** Fat'h Jedda 1st Year, No 52, 1344H.

**Al Majalla al Tarikhiyya** Ibn Saud wal Sharif Hussain, Vol 14, No 3, 1971

**Majallat al Arab** Mo'llafat Tarikh Makka, p 949

**Majallat al Watheeka** Al Silat al Tarikhiyya Bain il Bahrain wal Mamlaka il Arabiyya il Saudiyya Abahussain Dr, Ali, 1986, No 9, pp 64-106

# REFERENCES


**Al Abdul Mohsin-Ibrahim Bin Ubaid** Tazkira Ooli al Nahy Wal Irfan, Vol 3, Edition 1, Riyadh

**Ibn Manzoor** Lissan al Arab, Part 1 Yusuf Khayyat, Beirut, Undated

**Al Ahsai, Mohammed Bin Abdulla Bin Abdul Mohsin Al Ansari**. Tohfat al Mustafeed bi Tarikh il Ahsa Al Qadim wal Jadid, Damascus, 1963

**Bin Bashar, Othman**. Unwan al Majd fi Tarikh Nejd, Pt 1, Riyadh

**Bin Isa, Ibrahim Bin Saleh** Tarikh Ba'd il Hawadith il Waqia fi Nejd, Edn 1, Dar al Yamama, Riyadh 1966

**Bin Hazlool, H.H.Amir Saud**. Tarikh Mulook Aal Saud, Edn 1, Riyadh 1961.

**Jum'a Ibrahim** Al Atlas al Tarikhi lil Daulat il Saudiyya, Darat al MalikAbdul Aziz, No 11, Riyadh, 1398H/1978

**Hamdi, Abdulla** Ibn Saud, Beirut, 1953

**Hamza Fuad** Al Bilad al Arabiyya, pp 20-24

**Al Hydari, Fasih Bin Sibghat Allah** Unwan al Majd fi Ahwal Baghdadwal Basra wa Nejd, Ms, Held by the Historical Documents Center, Bahrain

**Rahmo, Col Mohammed Ibrahim** Adwa Howla Strategiyya il Askariyya lil Malik Abdul-Aziz wa Huroobihi

**Al Rihani, Amin** Tarikh Nejd il Hadith wa Mulhaqatihi, Edn 1, Beirut, 1928.

**Zarkali, Khairuddin**. Al Wajeez fi Seerat il Malik Abdul-Aziz, Pt 1, Beirut 4th Edn, 1984.

Isa, Ba'd il Hawadith il Waqi'a fi Nejd Edn 1, Dar al Yamama, Riyadh 1966. Pp. 197, 198. Ottoman Document Yildiz Miscellaneous, 26/79 of 9 June 1309 Rumi/1310H/23 June 1893.

54 – Fasih Bin Sibghatullah Al Hydari, Unwan al Majd fi Ahwal Baghdad wal Basra wa Nejd, p. 123. Ms. Othman Bin Bashar, Unwan al Magd fi Tarikh Nejd, Pt 1, p. 8. Riyadh.

55 – Al Atlas al Tarikhi, p. 144.

56 – Letter of Mukhlis Pasha, to Shaikh Mubarak Pasha Aal Sabah, dated 24 Tishrin II, 1320 Rumi/28 Ramadan 1322H, 6 Dec 1904. Letter from Shaikh Mubarak Aal Sabah to Shaikh Isa Bin Ali Aal Khalifa dated 17 Shawwal 1322H/26 Dec 1904. Letter from Mukhlis Pasha to Shaikh Mubarak Aal Sabah dated 28 Ramadan 1322h & letter from King Abdul-Aziz to Shaikh Isa Bin Ali Aal Khalifa dated 19 Rabii al Tani, 1329H.

57 – Hafiz Wahba, Muqaddima, 1st Edition, 1954.

58 – Mohammed al Mana, Arabia Unified, (Ar) pp. 18, 19.

59 – Fahd al Marc, Min Shiyam il Malik Abdul-Aziz Vol 1, p. 127, 1375H. John Philby. Al Arabiyya al Saudiyya, p. 235.

60 – Microfilm 182, p. 233. R/15/2/1/6. Letter to Haworth, theResident in Bushire.

61 – Letter from King Abdul-Azizto Shaikh Isa Bin Ali Aal Khalifa, No 516, 16 Zil Hajja 1346H.

62 – Letter No. 1063, 28 Rabii al Awwal 1347H.

63 – Lorimer, Gazetteer, Family Tree of Aal Saud Vol m 3/3/14.

64 – John Philby, Saudi Arabia, P. 239/1955.

65 – Ibn Manzoor, Lissan al Arab 1/44.

40 – ibid, & letter of King Abdul-Aziz to the Shaikh of Bahrain dated 18 Safar 1344H.

41 – Ooli al Nahy p. 150. Zarkali: Shaikh al Jazirat il arabiyya fi Ahd il Malik Abdul-Aziz. Vol I, p. 348. Omar Gharama Al Amrovi pp. 312-363. Al Rahlat al Malakiyya Published in the newspaper "Umm al Qura" p. 14 letter from King Abdul-Aziz dated 2 Rajab 1343H.

42 – Rihani p.392. Umm al Qura. 1st year. No. 25. Amin Saeed, Tarikh al Daulat il Saudia Vol, 2.

43 – Umm al Qura, 1st year, No 52. P.4.

44 – Magazine, "Al Arab", Mo'llafat Tarikh Makka, p.949.

45 – Letter dated 25 Moharrum 1341H, dated 25 Safar 1341H & dated 28 Safar 1341H.

46 – Ameen Saeed, Tarikh al Daulat il Saudia, Vol 2, p. 20, Al Atlas al Tarikhi,p. 191.

47 – letters bearing the seal of King Abdul-Aziz dated 25 Muharram 1341H, 25 Safar 1341H &28 Safar 1341H.

48 – Col. Mohammed Ibrahim Rahmo. Adwa'a Hawla al Strategiyya lil Malik Abdul-Aziz wa Huroobihi p. 117.

49 – Majlis WukalaMudbitali Rye No. 30/p. 31-6 Rajab 1305H/1834.

50 – Internal Political 15/37 dated 8 Jan 1327 Rumi/1329 & 1330H/1911, 1912.

51- Internal Political No. 2 –7/40 dated 27 Oct 1327 Rumi/1329, 1330H/1911-1912, serial 2497.

52 – Ibrahim Jum'a, Al Atlas al Tarikhi lil Daulat il Saudiyya p. 127, A publication of Darat al Malik Abdul-Aziz by Amin Saeed, Tarikh al Daulat il Saudiyya, Vol. 1. Darul Katib il Arabi, Beirut p. 181.

53 – John Philby. Saudi Arabia. Lebanon Library. 1955. P. 235. Zarkali, Al Wajeez fi Seerat il Malik Abdul-Aziz, Beirut 4th Edition. 1984, pp. 19, 20. Dr. Khalid al Sadoon Relations between Nejd & Kuwait, p. 42. Hafiz Wahba: Jazirat alArab fi il Qarn il Ishreen, Edn 5, Cairo 1967. P. 241. Mohammed al Mana, Arabia Unified, Edn 1, Dammam 1982. P. 36. Ibrahim bin Salih Bin

30 – Dr. Ibrahim Jum'a, Al Atlas al Tarikhi lil Daulat il Saudiyya, Al Dara Publication No. 11 Riyadh 1398H/1978. Pp. 178, 192.

31 – Ibrahim Bin Obaid Aal Abdul-Mohsin. Tazkirat Ooli al Nahy wal Irfan. Vol. 3 p. 64. Edn 1, Riyadh, Yusuf Yaseen. Al Rahlat al Malikiyya. P. 45.

32 – Yildiz documint special, No. 71/272 dated 14 Ramadan, 1310H/3 April 1893. Ottoman Prime Minister's Archives, Istambul, Serial 5357, 5358. Letter from Mohammed Bin Thanian to the Shaikh of Bahrain dated 27 Ramadan 1334H. Davletshin: A Russian captain appointed as an Intelligence Officer visited Makka After his return he prepared a report on his assignment and General Military Command in St. Petersburg printed it in 1899. The report was graded "Secret" . See the paper of Dr. Efim Rezvan, p. 15 (Ms). Essayby Dr. Geirgie Morsky on the travel of Captain Davletshin and Sultanov to Hijjaz. Pp. 5.6 (Unpublished).

33 – Al Atlas p. 175.

34 – Al Atlas, 178. Letter of King Abdul-Aziz to the Shaikh of Bahrain dated 28 Rabii I, 1343H/27 Oct 1924.

35 – Umma al Qura, No. 1, 15 Jumada al Oola, 1343H/12 Dec 1924. Letter drom King Abdul-Aziz to Shaik Isa Bin Ali Aal Khalifa dated 22 Zil Qa'da 1329H. Captain Daveletshin's report on his trip to Hijaz in 1899. (Paper by Dr. Georgie Mursky-Ms).

36 – Al Atlas, p. 179. Letter of King Abdul-Aziz to the Shaikh of Bahrain dated 10 Jumada al OolaI, 1344H. Letter of Amir Saud Bin Abdul-Aziz dated 6 Jumada al OolaI, 1344H.

37 – Al Ma'alim al Jugrafia, pp. 324, 349. Letter of Amir Mohammed Bin Abdul-Aziz dated 24 Jumada al Oola, 1344H to the Shaikh of Bahrain.

38 – Al Atlas p. 179. Darwish was killed on 6 Jumada al Oola, 1348H. This is as per the letter of Amir Saud Bn Abdul-Aziz to Saikh al Bahrain of 6 Jumada al Oola, 1348H.

39 – Al Ma'alim al Jugrafia wal Tarikhia li Mawaqi' il Malik Abdul-Aziz il Harbiyya, 324/2. See the letter of King Abdul-Aziz to the Shaikh of Bahrain dated 8 Ramadan 1343H/3 April 1925.

18 – Document in the foreign Policy Archive of Moscow, No. 170 of 9 Zil Qa'da 1319H and another dated 23 Safar 1320H/2 June 1902.

19 – Kemball, the Political Resident in the Gulf, quoted by Dr. Al Hamadani, The Ottomans & the Russians in the Arab Gulf. Al Watheeka No. 16, Jan 1990. Pp. 105-106. Saldanha: Kuwait Affairs: 1896-1904, p. 166.

20 – From Shaikh Mubarak Aal Sabah to the Russian Consul General in Bushire, Ovsnko, No. 447 dated14 Ramadan 1320H/16 Dec 1902.

21 – Shaikh Mubarak's letter to Shaikh Isa Bin Ali Aal Khalifadated 17 Shawwal 1322H/26 Dec 1904.

22 – Lorimer His, p. 1699.

23 – Al Atlas Al Tarikhi, pp.132,136. Ottoman document 26/29 Yildiz 9 June 1309 Rumi/10 Zil Hajja 1310H of 20 June 1893. Ottoman document internal adminstration 5/1-13 of 21 Oct 1328 Rumi 1331H/1914. & Ottoman document No. 26/79 of 7 Zil Hajja 1310H.

24 – LorimerHist. P. 1037, (Text appended).

25 – The appended letter is dated 9 Zil Qa'da 1319H/18 Feb 1902. The original is in the Russian Archives. Khairuddin Al Zarkali, Al Wajeez fi Seerat il Malik Abdul-Aziz, p. 27. Beirut 4th Edn 1984.

26 – Al Atlas il Tarikhi, pp. 139-140.

27 – Al Ma'alim pp. 186-288. Al Atlas al Tarikhi, p. 191. Tohfat al Mustafeed, p. 241.

28 – Ameen Saeed, Tarikh al Daulat il Saudia, Vol. 2, p. 166. Darat al Malik Abdul-Aziz Publication No. 9 Al Hilal Press, Riyadh Bilat & Omar Bin Gharama Al Omravi, Al Ma'alim al Jughrafia, Field Studi. P. 296. 1st Edn. Riyadh 1985. & H>H> Amir Said Hazlul, Tarikh Mulook Aal Saud. Pp. 167 1st Ed. Riyadh. 1961 & Amin Rihani. Tarikh Nejd al Hadith wa Mulhaqatihi Ed 1, Beirut1928, p. 338 & Ahmed Abdul-Ghafoor Attar, Saqr al Jazirat il Arabiyya, Vol. 2 p. 459.

29 – Hafiz Wahba, The Arabian Island in the XX Century Ed 5, Cairo 1967 p. 270. Zarkali Vol. 1 p. 341.

# FOOT NOTES

1 – Mukhtar al Sahah, p. 13, Al Munjid, p. 8 Ed. 24, Beirut.

2 – Letter dated 10 Moharrum 1321H/9 April 1903 and of 28 Shawwal 1325H/5 Dec 1907 and of 2 Zil Hajja 1337H.

3 – Letter of 27 Ramadan 1334H.

4 – Letter of Zil Qa'ada 1334H.

5 – Letter dated 2 Jumada al OolaI, 1334H and 22 Shaban 1337H.

6 – Letter dated 20 Rajab and of 25 Rajab 1332H.

7- Letters of 12 Rajab 1340H, 2 Rajab 1343H,1343H, 15 Muharrum 1338H and 20 Jumada al OolaI, 1345H.

8 – Letter dated 26 Rajab 1340H/26 March 1922.

9 – Letter dated 24 Safar 1347H.

10 – Letter dated 10 Shaban 1347H.

11- Letter dated 18 Jumada al Oola, 1348H.

12 – Letters dated 6 & 8 Moharrum 1353H/22 & 24 April 1934.

13 – Letter dated 29 Rabii al Tani, 1331H/8 April 1913.

14 – Letters of 27 Jumada al Oola, 1323H & 23 Jumada al OolaI, 1334H.

15 – Amin Saeed, Tarikh al Daulat il Saudiyya Vol. 1, p. 13. A publication of Darat Al Malik Abdul-Azizin Riyadh (9). Letters dated 10 Rabii al Tani 1332H. and 18 Moharrum 1332H.

16 – Letter of Shaikh Mubarak Aal Sabah, No. 447 to the Consul General Ovesenko in Bushire dated 14 Ramadan 1320H/16 Dec 1902. Fuad Hamza. Al Bilad al Arabiyya al Saudiyya, pp. 20-24.

17 – Lorimer, Pt. 1 (Hist) p. 1037.

# CONCLUSION

History is the story of man and his imprints on the sands of time. The events are their narration in different modes. History has recorded the lasting impressions of King Abdul-Aziz in construction and rehabilitation. There is no doubt that rehabilitation is an expression of civilization.

The norm of civilization is gauged by the extent of the building up of countries on the good pattern of the past generations who rehabilitated the lands which they conquered. They built them with their knowledge and hard work. We ever glorify those who achieved immortality in Arab-Islamic history.

It was the will of God, that raised in the Arabian Island, a hero from among its sincere sons, who as its vigilant falcon provided to it justice, security, reform and the unification of its far-flung territories, where peace and constructive activity prevailed for the service of the Haj pilgrims from all over the world.

They assembled time and again with abounding praise for the great King who guaranteed to them all security, health services, water and all other public utilities.

5110

رقم الوثيقة : [illegible]

رقمها : ٣٩/٢٩

تاريخها : ٩ يونيو ١٣٠٩ هـ ص/ ٧ ذو الحجة ١٣٢١هـ

محل وجودها : الأرشيف العثماني باستانبول

برقية شكرية من والي البصرة حمدي باشا في طلب عبدالرحمن الفيصل تخصيص معاش شهري له مقدار ٢٥٠٠ قرش ، ومائة قرش في الشهر لكل واحد من رجاله البالغ عددهم أربعة عشرا . والسماح له بالإقامة في مدينة [illegible] أو الكويت

5109

contain much in the light of which the data contained in books can be corrected after due investigation

As linguistically history is an introduction of time-frame and the date[65] of its writing i e , these make history, we shall continue to investigate the letters of King Abdul-Aziz and harmonize it with what has been written by other writers.

We shall leave it to them and other researchers, to undertake further study to ascertain, not only the accuracy of dates, but also of events and encounters and their description to convince us that what was written by King Abdul-Aziz of those events is closer to truth or more accurate than other writings which have drawn from foreign sources far removed from the scene of events

after an introductory of health inquires . we send you Id greetings May God make us witness many such occasions! As for our affairs, everything is proceeding well The Haj will be on Tuesday, health is satisfactory in general, all comforts are provided, water is available, it is cold and the people are happy with it

All of us, young and old send to you our greetings! [61] This letter is dated 16 Zil Hajja and as we have averred, the King has not made any mention of his father Had he died on 12 Zil Hajja then the style of the letter would not be congratulatory to the Shaikh of Bahrain over the Id al Ad'ha, and that within four days of the passing of his father

Most likely, the date of death of Imam Abdul-Rahman Bin Faisal was 24 Zil Hajja 1346H/14 June 1928 based on the letter sent by H M the King to the Shaikh of Bahrain in which he has thanked the latter for his letter of 24 Zil Hajja conveying his condolence over the death of Imam Abdul-Rahman Says H M the King You have mentioned the deep sorrow felt by you on receiving the news of the death of the father of all of us, the Imam[62] We deduce therefrom that foreign documents are not all that accurate, not, as a whole but some of them Among our heritage and documentary records there is much accuracy, particularly if the writer is known for truth and accuracy and has written the piece at the same time and place The aged in Bahrain tell me that the news of the death of Imam Abdul-Rahman reached Bahrain telegraphically from Riyadh and Bahrain was at that time the main telegraphic center

The Shaikh of Bahrain was immediately notified who in turn sent his condolences to King Abdul-Aziz who was then performing the Haj in Makka prior to his getting the news from Riyadh

Lorimer has referred to the birthdate of Imam abdul-Rahman as 1856[63] John Philby has stated that the Imam died at the age of 78[64] If so the date of death would be 1934 which is clearly erroneous.

Briefly, the letters of Imam Abdul-Rahman, King Abdul-Aziz the Gulf Shaikhs and Arab Rulers

s one said, he saw reams of eglected papers and Government egisters in the Dar il Imara in 343H/1924, and wrote "**The Iistory of the Arabian Island in he XX century**" incorporating hese documents together with personal knowledge about them He did not achieve absolute accuracy as he could not find certain historical documents[57]

The one who was a contemporary of King Abdul-Aziz, was an interpreter in his Dewan eversince May 1926 / 1344H and accompanied him in his campaigns and travels until the middle of the thirties in the XX century, recorded the biography of King Abdul-Aziz. However, he says in his book "**Arabia Unified**"

I have relied on the oral testimony of those who actually participated in the events rather than refer to books written by others

Atlas, it is now over forty years since I left the King's Court and with the passage of time my memory is not as fresh or complete as it once was Nevertheless, I have done my best, I hope the reader will forgive any inaccuracies, which may prove to have crept into my text. This goes to show that one who writes after forty years of the occurrence of historical events liable to error and mix-up arising out of the element of forgetfulness in regard to names, venues and timings[58].

And so are those who quote the writings of the people who were contemporaries of the events and closely watched them[59]

## INVESTIGATING THE DATE OF DEATH OF IMAM ABDUL-RAHMAN BIN FAISAL AAL SAUD

The British Political Agent in Bahrain, wrote a letter to the Political Resident in the Gulf, informing him of the death of Imam Abdul-Rahman Bin Faisal on 1 June 1928/12 Zil Hajja 1346H[59-60]

However, we find among the letters which were sent by King Abdul-Aziz to the Shaikh of Bahrain dated 16 Zil Hajja 1346H/6 June 1928 the following

The meeting did take place after the Battle of Shanana or what is known as the Battle of Wadi Ruma wherein Imam Abdul-Aziz Ali Bin Rasheed emerged victorious (18 Rajab 1322H/Sep 1904) The Governor of Basra also proceeded to Zubair and met Imam Abdul-Rahman Al Faisal The meeting was attended by Shaikh Mubarak Aal Sabah but produced no result as Imam Abdul-Rahman disapproved any outside interference in the affairs of his country[55]

In a letter written by the Ottoman Governor of Basra, Mukhlis Pasha, to the Qaimuqam of Kuwait, Shaikh Mubarak on 28 Ramadan 1322H/6 Dec 1904, he said Mukhlis Pasha agrees to meet Imam Abdul-Rahman Al Faisal at any suitable place such as Zubair to solve problems without recourse to any army logistics

The meeting was held and it appears to be the same one mentioned earlier King Abdul-Aziz, in his letter dated 19 Rabii al Tani 1329H has said that he went to Zubair in pursuance of Bin Sa'doon and Zufair. He received information that the two fell out among themselves and Sa'doon was defeated with Al Khamisiyya going into hiding. The King goes on to say that he made for Bin Suwait where we received gifts We forgave them and proceeded to Zubair with the aim of consulting with the Government . Thereafter we went to Kuwait to receive supplies[56]

Zubair was a proper venue for a meeting preferred by Imam Abdul-Rahman Aal Saud and Shaikh Mubarak Aal Sabah as it provided safety to its Saudi citizens and hence both of them responded to the call for a meeting to be held there It is no wonder that Imam Abdul-Rahman Al Faisal preferred to reside in Zubair if Kuwait was not agreed to

To summarize, the date of Imam Abdul Rahman's residence in Kuwait was around 1311H He asked for residence in Zubair or Kuwait as per the telegram of the Governor of Basra to the Dewan Humayuni at Serai Yildiz Finally the Ottoman authorities secured for him *residence at Kuwait at the end* of 1310H or 1311H

The reason for the differences among the historians about the date of his residence in Kuwait. is

o him, gave him water and :arried him to Zubair on the back )f an animal. Its people were of Hambali persuasion who respectfully received him and helped him when they found out that he was truly devoted to his mission in the true spirit of the Qor'an and Tradition. They were and continue to follow in the Salafi calling and of those who helped it under the wise leadership of the Aal Saud

Among the other factors, which made Imam Abdul-Rahman ask for residence in Zubair was its geographic location on the commercial route to Iraq overlooking the Arab Gulf on the one hand and on the other, overlooking desert in close proximity of the Arab Gulf. Kuwait shared this characteristic with Zubair in addition to the proximity of Zubair to Suq al Shuyukh and Khameesiyya, whose population had once migrated from Nejd The trade caravans headed for Iraq, Syria and Aleppo. Zubair acted as an entrance to the Nejdi traders who had settled down there Some of them proceeded to India to sell pedigree horses as per custom prevailing there. All of them i Zubair and Basra distinguishe themselves in trade and luc favored them as they were know for their honest straightforwardness, sincerity an faithfulness These were the meri of traders who were inspired b their faith and Arabism Th availability of water in Zuba could also have been one of th factors for Imam Abdul-Rahman t seek residence in it

These and other factors le Imam Abdul-Rahman Bin Faisa Aal Saud to write to the Ottoma state of his desire to settle down i Zubair We have not come acros any reply sent by the Ottoma authorities or any reference to it i British documents

It is worth mentioning tha Zubair remained as a suitabl location for Imam Abdul-Rahma and his son the Amir and th Sultan King Abdul-Aziz wheneve required preferred Zubair for a meeting The Ottoman State aske the Shaikh of Kuwait to mediat with Imam Abdul-Rahman Bi Faisal to have a meeting with th Governor Mukhlis Pasha in Zubai to solve the problems of the day

Shaikh Mohammed Aal Sabah in 1310H and then of Shaikh Mubarak in 1313H for a period of two years and a few months of the third year without stating how many Some have averred that Imam Abdul-Rahman took up residence in Kuwait in 1309H[53]. This is wrong because the letter of the Imam asking for residence in Zubair or Kuwait is dated Zil Hajja 1310H Since history is timeframe and some historians have mentioned it without quoting the document in support for his residing in Kuwait, we could fix the date as sometime in 1311H

Since no one has mentioned that Imam Abdul Rahman Bin Faisal Aal Saud asked to reside in Zubair, and presented a request to the Ottoman State for residing in Zubair and made this request precede a request for residence in Kuwait, and there are no supporting documents or they have not been found yet, we may ask why did Imam Abdul-Rahman present a demand for residence in Zubair as quested in the appended copy of a telegram apart from Kuwait?

History relies on narration, perception, written evidence or other evidence obvious to the eyes

The narrative is a recorded document, and in this case, the Ottoman document whose copy is appended. However, the perception indicates that Imam Abdul- Rahman Bin Faisal Aal Saud selected Zubair as it was a city which was established by the Nejdis and built up by them while they retained their loyalty to Nejd, its people and their first homeland, its towns and villages

Zubair had families of Nejd origin having migrated to it during various periods in history for political, economic or social reasons. There is hardly a family in Zubair which is not traceable to Nejd Imam Abdul-Rahman desired to live among his kith and kin in Zubair who preceded him and welcomed the propagator of Islam, the Salafi reformer Imam Shaikh Mohammed Bin Abdul Wahhab who was persecuted in Basra a great deal and expelled therefrom midday On his way to Zubair he was afflicted by thirst as he walked alone among dead cattle A man named Abu Humaidan[54] from Zubair came up

to what was conveyed to the Ottoman Government in the telegram In the telegram of Imam Abdul-Rahman Al Faisal he had asked for residence for himself and his followers about 40 in number in Zubair located at a comfortable distance from Basra or else in Kuwait.

The relevant file does not contain any other but this rare document; rare because it contains a reference to the desire of Imam Abdul-Rahman Al Faisal Aal Saud to reside in Zubair There is no other source, which mentions it

The file dose not contain anything relating to the telegram of the Dewan to the Governor, Hamdi Pasha on the Imam Abdul-Rahman's request nor about any steps taken by the Sublime Porte after the receipt of the request As for the reasons behind the demand of Imam Abdul-Rahman for residing in Zubair or Kuwait and the reply of the Sublime Porte to this demand, no judgement can be passed unless we have documents complementary to the issue The search is on and hopefully the missing links will be found

The Yildiz document no 26/79, dated 9 June 1309 Rumi/7 Zil Hajja 1310H/23 June 1893, the original of which is held in the Ottoman Prime Minister's Archives in Istambul, states

*"A coded telegram from the Governor of Basra Hamdi Pasha on the request of Imam Abdul-Rahman Al Faisal saying that permission had been given to the Imam, his family including Abdul-Aziz and 40 of his followers, to reside in Zubair, or Kuwait"*

From this document we have learnt that he lived in Kuwait, after this date

Some historians of a period close to the event of Imam Abdul-Rahman's wanting to reside in Kuwait, have mentioned it without a specific date; nor have they mentioned Zubair. Some have stated that he reached Kuwait between 1310-1313H/1893-1896 and that the Ottoman State agreed to this without mentioning any document proving it Some others have stated that he was the guest of

A reflection on the writings of some historians on the annexation of Aseer shows that the date of the event was Shawwal 1338H[46]

This was three years before King Abdul-Aziz wrote himself[47] Others have stated that Amir Faisal Bin Abdul-Aziz completed the annexation of Aseer on 21 Jumada al Oola 1341H[48] Thus we see the date of liberation of Aseer shown as some years before the date recorded by King Abdul-Aziz and some others about three months earlier

The Ottoman documents speak of the link between the Aseer province and the province of Hijaz for administrative convenience[49] on the one hand and due to its proximity to Hijaz[50] Moreover, its political inclinations were Arab (Salafiyya) whereas the inclinations of Yemen were in favor of the establishment of a Zaidi Imamate[51]

## INVESTIGATING THE REQUEST OF IMAM ABDUL-RAHMAN AL FAISAL AAL SAUD FOR RESIDING IN ZUBAIR OR KUWAIT

Our study is of a historically important period when King Abdul-Aziz lived with his father Imam Abdul-Rahman Al Faisal, his family and people in Kuwait since Imam Abdul-Rahman Al Faisal felt that his family could live there free from the vagaries of war[52]. Imam Abdul-Rahman Bin Faisal Aal Saud sent a telegram dated 4 June 1309 Rumi/1893/1310H seeking from the Ottoman Government permission to live in Zubair or Kuwait. The Ottoman Government found itself in agreement with Imam Abdul-Rahman seeking to get closer to him A telegram sent by the Governor of Basra to the Royal Dewan in reply, as intimated by the First Scribe (Thurayya) as

Since Jeddah is located between Madina and Qunfuza it could be deduced from the text of the letter that it had been incorporated on that date

In this paper documents and letters written by Kig Abdul-Aziz to the Shaikh of Bahrain and his son, stamped with seal on 2 Rajab 1343H have been relied upon The annexation of Jeddah was carried out by order of H M. King Abdul-Aziz The King laid the military plan himself which his army carried out The orders were issued in Rajab 1343H The liberation of Jeddah was completed in Zil Hajja in 1343H. Abdul-Aziz called out his son, Faisal from over the fence of Jeddah and he responded fast at the head of a force of the people of al A'arid leaving Riyadh in the middle of Rabii al Tani 1344H. This was the date of the decisive battle which led to the liberation of Jeddah in Rajab 1343H As for Jumada al Tania 1344H, it marked the great victory when Jeddah surrendered to H.M. King Abdul-Aziz

# ANNEXATION OF ASEER

Along letter from H M King Abdul-Aziz to the Shaikh of Bahrain dated 25 Safar 1341H contained military details of Amir Faisal Bin Abdul-Aziz Aal Saud's entry into Aseer

Amir Faisal descended with his troops, and dispatched a company with four banners, and reached Khamees Musheet and entered Ab'ha, the capital of Aseer killing anyone offering resistance

The people of Aseer begged forgiveness and safety from Faisal However, Hasan Bin A'yed hid himself in Al Haramla and Amir Faisal granted him protection The letter contains other important news Three days after the dispatch of this letter to Shaikh Isa Bin Ali Aal Khaleefa, the Shaikh of Bahrain, the King received a congratulatory letter for victory over Aseer[45]

elaboration at length than the recovery of Madina which the Unifiers entered on 20 Jumada al Oola without a fight. If, however, the surrender of Jeddah had taken place two days before the date of this letter, why does it not mention the exit of Sherif Ali, negotiations or surrender?

A group of historians have mentioned the date of the exit of Sherif from Jeddah variously as 4 or 6 Jumada al Tania 1344H If this were so why did not Amir Saud mention it in his letter dated the 6th? A third argument is that King Abdul-Aziz wrote to the Shaikh of Bahrain on 2 Zil Qa'da 1343H in which he said

*"The enemy has been surrounded by the Unifiers who have tightened the siege. The enemy is obviously helpless and very soon, God willing, we shall convey to you the good tidings"*

The letter bears the seal of King Abdul-Aziz.

- In a letter dated 14 Zil Hajja 1343H King Abdul-Aziz wrote

*"After reverting from Jeddah we sent Saud Bin Abdul-Aziz and Khalid Bin Loi with Muslims bearing 7 flags towards Yunbu indicating that Jeddah had been conquered militarily as per plan chalked out by King Abdul-Aziz"*

But its surrender and the negotiations, which were conducted in the presence of H M the King, took place in Jumada al Tania 1344H

If history is both, a narration, and perception, then, King Abdul-Aziz has narrated to us the documentary story, and by way of perception, it is illogical to assume that King Abdul-Aziz would wait for one whole year, to liberate Jeddah, after the incorporation of Makka on 28 Rabii al Awwal 1343H, or 8 Jumada al Oola 1343H

It is known that the Haj pilgrims arriving by sea landed at Jedda It was the port of entry for Makka while Makka had been incorporated by Ibn Saud Jeddah remained under the grip of Sherif and his sons

The letter of King Abdul-Aziz to the Shaikh of Bahrain dated 2 Rajab 1343H however, stated *The people of Hijaz from Madina to Qunfuza have been loyal and obedient to us"*

*directions God rendered them helpless. We deployed the Muslims in two parts: The people of Al Ghatghat followed by those of the south of Hajar from the left.*

*Then, the people of Dahna, Shabika and Dahna, from the right, and before them, the people of Jeddah, who had a garrison. We put them at a place called Al Mahalla Al Yamaniyya, about 15 or 20 minutes from Jeddah under the Unifiers. The Unifiers slaughtered about a hundred men of the garrison and occupied the position and tightened the grip. The Unifiers came every night and kept watch and some narrated how many they killed. God knows how reliable their claims are. Those who saw them quitting the city saw them dejected. Since we tightened the grip from Makka two aircraft came but they harmed neither man nor beast. The Unifiers shot them down and they burst into flames. By the grace of God, the Unifiers gained much booty by way of camels, sheep, cattle and mules. The selling agents kept harassing and the chasers kept chasing"*

This was the wise plan laid and executed by His Majesty and described in his letter to the Shaikh of Bahrain A similar letter was sent to his son, Shaikh Abdulla Bin Isa Aal Khalifa on the same date, i e , 2 Rajab 1343H It said By the grace of God, the people of Hejaz from Madina to Qanfaza have submitted to us and are obedient and peaceable He then discussed the losses

*"A servant of ours, a servant of my brother Mohammed, three from the Ikhwan dead and four injured. We wanted to tell you the truth and this is it. We are informing you so that you may not have cause for worry. It appears that Jeddah surrendered or was on the verge of it on this date; 2 Rajab 1343H and not on 4, 6, 7 or 8 of Jumada al Tania 1344H, i.e., a year latter"*

As yet another proof, the letter dated 6 Jumada al Tania 1344H bearing the stamp of Amir Saud Bin Abdul-Aziz addressed to the father, Shaikh Isa Bin Ali Aal Khalifa does not mention anything about the exit of Sherif Ali from Jeddah or its surrender It was an important event, in fact, requiring

*among the Muslims there are illiterates. If an attack takes place there will inevitably be differences and there will be a problem. We have shelved the issue for a while so that God may make it simpler and that is what is needed. Otherwise we have an idea and we shall seek His help against them".*

King Abdul-Aziz has not stated that his army laid siege to Jeddah for a complete year since Jeddah is a port of entry for Makka After Makka was liberated, Jeddah had to be liberated and its people welcomed King Abdul-Aziz. Jeddah was taken about Rajab 1343H, as mentioned in the letter of King Abdul-Aziz in detail This was his wise policy based on the liberal Islamic faith and his understanding of international diplomacy He knew that his enemy was weak and could not defend himself To save lives in general and those of the foreigners, he confined himself to laying a siege to force a surrender The negotiations and the surrender took place in the presence of the King in Jumada al Tania 1344H.

Contemporary historians and those close to the dates of these events have written that King Abdul-Aziz conquered Jeddah on Thursday. Some said it was on the morning or the dawn of Thursday 7th or 8th of Jumada al Tania of 1344H(41). Some have written as we have ascertained from certain sources that Jeddah surrendered on 6 or 7 Jumada al Tania 1344H/22,23 Dec 1925(42) Some others have said that the Sultan entered Jeddah at four O'clock on Wednesday, 7 Jumada al Tania 1344H(43) Some have said that Sherif left Jeddah on Sunday 4 Jumada al Tania 1344H and King Abdul-Aziz entered it on the 7th(44)

If we revert to the decisive word, i.e., the letter of King Abdul-Aziz bearing his seal, and dated 2 Rajab 1343H/27 Jan 1925, addressed to Shaikh Isa Bin Ali Aal Khalifa, the Ruler of Bahrain, beginning with the words "**father**" it states:

*"He describes the plan as laid by him and supervised its implementation himself*

*In Jeddah none appeared except their guns. They were good in the intensity of fire. After we fired the guns on them from three*

Abdul-Aziz shows that the Yunbu datepalm was taken in Ramadan 1343H and the port on 26 Jumada al Tania 1344H, not on 12 Shawwal 1343H as is stated in some historical sources by way of commendation[40]. The letter dated 26 Jumada al Tania 1343H states that Yunbu surrendered after Jeddah surrendered. The soldiers of King Abdul-Aziz took away all that was in Jeddah and Yunbu by way of guns weapons, machineguns, aircraft, tanks, seacraft, ammunition and everything else, which was due to the government

The army of Sherif dispersed each to where he belonged. The country breathed a sigh of relief with justice and security restored to the people God blessed this victory for His religion and for His Word by destroying His enemies. When we saw what was granted to us and Muslims through this grand victory we wanted to share with you this happy news Our Lord is praiseworthy, there is no God but Him and no other

Thus wrote Amir Saud wh had been ordered by his fathe Abdul-Aziz to annex Yunbu. was carried out before 26 Jumad al Tania 1344H

## ANNEXATION OF JEDDAH

Historians who have writte about King Abdul-Aziz are almos unanimous that the recovery or th liberation of Jeddah was effecte after a siege lasting a complet year In his letter of 2 Rajab 1343H addressed to Shaikh Isa Bin Al Aal Khalifa, the Ruler of Bahrain His Majesty said *"From one poin of view we delayed in their respect He is not strong. With God's grac the support of the Muslims will no be found wanting. They will be weak and will be overwhelmed by the might of God. It is not hidden from you that it is a country with many foreigners. There are consuls, the British, the French, the Italians, the Russians, the Dutch and other foreigners. All of them write to us giving their pledge. As for Jeddah it is enough to say that the people are our people and they have no differences. You also Know, that*

*booty by way of horses, junk, camels, sheep, cattle, weapons and ammunition. The Unifiers suffered no casualty by God's grace. When we saw what God had bestowed on us, we thought of conveying to you the good news. We pray to God to grant success to His religion and exalt His call. May He grant to us what is good and auspicious for us*"

While reviewing, the available historical sources[39], we discovered that there are differences in dates A source quotes the date of 12 Shawwal 1343H i e , after the capture of Makka, the port of Yunbu and the port of Quanfuza The correct date would be 8 Ramadan 1343H, since the reference in the letter of King Abdul-Aziz of 8 Ramadan 1343H is to the capture of Yunbu date-palm

As for the capture of the port of Yunbu, it is mentioned in the letter of King Abdul-Aziz to the Shaikh of Bahrain of 18 Safar 1344H "*Amir Saud Bin Abdul-Aziz descended on the datepalm of Yunbu and surrounded the port of Yunbu. He is determined to succeed with God's assistance*"

Another letter followed dated 26 Jumada al Oolal 1344H saying that Yunbu surrendered and all weapons therein have been confiscated.

The writer of the book "**Al Ma'alim al Jughrafia li Mawaqi' il Malik Abdul-Aziz il Harbiyya**" says that King Abdul-Aziz captured Yunbu on 12 Shawwal 1343H which means the datepalm of Yunbu was taken on 26 Jumada al Tania 1344H.

The Supreme Commander King Abdul-Aziz has outlined to us the plan for incorporating Yunbu in his letter of 14 Zil Qa'da 1343H and 14 Zil Hajja:

"*After we left Jeddah we sent Saud Bin Abdul-Aziz AAal Saud and Khalid Bin Loi with a number of Unifiers with 7 flags in the direction of Yunbu and around it*"

This is another proof that the datepalm Yunbu was taken in Ramadan 1343H The letter also confirms that Jeddah was captured in 1343H However, the negotiations and take over were completed in Jumada al Tania 1344H

To summarize, what is contained in the letters of King

Madina was under Faisal Bin Sultan Al Darwish[38], if it were so, the three letters quoted would have mentioned it

The period of siege, also, lasted a few days as per the letter of Amir Mohammed Bin Abdul-Aziz to the Shaikh of Bahrain dated 24 Jumada al Oola 1344H, wherein he has said that he proceeded to take over the town from the people but they refused to hand over

The siege was laid and the grip tightened A few days later they wrote to us seeking protection We received their weapons and entered the town peacefully on 20 Jumada al Oola 1344H There is no mention of the period of siege of ten months or of the name of the commander of the siege To recount once again the letters of King Abdul-Aziz bearing his seal are more dependable source material, than the sources which are not based on written documents The sources, which mention the period of siege as ten months, would imply that the resistance was long drawn whereas Ibn Saud and his army found the people of Madina responsive to them

# INCORPORATION OF YUNBU

The letter dated 8 Ramadan 1343H bearing the seal of King Abdul-Aziz addressed to Shaikh Isa Bin Ali Aal Khalifa states after introductories

*"Our news is that the enemy has been routed by God's grace . Bin Rabee'an and other Muslims with them have gathered round us. They say that they want (Yunbu) The Arabs informed them that Sherif Shakir and his Bedouin group hid themselves near a water-point named Malha. On Friday 17th of last month (17 Shaban) the Unifiers descended upon them and with the help of God slaughtered many of them Only a few escaped Shakir was defeated alongwith his group (the horsemen). They went to Yunbu (the sea). With God's assistance the Unifiers will eject them from there. A large number of the enemy has been killed. Very few survived safe, the prominent among them, being Al Sherif Abdul-Karim, Ibn Badewi and his son Ouda Bin Zuwaid and Hamad Al Aslani The Unifiers took their flags and all the*

Hajar and Tabuk to which they responded Abdul-Majid Pasha sought a safeguard for their life and property and to hand over to Madina what belonged to their Government Amir Mohammed sent to them all the Muslims with their equipments This is what Amir Saud Bin Adul-Aziz wrote to the Shaikh of Bahrain in his letter of 6 Jumada al Tania 1344H In his letter of 10 Jumada al Tania King Abdul-Aziz wrote to the Shaikh of Bahrain

"*We shall acquaint you with the grace showered on the Muslims by God on 19 Jumada al Oola when Amir Mohammed conquered Madina. After this conquest Sherif and his followers lost power and they were gripped by awe Al Ula, Tabuk and Al Hajar fell to my son Mohammed. He reassured them and collected whatever equipment, troops and supplies they had*".

He did not mention that the army laid siege to Madina under the command of Faisal Bin Sultan Al Daweish It did not occur either in the letter of King Abdul-Aziz or of Amir Saud Bin Abdul-Aziz[36] Similary, Amir Mohammed Bin Abdul-Aziz Bin Abdul-Rahman Al Faisal sent a letter to the Shaikh of Bahrain dated 24 Jumada al Oola 1344H in which he said: "*We convey to you the happy tidings of God's grace in giving us victory and glory. Surely the news of our going to Madina to take over the same on behalf of its people would have reached you After we reached there they wrote to us that they would not submit and were prepared for war. We sought God's intercession and laid a siege to the town and tightened our stranglehold. A few days later they wrote to us seeking protection. Five of their officers came to us and we gave them protection and received from them all weapons and ammunition belonging to the Government. We entered Madina on Sunday 20 Jumada al Oola*"

The three letters have been appended to this paper They were sent by King Abdul-Aziz, Amir Abdul-Aziz and Amir Saud Bin Abdul-Aziz. They do not mention that the siege lasted ten months[37] but some days as per Amir Mohammed Bin Abdul-Aziz or 18 days as stated by Amir Saud Bin Abdul-Aziz. As for the statement that the army laying siege to

'rue to their resolve they entered Aakka without shedding a drop of blood. Imam Abdul-Aziz eferred to it as his intention He hen fashioned the administration of the two holy mosques in ccordance with the wishes of the slamic world so as to guarantee o the Muslims peace and omfort It was the will of God hat peace and security should revail in the precincts of the two oly mosques and allover the Arabian Island As it was, the Haj ilgrims went through much xertion braving the hazards of ravel, insecurity of life and limb nd robbery The roads were nade secure and water was rovided in Makka and other itual sites In the first nnouncement, which he made to he people of Makka and its urrounding areas such as the itydwellers and of Hijaz, he utlined his wise policy for the mplementation of which he had ome and which was to mplement God's Shari'a and the Prophet's Tradition He retained he people who were performing he various services in the holy mosque if not added to them The end of the announcement stated *"I shall restore to the weak his right and take it away from the tyrant who has usurped it"*[35]

## INCORPORATION OF MEDINA

Abdul-Aziz wanted that Madina should surrender without bloodletting but the garrison refused to surrender So King Abdul-Aziz sent his son Amir Mohammed to intercede with them but they refused and opted for war and abstain from entry into the Muslim fold A siege was laid on all entry and exit points of the shrine until they gave up after a standoff lasting 18 days Then they wrote to Amir Mohammed seeking protection The elders of Madina gathered to announce their submission Muslims entered Madina on 20 Jumada al Oola 1344H/7 Dec 1925 without a fight and handed over whatever they had by way of weapons, guns, machines, mortars etc They organized all its fortifications and made plans for them They sent signals to the people of Al Ula, Al

his justice and adherence to the Islamic Shari'a as enjoined in the Qor'an and the Prophet's Tradition He abolished ignorance and lack of knowledge and ushered in peace and security among the ranks of the Muslims, both residents and the pilgrims visiting the holy shrines. The Arabian Island in particular was and is the meeting ground of Muslims of all nationalities, colors languages One who reads Davletshin's report will notice that the rule of King Abdul-Aziz addressed the issues raised in the report concerning the conditions prevalent in Makka and Madina prior to their conquest by King Abdul-Aziz

We ask ourselves, as to who informed Imam Abdul-Aziz about the dethronement of Hussain and then his son Ali and their fleeing from Makka secretly?

They were the people of Makka who sent the news of their escape to the army of unifiers inviting them to come to them This is not to be found in the writing of some historians and researchers but the letter of Imam Abdul-Aziz mentioned it. The unifying army put on the ritual robe and rode to Makka to reassure the people They entered Makka in the ritual robe raising slogans of praise to God and His glorification in a spirit of utter humility.

They honored the sacred shrine and circumambulated it in the tradition of the Prophet while the people went about their daily chores of buying and selling at the market places No blood was shed. no money was snatched and matters went on smoothly This is what, has been stated by Imam Abdul-Aziz in his letter The Muslims of Najd, Hijaz and Makka unanimously desired the army of Imam Abdul- Aziz to enter Makka and take it over He was keen on his soldiers entering Makka in the ritual dress with their swords in their scabbards and without spelling a drop of blood Imam Abdul-Aziz says that that was the intention. He concludes his letter to the Shaikh of Bahrain with the words "*We wanted to convey these glad tinding to you*"

This is how Imam Abdul-Aziz planned the peaceful entry of his soldiers into Makka after the unanimous demand of the Muslims for the soldiers to enter it heralding the end of the old system of rule

one against the other. At the same time he announced to the people the refusal of permission to the Najdians to perform Haj. Hence, what was stated by King Abdul-Aziz in his letter dated 28 Rabii al Awwal 1343H averring that Sherif Hussain prevented the Nejdians from performing the Haj ceremony for 7 years and not 5 years is also proved by the letter dated 22 Zil Qa'da 1329H in which Sherif informed the people of Nejd not to undertake Haj that year None of the Nejdians performed Haj in that year. This proves our thesis of 7 years and not 5 years when the Nejdians were prevented from performing Haj.

When Imam Abdul-Aziz says "*The persecution to which the people of Makka and the Haj pilgrims are subjected to is not hidden from anyone*". Many Russian orientalists who have quoted from the travelogue of Russian travelers and Haj pilgrims have asserted this. They have stated " when the Russian captain (Davletshin) entered Makka during the Haj of 1899, he wrote a report about the Muslims of Hijaz during the Ottoman days He said "*Strangely, some of them in Makka rob their brother Muslims from among the pilgrims despite the fact that the latter have suffered a great deal in the cause of Islam. They are plundered in broad daylight, in full view of the Ottoman officials without any sense of fear*"

The authorities do not show the least concern for the safety of the pilgrims Under these conditions the Haj does not lead to any goodwill among the various nationalities of the Muslims The two Holy Mosques are devoid of any cleanliness Although the writings of the foreigners, need to be more accurate in the historical perspective and require the exercise of caution in their acceptance, nevertheless, this description by Davletshin went back to a period prior to the rule of Sherif Hussain over Makka.

However, even during his rule conditions were no different from those described by Davletshin

Hence, it comes to us as no surprise that the people of Hijaz announced their loyalty to Sultan Abdul-Aziz and welcomed his rule He entered Makka without bloodshed and the people learnt of

of an oppressive State The army captured Taif and could have advanced to Makka but with due deference to the holiness of the place and to avoid the spilling of blood we let matters take their course and advised the people to stick to truth and abjure the persecutors

God settled the matter, Hussain was ejected and his son followed him stealthily at night without anyone knowing it Hence it is necessary to correct the history books which say that Hussain prevented the people of Nejd from performing Haj for 5 years[34]

History tells us that the Muslims were prevented from performing Haj during the rule of the Carmathians in 317H and at other times

It is worth stating that the letter from King Adul-Aziz to the Shaikh of Bahrain said

*"Sherif Hussain Pasha, in his ignorance and haughtiness, informed the people of Nejd not to undertake Haj in that year (1329H). This is based on the letter of King Abdul-Aziz to the Shaikh of Bahrain which is dated 29 Zul Qa'da 1329H, a copy of which is appended to this paper He goes on to say: Sherif Hussain prevented all common Nejdians from entering Makka and that was the year when none of them performed Haj fearing the persecution by the Amir of Makka It was uncalled for except that he wanted to act big. He requested our assistance and our participation with him but we did not agree with him as what he wanted was impossible Unfortunately the State ignored the proceedings of this insolent man He was surprised at this intrepidity, as he was the highest employee and appointee of the Sublime State. God willing! We shall be strong and he will be at the receiving end. We pray to God to better the lot of Muslims. All enemies will bite dust and we shall keep you informed. God overcame them and then we overcame them All their cattle and camels came to our lot. We wanted to inform you about it as what pleases us pleases you. With God's grace we have reached our home."*

This letter makes it clear that Sherif used to sow the seeds of intrigue among the tribals and spread vicious propaganda setting

4 – Family dissensions between the Sherif of Makka and the notables opposed to him as outlined in the Ottoman document, the Memorandum of the prime minister, Jawad Pasha to the Sultan's Court based on a telegram received by the governor of Hijaz, Ahmed Rateb Pasha on the differences between the Sherif of Makka and the notables opposed to him

This was corroborated by the letter of Mohammed Bin Thanian to the Shaikh of Bahrain. It stated

*"The Haj was stopped in 1334H as a result of differences cropping up between Sherif and the Ottoman State and the Sherif announcing his independence. They pelted bricks on his house and turned him out of Makka and he is in Bayadiyya"*[32]

5 – Certain excesses because of calumny and and slander and the movements of Sherif Hussain Pasha

On the occasion of Id Al Ad'ha of 1342H/1923 when the well-wishers visited Riyadh to convey their congratulations and conferred with their Imam Abdul-Aziz on the question of Haj and how the people of Nejd were deprived of the opportunity to perform Haj, one of the pillars of Islam, Imam Abdul-Aziz proposed the annexation of Hijaz They applauded the proposal and affirmed their intention in its realization[33]

Perhaps a questioner would ask as to the number of years for which Sherif Hussain barred the people of Nejd from Haj. While many historical sources are silent over the point, an answer is contained in the letter of Imam Abdul-Aziz dated 28 Rabii al Awwal 1343H/27 Oct 1924 The letter to Shaikh Isa Bin Ali Aal Khalifa states

You are not unaware of the doings of Al Hussain Bin Ali and his preventing the Nejdians from performing the religious duty of Haj for seven years and of the shabby treatment meted out to the Haj pilgrims When the people of Nejd despaired of his persisting in his conduct, they felt that there was no alternative to crossing swords with him With God's grace, the Muslim army marched forward to cleanse the Holy Ka'ba

[illegible]

وفي هذه السنة جاءت

[illegible]

وقتلهم وشردهم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وكذلك [illegible] سعود

[illegible] الشريف [illegible]

[illegible] وغير ذلك

هكذا [illegible]

محمد سنة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

word against him and went along with the army of the unifiers

The march followed presently and Taif was captured The army was in a position to advance towards Makka but keeping in view the sanctity of the place and for preventing bloodshed therein, they issued a clarion call for abiding by truth and avoidance of persecution It continued until Hussain was deposed and his son fled at night secretly

The people of Makka invited the army of Ibn Saud to enter Makka and they entered dressed in the ritual robe The people in the market carried on their normal transactions of buying and selling and there was no bloodshed or loot The letter concluded by saying that he had decided to cleanse the Holy Ka'ba and make it freely accessible to any intending pilgrim and ensure peace and security for the pilgrims and for the residents of Makka and its neighbors

# JUSTIFICATION FOR KING ABDUL-AZIZ RECOVERING MAKKA

1 – Deprivation of the people of Nejd of the right to perform Haj for 7 years as stated in the letter of the King dated 28 Rabii al Awwal 1342H

2 – Persecution faced by the people of Makka, the pilgrims and the residents

3 – Neglect of Makka in general and the Kaba in particular from the point of view of sanitation, provision of water to its citizens and the pilgrims, transgressions by the Ottomans and the nobility

These have been chronicled by the Russian voyagers and pilgrims in their travelogues such as "Abdul-Aziz Davletshin", and these have been stated by King Abdul-Aziz in his letter dated 10 Jumada al Tania 1344H in the following words

"*Actually what prevails in Medina, Jeddah and Yunbu' by way of persecution and poverty is lamentable*"

under his wise leadership, has left a rich array of his letters bearing his seal, day, month and year which speak of the history of his wars and battles He wrote

*"The battle took place in the forenoon, morning or dawn with historical exactitude. When we refer to the available books on battles, which King Abdul-Aziz mounted we do find occasional differences in their historical timings and textual details"*

As for example, some historians have said Sultan Abdul-Aziz entered Makka with his party in ritual attire on 7 Jumada al Oola 1343H[28] Shaikh Hafiz Wahba, an Advisor to H M. the King, has stated that he entered Makka on 8 Jumada al Oola 1343H/5 Dec 1924.

Kairuddin Zarkali agrees However, the "Historical Atlas of the Saudi State" places his entry along with his people in the sacred robe as 8 Jumada al Oola 1343H/25 Dec 1925

Another date mentioned is 8 Jumada al Oola 1343H/5 Dec 1924[29] In the "**Royal Travels**"[30] it is mentioned that H M entered Makka on the evening of Thursday 8 Jumada al Oola 1344H **(In the Historical Atlas)** and at another page it says, 1343H. Perhaps this discrepancy is due to a printing error In "**Ooli al Nahy wal Irfan**" the date quoted is 17 Jumada al Oola 1343 for the entry of H M into the valley of Makka[31]

Now there is almost certainty about the date through the letters of King Abdul-Aziz

In his letter, dated 28 Rabii al Awwal 1343H/27 October 1924 to Shaikh Isa Bin Ali Aal Khalifa, the Ruler of Bahrain, which bears the seal of the King and which is preserved in the Historical Documents Center of Bahrain, a copy of which is appended to this paper, the following appears

After introductory and the happy tidings of entry into Makka, the conduct of Al Hussain Bin Ali was mentioned who forbade the people of Nejd from performing Haj for seven years He prevented the performance of a religious obligation and was unjust and harsh to the Haj pilgrims. When the people of Nejd saw that he persisted in his victimization, they had no other option but to draw the

and Amir Abdul-Aziz AAal Saud who happened to be there at that time according to Lorimer[24]. A reference to the appended Russian document preserved in the Russian Archives shows that it is a reply from Imam Abdul-Rahman Al Faisal (the father of Amir Abdul-Aziz). This letter informs the Russian Consul in Bushire (Qoudan) on 9 Zil Qa'da 1319H/18 February 1902 that Amir Abdul Aziz recovered Riyadh and ejected therefrom the people and supporters of Ibn Rasheed. The historians agree that it happened in January 1902[25]. During the period between 4 to 8 March 1903 how could Amir Abdul-Aziz Aal Saud have met the Russian Consul General in Kuwait, if Lorimer is to be believed, while he was conducting a war in Nejd. The sources have not mentioned that this meeting or the discussions took place in 1903. During this period Shaikh Mubarak Aal Sabah requested Abdul-Aziz for reinforcement and the latter hurried with his army consisting of 10000 men to fight Ibn Rasheed who was headed for Riyadh. However, Imam Abdul-Rahman and the people of Riyadh defeated Ibn Rasheed and conquered Riyadh.

Abdul-Aziz hastened to reach Riyadh and then to Shaqra to break its siege and occupy it. Then he subjugated Thamada, Rauda, Jalajil, Al Washam and Sudeir one after another[26]. These continuous engagements did not permit Abdul-Aziz to meet with the Russian Consul General. Hence what Lorimer has mentioned about Abdul-Aziz visiting Kuwait and meeting the Russian Consul General remains a question mark.

For the sake of historical sequence we mention the fall of Taif which took place on 7 Safar 1343H after Amir Ali departed from there and fled to Al Huda The unification forces then entered Madina and the unifiers offered midday prayers in the Ibn Abbas mosque. The announcer announced peace and Taif surrendered[27].

## ENTRY INTO MAKKA

King Abdul-Aziz who raised the banner of monotheism over the Arabian Island after its unification

special envoy to secure the support of your state before anyone else in accordance with what transpired at your meeting with him in Kuwait in the month of Ramadan of 1319H" This letter was written by Shaikh Mubarak Aal Sabah on 14 Ramadan 1320H/16 Dec 1902[20]

Thus it is clear, that the meeting between the Russian captain of Skold, and Imam Abdul-Rahman, is authenticated by the letter of Shaikh Mubarak, of Ramadan 1319H/1901

Lorimer perhaps skirted accuracy and assigned the visit of Skold to the year 1902

The letter referred to by Shaikh Mubarak is the one sent by Imam Abdul-Rahman Al Faisal before the recovery of Riyadh by a month, i e, in Ramadan 1319H. It appears that the Russian Consul General Ovesenko did not receive it or we have not come across it yet This is proved by the letter written by Shaikh Mubarak to the Shaikh of Bahrain on 17 Shwwal 1322H/26 Dec 1904 saying that he had written to Imam Abdul-Rahman Al Faisal to proceed to Kuwait for a meeting near Safwan (Zubair) on 5/6 Zil Qa'da in the presence of the Governor of Basra representing the Ottoman Sublime Porte for discussing how to sort out affairs in Nejd to benefit its people and the land and to put an end to the bloodshed of the Muslims[21]

According to Lorimer, on 15 Jan 1902, King Abdul-Aziz was able to recover Riyadh in the name of his father while he had no more than 80 men with him He killed the ruler of Riyadh and ejected the garrisons of Ibn Rasheed out of Al Kharaj and Al Hareeq. Ibn Saud announced to the Sublime Porte that he would rule the country which he had liberated[22]

Some sources have placed the number of men as 40 or 60 In an Ottoman telegram about Imam Abdul Rahman's request for residence there is permission for him, 40 of his people and family members to reside in either Zubair or Kuwait[23].

At the time of the visit to Kuwait of the Russian cruiser "Boyarin" from 4 to 8 March 1903/4-8 Zil Hajja 1320H several discussions took place between the Russian Consul General in Bushire

Imam Abdul-Rahman refused the offer of the Russian Consul General.

The British documents, contain the copy of a letter written by Imam Abdul-Rahman Al Faisal, to the Political Resident in the Gulf (Kemball), dated 5 Safar 1320H/14 May 1902, referring to the contact, established by Imam Abdul-Rahman with the Russian Consul General Ovesenko in Kuwait, and the Russian offer of help, which was refused by the Imam.

The Consul had asked Imam Abdul-Rahman to write to him a letter describing the ill treatment meted out to him by the Ottomans and the assistance offered by them to Ibn Rasheed against him The Imam refused it By virtue of it, Ibn Saud wanted great powers like Britain and Russia to stand by him against Ibn Rasheed The Russians, however, wanted to gain their objectives and goals in the region[19]. The Russian offer was delayed because of the late receipt of the letter, which mentioned the recovery of Riyadh.

Shaikh Mubarak Aal Sabah sent a letter to the Russian Consul General in Bushire (Ovsenko) informing him that Abdul-Aziz and his father were now in their country, Riyadh and that he would convey to Imam Abdul-Rahman Al Faisal the greetings of the Russian Consul General The people of Nejd and its tribes were aligned with the Aal Saud and wanted to affirm their loyalty to them Shaikh Mubarak went on to say "that on the first of Shaban 1320H a battle erupted between Ibn Rasheed and King Abdul Aziz while the latter's father remained in Riyadh, the seat of rule

After three days of fighting Ibn Rasheed was vanquished and 320 of his troops from Hai'l were killed Ibn Rasheed suffered defeat and fled at night leaving behind the tents, camels and horses Now Ibn Rasheed is between his town and Qaseem amidst deteriorating conditions He sustained huge losses, the tribals have abandoned him including his friends who have departed for Anaza from the direction of Syria Only a few have remained with him Imam Abdul-Rahman Aal Faisal will write to you and send the letter through his

# RECOVERY OF RIYADH

King Abdul-Aziz was planning the liberation of his country, the country of his forefathers and pave its way politically when the captain of the Russian cruiser "Skold" contacted him in 1901/Ramadan 1319H The captain offered to sign an agreement with the King but the King declined so that the British and the Ottomans may not be incited against him Shaikh Mubarak Aal Sabah has referred to this meeting held in Kuwait in a letter addressed to Ovsenko, the Russian Consul General in the Gulf Fuad Hamza confirmed this when the King said to him: *"I was in the Empty Quarter through the month of Shaban and upto 20 Ramadan 1319H and then proceeded towards Riyadh"*[16]

However, Lorimer has fixed the date of the visit of the cruiser Skold as 14 Dec 1902/12 Ramadan 1320H[17]. That is a date which is after the conquest of Riyadh by King Abdul-Aziz, i e., 5 Shawwal 1319H/15 Jan 1902 Imam Abdul-Rahman sent a letter to the Russian Consul in Bushire on 9 Zil Qa'da 1319H/18 Feb. 1902, i.e , about a month after the annexation of Riyadh, confirming friendship when he said in it

*"By the grace of God the children have captured Riyadh, and ejected therefrom the men of Ibn Rasheed"*[18]

This letter was sent, through Mohammed Bin Abdul-Wahhab Al Faihani, who retained this letter with himself until 23 Safar 1320H/2 June 1902. He did not know nor previously been aware of any correspondence, with the Russian Consul General

Even if correspondence went on with the Consul General and the letter of Imam Abdul-Rahman was sent to him, he used to receive it late i.e , after 4 months of its writing This delay had its consequences when a meeting took place between Imam Abdul-Rahman Al Faisal and the Russian Consul General in Kuwait when the latter offered to him money and weapons

Al Mutawwa[2], Mohammed Bin Thanian[3], Abdullah Bin Jiluwi[4], Omar Bin Abdul-Aziz Al Suweilam[5], Abdul-Latif Al Mandeel[6] and Abdul-Aziz Al Qusaibi[7] In the letter conveyed by Abdul-Aziz Al Qusaibi it is mentioned "*What you advised Abdul-Aziz Al Qusaibi has been conveyed to us. We have advised him accordingly*" In the letter carried by Zaid Bin Rabee'a it is stated· "*The carrier of this letter is from Aal Rabee'a, the residents of Zubair. I am introducing him to you on my behalf for conveying my respects to you. Please look after him*"[8] Abdul-Rahman Al Qusaibi delivered the letters of the King to the Shaikh of Bahrain[9] The replies of the Shaikh of Bahrain to the King were conveyed by Bashar Bin Rahma Al Jalhami[10], Abdul-Aziz Al Ruba'ee[11], AbdulRahman Bin Mohammed Al Bassam[12], Abdul-Aziz Al Oumi[13], Hazlool, Abdulla Nadir, Mohammed Bin Zaid, Slaiman Al Shabili etc[14]

To describe them would mean another study We shall leave it to scholars after they acquaint themselves with the letters of the King and the role they played in it

It is seen that King Abdul-Aziz reposed total confidence in Shaikh Isa Bin Ali Aal Khalifa by the token that he took him into confidence about his future military operations The letter dated 10 Rabii Al Thani 1332H states "We shall march after 4 or 5 days and God willing we, together with the people of Nejd and our friends will march from the heart of this town (i e , Qatif) and reach Hasa May God bless!"

I shall review an aspect of these letters, comparing what has been mentioned in them with what the documents and foreign reports say and what is printed in books by writers, who have drawn upon the statements of eyewitnesses, or of the participants in the historical events, which straddled the reigns of Imam Abdul-Rahman Bin Faisal and his son King Abdul-Aziz

Some others have relied upon the Annual Reports of the British-Indian Government[15]

This is what leads the scholar to the truth sought after and hence the importance attached to documents, their preservation, storage, on microfilms, their classification and listing Wherever the documents or the letters are written in the handwriting of the concerned person or under his seal at the time or place in question, these are usually considered accurate and dependable as they ascribe dates to events and describe them as realistically as possible if not cent percent

In regard to the accuracy of the date of description of the event they are originated by eyewitnesses. We have scores of original documents and epistles preserved in the **Historical Documents' Center of Bahrain** and we attach some of them which relate to the subject matter and which bear the seals of Imam Abdul-Rahman Bin Faisal Aal Saud and Abdul-Aziz Bin Abdul-Rahman Aal Saud

A perusal of these shows, that some of them have a mention of persons through whom these letters were sent, and of those through whom replies were received. Our search disclosed that the messengers who carried the letters of King Abdul-Aziz or those who delivered to him the letters of Shaikh Isa Bin Ali Aal Khalifa, the Shaikh of Bahrain, were trusted men since some of the letters aver that certain details would be conveyed orally by them There are expressions such as (**The rest orally from Hazlool**) or, (**The rest of the news will be conveyed verbally by Abdul-Latif Al Mandeel**) as in the letter written on 25 Ragab 1332H In another letter it is mentioned *"Brother Abdul-Latif Al Mandeel will proceed after a few days from Al Hasa and from there to you and God willing, he will inform you verbally of the friendly relations prevailing between us and the government"* Written in 20 Rajab 1332H Then it is said *"The rest from Hamood"* in the letter from King Abdul-Aziz dated 2 Zil Hajja 1321H The verbal message consisted merely of a few words of courtesy.

Those messengers were responsible persons carrying letters to the King or to the Shaikh of Bahrain. Among these were Mohammed Bin Zaheeban, Salim

# INTRODUCTION

Linguistically history is chronology, that is, a description of time[1] As for the science of history, it consists of a mention of events, particularly those relating to the tribes and regions alongwith their chronology, reasons and causes. In arriving at accuracy in the records of those events it is but moot to depend on the direct proximity of the witness to the event in terms of time and space. Such a source is likely to be more accurate than another, which is more distant in time and space or both to the event However, it should be remembered that a historian closer to the event in time and space is likely to sacrifice accuracy and honesty, particularly in matters, which relate to religious, denominational or political doctrines There are many sources of history, among them being "**documents**" and "**printed books and manuscripts**"

There is no doubt that the documents are the primary source of historiography though their importance may vary according to the time and space elements of the event or what might contain information about personalities, places or historical events. Among the documents are reports and letters written by rulers, envoys, consuls, political agents and other agents based on the information supplied by their informants This is where the element of bias enters the field, whether intended or unintended as they write according to their viewpoint or according to the policy of the country to which they belong

Sometimes the person who writes is one not given to being accurate in his writing thus going against facts or moving away from them Whereas a researcher of history wants to get at facts wherever they are to be found Finally, it is the document which lays bare the truth about the past, whether in the form of script, a map, a photo on paper or on audio-video-tape or engraved on stone etc

**book and the footsteps of the Prophet. Their State gathered strength and added to its numbers and instruments of action. Their minds transcended the material to the moral with a single goal for the realization of which they endeavored heroically.**

Among such leaders was King Abdul-Aziz who found his people divided and warring against each other and united them He discovered that foreign interventionists wanted to establish a foothold for themselves, which he denied to them Instead he went about achieving what he aimed at and that was to eject the foreigner and unify the Arabian Island Accordingly, he devised a sagacious plan to liberate the country and unify it under the banner "*there is no god but Allah!*" God helped him, his sons, his followers and his people who rallied around him for the defence of their land and for recovering the rule for its people He unified the country, ensured for the people their path and with grace of God the State became a closeknit edifice with all its pillars supporting each other.

In this paper we shall throw some light on the important events which have been dilated upon by scholars and review them in the light of the letters written by King Abdul Aziz so that we may arrive at historical facts These events relate to the recovery of the following:

***1 – Riyadh***

***2 – Makka and the factors which facilitated the event***

***3 – Madina***

***4 – Yunbu***

***5 – Jeddah***

***6 – Aseer***

***7 – An investigation into the seeking of Imam Abdul-Rahman Al Faisal Aal Saud residence in Zubair or Kuwait***

***8 – Ascertaining the date of death of Imam Abdul-Rahman Bin Faisal Aal Saud***

# S AND TIMINGS OF THE WARS
# IN THE ARABIAN ISLAND
## OF SOURCES AND MANUSCRIPTS

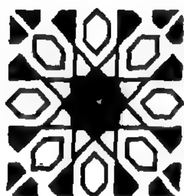




# AN INVESTIGATION INTO THE [illegible] WAGED BY KING ABDUL-AZIZ [illegible]

## BY A COMPARATIVE STUDY OF [illegible]

*BY*: Dr. ALI ABAHUSSAIN



**Among the Believers are men Who have been true to Their covenant with Allah: Of them some have died And some (still) wait: But they have never changed (Their determination) in the least [S33-V23]**

History has immortalized their memory and their material and moral legacies bear witness to them. They speak of the lives of the people who covenanted with God to follow the guidance of his



Here, we are face to face with a question that poses itself. Granting all this collection, documentation and preservation, what then?

Any endeavor however, mighty made for collecting, pruning and preserving documents will be of no avail if we did not define from now on the pattern of their use. As I said earlier, the ball is now in the court of the scholar researching our national heritage, and establishing our linkage with our original roots which is the only rescue belt which will save us from the impending deluge of globalization.

I wish to state that there is a gigantic task awaiting researchers in all fields of human activity which require a firm faith in the strength of our heritage in facing the challenges. This should be our launching pad, our foundation and the basis for our contribution to different avenues of life.

I wish to call upon all to make the originality and integrity of Arabism the main them of our school textbooks and the raw material from which all creative Arab art and culture should draw inspiration.

I call upon all centers of documents and studies to convert themselves into springs of documented repositories around which the scholars of different disciplines gather and make their contribution on the basis of what inspired their forefathers and what was great. I issue a clarion call for the adoption of the originality and purity of our roots, as our input, our cloak, our pattern of behavior and thought, for our young generation and the generations to come. That will be the bastion which will preserve our identity and civilization and protect us and our future from the oncoming deluge.

**Abdullah Bin Khalid Al-Khalifah**

from out of sizeable quantities. It may be that the approach to studying documents be varied to yield effective results and specialists in various disciplines may sit round the table to interpret the document from different angles. In such an event, a collective effort may prove to be more rewarding and result-oriented.

Thereafter comes the stage of exchanging results for a *comparative assessment* which may be done over the web sites of the various Centers over the internet covering the Gulf region. In this we cannot afford to neglect the importance of studies. Eversince the stage of collecting documents, we have been emphasizing the need for activating research programs. A scholar who deals with a specific time-frame will deal with the available information scientifically. If there be more than one study on a subject or by more than one scholar then we shall have a rich harvest over a single subject. I am aware that much effort is being directed in this field in this manner. However, here I am talking about a general wave or trend. I wish it is adopted by all concerned. We do not have much time and we are in a race with destiny.

Turning to preservation, there is no doubt that the gigantic technological leap that is witnessed by the present age will greatly help in the preservation of documents, their easy exchange and rectification. The computers and laser discs etc. will greatly help in the preservation of our heritage, in their exchange, presentation and in benefiting from it if the documents have been properly classified scientifically and listed properly. Hence, the centers of research in the region should avail of the latest information that the modern age can provide and the latest products of the technological revolution which constitute the contemporary language.

idea or to serve a purpose, in addition to a mix-up of the original injunction due to the passage of time, the factor of forgetfulness or sheer ignorance. These are factors, which will confront anyone working in this field.

All this drives us hard towards focusing on the process of documentation:

Firstly, the Orientalists who have dealt with or are dealing with the Arab region, no matter how learned they may be, cannot fathom the depth of the Arab or the Gulf heritage. In order to do so, he will need not merely scientific rules but an Arab sense and taste and a period of living with them until he apprehends the significance and symbols of that heritage.

Secondly, if we are to employ it for planting the sense of their noble origin in the minds of future generations, then it is necessary that what we portray to them is genuine and not spurious and doubtful.

We know that documentation is not an easy process. I may say that one who has not actually grappled with it will not appreciate it. To start with, the scholar has to prepare himself for it and be able to grapple with it. This preparation is no mean task as it involves a period of time demanding a comprehensive study of the documents historically, economically, literaturewise, socially and technically so that he has a total comprehension of the material in front of him. He should be able to sift chaff from the grain and genuine from the spurious. Hence we need to prepare the scholar for the task before charting it, and then reclassify, recategorize, clarify and carry out authentic and selective documentation

Arabian Island as the crystallization of a serious, important and blessed attempt to undertake the collection of documents and the heritage from every place. A mighty edifice of its infra-structure was garnered with the blessings of the leaders of the Gulf States. With the notable provisioning of the required assistance, the band of scholars and researchers launched themselves by collecting documents, recording narration from the old-timers and recording whatever was within reach and all that was preserved over the ages. Through the exertions of the Secretariat General of the Centers and the cooperative brotherly plan pursued by them, these documents and legacies have moved from Center to Center in pursuance of an active plan for cooperative exchange, thus saving much effort and money.

The process of collection has thus begun, continued and is proceeding satisfactorily.

We then turn our attention to documentation. Doubtless, the pioneers who concerned themselves with the collection of the heritage, from the very outset, restricted themselves to only collecting, determining the terminology, and describing attitudes and positions. As for documentation, as long as it was not collated, it could not have a follow-up action like that of collection. The genuine was mixed up with the spurious and the rare with the precious. If we knew that the national heritage constitutes its spinal column as regards its purity of descent, we cannot deny that this heritage has in itself quite a lot as it is and a lot was added to it to serve specific purposes during certain intervals in the long history of the Arabs. In fact it was exploited during certain periods to propagate an

inspired by these impressions and thoughts right from early years, drawing from them the whole gamut of Arab values, nay the great human values, crystallizing in the qualities of generosity, gallantry, succor, bravery, heroism, dedication, sacrifice etc. All of us are aware that national heritage passes through three phases: viz, collection, documentation and preservation.

In regard to the collection of heritage information, there is the Arab memory transferred from generation to generation through epics, legends, stories etc. Thus the process of collection could be seen to pass through twin stages: Firstly, random collection and secondly, organized collection.

As for random collection, it brings us to Ibn Khaldun who collected plentiful information in his book about the customs of various peoples he visited in his unique way which astounds people even to this day. In this very field one cannot forget the contribution of Shehabuddin Muhammad Al Abshehi for his rare book on every humorous art. It was not until the middle of the XIX century when the vanguard movement for collecting the heritage received a fillip and it concentrated on merely putting together the texts and their linguistic translations without their study or interpretation. With the advent of the fifties of the XX century these studies took a different shape altogether. They became serious studies and entered the Arab Universities claiming what we may term academic attention.

With heightened activity witnessed by the Gulf States during the last quarter of the century, a number of centers of documents and studies were established in the Gulf and the

globalization with no identities of their own, nor of their culture and they will be powerless to trace out a path for themselves or choose their destinies.

The scholars of the Arab world have observed that anyone however strong, whatever the laws legislated, or other measures adopted, cannot close the open skies or prevent the use of means of communication and contact with the world of the Third Millennium. They have said that the remedy lies in only one thing ; i.e., in deepening our attachment to the traditional values, customs, practices, the Arab heritage and thought by preserving them and planting them in concentrated doses repeatedly in the minds and consciousness of Arab youth, through the media of schools, books, family and all other concerned agencies which are effective and competent. In other words, they plainly placed the ball in the court of national heritage. It is from this angle that these studies have become, despite the many concerned people not being too optimistic about them, very important and pivotal in the Arab world generally and in the Gulf region in particular.

National heritage has been transmitted to us through many receptacles such as stories, proverbs, sayings, legends, songs, dresses, arts, epics, customs, practices and values. These were the very many channels through which this heritage was handed down from one generation to another to this day both before and after they were committed to writing. These were poured into the ears of infants right from the beginning and placed before his eyes. They grew up

The dialogue commenced with the rumblings of the Third Millennium in the Arab world for some years involving a few heads whose number could be counted on fingers. Scholars from all fields assessed the dimensions of this giant leap for which the world was bracing itself up in different fields of activity.

The Third Millennium brought in its wake globalization, almost an unruly horse, a revolution in communications, a world of open skies. If we revive an aspect of the problem of markets, currency, goods, export, import, protective measures and multi-national companies, then we are face to face with a bigger fear against which our scholars and scientists have warned us, not only in the Arab world but also in many other countries of the world. He who warns is thus excused. They warned that the jelly-like trend of globalization means the upper hand to the stronger party. They also warned that the most powerful entity today was the American system. They cautioned that the giant communications revolution under the shadow of which the world lives today and which is progressing by astronomical proportions will be captive to the American design, in its management, character, thinking, practices and customs. They warned that this coming phantom will disfigure national identities and will produce a breed eating hamburgers, wearing jeans, thinking, acting, loving, marrying and talking like Americans. The characteristics, which marked several nations and nationalities descended from ancient civilizations with their distinctive behavior patterns and ways of thinking, will become history. The future generations will sink in the sea of

*In the name of*

*God, the Beneficent, the Merciful*

## A WORD ABOUT THIS ISSUE

# NATIONAL HERITAGE .. RESCUE BELT IN THE FLOOD OF GLOBALIZATION

*By*

H.E. Shaikh Abdullah Bin Khalid Al-Khalifah

Although academic studies in the field of popular literature and special studies concerning the heritage and collection of documents are considered comparatively recent ; nevertheless, few could imagine that within a short space of a few years, they would become pivotal in the Arab world generally and in the Gulf in particular. Whereas, the French Revolution, in the XVIII Century had floated the idea of devoting attention to national heritage and led Europe on this path, today with the dawn of the third millennium, the question of national heritage has burst on the scene portraying it as the shoreline of safety for nationalities threatened by the imminent storm of globalization.

# ENGLISH SECTION

**A word about this Issue:**



THE COVER PAGE

**"HOUSES"**

**By: Bahraini Artist**

**FARID SAUD BO QUAIS**

# CONTENTS

## ARABIC SECTION

**A word about this Issue:**

AL WATHEEKAH

Devoted to The Heritage. Thought and History of Bahrain and The Gulf

Bahrain P.B. 28882

Telephone - Historical Documents Center- 664854

**All Correspondence to be Addressed to The Editor-in-Chief**

# AL WATHEEKAH

A REFEREED HISTORICAL PERIODICAL
BY THE HISTORICAL DOCUMENTS CENTER
THE STATE OF BAHRAIN



---

**ISSUE No. 38 - 19th YEAR**
**RABIE AWWAL 1421 H. – JULY 2000**

**IN THE NAME OF GOD**
**THE BENEFICENT,**
**THE MERCIFUL**

THE DOCUMENT
EREED HISTORICAL PERIODICAL
BY H.D.C. OF BAHRAIN
BIE AWWAL 1421 - JULY 2[illegible]
ISSUE No. 38 - 19TH YEAR





الشمر ديدران